مكتبة الدراسات الأدبية
٧٦

الأدب العربيّ المعاصر في فلسطين

من سنة ١٨٦٠ - ١٩٦٠

تأليف

الدكتور كامل السوافيرى



دار المعارف

الأدب العربيّ المعاصر

في فلسطين

من سنة ١٨٦٠ – ١٩٦٠





مكتبة الدراسات الأدبيّة
٧٦

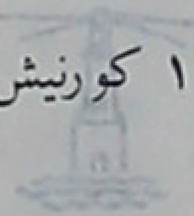
الأدب العربيّ المعاصر
في فلسطين

من سنة ١٨٦٠ – ١٩٦٠

تأليف
الدكتور كامل السوافيري



دار المعارف



الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

الإهداء

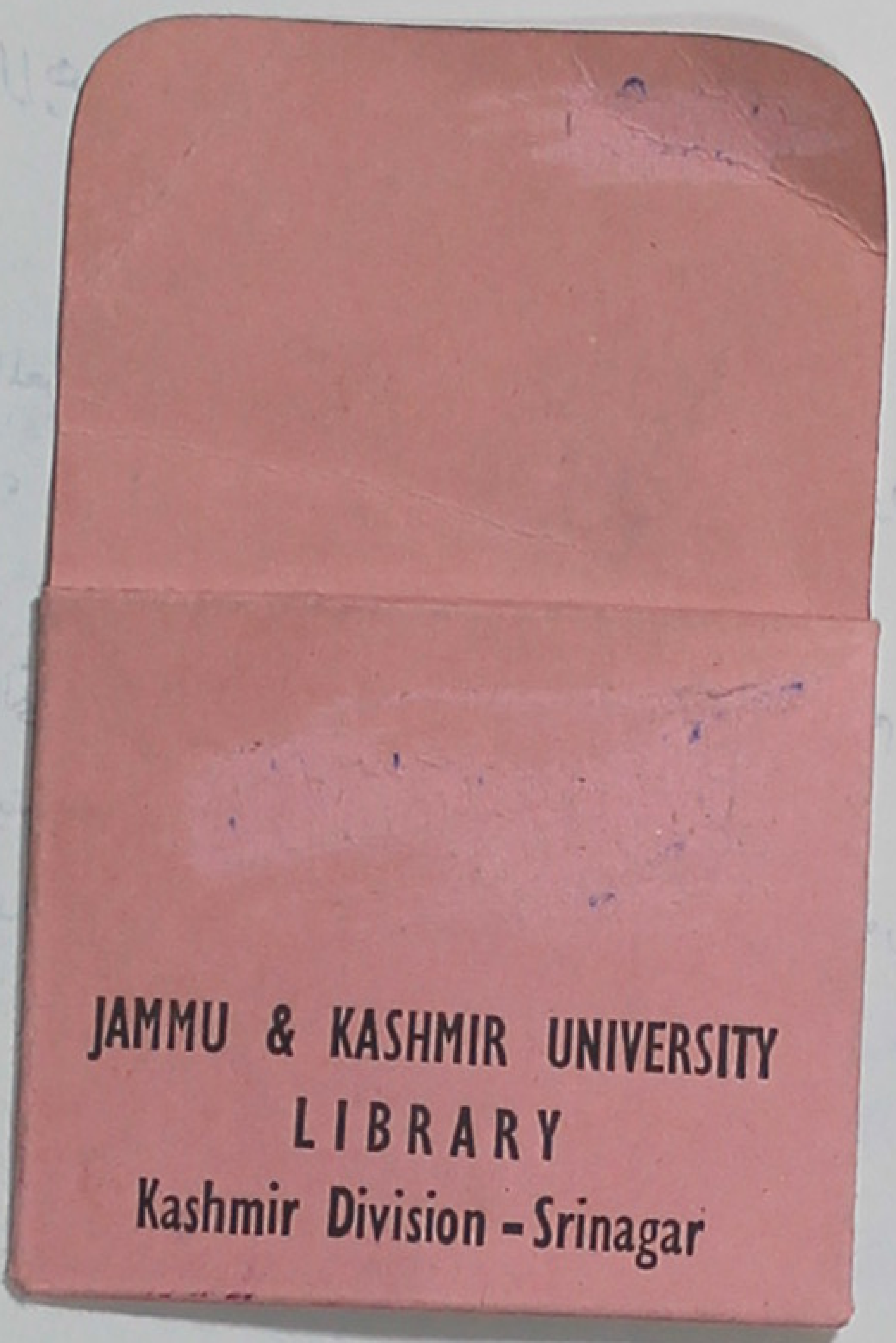
إلى روحى والدى الكريمين .

« والدى » الذى غرس فى قلبى بذور المعرفة منذ نعومة أظفارى وتعهدها حتى آتت أكلها ، والذى علمنى أن أتخذ من العلم هدفا ساميا ، وأن أجد فى تحصيله ، وأربأ به عن أن يكون وسيلة لتحقيق مصلحة ذاتية ، أو مأرب مادى .

« ووالدتى » التى تعذبت من أجلى . . والتى علمتنى أن أحب الناس جميعا ، وأتمنى لهم الخير ، وأن أجعل قلبى روضا ينبت الأزاهير ، وينبو عن الأشواك .

إلى روحيهما الكريمين فى رحاب الخلد أهدى هذا الكتاب براً بهما ، وتقديراً لما منحانى من رعاية وحب . .

كامل


JAMMU & KASHMIR UNIVERSITY
LIBRARY
Kashmir Division - Srinagar

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الأدب العربى المعاصر فى فلسطين تراث فكرى ثمين ، وثروة فنية ضخمة ، وحلقة فى سلسلة الأدب العربى المعاصر فى كل قطر من أقطار الوطن العربى الكبير .

وعلى الرغم من أهمية هذا الأدب ، وسمو قيمته الفنية لم تتجه إليه عناية الدارسين من مؤرخى الأدب ، ونقاده والمتخصصين فى الدراسات الأدبية ، ويرجع ذلك إلى ظروف فلسطين قبل الكارثة وبعد حدوثها حيث حالت تلك الظروف دون تسليط الأضواء الكاشفة على أدبها بفنونه المتعددة ، وألوانه المختلفة .

ويصدق هذا الحكم على الدارسين من أبناء فلسطين نفسها بخاصة ، وأبناء الوطن العربى بعامة . وإلى يومنا هذا لم تعرض عيون هذا الأدب على القراء ، ولم يفصل القول فى أجناسه ، ولم يترجم لأعلامه البارزين من الشعراء والكتاب .

ولعل من أسباب ذلك قبل الكارثة ، أو قبل سنة ١٩٤٨ ، أن الثورات الوطنية التى نشبت فى البلاد - وهى تكافح الصهيونية والانتداب - كانت مستمرة لا يخبو لها أوار ، ولا تكاد حكومة الانتداب تتمكن من إخماد ثورة فى مكان حتى تشتعل ثورة بل ثورات فى أمكنة متعددة . وقد وجه كفاح أبناء فلسطين الدائم وثوراتهم المستمرة الطاقات الفكرية والأدبية للجهاد المسلح باعتباره السبيل الوحيدة للتحرر من الانتداب ومقاومة الصهيونية ، والظفر بالحرية والاستقلال ، وحرمت هذه الثورات المستمرة - خلال ثلاثين سنة من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٤٧ - فلسطين الأمن والطمأنينة والاستقرار الذى نعمت به الأقطار الشقيقة وبخاصة مصر والشام .

أما بعد حدوث الكارثة سنة ١٩٤٨ فقد جنت تلك المأساة المروعة على تراث فلسطين الفكرى والأدبى بعد جنايتها على مئات الألوف من أبناء البلاد ، واضطر العلماء والأدباء والمفكرون إلى

الهجرة من فلسطين إلى الأقطار الشقيقة مخلفين وراءهم ثمار عقولهم ونتاج قرائحهم ، ومكتباتهم الخاصة الحافلة بأمهات الكتب ، وأعظم المصادر فى اللغة والأدب والتاريخ والشريعة .

ونهبت العصابات الصهيونية عام المأساة ١٩٤٨ المكتبات الخاصة لأعلام فلسطين البارزين من العلماء والكتاب ، والمكتبات العامة بما فيها من ثروات فكرية ، وبخاصة فى مدينة بيت المقدس التى كان بها عدد غير يسير من المكتبات القيمة . وتبددت ثروة فكرية ضخمة من المؤلفات الفلسطينية ومن آثار المفكرين والعلماء والكتاب والشعراء من أبناء فلسطين ، وتعذر الوصول إلى تلك الذخائر من المطبوعات والمخطوطات النادرة الثمينة التى لا تقدر بمال .

وبعد مرور تسعة أعوام على وقوع كارثة العرب القومية فى فلسطين ، وفى سنة ١٩٥٧ كتب العالم الباحث الأستاذ الدكتور شوقى ضيف – بتكليف من الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية – بحثه عن الأدب العربى المعاصر فى مصر فى مائة عام من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٩٥٠ ، وقال فى مقدمة بحثه :

« أخذ الباحثون فى الأعوام الأخيرة يعنون عناية واسعة بدراسة أدبنا الحديث ، فقلما يمضى عام دون أن تنشر أبحاث جديدة تترجم لشاعر معروف ، أو كاتب مشهور ، أو لجيل أجمع من الشعراء والكتاب ، أو تصور نزعة وطنية أو قومية أو اجتماعية سرت بين أدبائنا ، أو تصف فنا بعينه من فنوننا الشعرية أو النثرية وبفضل هذه الأبحاث التى تتكاثر يوماً بعد يوم ، وما تلقى من أضواء على أدبنا العربى المعاصر أصبح من الممكن أن يكتب تاريخه كتابة تستوعب أطرافه وأطواره وآثاره وأعلامه » .

« وأدركت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية حاجة الدارسين والمثقفين فى العالم العربى إلى مؤلف جامع لهذا التاريخ يستقصى العوامل الفعالة فى تكونه وتطوره ، ويحقق الصلات بينه وبين عصره وبيئاته ، ويحلل شخصيات شعرائه وكتابه وآثارهم الأدبية ، وندبت إلى النهوض بهذا العمل طائفة من المتصلين بهذه الدراسات فى بلادنا العربية ، ليكتب كل منهم القسم الخاص بالأدب المعاصر فى وطنه على أن يكون مجملا غير مبسوط بمقدار ما يسد الحاجة ، ويجلب الكفاية » .

« وحاولت جاهداً أن أؤرخ لأدبنا المصرى المعاصر فى مائة عام (١٨٥٠ – ١٩٥٠ م) وأن أربط حلقاته ربطا متناسقاً يكشف عن المؤثرات والدوافع المختلفة التى عملت فى حياته ، ويصور شعرنا واتجاهاته التى نشأت فيه ، وما يمتاز به كل اتجاه من خصال وخصائص . كما يصور تطور نثرنا وحركاته ومعاركه التى احتدمت فيه بين المجددين والمحافظين ، وما عبر عنه من صور وفنون أدبية مستحدثة مثل المقالة والقصة والمسرحية » [١].

---

(١) الدكتور شوقى ضيف – الأدب العربى المعاصر فى مصر ، المقدمة – هـ – و .

وقد غمرتنى البهجة بصدور هذا البحث الأول عن الأدب العربى المعاصر فى مصر فى قرن من الزمان ، وأشرق الأمل فى قلبى بترقب صدور بحث ثان مماثل عن الأدب العربى المعاصر فى سورية ، وثالث عن الأدب العربى المعاصر فى فلسطين ، ورابع عن الأدب العربى فى العراق ، وتحقق الأمل ، وصدر البحث الثانى عن الأدب العربى المعاصر فى سورية من ١٨٥٠ - ١٩٥٠ الذى كتبه العالم الأديب الباحث المرحوم الأستاذ سامى الكيالى بتكليف من الإدارة الثقافية أيضا سنة ١٩٥٩ ، وبعد عامين اثنين من صدور بحث الدكتور شوقى ضيف وفى الطبعة الأولى من الكتاب مقدمة بقلم الأستاذ شفيق جبرى . أما الطبعة الثانية فقد صدرت بكلمة تقديم للدكتور طه حسين - تلتها كلمة الأستاذ جبرى . ومما قاله الدكتور طه حسين : « هذا كتاب أقل ما يمكن أن أقول فيه إنه رائع كل الروعة ، ممتع أحسن الإمتاع ، وما أرى أننى أبلغ من إجادة تقديمى له ما بلغه الأستاذ الجليل الكريم شفيق جبرى ، فقد قدمه ووصفه أصدق وصف ، ولم يدع لى شيئاً يمكن أن أقوله إلا أن أهدى إلى الصديق العزيز سامى الكيالى أصدق التحية وأعمق التهنئة » .

ومضى الدكتور طه حسين قائلا : وقبل وصول هذا الكتاب إلى وصل إلى كتاب آخر من صديق عراقى عن الأدب المعاصر فى العراق ، فهذه إذن طائفة جديدة من الكتب بدأها الصديقان الكريمان عن الأدب المعاصر فى قطرين شقيقين كريمين علا أثيرين عندنا ، وهما سورية موطن الدولة الأموية ، والعراق موطن الدولة العباسية ، وكم أتمنى أن تتصل هذه السلسلة ، فيفرغ بعض الأدباء للآداب المعاصرة فى مصر وفى البلاد العربية الأخرى التى لم تنشأ عن أدبها المعاصر كتب مثل كتاب الأستاذ سامى الكيالى .

وكم أتمنى أن يعنى الأستاذ عبد الله كنون بالأدب المغربى المعاصر كما عنى بالأدب المغربى كله فى كتابه القيم : « النبوغ المغربى فى الأدب العربى . . »[1]

ونشرت دار المعارف فى القاهرة البحثين فى سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية ، وكان ترتيب الأول الرابع والثانى الخامس عشر .

وكان من المتوقع أن تكلف الإدارة الثقافية أحد أعلام فلسطين كتابة البحث الثالث فى السلسلة تحت عنوان الأدب العربى المعاصر فى فلسطين ، ولكن - والأسف يملأ الجوانح - تصرمت عشرة أعوام دون أن تكلف الإدارة الثقافية أحداً من أعلام فلسطين ، ودون أن يتصدى باحث لكتابته من تلقاء نفسه ، فوجدت لزاماً على أن أتولى كتابته وتقديمه للقراء المتعطشين إليه خدمة للأدب أولا ،

---

(١) الأدب العربى المعاصر فى سورية - ط ٢ تقديم ص ٥ دار المعارف ١٩٦٨ .

وتقديراً لفلسطين وأدبائها ومفكريها ثانياً ، وسداً للفراغ القائم فى المكتبة العربية عن الأدب الفلسطينى المعاصر ثالثاً .

ومما يسر لى أداء هذه المهمة :

أولا : تتبعى منذ وقوع الكارثة سنة ١٩٤٨ - وأنا يومئذ فى القاهرة - الأدب الفلسطينى الذى أبدعته قرائح كتاب وشعراء وشواعر فلسطين ، وحرصى على جمعه وتدوينه وتبويبه وحفظه والعناية به لجناية المأساة على ذلك الأدب والفكر الفلسطينى بعامة بعد جنايتها على أبناء فلسطين .

ثانيا : انصرافى إلى دراسة الأدب الفلسطينى الحديث بفنونه وألوانه المختلفة من ديوان شعرى ، ومجموعة قصصية وأبحاث ومقالات ودراسات ، ومسرحية شعرية ونثرية وتقديمى لعدد من الدواوين والمجموعات القصصية لبعض الشعراء والكتاب ، ونشرى مقالات نقدية لطائفة من الدواوين الشعرية التى صدرت لشعراء وشواعر فلسطين بعد عام ١٩٤٨ .

ثالثا : تكليفى من الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بإنجاز ثلاث دراسات : الأولى : عن حياة الشاعر الفلسطينى المجاهد عبد الرحيم محمود وشعره ، وقد نشرتها دار العودة فى بيروت فى ١٣ من مايو سنة ١٩٧٤ ، والثانية : عن أديب العربية إسعاف النشاشيبى بإصدار الجزء الأول من المجموعة الكاملة لمؤلفاته وكتابة مقدمة عن حياته وأدبه . والثالثة : عن إبراهيم الدباغ - الشاعر الفلسطينى الذى عاش فى مصر تتناول حياته ومختارات من أدبه .

رابعاً : إفرادى الشعر الفلسطينى المعاصر بدراسة متعمقة تناولت نشأته وتطوره وعوامل نهضته واتجاهاته الفنية من سنة ١٨٦٠ إلى سنة ١٩٦٠ ونشرها فى كتابى «الاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطيني المعاصر سنة ١٩٧٣ مع فروغى منها سنة ١٩٦٩ وهنا يتبادر سؤال إلى الذهن فحواه ألم يكتب كاتب أو يتصدى دارس لإفراد الأدب الفلسطينى بدراسة مستقلة أو ببحث مفصل فى خلال الفترة من سنة ١٩٥٧ إلى نهاية سنة ١٩٧٠ بعد مضى ثلاثة عشر عاماً على صدور كتاب الدكتور شوقى ضيف ؟ ، والإجابة : نعم ، لم يفرد باحث دراسة خاصة للأدب الفلسطينى . وتفصيل القول فى أجناسه من قصيدة ومقالة وقصة ومسرحية ، شعره ونثره ، أو ما يشمل القصائد والمقالات والقصص والمسرحيات بعامة ، والترجمة لحياة كل كاتب وشاعر وتسليط الأضواء على نشأته وتقديم مختارات من أدبه .

وأقف هنا لحظة لأتحدث عن أبحاث صدرت تناول فيها أصحابها فناً واحداً من فنون هذا الأدب وترجموا لبعض أعلامه .

أقف لحظة لأقول إن الإنصاف يدعونى إلى أن أشير إلى بحثين ألمّا بهذا الأدب إلماماً سريعاً كتبهما الباحث الأديب الصديق الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد صدر أولهما سنة ١٩٥٧ تحت عنوان « الاتجاهات الأدبية فى فلسطين والأردن » وهو محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية فى معهد الدراسات العربية التابع للجامعة العربية ، وقرر فى مقدمتها أن هذه المحاضرات محاولة أولى لدراسة الحياة الأدبية الحديثة فى فلسطين والأردن محدودة بزمن ، مقصورة على هدف معين ، هو تعريف طلاب المعهد بالمعالم الكبرى لحياة الأدب فى البلدين تعريفا عاما ، ولذلك كان لابد من الاقتصار على التخطيط الأفقى العام ، وتجنب الخوض فى تفصيلات النقد وبيان الاتجاهات خلافاً لما يوحى به العنوان ، وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام تناول فى الأول عوامل النهضة الحديثة ومظاهرها ، وفى الثانى النثر الفنى ، وفى الثالث الشعر . وصدر ثانى البحثين سنة ١٩٦٠ تحت عنوان « الشعر الحديث فى فلسطين والأردن » وهو كسابقه محاضرات ألقيت على طلبة المعهد ، قال الباحث فى مقدمتها إنها محاولة أخرى لدراسة جانب من جوانب الحياة الأدبية فى فلسطين والأردن تنحو نحو التخصيص بعد التعميم وقد اقتصرت على الشعر وحده .

* * *

ونقرر أن الباحث قد بذل جهداً شاقاً فى جمع مادته ، ولقى فى سبيل ذلك الوصب والعناء لقلة المصادر حيناً ، وتعذّر الوصول إليها أحياناً وهو يترجم لطائفة من الشعراء والكتاب الذين عاشوا فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ونشروا نتاجهم فى صحف ومجلات كانت تصدر فى الشام قبل نشوب الحرب العالمية الأولى ثم احتجبت محاولا أن ينفض عنهم غبار الزمن الذى تكاثف ، ويجلو سيرهم ويسلط الأضواء عليهم ، وتعد محاولته أولى المحاولات فى تناول حياة الشعر فى فلسطين والأردن .

ولكن هذه المحاضرات لا تتسع بطبيعتها لشرح جوانب الأدب المعاصر فى فلسطين ، وتفصيل القول فى أجناسه وربط حلقاته ، والكشف عن المؤثرات والدوافع التى عملت فى حياته ، والتعمق فى دراسة كل فن على حدة ، هذا من ناحية كما أن هذه الدراسة المتعمقة لم تكن هدفاً للباحث من ناحية أخرى .

وفى سنة ١٩٦٠ ناقش الدكتور عبد الرحمن ياغى رسالته للدكتوراه ، وحصل على درجة الدكتوراه من قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة ، وكان موضوعها حياة الأدب الفسطينى الحديث من أول النهضة حتى النكبة [١] .

---

(١) نشر المكتب التجارى للطباعة والنشر فى بيروت هذه الرسالة سنة ١٩٦٨ .

والرسالة مقسمة إلى ثلاثة أقسام تناول الباحث فى الأول الظروف التى ساعدت على النهضة الأدبية الحديثة فى فلسطين ، وفى الثانى حياة الشعر ، وفى الثالث حياة النثر .

ويدعونا الإنصاف للمرة الثانية إلى أن نقرر أن البحث قد احتوى على مادة علمية جيدة ، وأن الباحث بذل جهداً مشكوراً فى الوصول إليها ، وقرأ فى سبيل ذلك ما يقرب من مائتى مصدر ومرجع يعود بعضها إلى القرن التاسع عشر .

ولكن وقوف الباحث عند سنة ١٩٤٨ التى وقعت فيها النكبة أو الكارثة أدى به إلى أن يغفل أخصب مرحلة من مراحل الأدب الفلسطينى أو بتعبير أدق أدب النكبة أو المأساة أو الكارثة الذى صور فيه أدباء فلسطين من الشعراء والكتاب فواجع المأساة وأهوالها ، وتشرد أبناء فلسطين وتبعثرهم فى الدروب .

كما أن شعراء فلسطين لم ينشروا دواوينهم إلا بعد سنة ١٩٥٠ باستثناء إسكندر الخورى وحسن البحيرى ، والشيخ إبراهيم الدباغ . وما يقال عن الشعراء يقال أيضا عن كتاب القصة والمسرحية والمقالة .

* * *

وقد تطلبت دراسة الأدب العربى المعاصر فى فلسطين أن أقسم الزمن الذى امتد قرناً من الزمان إلى المراحل الأربع التالية :

المرحلة الأولى من ١٨٦٠ - ١٩٠٧

المرحلة الثانية من ١٩٠٨ - ١٩١٨

المرحلة الثالثة من ١٩٢٦ - ١٩٤٧

المرحلة الرابعة من ١٩٤٨ - ١٩٦٠

أما السنوات السبع من ١٩١٩ - ١٩٢٦ فقد اعتبرتها فترة انتقال ومرحلة فاصلة بين عهدين : الأول الذى كانت فيه البلاد خاضعة لسيطرة الحكم العثمانى ، والآخر الذى خضعت فيه للانتداب البريطانى ، كما أنها قد مهدت أيضا للنهضة .

وقسمت الكتاب قسمين : الأول للشعر ، والآخر للنثر ، وتناولت الشعر فى أربعة فصول موزعة على المراحل الأربع لكل مرحلة فصل ، وفى كل مرحلة ألقيت الأضواء على الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية ، وسلطتها على حياة الشعر وتطوره والترجمة لأعلامه وتقديم النماذج لكل شاعر .

أما القسم الآخر الخاص بالنثر فقد جعلته من أربعة فصول أيضا تناولت فى الأول نشأته وتطوره وفنونه بوجه عام ، وفى الثانى المقالة والترجمة لأعلامها ، وفى الثالث القصة والمسرحية ، والترجمة لأعلامها ، وفى الرابع الترجمة .

ووقفت بالكتاب عند نهاية سنة ١٩٦٠ ، بمعنى أنى لم أتعرض للأدب العربى المعاصر فى فلسطين بعد ذلك التاريخ ، على الرغم مما ظهر من دواوين شعرية ومجموعات قصصية لشعراء وكتاب فلسطينيين عاش بعضهم فى الوطن المحتل ، وعاش بعضهم الآخر فى الأقطار الشقيقة . واقتصرت فى الترجمة على الشعراء والكتاب من أبناء فلسطين الذين نبتوا فى أرضها ، وعاشوا فى ربوعها أو فى الأقطار العربية ، فترجمت لإبراهيم الدباغ الذى عاش فى مصر ، وأحمد شاكر الكرمى الذى عاش فى سورية ، وأقرر أن هذه التراجم لن تفى كل أديب حقه من الدراسة والبحث المفصل ، ولن تستطيع استقصاء كل جانب من جوانبه ، والإحاطة بكل لون من ألوان فنه ، فكل أديب – شاعراً كان أو ناثراً – يحتاج إلى دراسة مستقلة عن حياته وأدبه ، وقد سبق لى أن تناولت آثار بعض هؤلاء الأدباء بدراسات سلطت فيها أشعة النقد على نتاجهم الأدبى ، وأرجو أن يتاح لى نشرها فى المستقبل القريب إن شاء الله . وهنا أعيد ما قاله الأستاذ سامى الكيالى فى مقدمة كتابه : « وقد ترجمت للأدباء والشعراء ترجمة لا أقول إنها وافية ، فهى تعريف بملامح الأدباء وإلماع إلى اثارهم أكثر منها دراسة شاملة إذ الغاية من هذا الكتاب تقديم صورة مجملة عن سيرة أدبائنا »[١] .

ومعاذ الله أن أزعم براءة البحث من العيوب ، أو خلوه من النقائص ، أو بلوغه مرتبة الكمال ، أو تفرده ، ولكنه – فيما أعلم – الكتاب الثالث الذى انتظر القراء صدوره بعد الشعر العربى المعاصر فى مصر وسورية ، وأول بحث يتناول الأدب المعاصر فى فلسطين شعراً ونثراً فى مائة عام أو تزيد ، وما ينضوى تحت الشعر والنثر من فنون قديمة ومستحدثة ، وأول بحث ترجم للأدباء والأديبات من أبناء فلسطين وبناتها ، وجلا سيرة كل أديب ، وألقى الضوء على حياته ونشأته ومنابع ثقافته فى خلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن .

وقد بذلت فى سبيله ما استطعت من جهد ، وقرأت من أجله ما وقع تحت يدى من مصادر ومراجع وبحوث ، وحين كانت تعوزنى المراجع فى تحديد مولد أو وفاة أديب كنت أتوقف وأسجل عدم عثورى على تاريخ المولد أو الوفاة .

وقبل أن أنهى هذه المقدمة أتوجه بأصدق آيات شكرى للزملاء والزميلات من الشعراء والشواعر

---

(١) سامى الكيالى – الأدب العربى المعاصر فى سورية – الطبعة الثانية المقدمة ص ٤١ – مطبعة دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ .

والكتاب والكواتب أبناء وبنات المأساة الدامية الذين تناثروا على الدروب وتطايروا فى الآفاق . أتوجه بالشكر إليهم لأنهم أمدونى بالحقائق عن نشأتهم وحياتهم ودراساتهم ، وتفضلوا فأهدوا إلى آثارهم الشعرية والنثرية التى حققت لهذا البحث الغاية التى أرادها ، وهى التعريف بالأدب المعاصر فى فلسطين وأعلامه وإلقاء الضوء على حياة كل أديب واختيار نصوص من أدبه .

وأضرع إلى الله العلى القدير أن يجعل البحث خالصاً لوجهه ، وأن يلهمنى الرشد والسداد ،

مصر الجديدة فى محرم ١٣٩٥ هـ
يناير ١٩٧٥م

الدكتور كامل السوافيرى

القسم الأول

الشعر

الفصل الأول

المرحلة الأولى من ١٨٦٠ إلى سنة ١٩٠٧

١ - الحياة السياسية

تم للعثمانيين إخضاع الشام لنفوذهم فى القرن السادس عشر الميلادى ، وبذلك خضعت فلسطين ضمناً لنفوذهم لأنها جزء من الشام التى كانت تطلق يومئذ على سورية ولبنان وفلسطين والأردن ، وقد امتد الحكم العثمانى على الشام ومصر والعراق زهاء أربعة قرون .

وكان أول تغيير أحدثه العثمانيون فى الشام بعد إخضاعها لنفوذهم تقسيم هذا القطر إلى الولايات الثلاث الآتية :

الأولى : ولاية سورية . الثانية : ولاية حلب . الثالثة : ولاية بيروت . وألحقوا بكل ولاية عددا من « المتصرفيات »

وأحدثوا أيضا تغييرا فى التقسيم الإدارى لفلسطين والأردن إذ قسموهما إلى أربعة أقسام أطلقوا على كل قسم « لواء » .

١ - لواء القدس : ويضم « أقضية » يافا والخليل وغزة وبئر السبع وهو لواء مستقل ولا يتبع ولاية من الولايات السابقة وإنما يرتبط ارتباطا مباشرا بوزارة الداخلية فى مقر السلطنة بالأستانة .

٢ - لواء نابلس : ويضم « قضائى » بنى صعب وجنين ويتبع ولاية بيروت .

٣ - لواء عكا : ويضم « أقضية » حيفا وصفد وطبرية والناصرة ويتبع ولاية بيروت أيضا . وتكون هذه الألوية الثلاثة فلسطين .

٤ - لواء الكرك : ويضم البلاد التى أطلق عليها فيما بعد « شرقى الأردن » ويتبع ولاية سورية [1]

* * *

وقد سام العثمانيون العرب فى الشام سوء العذاب وبلغ الاستبداد العثمانى ذروته فى النصف الأخير

---

(١) لواء = محافظة وقضاء = مركز.

من القرن التاسع عشر وفى عهد السلطان عبد الحميد الثانى بالذات الذى استولى على عرش السلطنة سنة ١٨٧٦ م وظل يحكم البلاد حكما فرديا مطلقا حتى إرغم إرغاما على اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ وانتهى الأمر بخلعه فى سنة ١٩٠٩ .

وليس من هدفنا هنا أن نبسط الحديث عن أساليب الظلم ، وطرائق الاستبداد التى سلكتها الحكومة العثمانية وهى تتولى شئون الشام لأن الكتب التى تناولت تاريخ القضية العربية ، والعلاقات بين العرب والترك أسهبت فى ذلك وأطنبت فى شرح الأحداث والوقائع .

ولكنا نكتفى بإثبات الحقائق التالية .

الأولى : أن اللغة التركية كانت لغة الدولة الرسمية فى البلاد العربية فى دوائر الحكومة ومصالحها وفى المحاكم ودور القضاء وفى المدارس والمعاهد ودور التعليم .

الثانية : إن الدولة العثمانية لم تعترف للعرب بكيان قومى ولا باستقلال إدارى داخلى .

الثالثة : أن معظم الولاة والقضاة ورؤساء الدوائر والمصالح الحكومية والمفتشين وكبار ضباط الجيش كانوا إما أتراكا أو « متتركين » يأتون من العاصمة « الاستانة » وهم لا يعرفون كيف يصوغون جملة واحدة باللغة العربية . وإنما هدفهم الوحيد جمع المال بالرشوة والعودة به إلى بلادهم .

الرابعة : أن الظلم والاستبداد والقسوة والعنف كانت كلها عنوان الحكم ، وبخاصة فى العهد الحميدى .

الخامسة : أن الجهل كان ضاربا أطنابه فى البلاد ، وأن قمع الحرية كان عرفا سائدا ، كما أن حرية عقد الاجتماعات وحرية الصحافة ، وإنشاء الجمعيات الأدبية والسياسية وتكوين النقابات والجمعيات التعاونية كل أولئك كان محرما بل مخيفا مرعبا يؤدى إلى السجن دائما وقد يؤدى إلى القتل أحيانا (١)

ودليل آخر ساقه الأستاذ الكيالى حين قال « إن الدولة العثمانية فى القرن التاسع عشر كانت تتخبط فى الدياجير المظلمة ، تسودها أنظمة « أوتوقراطية » عتيقة تقوم على البطش والظلم والحكم الفردى المطلق وكانت الأقطار العربية الواقعة تحت نفوذها وسيطرتها – ومنها بلاد الشام – تتخبط فى هذه الدياجير نفسها .

فالوالى الذى يحكم « دكتاتور » مطلق ينفى ويقتل ويصادر الأموال وفقا لمشيئته ، وإشباعا لمطامعه ، ونزولا عند رغبة سيده – سلطان البرين ، وخاقان البحرين – فإذا خرج على إرادته ،

(١) الأمير مصطفى الشهابى – القومية العربية – مطبوعات معهد الدراسات العربية ص ٤٢ .

وتلكأ فى تنفيذ رغباته وأهوائه أمر بعزله ، وقد يأمر بقطع رأسه فتاريخ الحكم فى تلك الفترات المظلمة يعطينا أكثر من مثل واحد على هذا اللون من الحكم الأسود[١] .

ولا حاجة بنا إلى إيراد المزيد من الأدلة والبراهين على فساد الحياة السياسية لا فى فلسطين فحسب بل فى الشام بأجزائها فى غضون الفترة من سنة ١٨٦٠ إلى سنة ١٩١٧ بل إلى سنة ١٩١٨ تاريخ انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وانهيار النفوذ العثمانى فى الأقطار العربية .

وفى كلمات قصار نقول إن الحياة السياسية فى فلسطين فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر كانت مؤلمة ذاق فيها عرب فلسطين — كما ذاق العرب فى الولايات العربية صنوف الظلم ، وألوان الاستبداد ، وضروب العسف والجور مما صبغ شعور العرب الخاضعين للعثمانيين فى الأقطار العربية بعامة بالحسرة والألم بل بالمرارة والسخط الذى أدى بعد فترة من الزمن فى سنة ١٩١٥ إلى الثورة العربية على الترك .

٢ — الحياة الاقتصادية

كان الترك يعدون سورية بقرة حلوبا ، وكانوا يريدون استنزاف اقتصادها بكل ما يملكون من الوسائل ومن أجل ذلك فرضوا على سكان المدن ضرائب على العقارات ، وأخرى على الأشخاص الذين يعملون ويكسبون وكانت مقادير هذه الضرائب تتفاوت تبعا لتفاوت القيم والمكاسب والأشخاص .

أما الزارعون فكانت الدولة تجبى منهم عشر ما تنتجه الأرض المزروعة ، وكان هناك ضامنون أو ملتزمون عن الزارعين يدفعون للدولة مقداراً معيناً من المال عن كل قرية مقابل استيفائهم — بجهودهم الخاصة — أعشار غلات القرى . وكان هذا هو الشائع . وكان هناك ظلم كبير ، وغبن ، وتلاعب فى فرض الضرائب وفى طرق جبايتها وتحصيلها .

« إن خزانة الدولة كانت فى عجز دائم بسبب الإنفاق وعدم انتظام الموارد وجبايتها ، وعدم الالتزام بميزانية متوازنة ، وكثيرا ما كانت مرتبات الموظفين المدنيين والعسكريين تتأخر عن مواعيدها ، وأحيانا يمر الشهر والشهران والثلاثة دون أن تصرف المرتبات »[٢]

---

(١) سلمى الكيالى — الأدب العربى المعاصر فى سورية ص ٩ — ١٠ .

(٢) محمد عزت دروزة — نشأة الحركة العربية الحديثة . ص ٢٠٦ .

كان الموظفون الذين يتولون المناصب القيادية فى الدولة خليطا من الأجناس الخاضعة لها والتى تعيش فيها ، وكانت العناصر التركية صاحبةالنصيب الأكبر فى الوظائف الرئيسة بنوع خاص وفى البلاد العربية بالذات ، وبنسبة تفوق كثيراً نسبتهم العددية ومعظم هؤلاء الموظفين الترك الذين يأتون إلى بلاد العرب لم يكونوا يتكلمون العربية أو يفهمونها ، وأحيانا يمكث الواحد منهم سنتين أو ثلاثا دون أن يتعلم منها أو يفهم إلا القليل وبرطانة تركية .

وكانت المعاملات فى المصالح والدوائر الحكومية لا تتم إلا باللغة التركية ، وما يصدر فى البلاد العربية من بيانات وبلاغات ، وتعليمات ومنشورات ومراسلات لا ينشر إلا بالتركية فحسب ، وما يتقدم به العرب من شكاوى ومطالب لا يرفع للمسئولين إلا بالتركية وكان ذلك شاقا على العرب ، ومؤلما لهم الألم الشديد إذ كان مطلب استخدام اللغة العربية فى دوائر الحكومة فى البلاد العربية من المطالب الرئيسة فى الحركة العربية الحديثة بعد إعلان الدستور سنة ١٩٠٨ .

كان التهافت على الوظائف شديدا ، لأن الوظيفة كانت من سمات الوجاهة ، ولأنها تدر على صاحبها نفعا ماديا غير المرتب ، ويقرر الأستاذ دروزة – وهو من الذين شهدوا تلك الفترة – أن معظم الموظفين كبارهم وصغارهم كانوا حريصين على النفع المادى من وظائفهم إما بالرشوة وإما بالهدايا ، وإما بالمعاملة الخاصة الممتازة . كما يقرر أن الرشوة كانت داء مستشرياً فى أجهزة الدولة . وقلما كان طلب أو قضية أو معاملة تجرى وتتم لمصلحة صاحبها إلا برشوة أو هدية أو وساطة ولو كان على حق فى طلبه وشكواه ، والذين لا يدفعون تتعطل مصالحهم [١]

وقد كان سبعون فى المائة من أهل فلسطين من أبناء القرى الذين يشتغلون بالزراعة وعشرون فى المائة من الحضر المحترفين والمتعلمين ، وعشرة فى المائة من الذوات والأعيان والفقهاء والموظفين .

٣ – الحياة الثقافية

خيم الجهل على ربوع فلسطين فى ظل الحكم العثمانى ، وفى النصف الأخير من القرن التاسع عشر بالذات فلم تكن هناك مدارس ثانوية ولا معاهد عالية ، ولا كليات جامعية فى أى فرع من فروع المعرفة .

لا معاهد تقام ، ولا مدارس تفتتح ، ولا ثقافة تنتشر ، ولم تكن ظلمة الجهل تغمر جانباً واحداً

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٨ – ٢٠٩ .

وتنحسر عن آخر ولكنها كانت تعم كل الجوانب .

وإذا اتسم الحكم العثمانى بالتخلف الفكرى والثقافى بعامة فإن حظ البلاد العربية من هذا التخلف كان أكبر من حظ الأجزاء التركية .

وها نحن أولاء نسوق ما ذكره شاهد عيان رأى بنفسه ذلك التخلف الفكرى ، وعانى من أهواله ، ووصف آثاره . وذلك الشاهد هو المؤرخ الفلسطينى الباحث الأستاذ محمد عزة دروزة وننقل عنه نص ما قال .

«لا نذكر أنه كان للحكومة مدارس فى القرى قبل إعلان الدستور سنة ١٩٠٨ فظلت تسير على أسلوب الكتاتيب القديمة التى كان ينشئها المشايخ المسلمون والرهبان النصارى بجهودهم وتعيش هذه الكتاتيب على ما كانوا يتقاضونه من الطلاب من أجور زهيدة نقدية وعينية ، ويتعلم فيها الأولاد القراءة والكتابة والقرآن الكريم ، والإنجيل وشيئاً من الحساب» .

«ولعل أول مدرسة ابتدائية حكومية قامت فى نابلس كانت هى المدرسة التى درسنا فيها والمبنية على قسم من «خان التجار» وما حوله ، وكان مديرها الشيخ محمد زعيتر ويصادف ذلك سنة ١٨٩٥ م وقد انتقلنا بعد أن تخرجنا فيها ، وأخذنا شهادتها سنة ١٩٠٠ م إلى المدرسة الرشدية — الإعدادية — التى كانت فى جانب السراية القديمة ، ثم بنى للمدرسة بناء جديد خارج المدينة قرب المستشفى الوطنى فانتقلنا إليها وكانت تسمى المدرسة الاعدادية ، وتخرجنا فيها ، وأخذنا شهادتها سنة ١٩٠٥ م (١)

هذا فى مجال التعليم الرسمى أو الحكومى الذى تتولاه الدولة . أما فى مجال التعليم الخاص ، أو مجال المدارس الأجنبية والطائفية فالأمر يختلف إذ أخذت تلك المدارس تستقبل النزر اليسير من التلاميذ والتلميذات فى بعض مدن فلسطين فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر حيث أنشئت فى القدس مدرسة صهيون الداخلية للبنين سنة ١٨٥١ وبلغ عدد تلاميذها ٥٦ تلميذاً يتولى التدريس لهم أربعة مدرسين .

وفى سنة ١٨٦٠ أسس الدكتور شنلر الألمانى مدرسة دار الأيتام السورية وكانت داخلية للبنين وبلغ عدد تلاميذها ١٣٠ تلميذاً يتولى التدريس لهم خمسة مدرسين وهناك عدد من مدارس الروم الأرثوذكس واللاتين والروم الكاثوليك والأرمن التى أنشئت فى مدينة القدس فى الفترة التى بين سنة ١٨٥١ وسنة ١٩٠٧ .

---

(١) محمد عزت دروزة — نشأة الحركة العربية الحديثة — ص ٢٠١ .

ومن مدارس المسلمين مكتب الرشيدية وهو مكتب يومى للبنين أنشئ سنة ١٨٦٨ وعدد تلاميذه ٨٠ تلميذاً يتولى التدريس لهم مدرسان إلى جانب سبع مدارس أخرى لتعليم القراءة والكتابة، ضمت ٢٨٠ تلميذاً يتولى التدريس لهم سبعة مدرسين، وقد بلغ مجموع التلاميذ والتلميذات الذين تعلموا فى مدارس القدس الأجنبية والطائفية ٣٨٥٤ تلميذاً وتلميذة، والمدرسون نحواً من ٢١١ مدرسا ومدرسة. أما مدارس نابلس فكانت ثلاثا للمسلمين ومدرسوها ثمانية عشر مدرساً وتلاميذها ٥٢٦ تلميذاً ومدرسة للبنات بها نحو ١٠٠ تلميذة يتولى التدريس لهن مدرستان، ونحو ١٢ مكتباً بها ٤٦٠ تلميذاً.

وفى مدينة عكا أنشئت المدرسة الرشدية سنة ١٨٧٦ م وبلغ عدد تلاميذها ٥٠ تلميذاً يدرس لهم أربعة مدرسين.

وفى سنة ١٨٨٩ أنشئ فى القدس المكتب السلطانى الذى تحول إلى مكتب إعدادى سنة ١٩١٣ وأنشئ فى عكا المكتب الإعدادى سنة ١٨٩٥ وأنشىء مكتب إعدادى فى نابلس سنة ١٨٩٧ (١)

ومن هذه الأرقام عن عدد المكاتب والمدارس وتلاميذها ومدرسيها يتضح أنه كان فى المدن الثلاث القدس ونابلس وعكا حوالى ١٠٨ مدارس للبنين تضم ٤٣٦٣ تلميذاً يدرس لهم ٢٣٧ مدرساً، و ٢٠ مدرسة للبنات تضم ١٢٧٨ تلميذة يدرس لهن ٦٨ مدرسة مع أن عدد سكان المدن الثلاث يومئذ كان يزيد على ٥٠,٠٠٠ نسمة وهذا يعنى أن من ضمتهم المكاتب والمدارس على اختلاف أنواعها قليل جداً.

وإذا أضيف إلى ذلك أن الذين كانوا يستطيعون دخول المدارس الأجنبية قلة قادرة على دفع نفقات التعليم فى تلك المدارس من أبناء المدن وعجز أبناء القرى عن دخولها يستبين أن الحياة الفكرية كانت متخلفة، وأن الأمية كانت متفشية، وأن أغلب التلاميذ والتلميذات الذين كانوا فى سن التعليم لم يتح لهم أن يتعلموا لأنهم لم يجدوا المدارس والمعاهد التى يمكن أن يتعلموا فيها.

---

(١) د. عبد الرحمن باغى – حياة الأدب الفلسطينى الحديث ص ٦٢– ٦٨

الفصل الثانى

المرحلة الثانية من ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٨

١ - الحياة السياسية

فى الرابع والعشرين من تموز - يولية - سنة ١٩٠٨ صدر الدستور العثمانى وابتهج العرب فى الولايات العربية الخاضعة للحكومة العثمانيةبصدوره ، وغمرت البهجة قلوبهم فى الشام والعراق وداعب الأمل خيالهم - إثر صدوره - فى أن يحقق آمالهم وتستجيب الدولة لرغباتهم ومطالبهم فى الحصول على الاستقلال الذاتى فى بلادهم - ضمن إطار الدولة - وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية فى الدوائر الحكومية ، ولغة التدريس فى المدارس ، واختيار الولاة والقضاة الذين يتولون وظائفهم فى الأقطار العربية من العرب .

وقد تمثلت بهجة العرب بصدور الدستور فيما ردده الكتاب والشعراء من التعبير عن الفرحة والسرور بذلك الحدث العظيم فالأستاذ خليل السكاكينى يقول فى يومياته بتاريخ ٢٥ / ٧ / ١٩٠٨ وكان يومئذ فى أمريكا « قرأت اليوم فى الجرائد العربية أن جلالة السلطان منح البلاد الدستور مما سررت له كثيرا ، واستبشرت به خيرا ، الآن إذا رجعت إلى بلادى يكون رجوعى فى محله . إذا صحت الأحلام كان المجال أمامى واسعا ، الآن أستطيع أنى أنشئ مدرسة ، وجريدة وجمعيات للشبان ، الآن نستطيع أن نرفع أصواتنا بدون حرج . لينعم بالك يا سورية ، صبرت فنلت مبتغاك ، ليرتد الطامعون فينا خائبين ولتحى سورية » (١)

ويقول الشاعر عبد المحسن الكاظمى :

أيوم الهنا لا راعنا منك رائع ... ولا طرقتك المزعجات الطوارق

علا فيك صوت الحق بعد خفوته ... وبات يرينا الخصم كيف ينافق

---

(١) يوميات السكاكينى - ص ٣٣ - ٣٤ .

فكم ضاق بالأحرار قبلك منزل تعدّ وساعاً فيك تلك المضائق
وكم من ظلام جره الظلم فانجلى وعاد سنا ذاك الظلام المطابق

وفى كلمات خليل السكاكينى ، وأبيات الكاظمى تفيض معانى البشر ودلائل توقع الخير والعدل ، وترقب عهد جديد من الحرية والعدالة والمساواة بين العرب والترك ، وتحقيق لمطالب العرب القومية التى حاولوا جاهدين إقناع الترك بها ولكن الترك صموا آذانهم عن سماعها .

توقع العرب فى سورية الخير وارتقبوا تحقيق الإصلاحات فى أقطارهم ولكن تكشف لهم – بعد صدور الدستور – أن الاتحاديين – أعضاء جمعية الاتحاد والترقى قد تحكمت فيهم النزعة الطورانية مما أثار فى نفوس العرب عامة فى الشام والحجاز والعراق الرغبة فى التحرر من قبضة الترك ، والانفصال التام عنهم ، وبعث الأمجاد العربية ، والسير قدما نحو تحقيق السيادة القومية لهم ، واستقلالهم فى دولة واحدة تضمهم ، وتحترم مقومات حياتهم ، وتقدر مشاعرهم وتعلى شأن لغتهم وأدبهم وحضارتهم .

وقد مر الصراع بين العرب فى الشام والحجاز والعراق وبين الترك فى ثلاث مراحل .

الأولى : التى كانت ترمى إلى مساواة العرب بالترك وتمتد من ١٩٠٨ إلى ١٩١٢ .

الثانية : التى كانت تهدف إلى تحقيق الاستقلال الذاتى فى إطار الدولة وتمتد من ١٩١٢ إلى ١٩١٤ .

الثالثة : التى تسعى إلى الانفصال عن الترك وتحقيق الاستقلال التام للبلاد العربية وتمتد من ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٥ .

خاب أمل العرب فى الدستور ، وتأكد لهم أن الترك لن يحققوا لهم مطلبا ، ولن يخيبوا رغبة ولن يصلحوا فسادا .

وقد أحدثت خيبة أمل العرب فى الترك فجيعتهم بما تكشف لهم ردود فعل عنيفة أسهبت المصادر التاريخية فى تفاصيلها ، وبسط القول عن جوانبها وتوخيا منا للإيجاز فى ذلك نقتطف بعض السطور من تلك المصادر .

« بينما كان العرب ثملين بخمرة الأمانى المعسولة عقب إعلان الدستور كان الأتراك فى جمعية الاتحاد والترقى المنبثقة عن جمعية تركيا الفتاة ، يهيئون العمل المنظم لحمل الشعوب غير التركية فى الدولة على نسيان قومياتهم ، والاندماج فى القومية التركية الطورانية » .

« وهذه القومية الشديدة التعصب – التى راح دعاتهم يدعون إليها ، وكتابهم وشعراؤهم يشيدون

بها فى الجرائد والخطب والمحاضرات – تقوم على أساس العنصرية التركية ، وتدعو إلى ضم شتات التتر والمغول فى إمبراطورية واحدة. أما الدولة العثمانية فهى فى نظرهم دولة تركية ليس غير وما على المنتسبين إلى الشعوب غير التركية فيها إلا أن « يتتركوا[١] » بملء إرادتهم ، وإن أبوا وجب حملهم على « التترك » بوسائل شتى »

وكثيرا ماكان غلاة المتشيعين لقوميتهم الطورانية يصرحون بضرورة تطهير اللسان التركى من الألفاظ العربية ، والتنكر للإسلام ، ووضع أسماء جنكيز خان وهولاكو ، وتيمورلنك بدلا منها »[٢]

ومن ردود الفعل هذه إثارة نقمة العرب وحنقهم على الأتراك حيث أخذ فريق من أحرارهم يهاجرون إلى أقطار عربية وكانت مصر فى طليعتها لأنها كانت ملاذ الأحرار من مسلمين ونصارى وأخذ فريق آخر يلجأ إلى بلاد أوربية فى مقدمتها فرنسا وفى الأقطار التى هاجروا إليها ، وفى مقر السلطنة فى الآستانة نفسها ، وفى البلاد العربية ألفوا الجمعيات والمنظمات السرية والعلنية ، وأصدروا الصحف والمنشورات التى وجهوا فيها نقداً لاذعا للإدارة التركية والحكم التركى فى الشام والعراق .

ومن أهم هذه الجمعيات جمعية الإخاء العربى ، والمنتدى العربى ، والعربية الفتاة ، والجمعية القحطانية ، والجامعة العربية وجمعية العهد[٣] .

وكل أعضاء هذه الجمعيات يطالبون الترك بتحقيق رغبات العرب فى وحدتهم واستقلالهم والاعتراف لهم بكيان ، واحترام لغتهم وقوميتهم ، ولكن للأسف لم يعرهم الترك آذانا مصغية بل إن الحكومة التركية وجدت فى الحرب الأولى الفرصة المواتية للقضاء على القومية العربية وأبطالها وأحرارها وسرعان ماكشرت حكومة الاتحاديين عن أنيابها بعيد اشتراكها فى الحرب ، وسرعان ما راحت تعمل بالخطة التى رسمتها وهى اغتنام فرصة الحرب للقضاء على القومية العربية فى مهدها « ولتتريك » العرب بالقوة .

وانتدبت الحكومة لتنظيم هذه السياسة وتنفيذها قائداً سفاحاً اسمه أحمد جمال باشا كان وزيراً

---

(١) أى أن يصبحوا أتراكاً .

(٢) مصطفى الشهابى – القومية العربية ص ٦٣ .

(٣) أسهبت المصادر التاريخية فى ذكر هذه الجمعيات وأعضائها ، وأهدافها . ومن تلك المصادر.

١ – يقظة العرب تأليف جورج أنطونيوس .

٢ – حول الحركة العربية – محمد عزت دروزة .

٣ – القومية العربية– مصطفى الشهابى .

للبحرية ، وكان من أكبر الأركان تأثيراً فى جمعية الاتحاد والترقى لا يضاهيه فى السيطرة على سياسة الدولة إلا أنور باشا وزير الحربية وطلعت باشا وزير الداخلية . وعين جمال قائداً للجيش الرابع وشملت سلطته الشام والحجاز وأطلقت يده فى إدارة شئون تلك البلاد إدارة عرفية لا سلطة فيها للولاة والمتصرفين ولا للقضاء إلا فى الأمور البسيطة وبدأ فى أوائل سنة ١٩١٥ بتشتيت شمل ضباط العرب ، ووجه معظمهم إلى جبهات القتال فى مضيق الدردنيل وجبال القفقاس ثم أخذ يعتقل كل من برز له عمل أو مقال أو خطاب وطنى ممن اشتركوا فى مؤتمر باريس أو فى المنتدى الأدبى أو فى حزب اللامركزية ، أو فى حزب العهد أو فى غيرها .

وألف فى عالية من أعمال لبنان محكمة عسكرية تأتمر بأمره وليس فيها من المحكمة إلا الاسم ، ودفع إليها جملة من خيرة رجال العرب ومن أغزرهم علماً ، وأنبلهم خلقاً وأصدقهم وطنية ، فحكمت على معظمهم بالقتل وشنقوا فى بيروت ودمشق على دفعتين الأولى فى ٢١ آب – أغسطس – سنة ١٩١٥ ، والثانية فى ٦ أيار – مايو سنة ١٩١٦ [١] .

٢ – الحياة الاقتصادية

لم يطرأ تحسن ملحوظ على حياة فلسطين الاقتصادية بعد صدور الدستور سنة ١٩٠٨ وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى التى استمرت أربع سنوات من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٨ فالتهافت على الوظائف مازال أملا لكل إنسان لما تدره الوظيفة على صاحبها من نفع مادى بالإضافة إلى مرتبه والرشوة مازالت متفشية فى جميع الدوائر والمصالح الحكومية . والفوضى عامة ، وظلمات الجهل تغمر آفاق البلاد .

وفلسطين – كأجزاء الشام – تعتمد فى زراعتها على مياه الأمطار فتخصب الأرض إذا جادت السماء بمائها ، وتمحل إذا ضنت أوكان القدر الذى هطل منه غير كاف فى إرواء الزروع . ولم تهتم الحكومة العثمانية بتحسين الزراعة ، وتجويد الغلات ، وتطوير وسائل استنبات الأرض ، فوسائل حرث الأرض وإعدادها للزرع ظلت كما هى وسائل بدائية مرت عليها عشرات القرون دون أن تهتم الدولة بتحسينها أوتطويرها ليتضاعف نتاج الأرض المزروعة ، ولم تحاول الحكومة أيضا استصلاح قسم من الأرض التى لاتصلح للزراعة لزيادة مساحة الأرض المزروعة وزيادة نتاجها تبعا لذلك .

---

(١) الأمير مصطفى الشهابى – القومية العربية – ص ١٠٦ – ١٠٧ .

وكانت الأرض تزرع مرة واحدة فى السنة وكانت الحاصلات لاتعدو أن تكون إما شتوية كالقمح والشعير والفول والعدس والبصل ، وإما صيفية بمعنى أن تترك الأرض فى الشتاء لتروى وتزرع بعد ذلك لتجنى كالذرة والسمسم . وتجنى هذه المزروعات مرة واحدة فى العام . وعندما تزيد هذه المحصولات على حاجة البلاد لاتجد أمامها أسواقاً خارجية لتصريفها .

والضرائب تجبى بعنف وشدة ولاتراعى فيها ظروف الممول وحالته الاقتصادية أوعجزه لأن الأرض لم تنبت نتيجة لعدم هطول الأمطار الكافية فى فصل الشتاء .

ومع أن أبناء القرى كانوا يؤلفون ٧٠٪ من مجموع السكان كان ٢٥٪ منهم لايملكون أرضا وإنما يستأجرونها من أصحابها فى المدن ، ويدفعون لهم ثلث ريعها مقابل حرثها وزرعها وجنى حاصلاتها ، وهناك حوالى ٤٧٪ من أبناء القرى الذين كانوا يشاركون فى ملكية الأرض « المشاع » ويتقاسمونها كل عام ولم يكن فى فلسطين « إقطاع » بالمعنى المفهوم من الكلمة أى لايوجد فلسطينى يملك ألفا أو ألفين من الدونمات [1] . والإقطاع الوحيد تمثل فى الأسر غير الفلسطينية وهى السورية واللبنانية التى امتلكت آلاف الدونمات من أرض فلسطين نتيجة صلتها بالحكام الترك ، واستغلال نفوذهم .

وعندما نكبت فلسطين بالانتداب البريطانى الذى فتح أبوابها للمهاجرين اليهود تنفيذا لوعد بلفور باعت هذه الأسر غير الفلسطينية كل ماتملكه لليهود بأثمان عالية ، وتسبب عن ذلك تشريد ألوف الزارعين العرب من أهل فلسطين .

هذا فى ميدان الزراعة . أما فى ميدان الصناعة فلم تنشئ الحكومة فى فلسطين صناعات جديدة ، ولم تشجع الصناعات التى كانت قائمة فى البلاد .

كان عدد العمال العاطلين عن العمل كبيرا ، وكان مستوى المعيشة منخفضا ، وقد زادت الحالة سوءا عندما أصبحت فلسطين ميدانا من ميادين الحرب الكبرى بين الحكومة العثمانية وبريطانيا ودمر عدد من مدنها ، لقد ارتفعت أسعار السلع ارتفاعاً جنونيا بعد نشوب الحرب وضيقت السلطات العثمانية الخناق على أهل البلاد ، واختفت المواد الغذائية ، وقاست الأسر ألوانا من الضيق وهذا شاهد عيان يصور لنا ذلك وهو الأستاذ خليل السكاكينى الذى يقول فى يومياته بتاريخ ٣٠ / ٩ / ١٩١٤ « علمتنا هذه الحرب الاقتصاد بل التقتير فإننا منذ نشبت إلى اليوم أى منذ شهرين لم يتجاوز مصروفنا اليومى القرشين أو الثلاثة وكانت تمر علينا عدة أيام لانأكل فيها غير الخبز والعنب أو السلطة أما اللحم فلم تدخل دارنا » [2] .

---

(١) الدونم = $\frac{1}{4}$ فدان .

(٢) يوميات السكاكينى ص ٧٩ .

وإذا علمنا أن عدد أفراد أسرة السكاكينى يومئذ كان أربعة أشخاص أدركنا مدى سوء حالة البلاد الاقتصادية .

وبتاريخ ٤ / ١٠ / ١٩١٤ يقول فى يومياته « لاتزال الحكومة العثمانية تلح فى تكليف الأهالى بتدبير لوازم العسكر بحيث جاوزت الحد وضج الناس من ثقل هذه التكاليف ويخشى ألايبقى شىء فى أيدى الناس » ويظهر من إلحاح الحكومة أنها لاتعرف حالة البلاد أو أنها لاتريد أن تعرف[١] .

وفى يومياته بتاريخ ٢ / ٣ / ١٩١٨ وكان يومئذ فى دمشق يقول « لايمر يوم إلا اشتد الغلاء لاعجب إذا مات الناس جوعا لاتمر فترة فى الطرق الارأيت كثيرين من المتسولين من نساء وفتيات وأطفال ليس عليهم غير الجلد والعظم يتضورون جوعا ويولولون مشاهد تمزق القلب[٢] .

وهذه الكلمات أدلة واضحة على استفحال خطر المجاعة التى لم تقف عند فلسطين وإنما تجاوزتها إلى سورية .

٣ - الحياة الثقافية

(ا) التعليم :

نشرت وزارة المعارف العثمانية إحصاءات رسمية عن السنة المدرسية ١٩١٣ - ١٩١٤ جاء فيها أنه لم يكن فى فلسطين بألويتها الثلاثة - لواء القدس ولواء نابلس ولواء عكا - غير مدرسة ثانوية واحدة هى المكتب السلطانى الذى أنشئ فى القدس سنة ١٨٨٩ وكان مكتباً إعداديا ثم حول إلى مكتب سلطانى - ثانوى سنة ١٩١٣ وإلى جانب هذه المدرسة الثانوية الوحيدة فى البلاد كان هناك مدرستان متوسطتان - إعداديتان - إحداهما فى مدينة عكا وقد أنشئت سنة ١٨٩٥ ، والأخرى فى مدينة نابلس وقد أنشئت سنة ١٨٩٧ ، وكان عدد الطلاب الذين يتعلمون فى المدارس الثانوية والإعدادية ٣٦٠ تليمذاً وأن مجموع المدارس الابتدائية الرسمية فى البلاد فى السنة نفسها ٩٥ مدرسة يتعلم فيها ٧٧٥٨ تلميذاً وتلميذة أى مايساوى عشرة فى المائة من عدد الأطفال الذين كانوا فى سن التعليم يومئذ ومجموعهم ٧١٩٣٣ طفلا وطفلة . وكان التعليم فى جميع هذه المدارس الحكومية باللغة التركية . ومع قلة عدد المدارس الرسمية حينئذ . وقلة عدد التلاميذ الملتحقين بها كان التعليم فى تلك المدارس باللغة

---

(١) المصدر السابق ص ٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٥ .

التركية وليس باللغة العربية . وكان مستوى التعليم متفاوتا ولكنه بوجه عام كان مستوى ضعيفا بسبب ضعف أكثر المعلمين الذين لم يكونوا جديرين بحمل هذه الرسالة ، وبسبب عدم وجود إشراف كامل على شئون هذه المدارس [١] .

وكان مجموع المدارس الابتدائية الأهلية والطائفية فى فلسطين فى السنة نفسها ١٩١٣ - ١٩١٤ « ٥٠٠ » مدرسة يتعلم فيها ١٥٧٧٣ تلميذاً وتلميذة منهم « ٨٧٠٥ » فى المدارس الخاصة بالمسلمين و « ٣٤٤٥ » فى المدارس الخاصة بالنصارى و « ٣٦٢٣ » فى المدارس الخاصة باليهود .

وكان فى فلسطين مدارس أجنبية كثيرة أمريكية وألمانية وإنجليزية وفرنسية وإيطالية وروسية وكان معظمها تابعا للإرساليات الدينية ، وكان من بينها مدارس ثانوية ومدرسة للمعلمين وأخرى للمعلمات يديرها الروس .

وننقل هنا عن الأستاذ ساطع الحصرى ماذكره حول هذه المسألة حيث يقول :

« إن السياسة الداخلية المتبعة فى الدولة العثمانية كانت تعتبر كل طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية - من غير المسلمين - « جماعة » قائمة بنفسها . وكانت تمنح تلك الجماعات امتيازات خاصة فى كل مايمت بصلة إلى الشئون الدينية والمذهبية . . وقد اعتبرت الدولة العثمانية شئون التعليم من جملة الأمور المرتبطة بالأديان والمذاهب فخولت جميع الطوائف المسيحية والإسرائيلية حق تأسيس المدارس وإدارتها أيضا . ولهذا السبب أخذت الطوائف المختلفة تؤسس معاهد تعليمية خاصة بها وتديرها كمايروق لها . وقد كانت هذه المدارس الطائفية - فى بادئ الأمر - من نوع المدارس الدينية حقيقة غير أنها تطورت بعد ذلك بسرعة وتحولت إلى معاهد تعليمية عصرية بكل معنى الكلمة وكانت هذه المدارس تسير على مناهج خاصة بها تختلف باختلاف أديان الجماعات ومذاهبها ولاتمت بأية صلة إلى مناهج المدارس الحكومية واتجاهاتها . وكثيرا ماكانت تستلهم خططها ومناهجها من المدارس الأجنبية المؤسسة داخل البلاد العثمانية أومن البلاد الأجنبية نفسها وذلك حسب العلائق الدينية أو المذهبية التى كانت تربط الجماعة بتلك البلاد الأجنبية . إن الحقوق الممنوحة للجماعات فى أمر التعليم كانت تشمل لغة التعليم أيضا فكان يحق لكل جماعة أن تعلم أبناءها باللغة الشائعة بينها . فكان للأرمن مثلا أن يعلموا باللغة الأرمنية ، وللبلغار أن يعلموا باللغة البلغارية ، وكذلك كان للمسيحيين العرب أن يعلموا فى مدارسهم باللغة العربية » .

« إن السياسة التى سارت عليها الدولة العثمانية فى هذا المضمار أدت إلى نتائج غريبة جدا بالنسبة إلى

---

(١) د. ناصر الدين الأسد - محمد روحى الخالدى ص ١١ .

البلاد العربية كان نظام الجماعات الذى ذكرناه آنفا خاصا بغير المسلمين فلم يتمتع المسلمون من العرب بشىء من التنظيمات والامتيازات التى كان يتمتع بها إخوانهم المسيحيون فى أمور المدارس والتعليم ولذلك فقد انحصرت المعاهد التعليمية المفتوحة أمام هؤلاء فى المدارس الوقفية القديمة التى لم تنل أى حظ من الإصلاح وفى المدارس الرسمية التى كانت تعلم باللغة التركية فى حين أن إخوانهم المسيحيين كانوا قد كونوا جماعات منظمة – بحكم القانون – وأسسوا مدارس خاصة بهم وجعلوا اللغة العربية لغة التعليم فيها.

ولهذا السبب انتشر التعليم العربى الحديث بين المسيحيين قبل المسلمين، ولهذا السبب أيضا كان معظم الكتاب والمؤلفين والخطباء الذين ظهروا فى الولايات العربية فى العهد العثمانى مسيحيين على الرغم من قلة عدد هؤلاء بالنسبة للمسلمين»[١].

على أن هناك عددا من أبناء فلسطين الذين نشئوا فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر وتعلموا فى الكتاتيب أو فى المدارس الموقوفة فى المرحلة الأولى من التعليم قد رحلوا إلى بلاد أخرى طلبا للعلم، واستزادة من المعرفة.

فذهب فريق منهم إلى بيروت أو طرابلس الشام لإتمام تحصيلهم العلمى فى المدارس الثانوية – السلطانية – فى هذين البلدين، وفريق ثان اتجه إلى مصر لطلب العلم فى الأزهر الشريف حيث نهل علومه وعاد إلى بلده، أو آثر الإقامة فى مصر، وفريق ثالث قصد الآستانة عاصمة الخلافة لتلقى العلم فى مدارسها الثانوية والعالية، وفريق رابع اتجه إلى أوروبة وخاصة فرنسا.

يقول الدكتور ناصر الدين الأسد: «إن صورة الحياة الثقافية فى فلسطين فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين تبدو فى جملتها قاتمة خالية من العوامل الحقيقية المجددة للفكر، الباعثة على النهضة الثقافية».

ويمضى قائلا:

«ومع ذلك فإن البذور الأولى للنهضة الفكرية الثقافية فى فلسطين قد غرست فى هذه الفترة ولكن معظم الرجال الذين كانوا هم البذرة الأولى لم يستقروا فى بلادهم وإنما قذفت بهم النوى فى مواطن شتى فنمت هذه البذور فى نفوسهم وحدها، ولم يكن لهم جهد مشترك داخل بلادهم فى إرساء أصول النهضة الفكرية وإنما كان عملهم فرديا ذاتيا ضعيف الصلة ببلادهم.

فمن درس منهم فى طفولته وصباه فى بلاده لم يكن أمامه إلا هذه الكتاتيب أو تلك المدارس

---

(١) ساطع الحصرى – حولية الثقافة العربية – السنة الأولى ص ١٠ – ١٢.

الطائفية والأجنبية التى لم تكن تتيح للمتعلم إلا قدراً يسيراً من التعليم لا يعين وحده على تكوين شخصية أدبية علمية . ولذلك كان الفضل الأول لما حصله هؤلاء الرواد من علم فى غير بلادهم . ثم إنهم قضوا معظم حياتهم - وبعضهم قضى حياته كلها - فى خارج وطنهم ومن أجل هذا لم يتح لهم أن يسهموا فى بلادهم بجهد مذكور » . فى التدريس أو التأليف أو إصدار الصحف والمجلات أو إنشاء الجمعيات والنوادى » [١] .

وما قاله الدكتور حق ، وتصوير لواقع الحياة الثقافية فى فلسطين فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، تؤيده الأدلة التاريخية ، والإحصاءات الرسمية ، وسير أعلام فلسطين الذين برزوا فى تلك الحقبة .

فالأستاذ محمد روحى الخالدى المولود فى القدس سنة ١٨٦٤ تلقى علومه أولاً فى القدس فى الكتاتيب ومدارس الحكومة الابتدائية ثم فى نابلس حيث دخل المكتب الرشدى - الإعدادى - ثم فى المدرسة الوطنية فى طرابلس الشام ثم فى المدرسة السلطانية فى بيروت ثم رحل إلى الآستانة حيث درس الحقوق ، وسافر بعد ذلك إلى باريس وتخرج فى مدرسة العلوم السياسية وفى جامعة السوربون .

وفى سنة ١٩١٥ أنشئت الكلية الصلاحية - نسبة إلى صلاح الدين - فى القدس ووجهت عناية خاصة للغة العربية ، وتخرج فيها عدد غير قليل من المعلمين الذين ساعدوا على تعريب التعليم فى سورية عقب انفصالها عن الدولة العثمانية .

وقد أسهبنا فى الحديث عن التعليم والمدارس وعددها وأنواعها وأعداد تلاميذها ومعلميها لنوضح أن فلسطين فى المرحلتين من ١٨٦٠ إلى ١٩٠٧ ومن ١٩٠٨ إلى ١٩١٨ كانت تعيش فى ظلمة غامرة من الجهل ، وفى تخلف علمى واضح ، وفى أمية متفشية بين أبنائها وبناتها . والمدرسة هى النواة الأولى ، أو هى اللبنة الأساسية فى صرح الثقافة ، وهى الضوء الذى يهدى ، والنور الذى يرشد .

على أن هناك عوامل أخرى غير المدرسة تنمى الثقافة وتوسع المعرفة نقف منها حتى سنة ١٩١٨ عند المطابع والصحف والمجلات التى أنشأها أبناء فلسطين بعد صدور الدستور العثمانى حيث كان إصدارها محرماً عليهم من قبل .

---

(١) د. ناصر الدين الأسد - محمد روحى الخالدى ص ٢٠ - ٢١ .

(ب) المطابع :

كان فى فلسطين فى القرن التاسع عشر عدد من المطابع نخص بالذكر منها المطابع التالية :

١- مطبعة الآباء الفرنسيسكان سنة ١٨٤٧ .

٢- مطبعة لندن لانتشار الإنجيل بين اليهود سنة ١٨٤٨

٣- مطبعة جمعية القبر المقدس اليونانية سنة ١٨٤٩ .

٤- مطبعة دير الروم الأرثوذكس سنة ١٨٥١ .

٥- مطبعة دير الأرمن سنة ١٨٦٦ .

٦- مطبعة جمعية المرسلين الكنائسية سنة ١٨٧٩ .

٧- مطبعة جورج حبيب حنانيا التى أنشأها فى القدس سنة ١٨٩٢ .

وهذه المطابع كلها كانت فى مدينة القدس فى القرن التاسع عشر وفى مطلع القرن العشرين وبعد إعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ أخذ عدد المطابع يزداد على الوجه التالى .

٨- المطبعة الوطنية لصاحبها باسيلا الجدع وقد وصلت إلى مدينة حيفا سنة ١٩٠٨ .

٩- مطبعة جريدة الكرمل لصاحبها نجيب نصار سنة ١٩١٠ .

١٠- مطبعة جريدة النفير لصاحبها إيليا زكا سنة ١٩١٠ .

(جـ) الصحف والمجلات :

عندما صدر الدستور العثمانى وأطلق بعض الحريات اتجه أبناء فلسطين لإصدار بعض الصحف والمجلات وها نحن، أولاء نذكر أهم الصحف والمجلات التى كان لها دور فى نهضة الأدب شعراً ونثراً :

أولا : المجلات :

١ - النفائس العصرية وقد صدرت فى مدينة حيفا سنة ١٩٠٨ وكان يحررها خليل بيدس ، وكانت تصدر شهرية وبعد سنتين انتقلت إلى مدينة القدس . وهى المجلة الأدبية الأولى فى فلسطين سطعت على صفحاتها أسماء كبار كتاب وشعراء فلسطين فى تلك الحقبة من الزمن .

٢ - مجلة الأصمعى وقد صدرت فى القدس سنة ١٩٠٩ وكان يحررها الأستاذ حنا عبد الله العيسى ويشترك معه فى تحريرها إسعاف النشاشيبى ، وخليل السكاكينى ، وكانت مجلة أسبوعية أدبية اجتماعية .

٣ – الدستور وقد صدرت فى القدس سنة ١٩١٠ وكان يشرف على تحريرها خليل السكاكينى مؤسس المدرسة الدستورية فى القدس ، ويشترك معه فى التحرير مدرسو المدرسة وطلبتها وتعنى بالموضوعات العلمية والثقافية وهى مجلة شهرية .

ثانياً : الصحف :

١ – القدس وقد صدرت فى القدس سنة ١٩٠٨ وكان يحررها جورج حبيب حنانيا .

٢ – الأخبار وقد صدرت فى مدينة يافا سنة ١٩٠٩ وهى من أقدم الصحف العربية التى صدرت فى فلسطين وصاحبها بندلى حنا عرابى .

٣ – الحرية التى صدرت فى مدينة يافا سنة ١٩١٠ وتولى إصدارها الشيخ توفيق السمهورى .

٤ – الكرمل التى أصدرها صاحبها نجيب نصار فى مدينة حيفا سنة ١٩٠٨ .

٥ – فلسطين التى صدرت فى يافا سنة ١٩١١ أصدرها عيسى العيسى وكانت فى بادئ الأمر تصدر مرتين فى الأسبوع ثم ثلاث مرات ثم أصبحت يومية ، وعند نشوب الحرب العالمية الأولى منعتها الحكومة العثمانية من الصدور(١) .

---

(١) د. كامل السوافيرى – الاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطينى المعاصر ص ٩٥ – ١٠١ .

تطور الشعر فى المرحلتين الأولى والثانية

من ١٨٦٠-١٩١٨م

فى ذلك الإطار الذى حددناه للحياة السياسية والاقتصادية والثقافية ، وفى الصورة الحقيقية التى رسمنا خطوطها ووضحنا ملامحها ، وفى ذلك الظلام الكثيف الذى غشى آفاق فلسطين ، وفى ذلك الجهل الضارب أطنابه فى ربوعها ، وخلوها من المدارس الإعدادية والثانوية ، وفى قسوة الظروف على كل من يريد أن ينهل العلم فلا يجد أمامه إلا تلك الكتاتيب الموقوفة التى لم تنل أى حظ من الإصلاح ، وإلا المدارس الابتدائية الحكومية التى تعلم تلاميذها باللغة التركية ، وسط هذه الظلمات التى تراكم بعضها فوق بعض ، ومن بين هذه السحب المتكاثفة تألقت أضواء ولمعت أسماء ، وشق نفر من الشعراء طريقهم بكفاحهم الدامى ، ونضالهم من أجل الاستضاءة بالعلم فاتجه نفر من أبناء فلسطين إلى الأزهر الشريف ينهلون منه العلم ، ويعبون المعرفة وقضوا فى رحابه السنوات يرتشفون من رحيقه علوم الدين من فقه وتفسير وحديث وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض ، وعادوا إلى بلادهم فتقلدوا المناصب الدينية من قضاء وإفتاء ، ومارس بعضهم تدريس العلوم الشرعية والعربية فى المدارس ، واستهواهم القريض فنظموا العديد من القصائد فى الموضوعات الدينية ، والمناسبات ، وكانوا فقهاء وشعراء فى وقت معاً ، كان نظمهم - فى الكثير الغالب - متجها إلى الأغراض الدينية ، والمدائح النبوية . وكانوا يرون فى ذلك تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى ، فشرحوا جوانب العقيدة ، ووضحوا وجهة نظر الإسلام فى التشريع . وتناولوا - فيما تناولوا من أغراض - التأريخ بالشعر ، وتقريظ الكتب ، ومدح الرؤساء والحكام ، ورثاء الأعلام والأصدقاء ممن طواهم الردى . ولكنهم أيضاً شاركوا أمتهم فى إحساسها ، وعبروا - قدر طاقتهم - عن آلامها وآمالها فاستبشروا بالدستور حين صدوره ، وترقبوا الخير ، ثم ثاروا عليه بعد خيبة آمالهم فيه ، وعلى الترك الذين حاربوا اللغة العربية ، والوحدة العربية . وتعصبوا للطورانية تعصباً أعمى .

وقد أتاحت الظروف لنفر منهم جمع أشعارهم ، وطبعها فى دواوين فى حياتهم ، ولم تتح ذلك لآخرين فتناثرت قصائدهم فى الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى الشام - قبل تقسيمها - وفى فلسطين بعد سنة ١٩٠٨ .

وقد امتدت الحياة ببعضهم إلى الثلث الأول من القرن العشرين وبالآخر إلى النصف الأول من القرن نفسه ولكنهم تفاوتوا فى النظم إذ وقف عدد منهم عندما نظم فى خلال الحكم العثمانى ، فلم ينظم بعد ذلك ، واستلهم عدد آخر الأحداث التى توالت على البلاد فتناولها محاولاً أن يجود من شعره ، ويرفع من قيمته ، وليس من شك فى أن ما نظموه من قصائد ومقطعات كان تقليداً ومحاكاة لمن سبقهم من الشعراء فى عصور الضعف والاضمحلال ، وكان معارضة لقصائد بعض الشعراء المشهورين ، وتشطيراً وتخميساً لقصائد معروفة . كان شعراً مثقلاً بألوان البديع مكبلاً بالمحسنات .

ونحن حين نقرر هذا يجب أن نلاحظ أن هؤلاء الشعراء كانوا امتداداً طبيعيًّا لعصور الضعف والتخلف الفكرى ولم يكونوا كذلك وحدهم بل كان الشعراء فى مصر والشام فى القرن التاسع عشر محاكين ومقلدين وكان شعرهم على هذه الحالة من الضعف والشعر فى كل زمان ومكان صورة للمجتمع ، ومرآة للعصر.

وقد قرر هذه الحقيقة التى ذكرناها الدكتور شوقى ضيف عن حالة الأدب فى مصر[١] حين قال : «كان الشعر يجرى فى مصرفى أثناء النصف الأول من القرن التاسع عشر على الصورة السيئة التى كان يجرى عليها فى أثناء العصر العثمانى وهى صورة رديئة مسفة فى الأغراض والمعانى والأساليب . أما الأغراض فكانت ضيقة تافهة ، وكانت المعانى مبتذلة ساقطة . وأما الأساليب فكانت متكلفة مثقلة بأغلال البديع ، وما يتصل بها من حساب الجمل الذى كانوا يؤرخون به حوادث شعرهم وقصيدهم ، ولم يكن أمام الشعراء مثل فنية عليا يحلمون بها إنما كل ماكان يحلم به الشاعر أن يتعلم فن العروض ، وصياغة النظم ، ثم يعالج هذه الصناعة . وهذا الشعر ليس فيه روح ولا حياة ولا عاطفة حقيقية أو شعور وإنما فيه المحاكاة والتقليد ونحن حينما نقرأ هذا الشعر الآن لا نقرؤه لنجد فيه متعة أدبية وإنما لنؤرخ طوراً من أطوار حياتنا الأدبية . واقرأ فى دواوين الشعراء الذين عاصروا محمد على وعباسا الأول وسعيداً من مثل الخشاب والعطار وشهاب الدين فلن تجد سوى صور لفظية تدثرت بثياب غليظة من محسنات البديع » .

وفى كلمات الدكتور شوقى تتراءى الحقائق التالية :

١ – أن الشعر فى العصر العثمانى كان يجرى على صورة رديئة .

٢ – أن الشعر فى أثناء حكم محمد على وعباس الأول وسعيد كان صوراً لفظية تدثرت بثياب من المحسنات البديعية .

---

(١) د. شوقى ضيف– الأدب العربى المعاصر فى مصر ص ٢٨– ٣٠.

٣ - أنه لم يكن أمام الشعراء مثل فنية يحلمون بها .

وقد كان ذلك قبل أن يظهر الشاعر الموهوب محمود سامى البارودى وقرر هذا أيضاً الأستاذ سامى الكيالى عن حالة الأدب فى الشام[١] - التى كانت تشمل فى العهد العثمانى كلا من سورية ولبنان وفلسطين والأردن - حين قال :

« حين نقرأ الأدب الذى تركه أدباء العصر المنصرم نقرأ ألواناً من أدب ضعيف مهلهل متسم بالمحاكاة والتقليد ، ولا يخرج فى مضمونه عن المدح والرثاء والتهانى ، وهو فى صياغته مرتبط بأدب عصر الانحطاط ، الذى تقوم مادته على السجع والجناس وما إلى ذلك من التزاويق اللفظية التى يمجها ذوقنا الأدبى » .

نؤكد ذلك حتى لا نغمط أولئك الرواد حقهم ، أو نبخسهم أقدارهم ، وحسبهم أنهم كانوا حملة مشاعل الشعر فى ذلك العصر المظلم ، وأنهم اجتهدوا وحاولوا إبداع القريض ، وإجادة النظم . وإن فى الترجمة لهم ، وإيراد نماذج من منظوماتهم ، تأريخاً لطور من أطوار الحياة الأدبية فى فلسطين .

ومن العسير علينا أن نتتبع كل من نظموا شعراً ، أو أبدعوا قصيداً فى غضون الحقبة التى نتناولها ، وأن نترجم لكل من نشرت له قصائد فى الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى الشام قبل سنة ١٩٠٨ ، وبخاصة الجوائب التى أصدرها أحمد فارس الشدياق ، والجنان التى أصدرها بطرس البستانى وفى فلسطين بعد سنة ١٩٠٨ .

ولكننا سنكتفى بالترجمة لأعلام الشعر البارزين الذين تجاوزت شهرتهم فلسطين وأحياناً الشام إلى الأقطار العربية .

وسنقدم النماذج لهم من دواوينهم المطبوعة لمن صدرت لهم دواوين ، أو مجموعات شعرية ، ومن الصحف والمجلات لمن لم تصدر لهم دواوين أو مجموعات شعرية وظلت منظوماتهم متناثرة فى صحف ومجلات توقفت عن الصدور فى أواخر القرن التاسع عشر وقبل نشوب الحرب العالمية الأولى فى القرن العشرين .

---

(١) سامى الكيالى - الأدب العربى المعاصر فى سورية - ص ١٠ .

١ - الشيخ يوسف النبهانى

١٨٥٠ - ١٩٣٢

١ - حياته :

هو الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهانى الشاعر والأديب والقاضى وينتسب إلى بنى نبهان من عرب البادية فى فلسطين الذين استوطنوا قرية «إجْزِم» من أعمال قضاء حيفا ، وبها كان مولده ، وبها أقرأه والده القرآن الكريم ، وجعله يحفظ بعض المتون فى الفقه والنحو والصرف والبلاغة ، ثم أرسله إلى الأزهر الشريف حيث أمضى به سبع سنوات من (١٢٨٣ - ١٢٨٩ هـ) عاد فى نهايتها إلى فلسطين ، وأقام فى مدينة عكا يلقى دروس الدين واللغة العربية على طلاب المعهد الأحمدى بها .

وقصد بعد ذلك الآستانة سنة ١٢٩٣ هـ حيث عمل فى تحرير جريدة الجوائب وبقى بها نحو عامين ونصف وقد خرج منها ، وعين قاضياً فى بلدة فى ولاية الموصل - كوى سنجق - من أمهات بلاد الأكراد ، وبعد خمسة عشر شهراً غادرها عائداً إلى الشام ١٢٩٦ هـ . وتوجه بعد ذلك للمرة الثانية إلى دار الخلافة ١٢٩٧ هـ وأقام بها نحو عامين ، وألف كتابه الشرف الموبدلآل محمد ﷺ .

وعاد منها بعد أن أسندت إليه رياسة محكمة الجزاء فى اللاذقية فقدم إليها سنة ١٣٠٠ هـ وأقام بها زهاء خمس سنوات ، ثم تولى رياسة محكمة الجزاء فى القدس ، واجتمع فيها بالشيخ حسن بن حلاوة الغزى ، الولى المعتقد صاحب الكرامات ، ولقنه الطريقة القادرية وبعض أوراد وأذكار ، وبعد أقل من سنة ترقى إلى رياسة محكمة الحقوق فى بيروت ، فجاءها سنة ١٣٠٥ هـ وأقام فيها وإمتدت إقامته نحواً من عشرين سنة ألف فيها كتبه وطبع أكثرها ، ثم سافر منها إلى المدينة المنورة مجاوراً ، وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م عاد إلى قريته إجزم وتوفى بها ، وله كتب كثيرة قال عبد الحفيظ الفاسى صاحب معجم الشيوخ ، خلط فيها الصالح بالطالح وحمل على أعلام الإسلام كابن تيمية وابن القيم الجوزية حملات شعواء ، وتناول بمثلها الإمام الألوسى المفسر ، والشيخ محمد عبده ، والسيد جمال الدين الأفغانى وآخرين .

ترجم له الأستاذ خير الدين الزركلى فى موسوعته الأعلام[١] ، وذكر من كتبه نحواً من ثمانية عشر

(١) خير الدين الزركلى - الاعلام ط ٣ - جـ ٩ : ٢٨٩ - ٢٩١ .

كتاباً ، وأورد له الأستاذ يوسف سركيس فى معجم المطبوعات ثمانية وأربعين كتاباً مطبوعاً .

٢ - شعره :

ظفر النبهانى فى عصره بشهرة واسعة تجاوزت حدود الشام لكثرة مؤلفاته وتنوع مادتها ، حيث ألف فى الحديث ودلائل النبوة ، وعلم الكلام ، والرد على النصارى ، وترجيح دين الإسلام وسيرة الرسول ﷺ وشمائله ، والمدائح النبوية ، وفضل الصحابة ، وإقناع الشيعة وليس من شأننا فى هذا البحث أن نتناول مجالات النبهانى فى العلوم والمعارف لأن بحثنا خاص بالشعر وقد كان المترجم له أشهر بطل من فرسانه فى الحقبة التى عاش فيها فى بلاد الشام .

فمن منظوماته :

١ - طيبة الغراء فى مدح سيد الأنبياء ﷺ وهى همزية ألفية فى ألف بيت .

٢ - الرائية الكبرى فى الكمالات الإلهية والسيرة النبوية ووصف الملة الإسلامية والملل الأخرى فى ٧٢٥ بيتاً .

٣ - القصيدة الرائية الصغرى فى ذم البدعة ومدح السنة الغراء . (وهى التى سماها البدعة) وهجاء جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد رشيد رضا فى ٥٥٢ بيتاً .

٤ - السابقات الجياد فى مدح سيد العباد . وهى معشرات متسلسلة قوافيها على حروف الهجاء كل حرف عشرة أبيات .

٥ - سعادة المعاد فى موازنة بانت سعاد .

٦ - النظم البديع فى مولد الشفيع .

ومن كتبه : المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية فى أربعة أجزاء جمعها من شعر المدح النبوى لكثير من الشعراء فى العصور المختلفة .

أما القصائد الست التى ذكرناها فقد طبعت متفرقة ، وطبع بعضها عدة مرات فى مصر ، وتونس ، والمدينة المنورة ، وبيروت ، وانتشرت فى البلاد الإسلامية انتشاراً واسعاً ، ثم جمعت كلها مع قصائد أخرى فى مجموعة واحدة طبعت عدة مرات .

وقال الشيخ النبهانى فى مقدمة هذه المجموعة : «إن هذه القصائد وإن كانت كل واحدة منها تعد كتاباً مستقلا فقد رأيت أن أجمع شملها فى مكان يكون لزهرها كالسماء ، ولأزاهرها كالبستان

فجمعتها فى هذا الديوان بل الروض الأريض الذى أينع فيه من كل فاكهة زوجان والعقد الفريد الذى إزدان به جيد الزمان وسميته « العقود اللؤلؤية فى المدائح المحمدية[(١)] .

مختارات من شعره :

١ — يقول فى الصفحة الأولى من همزيته الألفية طيبة الغراء « يقول ناظمها قد وازنت بهمزيتى هذه همزية الإمام الأبوصيرى (أم القرى فى مدح خير الورى) عالماً أن الفضل للمتقدم ، وأنه بمنزلة المعلم ، وأنا بمنزلة المتعلم ، وإن كانت هذه قد حوت أضعاف ما حوته تلك من السيرة النبوية ، والفضائل المحمدية ، وامتازت عنها بحسن التقسيم والترتيب ، حتى صارت بفضل الله ، فريدة فى بابها لا نظير لها فيما أعلم بين أترابها ، حرية بتدريسها وحفظها ، والاعتناء بشرح معناها ولفظها ، لمن يهمه مدح رسول الله ﷺ ، ومعرفة سيرته وفضائله ومعجزاته وشمائله لأنها أقوى أسباب محبته وقوة الإيمان »[(٢)] :

نورك الكلُّ والورَى أَجْزاءُ	يانبيا من جُنده الأنبياءُ
مُنتهى الفضل فى العوالم جَمعاً	فوقه من كمالِك الأبتِداءُ
لم تزلْ فوق كل فوقٍ مجداً	بـالترقى مالِلترقى انتِهاءُ
جُزْت قدراً فما أمامك خَلْقٌ	فوقك الله والبرايا وَراءُ
خير أَرض ثويت فهى سماءٌ	بك طالتْ ما طاولتْها سَماءُ
يا رَعى الله طيبةً من رياضٍ	طابَ فيها الْهوى وطابَ الهواءُ
شاقنى فى ربوعها خَيرُ حى	حلَّ : لا زينبٌ ولا أسماءُ
وعدتْنى نفسىِ الدُنوَّ ولكنْ	أينَ مِنى وأين منها الوفاءُ

٢ — ويقول من مقدمة الرائية الكبرى :

« أما بعد فيقول ناظمها الفقير يوسف النبهانى عفا الله عنه إن هذه القصيدة فريدة فى بابها قد اشتملت على ما تلزم معرفته من محاسن الديانة الإسلامية ومساوى غيرها ، مع كمال الفصاحة والبلاغة والسهولة ، وقلما يخلو بيت منها من النكت الأدبية ، والمحسنات البديعية ، وقد شرحت بعض ما يلزمه

---

(١) انظر المصدرين التاليين .

(ا) ديوان المدائح النبوية للنبهانى مطبعة صبرا بيروت سنة ١٣٢٩ هـ ص ٣ .

(ب) د. ناصر الدين الأسد الشعر الحديث فى فلسطين والأردن ص ١٥ — ١٧ .

(٢) طيبة الغراء — المطبعة الأدبية — بيروت سنة ١٣١٤ هـ ص ١ .

الشرح من ألفاظها ، ولم أنبه على ما فيها من المحاسن البديعية مع كثرتها سوى التورية لعزتها فى الكلام ، وقد يسرها الله فى أكثر من ثلاثين موضعاً ، وعدة أبياتها سبعمائة وخمسة وعشرون بيتاً ، منها نحو أربعمائة بيت لم تتكرر فيها القوافى ، وما وقع فيه تكرارها إما أن تكون فيه إحدى القافيتين معرفة والأخرى نكرة ، وإما أن يكون بينهما سبعة أبيات فأكثر وذلك جائز فى فن العروض» .

فكم نِعمٍ أجدى وكم مِنَنٍ أجْرى ... بِرَبِّكَ ذَكِّرهمْ عسى تنفعُ الذكْرى

هو النِّعمة العظمى ، هو المِنَّة الكُبْرى ... وأعظمها دين النبى محمد

توحَّد فى الدنيا توحّد فى الأخْرى ... فأشهدُ أن الله لا ربَّ غيرُه

بلا حاجة للخلق أوجدَهم طُرًّا ... وقد كان من قبل الحوادث واحداً

معِ الخلق لكنَّ الحقيقَة لا تُدْرى ... تقدَّس عن كل الجهات وأنه

تنزه ربى عنهما وعلا قَدْراً ... فلا جهةٌ تحْويه ، لا جهةٌ له

حياةُ كَلام العلم عن ضدها يَعْرى ... له البصرُ السَّمع الإرادة قُدرةً

وليس له بَدْء ولا عَدمٌ يَطْرا ... وليس له سبحانه ابنٌ ولا أَبٌ

كمالاتُهمْ منه وعن نقْصهم يَبْرا ... ولا مثله خلق ولا هو مثلهم

ويعد نفسه حساناً إذ يقول فى ختام القصيدة مخاطباً ملة الإسلام :

تجدّدُ من حسانَ فى عصرنا ذِكْراً ... فهاكِ أيا خَير الحسان قصيدةً

وتكشفُ عن أديان أعدائِه السِّتْرا ... تُنافحُ عن خَيرِ الأنام ودينهِ

ونكتفى بذلك القليل عن الكثير مما نظمه النبهانى فى المدائح النبوية ، تقرباً إلى الله بعد أن نقلنا عنه ما ذكره عن هذه المدائح التى طالت طولاً لم نعهده .

٢ - الشيخ سعيد الكرمى

١٨٥٢ - ١٩٣٥

١ - حياته :

هو الشيخ سعيد بن الشيخ على بن منصور الكرمى . سأله الاستاذ خير الدين الزركلى عن أصله فكتب له يقول «أصلنا من عرب اليمن الذين جاءوا لفتح مصر مع عمرو بن العاص ، ولما فتحت مصر وقسمت أرضها على الغانمين بأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج سهمهم فى إقليم الشرقية ، والبلدة التى سكنها أهلنا اسمها «شنباره» الطنينات تميزاً لها عن قرية أخرى تحمل الاسم نفسه ، ولم يزل أقاربنا فيها للآن وهم سادتها ويعرفون ببيت الدحار وأول من جاء منهم لبلاد فلسطين جد والدى نزح كما نزح غيره من أهالى مصر»[(١)] .

ولد بمدينة طولكرم سنة ١٨٥٢ م ودرس فيها العلوم والمعارف فى المرحلة الابتدائية ثم سافر إلى مصر حيث أخذ يتلقى العلم فى الأزهر الشريف وعندما أنهى دراسته عاد إلى مدينته طولكرم وعين مفتشاً للمعارف ثم أصبح مفتياً لقضاء بنى صعب .

ولما بدأت النهضة العربية فى أواخر العهد العثمانى ، دخل حزب اللامركزية وأصبح معتمده فى قضاء بنى صعب الذى مركزه طولكرم ، وعندما نشبت الحرب الأولى طاردت الحكومة العثمانية أعضاء حزب اللامركزية ، وقدمتهم إلى المحكمة العرفية فى عاليه فحكمت عليهم بالإعدام . وقد نفذ الحكم فى ٢١ أغسطس سنة ١٩١٥ فى أحد عشر شخصاً من الذين حوكموا ، وأجل التنفيذ فى الشيخ الكرمى الذى أبدل بحكم إعدامه السجن المؤبد وقضى به سنتين وسبعة أشهر ، أفرج بعدها عنه فى شباط سنة ١٩١٨ ، وعاد إلى مدينته ، وحين تألفت الحكومة العربية فى دمشق استدعى إليها وعين عضواً فى الشعبة الأولى من ١ آذار مارس سنة ١٩١٩ إلى أيلول - سبتمبر سنة ١٩٢٠ وعند انعقاد المؤتمر السورى فى النادى العربى بدمشق صباح الخميس ٢ تموز - يولية سنة ١٩١٩ الذى شهده مندوبون عن جميع بلاد الشام كان أحد الذين شهدوه .

ثم عين عضواً فى المجمع العلمى العربى فى دمشق فنائباً لرئيس المجمع من ١ تشرين الأول -

---

(١) خير الدين الزركلى - الاعلام ط ٢ - جـ ١ ص ١٣١ ترجمة أحمد شاكر الكرمى .

أكتوبر سنة ١٩٢٠ إلى نيسان – أبريل سنة ١٩٢٢ .

وفى منتصف سنة ١٩٢٢ غادر دمشق إلى عمان حيث أصبح قاضياً للقضاة فى حكومة شرق الأردن ، ورئيساً لمجلس معارفها ، وصدر مرسوم بتأليف مجمع علمى فى الأردن برياسته وعضوية السادة رضا توفيق ، ومصطفى الغلاييني ، ورشيد بقدونس ومحمد الشريقى ولكنه لم يتألف .

وظل يشغل منصب قاضى القضاة ورئيس مجلس المعارف حتى سنة ١٩٢٦ حيث عاد إلى طولكرم وظل بها حتى لقى ربه فى العاشر من آذار – مارس سنة ١٩٣٥ .

٢ – شعره :

يعد الأستاذ الكرمى موسوعة فى علوم الدين واللغة العربية ، ويبدو أن كفاحه السياسى فى سبيل أمته وبلاده قد صرفه عن العناية بالتأليف ، ونشر آثاره فى الأدب واللغة والحضارة ولم يبق لنا من آثاره إلا تلك الأبحاث اللغوية والاجتماعية التى نشرها فى مجلة المجمع العلمى العربى فى دمشق ، والتى نقلها عنه ابنه الأديب الشاعر المعروف عبد الكريم الكرمى (أبو سلمى) فى كتابه عن أبيه وبعض قصائد شعرية نظمها فى موضوعات قومية وسياسية وذاتية . ومما كتبه . فى مجلة المجمع من الموضوعات دار الكتب العربية فى دمشق – نفائس الآثار ، اللغة والدخيل فيها ، الإعلام بمعانى الأعلام .

مختارات من شعره:

إلى جمال السفاح

إلى متى يا جَمال يدومُ منك الضَّلالُ

قتلٌ ونفى ونهْبٌ لا يعتريكَ مَلَالُ

حتى على العجم حلَّتْ من جورك الأهوالُ

جلبَت للعُرب شرًّا يضيق عنه المثالُ

وزاد فى الطين بلا أعوانك الأنذالُ

وفى فعالِك فينا سَتُضْرب الأمثالُ

كم شُتِّتَتْ من عيالٍ وَيُتِّمت أَطفالُ

فما دعاكَ لهذا إلا الخنا والخَبالُ[1]

(١) عبد الكريم الكرمى – أبو سلمى – الشيخ سعيد الكرمى – سيرته العلمية والسياسية ص ٢٠٨

دفاعاً عن بنى الزهراء

أيا أمة أودى بها مرضُ الجهلِ — وذلَّت فصارت عرضة النَّهب والقَتلِ
وقد أغضت الأجفانَ منها على القذى — وكثرتها أربت على عدد الرَّملِ
أما فيكم ذو نخوة عربية — يعاف ورود الضَّيم من منهل الذُّلِّ
ويرفع عن أبناء عدنان عارَها — ويدفع عنهم سُلطة الخائن النَّذْلِ
فتلك بيوتُ الله ثلَّث صروحُها — كما ضيم بالتفريق مجتمع الشَّملِ
وأموالكم للنَّهب صارت مباحةً — وسالبها من أخذها صار فى حِلِّ
وأبناؤكم فى الجوع والعرى والعنا — كأنكم عما يعانون فى شُغلِ
تحكَّم فيكم نسل جانكيز فاتكا — بسيف عتو ليس يعروه من فل
رأوا فى بقاء العرب ضيماً عليهم — فقاموا عليهم بالأذى قومة الصِّل [١]

(١) المصدر السابق ص ٢٠٩ .

٣- الشيخ على الريماوى

١٨٦٠-١٩١٩

١- حياته :

هو الشيخ على بن محمود الريماوى نسبة إلى بلدته «بيت ريما» من أعمال قضاء رام الله فى فلسطين ، وتقع فى الشمال الغربى من مدينة القدس ، وبها ولد وتلقى دراسته الأولى على والده الشيخ محمود الريماوى أحد علماء عصره ، ثم سافر إلى مصر ونهل العلم من الأزهر الشريف ، وقضى به اثنتى عشرة سنة ، وحين عاد إلى فلسطين سكن بيت المقدس ، وعين مدرساً للغة العربية والدين فى إحدى مدارس بيت المقدس الأميرية ، وعقب صدور الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ ، وإطلاق الحريات أسهم فى تحرير عدد من الصحف والمجلات التى ظهرت فى فلسطين بما نشر من مقالات ، وما نظم من قصائد فى المناسبات ، ومن تلك الصحف الانصاف المقدسية لصاحبها بندلى إلياس مشحور [(١)] ، ومن المجلات المنهل المقدسية التى أنشأها موسى المغربى [(٢)] . وكان الشيخ الريماوى قد أصدر صحيفة فى القدس سماها : «بيت المقدس» ، وحين عطلتها الحكومة العثمانية أصدر صحيفة ثانية سماها «النجاح» واستمرت فى الصدور لمدة عامين ، وتولى أيضاً تحرير جريدة القدس الشريف الرسمية [(٣)] .

وفى سنة ١٩١٦ سافر إلى مقر السلطنة عضواً فى بعثة علمية تمثل علماء فلسطين برياسة الشيخ أسعد الشقيرى ، وفى شتاء سنة ١٩١٩ أصيب بنزلة صدرية لقى على أثرها ربه .

٢- شعره :

لم يقع بين أيدينا من شعره إلا النزر اليسير من القصائد التى سار فيها على البناء التقليدى للقصيدة العربية ذات الوزن الواحد ، والقافية الواحدة وقد قلد القدماء فى الأسلوب وبناء الصور ، ونظم فى

---

(١) صدر العدد الأول منها فى ٢٣ كانون الأول- ديسمبر ١٩٠٨ .

(٢) صدر العدد الأول منها فى ٥ آب أغسطس سنة ١٩١٣ .

(٣) صدر العدد الأول منها فى اليوم الأول من أيلول سبتمبر سنة ١٩١٣ ثم توقفت واستأنفت الصدور فى ١٨ كانون الأول ديسمبر ١٩١٣

الموضوعات الجديدة كالقصيدة التى نظمها بمناسبة هبوط الطيار الفرنسى «مارك بونيه» القدس سنة ١٩١٤ وهى المرة الأولى التى حلقت فى سمائها طائرة شاهدها الأهلون .

وقد نعته معاصروه بأنه شاعر مجيد ، يتصرف فى فنون القول ، ويطيل قصائده حتى تبلغ المائة بيت .

وقد ترجم له الأستاذ خير الدين الزركلى فى موسوعته الاعلام فقال : «شاعر فلسطينى مجيد ، علت له شهرة قبيل الحرب العالمية الأولى ، وفى خلالها ، وكان قد كتب له أنه عمل على جمع ديوان شعره ولعله أكمله»[١] ولكننا للأسف لم نعثر له على ديوان ولم نقف إلا على منظومات قليلة متناثرة .

١ – نظم الريماوى قصيدة بمناسبة قدوم الطيار الفرنسى «مارك بونيه» إلى القدس سنة ١٩١٤ تحت عنوان «إحدى عجائب العصر» ومنها يقول :

طار فى الجو فاستثار العقولا   وانتهى للسّماء إلاَّ قليلا
طار كالنَّسر أىْ رويداً رويداً   ثم رام الفضاء ميلاً فميلا
وصل الشام من بلاد فرنسا   فى ثلاثٍ فهللوا تهليلاً
مرَّ كالبرق بالفرات فبينا   أن تلفَّت كان أم النّيلا
ظن قوم أن السموات غَضْبى   فاستشاطت وهوَّلتْ تهويلا
ثم قالوا هذا سليمانُ قد عاد   وعادت آياتُ إسْرائيلا
ذلك العِلم لا سليمان كم   للعلم فينا من معجزات أولى
ليس فى العلم مستحيل ولا   صح لقوم أن يحصروا التفضيلا[٢]

٢ – وأورد له الدكتور ناصر الدين الأسد قصيدة ألقاها فى الحفل الذى أقيم فى القدس فى شهر آب أغسطس سنة ١٩١٣ تكريماً للإستاذ جورجى زيدان جاء فيها :

خطرتْ فقلت قَضيب بان   وبدتْ فقلت البدْر بانْ
ورنت فقلتُ : لها وَلى   فى معرك الأَجفان شَانْ
يابنت أنت من الوَرى   أم أنت جئت من الجِنان ؟
طَرْفاك قد فعلا بقلْب   الصب فعلَ الهُنْدوَان
لحظاكِ مهما هدَّدا   نى لم أقل لهما أمان

---

(١) خير الدين الزركلى الاعلام – جـ ٥ – من ص ١٧٢ – ١٧٣ .

(٢) حياة الأدب الفلسطينى الحديث ص ١٩٧ – ١٩٨ نقلاً عن النفائس العصرية جـ ١ السنة السادسة ١٩١٤ ص ٥٢ .

زيدانُ يا ربَّ الفضا ئل والبراعةِ واللّسان
يهنيك هذا المهرجا نُ فأنت زَين المِهرجان
أنت الذى كشف الغِطا ء عن العيون بما أَبان
ملأت فضائلك الزَّما نَ فراح يحمدك الزَّمان
فى الشرق لاح هِلالُك الز اهى فضاء المغْربان
زيدان أوجدك الإلـ ـه بك العلا أبداً تُزان

* * *

بك رَحَّب البيت المقدَّ س باسماً والمِلّتان
أنت المعز لدولة الـ ـعلم الصحيح ولا مدان
فإذا مدحت مقام فضـ ـلك فى الورى فأنا ابن هان [1]

(٢) الدكتور ناصر الدين الأسد – الشعر الحديث فى فلسطين والأردن ص ٢١ – ٢٣ .

٤- الشيخ سليم اليعقوبى

١٨٨٠-١٩٤٦

١- حياته :

هو الشيخ سليم بن الشيخ حسن اليعقوبى من مدينة اللدّ وبها ولد وتلقى تعليمه فى المرحلة الأولى من حياته ثم رحل بعد ذلك إلى مصر طلبا للعلم فى الأزهر الشريف فقضى به اثنى عشر عاماً عاد بعدها إلى بلاده ثم عين مدرساً فى جامع مدينة يافا فمفتيا لها سنة ١٩٣٢ ، وكان ينعت بحسان فلسطين ، ويلقب «بأبى الأقبال» .

ترجم له الأستاذ الزركلى فى موسوعته وقال عنه «شاعر كثير النظم له علم بالفقه والأدب» وذكر من كتبه المطبوعة ديوانه حسنات اليراع ، وهو ديوان شعره فى شبابه ، وحكمة الإسلام وهى رسالة ، والاتحاد الإسلامى ، ومن المخطوطات المنهج الرفيع فى المعانى والبيان والبديع ، وحسان بن ثابت الأنصارى [١] .

تقلد الكثير من الوظائف الدينية فى فلسطين فى عهد الانتداب البريطانى وكان آخرها الإمامة والخطابة فى مسجد حسن بك فى حى المنشية من أحياء مدينة يافا ، وكان يشهد وعظه ودرسه عقب صلاة العصر جمع غفير من المسلمين .

طوف فى آفاق العالم العربى ، وكان يكثر من زياراته لمصر وله فيها صداقات وثيقة بأعلام الأدب والشعر وكان يزور المملكة العربية السعودية ولقى بها ربه وهو يؤدى فريضة الحج سنة ١٩٤٦ .

٢- شعره :

أصدرت له مطبعة التقدم بمصر ديوانه حسنات البراع دون تحديد لتاريخ طباعته وعلى غلافه ديوان حسنات اليراع للأستاذ اليعقوبى الشيخ سليم أبو الاقبال مدرس العلوم الشرعية وفنون الآداب فى سورية القائل فى عصر مولاه الخليفة الأعظم السلطان عبد الحميد :

---

(١) الأعلام - جـ ٣ - ص ١٧٧ .

عصر عبد الحميد ملك ملوك الأرض وافى بصَيِّب الرَّحمات
عصر علم به تجلَّى يَراعٌ خط للناس هذه الحَسنات

وقد قسم شعر الديوان ثمانية أقسام :

الإلهيات – الدهريات – الحميديات – المدائح العامة – المراثى – التهانى – الحوادث الاجتماعية – النبويات .

وقد عاصر اليعقوبى الشيخ النبهانى وامتدحه ومن مدحه له قوله :

ليوسفَ الفضْلُ لا للقائمين علَى هَدْم الشّريعةِ من قاصٍ ومنْ دانِ
فصفه بالعلم لا تخْش العُداة وقل إن ابن هانئ والنبهان سيان
إن ساءنى أدبى أو حطَّ بى حسبى أو حاربتنى صرُوف العالم القانى
هَزَزْتُ فيه يراعاً قام يشكره شكر الرياض نداها الحاسد الشانى (١)

وقد نعت نفسه بأنه حسان فلسطين ، واعتز بشعره ، وافتخر به ، ووصل به الأمر إلى تفضيل شعره على جميع الشعراء يقول من قصيدة عنوانها : « أنا والدهر وصروف الحادثات » عدد أبياتها ٨٩ بيتاً :

وهلْ فى زمانى شاعرٌ وابن شاعرٍ سوايَ إذا ما انقادَ للشّعرِ مسمَعُ
تطيع لآليه يراعى وإنها لِمثل يراعى من بَنانى أَطْوَعُ
فأين المعرّى وامرؤ القيس من فتى له الشّعر كالعضب المهنَّد طَيِّعُ
وأين أبو تمام منى وشِعْرُه كليلٌ ، وشعرى دونه الصُّبح يَسْطَعُ
إذا قلته يشْدو يراعى بآيه فيطربُ دهرى حينما الدّهر يَسمَعُ (٢)

وترك الشعر فترة ثم عاد إليه مسوغاً تركه ورجوعه لانشاده قائلاً من أبيات عنوانها :

« تطليقى نظم الشعر ورجوعى إليه »

طلَّقت شعرى بالثَّلاثِ طلاقَ ربَّاتِ النُّهود
والله لستُ بشاعـرٍ مادام غيرى فى الوجود
هجَم الضعيفُ على القريض فهل تناضله الأُسود ؟

(١) ديوان حسنات اليراع – ص ٣٦ – ٣٧

(٢) المصدر السابق ص ٣١ .

قالوا : الطَّلاقُ عليك ليس بواقعٍ فارجع لنظم قلائد العِقْيانِ
فأجبتهم : لا أنظم الشّعر الّذى لعبتْ بآيته يد الصّبيان
ولئن رجعتُ فلا أصوغُ قصيدةً إلاّ بسيفى أو بحدِّ سِنانى
قالوا : نعم لك ما تحبُّ وإنَّ فى نظم الحماسةِ رفعةَ الإنسان
فنظمتُ حتى ساعدتنى هِمَّة أدركتُها بعناية الرَّحمن

ومن تلاعبه بالألفاظ قوله تحت عنوان : إبتعادى عن جماعة يرأسهم فظ غليظ » .

سألونى ممَّ إبتعادُك عنَّا ولكم فى القلوب « حاء وباءُ »
قلتُ مما جنى الرَّئيس على الفضْل وإن الرئيس « فاءٌ وظاءُ »
فاعذرونى إذا ابتعدتُ فإنى رغم أنف الزمان « حاء وراء »

وقد نظم اليعقوبى فى عهد الانتداب قصائد عديدة أشاد فيها بكفاح أبناء فلسطين وبالثورة الكبرى سنة ١٩٣٦ ، وبالاضراب الرائع الذى استمر ستة أشهر ، واستنهض الهمم ، واستثار العزائم للجهاد ضد الانتداب والصهيونية .

٥ - الشيخ سليمان التاجى الفاروقى

١٨٨٢ - ١٩٥٨ م

١ - حياته :

ولد فى مدينة الرملة البيضاء بفلسطين ، وتلقى دروسه فى المرحلة الابتدائية على الشيخ يوسف الخيرى ، وفى التاسعة من عمرة فقد بصره ، وحفظ القرآن الكريم قبل أن يتم العاشرة ، ومبادئ علم النحو على الشيخ البيومى الكبير .

ثم أرسله والده إلى القاهرة للدراسة فى الأزهر حيث أمضى به تسع سنوات استوعب فيها ما كان يرغب فى دراسته من علوم الدين واللغة والتاريخ ، ثم عاد بعدها إلي فلسطين ، ومنها إلى الآستانة حيث درس بجامعتها الحقوق ، وأجاد التركية والفرنسية والإنجليزية ، وكان يقوم بتفسير القرآن الكريم فى مسجد أيا صوفيا الشهير .

كان حاد الذكاء ، متوقد القريحة ، حاضر البديهة ، وكان يطلق عليه «معرى فلسطين» .

وفى خلال ثورة العرب على الترك نظم الفاروقى طائفة من القصائد أشاد فيها بفضل العرب وأمجادهم ، ودعا الأتراك إلى إجابة المطالب القومية للعرب ، والمحافظة على اللغة العربية كما دعا لوحدة النواب العرب فى مجلس المبعوثين فى تركيا ، واتفاقهم فى الرأى ، وكان يذيل هذه القصائد بتوقيع «بدوى فلسطين» .

وقد امتدت الحياة بالشيخ الفاروقى ، فشهد انهيار الحكم العثمانى عن فلسطين ، ووقوعها تحت وطأة الانتداب البريطانى الذى سخر جهوده لإنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين بعد أن أدمج وعد بلفور فى مواد صك الانتداب ، وفى تلك الفترة زاول مهنة المحاماة وكان قوى الحجة ، فصيح العبارة ، ذلق اللسان ، يرتجل الخطب القضائية التى تهز القلوب وفى سنة ١٩٣٢ أصدر فى يافا جريدة الجامعة الإسلامية يومية ولكن الحكومة البريطانية ضاقت ذرعاً بها فعطلتها ، وبعد وقوع الكارثة سنة ١٩٤٨ هاجر مع أفراد أسرته إلى الأردن وأقام فى مدينة الزرقاء مدة طويلة ، ثم انتقل منها إلى مدينة أريحا ، وفى سنة ١٩٤٩ أصدر فى عمان الجامعة الإسلامية ، ولكنها عطلت ، وفى سنة ١٩٥٨ لبى نداء ربه بعد إصابته بمرض لم يقو على دفعه ودفن فى بيت المقدس .

٢ – شعره :

١ – قبيل الحرب العالمية الأولى أرسل – وهو نزيل الآستانة – صيحة عربية خاطب بها السلطان محمد رشاد بعد توليه العرش وإعلان الدستور وغمطه حق العرب وتنكره لهم وعدم اختيار واحد منهم فى الوزارة التى تألفت قبيل الحرب الأولى .

ويبلغ عدد أبيات القصيدة نحو سبعين بيتاً يقول منها :

العُرب لا شقيتْ فى عهدك العَربُ ... سيوفُ ملكك والأقلامُ والكتُبُ
سِياجُ دولتك الغرّا ومعقِلُها ... والثابتون وحبْلُ الأمن مضطَربُ
همُ الجبالُ فما حمَّلتهم حملوا ... لكن إذا سمتهم ضَيم النفوس أبوا
هم الخِفافُ متى تدْعو وأقسم لو ... صافحْتَ حدَّ الرَّدى بالعرب مارَهِبُوا
كريمة أرْيَحِيات نُفوسهمُ ... فيها المضاءُ وفيها الجدُّ والدَّأبُ
ما أن يخف بهم فوز ولا بَطَرٌ ... وليس يضرعهم قهر ولا غلب
سادوا فلم يستبح إنسانُ دَولتهم ... ودِيلَ مِنهم فما هانوا لما سُلبوا
كانتْ ربيعاً من الأيّام دولتُهم ... ومعرضاً راج فيه العلمُ والأدَبُ
وكلُّ فضلٍ أتى فالعُربِ مصدرُهُ ... بل أىُّ فضل أتى لم تَحْوِه العَربُ

* * *

كُنَّا نعلّل بالدستور أنْفسنا ... بفارغ الصّبر ذاك اليومَ نَرْتَقِبُ
حتى إذا جاء لم يُحدثْ لنا حدثاً ... ولا استْجيبَ لنا فى مطلبٍ طلبُ
هذى الوزارات كَمْ من مرة نَشَأَتْ ... فلم ينلْ واحداً منّا لها سَبَبُ
لِسانُهم أخْلق الإهمالُ جِدَّته ... فبات ينعى على الكُتّاب ما كَتبوا
تمشت اللّهجة العجْماء فيه إلى ... أنْ أنكرتْه بنوه الخُلّصُ النُّجبُ
أيستهانُ به والدّين جاء به ... ودونه ألْسنٌ من دونها القُضُبُ ؟
بِضْعٌ وعشرون مليوناً لهم لُغَةٌ ... تموت ما بينهمْ يا شدَّ ما غُلِبوا
وصَفْوة القول أن العُرب قد هُضِموا ... هضْماً له كل نفس حُرّة تَجِبُ

* * *

أُعيذُ دَوْلتك العُلْيا وساستَها ... أنْ يتركوا تِلْكُمُ الأرحامَ تَنْشَعِبُ

وأَن يُثيروا حَفيظاتِ النُّفوس فإنْ ... ثارتْ فهيهاتَ أَن يخْبو لها لَهَبُ
خَير الممالكِ يا مولاىَ مملكَةٌ ... أَساسُها العدْل ليس العنفُ والرَّهبُ
والشَّعب لا تُبْتَغى قسراً مودَّتُه ... وليس يسكن إلاَّ ريثما يَثِبُ
سياسةُ العنف لا تجْدى وإن نفعتْ ... فالحبل إن شدَّ يوماً سوف ينقَضِبُ
وأنت تحكم فى قوم ذوى مِيَزٍ ... وكل حزبٍ لديه مبدأٌ عَجَبُ
فاستَوص بالكلّ خيراً وارْعَ ذمتهمْ ... وقف بعدْلكِ فيهم حيثما يجب
والعرْب أكرمُ شعبٍ أنت تحكمه ... ولن تضيَّع فى أيامك العَرَبُ

٢ – ويقول من قصيدة عنوانها الأمة العربية تنادى نوابها وقد قيلت استفزازاً للنواب العرب ونشرت فى جريدة الرأى العام البيروتية فى ٧ كانون الأول ١ ديسمبر ١٩١٠ بلسان الأمة العربية تخاطب أبناءها وبتوقيع « بدوى فلسطين » .

بِيمْن نواصيكم عقدتُ الأَمانيا ... ورجّيت أن أعلو لكم من عَلائيا
بَنّى انْهضوا واحْيوْا حياةً عزيزةً ... حياةً تعيدُ المجدَ للعرْب ثانياً
بنىَّ احذروا لا يهلكْ العرب فيكم ... فينفصم الحبلُ الذى بات واهِياً
يقولون إن العُرب مات رجالُها ... يقولون إن الجو أصبحَ خالِياً
يرون سقوطَ العرْب ضربَة لازبٍ ... وأمراً – أراد الله لا شكَ – ماضِيا
أبغْياً علينا وافْتئاتاً وإثْرةً ... ويرجون منّا بعد هذا تغاضِيا ؟
هوتْ أمُّهم ما بالهم ينكروننى ... وهم إنْ حوَوا مجداً فمن بعضِ ماليا
ألا قلْ لهم لو أَنصفوا أينْ مجدُهم ... وذاك البِناء الضَّخم مَنْ كان بانِياً ؟
ومن ذا الذى قادَ الكتائبَ وارتمى ... إلى ما وراء الصّين فى الشّرق هادِيا ؟
وَمن بثَّ ذاك النور فى الأرض تارِكاً ... صنائعَ تُجْنى اليَوم فيكم دوانِيا ؟

* * *

أَلا نهضة شرقية عربية ... تُزلزل أقواماً وتُوهى رواسيا
وتقْضى على كل امتيازٍ وإثْرةٍ ... ويصبحُ كلُّ الناسِ فيها سواسيا
ألا رجلاً ذا مِرّة فيلمكُمْ ... ويرأَب صَدْعاً فيكُم باتَ واهيا
يقُوم فلا يرْتَدُّ أَوْ يبلغ المُنى ... ويقْضى ولكن يبعثُ السيفَ قاضِيا

* * *

ألا ليتَ شِعْرى هلْ أَرى العرَب أمةٌ يساندُ بعضٌ بعضَها لا تجافيا

إذا صاحَ فى وادِ الكِنانة صائحٌ يبيتُ له الرَّبْعُ الشَّآمِىُّ داويا

وإنْ أَنَّ فى الصقْع اليمانّى مثقَلٌ أَهاب له القُطر الحِجازىّ باكِيا

٣ - وفى سنة ١٩١٢ عقد فى مدينة بال بسويسرا مؤتمر صهيونى فنظم الفاروق تخميساً حذر به العرب من أطماع الصهيونية .

أيها الشَّعب نهضةً وبداراً أيها الشَّعب أوسَعوكَ احتِقاراً

هبَّ يا شعبُ واصْلِهم منك ناراً هبَّ وانفضْ عن مُقْلتيك الغُبارا

وَأَرِ القوم نهضةً عربية

قمْ قياماً يا شعب لا تَتوانَ لا تهُن كفاك هَوانا

إن هذا السكوتَ أَصلُ بَلانا إن هذا الونَى وذاك الكِيانا

هاج تلك المطامع الوحْشيه

غَرّهم صبرنا عليهمِ زماناً حاولوا سَلَبنا البلادَ امتِهانا

فإذا لم نمتْ ولم نتفان وإذا لم نُقِمْ لهم بُرهانا

سلبونا والله تلك البَقيَّه

نمت يا شعبُ واستطبتَ الْمناما ورضيت الحياةَ ذلاًّ وذاماً

رحم اللهُ فى الترابِ عِظاما عِشْنَ ما عِشَن وارتحلْن كِراماً

أنراها هانتْ على الذُّريّه ؟

يا بلادى عدت عليك العوادى بت نهبَ الرَّدى وسَلْب الأعادى

يا بِلادى ألا اسْلمى يا بلادى لكِ روحى ومُهجتى وفُؤادى

حبّذا لو لقيت فيك المنيّه

يا فلسطينُ طالَ هذا المطالُ ويْح قومى أَليس فيهمْ رِجالُ

طالَ ظُلماً أَعداؤُنا واستطاعلوا ورأونا نُغضى الجفُونَ فصالَوا

واسْتهانوا بنا وبالوطنيَّه

يا فلسطين عَقّكِ الأَبْناء يا فلسطين ذُمَّ فيكِ البقَاء

أترى الأَرض أَعْقَمتْ والسَّماء أم لماذا لا تُنبت العُظَماء

ربّ رُحماك بالبلاد الشقيَّه

فترة الانتقال

١٩١٩ - ١٩٢٦

منذ نشوب الحرب العالمية الأولى وما أسفرت عنه من انهيار الحكم العثمانى على الشام التى كانت تشمل سورية ولبنان وفلسطين والأردن ، أخذت صورة الحياة التى رسمنا ملامحها فى الفصول السابقة تتغير شيئاً فشيئاً بما طرأ عليها من عوامل . إذ مهدت السنوات السبع (١٩١٩ - ١٩٢٦) للنهضة الأدبية التى أخذت تؤتى أكلها ابتداءً من الربع الثانى من القرن العشرين ، نتيجة لما طرأ على فلسطين من عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية انعكست آثارها على الأدب والفكر بعامة ، وعلى الشعر بوجه خاص ، وقد شملت هذه النهضة جميع المجالات ، وامتدت إلى كل النواحى ، ولكنها كانت أبرز أثراً ، فى مجال الفكر ولا نستطيع أن نحدد سنة بذاتها لبداية النهضة ولكننا نستطيع أن نقرر فى اطمئنان أن بذورها كانت قد نبتت فى أوائل القرن العشرين وأخذت تنمو على مر الزمن إلى أن أتت ثمارها فيما بعد .

كانت هذه الفترة حداً فاصلاً بين عهدين : عهد رزحت فيه فلسطين التى كانت جزءاً من الشام تحت وطأة الحكم العثمانى بما صاحبه من أسباب التخلف والجمود وتفشى الجهل ، وعهد خضعت فيه للانتداب البريطانى الذى فرض عليها فرضاً وسخر كل قواه ليحقق لليهود حلمهم القديم فى إنشاء الوطن القومى لهم فى فلسطين تنفيذاً لوعد وزير خارجية بريطانيا بلفور .

وتفصيلاً لهذا الإجمال ، وتوضيحاً لبعض الجوانب نقف قليلاً مع الأحداث والتطورات التى أثرت فى البلاد تأثيراً كبيراً ، وجعلت منها ميداناً للكفاح ، ومسرحاً للثورات الدامية طوال ثلاثين عاماً من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٤٧ .

نشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ بين كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا من جهة ، وألمانيا والدولة العثمانية من جهة أخرى ، واتصلت بريطانيا بالعرب الناقمين على الحكم فى البلاد العربية — وألبتهم على الدولة العثمانية والانفصال عنها ، وخوض الحرب ضدها إلى جانب الحلفاء — بريطانيا وفرنسا وروسيا — وقطعت لهم العهود والمواثيق لتحقيق حريتهم واستقلالهم فى البلاد العربية — ومن بينها فلسطين — إذا هى انتصرت فى الحرب . وكانت هذه العهود مسجلة فى مكاتبات رسمية تبادلها كل من ممثل بريطانيا فى مصر السير هنرى مكماهون ، وممثل العرب شريف مكة الحسين بن على واطمأن العرب إلى عهود بريطانيا ووعودها شأن الأحرار الشرفاء فأعلنوا ثورتهم الكبرى على الدولة العثمانية

بقيادة شريف مكة فى ١٠ يونية سنة ١٩١٦ ، ولكن بريطانيا تنكرت لعهودها ووعودها مع العرب ، والحرب لا تزال مشتعلة اللظى ، مشبوبة الأوار ، ودماؤهم تروى كل جزء فى الوطن العربى ، وضباطهم وجنودهم يتساقطون على أرض المعركة ، إذ ما كادت بوادر انتصارها تلوح فى الأفق حتى أخذت تكشف عن نواياها ، وتبدى ما أخفت من غدر وخيانة ، وتبرم المعاهدة السرية بينها وبين فرنسا المعروفة بمعاهدة سايكس بيكو التى تقضى بتقسيم الشام إلى مناطق نفوذ بين الدولتين.

وفى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ أصدرت وعد بلفور الذى يجعل من فلسطين وطنا قوميا لليهود ، وهى عند إصدارها هذا الوعد الظالم لم تكن تملك فلسطين ، ولم تأخذ رأى أهلها وعندما تهيأ لها احتلال فلسطين فى أواخر سنة ١٩١٨ قسمت الشام — سورية ولبنان وفلسطين ، والأردن — قسمين : قسماً شماليا — سورية ولبنان — وضع تحت الإدارة الفرنسية ، وقسماً جنوبيا — فلسطين والأردن — وضع تحت الإدارة البريطانية ، وثبت ذلك رسميا فى سنة ١٩٢٢ حين أقرت عصبة الأمم صك الانتداب الذى أصبحت بريطانيا بمقتضاه دولة منتدبة على القسم الجنوبى من بلاد الشام «سورية الجنوبية» (١) .

وفى السابع من أذار — مارس — سنة ١٩١٩ انعقد المؤتمر السورى فى دمشق ، وضم رجالات البلاد من سورية ولبنان وفلسطين والأردن ، وأعلن استقلال سورية بحدودها الطبيعية .

وفى الثامن من الشهر نفسه نودى بالأمير فيصل بن الحسين ملكاً على سورية ، ولكن فرنسا اعتدت على هذه المملكة العربية الفتية فهجم الجيش الفرنسى على سورية ونشبت معركة ضارية فى ميسلون فى ٢٤ تموز — يولية — سنة ١٩٢٠ بين القوات الفرنسية وفصائل من قوات الجيش العربى المسرح بقيادة يوسف العظمة وزير الحربية لم تدم غير يوم واحد كانت الغلبة فيه للفرنسيين واستشهد القائد البطل فى تلك المعركة ، وفى ٢٥ تموز يولية سنة ١٩٢٠ دخلت قوات الاحتلال الفرنسية دمشق عاصمة سورية ، واضطر الملك فيصل أن يغادرها إلى فلسطين ومنها إلى بريطانيا (٢) .

ولقد كان الهدف من عقد المؤتمر ، وإعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية ، أن تكون الحكومة العربية فى سورية ممثلة للشام ، ووحدة أجزائها وأقطارها لبنان وفلسطين والأردن ولكن أطماع الدولتين — بريطانيا وفرنسا — وقفت دون بقاء الحكم العربى ، وحالت دون وحدة الشام وقد قطعت فرنسا أوصال الشام ، وأقامت عدة دويلات فيها ، فجعلت من حلب دولة ، ومن دمشق دولة ،

---

(١) انظر كتابنا — الاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطينى المعاصر ص ٨٧ — ٨٨ .

(٢) سامى الكيالى — الأدب العربى المعاصر فى سورية ص ١٨ — ١٩ .

ومن جبال العلويين دولة ، ومن جبل الدروز دولة ، ومن لواء الإسكندرونة « دوقية » فرنسية [١]
وتتابعت الثورات السورية : ثار الشيخ صالح العلى فى جبل العلويين ودامت ثورته نحو ثلاث سنوات ، وثار إبراهيم هنانو واستمرت ثورته سنة كاملة ، وثار سلطان باشا الأطرش فى جبل الدروز ودامت ثورته ستة أشهر ، وقسمت بريطانيا القسم الجنوبى قسمين : أحدهما يقع إلى الشرق من نهر الأردن سمته شرق الأردن ، وثانيهما يقع إلى غرب النهر وسمته فلسطين ، كما قسمت فرنسا الجزء الشمالى من الشام قسمين : جمهورية سورية فى الشمال والشرق ، وجمهورية لبنان إلى الجنوب الغربى ، وبذلك مزقت بلاد الشام شر ممزق ، وقطعت أوصالها ، وجزئت هذه الوحدة الطبيعية أربعة أجزاء فى كل جزء حكومة ، وأقامت دولتا الانتداب بريطانيا وفرنسا بين هذه الأجزاء حدوداً وهمية ، وحواجز مصطنعة ، لتقطع الصلات والأواصر بين أبناء الوطن الواحد . وإحكاماً لخيوط هذه المؤامرة الاستعمارية ، تولت بريطانيا الانتداب على فلسطين لتحقق لليهود وعد بلفور ، وعندما تكشفت المؤامرة أمام أبناء الشعب العربى فى فلسطين وقفوا وقفة وطنية رائعة فى طريق تنفيذها ، وأشعلوا الثورات الدامية المتوالية فى فلسطين من سنة ١٩٢٢ إلى سنة ١٩٤٧ وكانت ثورتهم الكبرى التى استمرت ثلاث سنوات من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٣٩ أعظم هذه الثورات ، ووقف أبناء الشعب العربى فى الأقطار العربية إلى جانب أبناء فلسطين بالعون المادى والمعنوى ، وقد كافح أبناء سورية ولبنان ضد الحكم الفرنسى حتى استطاعوا الحصول على الاستقلال سنة ١٩٤٦ .

أما فى فلسطين فإن جهاد أبنائها وثوراتهم على بريطانيا واليهود ، أخرت تحقيق الوطن القومى إذ لم تستطع بريطانيا أن تحققه إلا بعد ثلاثين سنة ١٩٤٨ ، زرع فيها أبناء فلسطين ربا بلادهم وبطاحها بالشهداء الأبرار ، وضمخوا ثراها بالدماء الزكية ، وسطروا فى سجل المجد والخلود أروع صفحات البطولة والفداء . إذ قدمت فلسطين من أبنائها حتى سنة ١٩٤٨ نحواً من ثلاثين ألف شهيد ، وكان وعد بلفور مصدر الثورات ، ومثار القلاقل ، وبداية المحنة ، ومقدمة المأساة ، ونذيراً للكفاح الدامى بين الشعب العربى فى فلسطين وبين كل من بريطانيا مبرمته والصهيونية .

هذه الأحداث السياسية التى اضطرمت بها البلاد منذ سنة ١٩١٤ وما اكتنفها من عوامل اجتماعية واقتصادية ، وما نتج عنها أخرجت فلسطين من الحياة التى كانت ترسف فى أغلالها إلى حياة جديدة ، وأحدثت نهضة عامة فى الثقافة والفكر والأدب بوجه عام والشعر بوجه خاص .

وبدأت آثار ذلك تظهر ابتداء من سنة ١٩٢٦ أو من أول الربع الثانى من القرن العشرين .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠ .

الفصل الثالث

المرحلة الثالثة من ١٩٢٦ - ١٩٤٧

١ - الحياة السياسية

فى الرابع والعشرين من يولية سنة ١٩٢٢ أقر مجلس عصبة الأمم صك الانتداب البريطانى الذى تقدمت به بريطانيا له ، وأذاع نصوصه ، ونشر مواده بعد أن أدمج فيه وعد بلفور ، وأشار إلى ذلك فى ديباجته ، بجانب الإشارة إلى موافقة الدول الكبرى على الوعد ، وعلى مسئولية بريطانيا عن تنفيذه ، والإشارة إلى أن ذلك اعتراف بالصلة التاريخية التى تربط اليهود بفلسطين .

ويتكون صك الانتداب من ثمان وعشرين مادة ، سلبت الأولى منه عرب فلسطين حقهم فى إدارة بلادهم ، وخولت الدولة المنتدبة السلطة التامة فى الإدارة والتشريع

وألقت الثانية على بريطانيا مسئولية وضع البلاد فى ظروف وأحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومى اليهودى ، وإقامة قواعده .

أما المادة الرابعة فتعترف بالوكالة اليهودية هيئة تقدم للحكومة الرأى والعون فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية ، وكل ما يحقق إنشاء الوطن القومى ، ونظراً لأن الوكالة اليهودية لم تكن قد تألفت بعد فالجمعية الصهيونية تؤدى عملها .

وتنص المادة السادسة على تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين .

والمادة الثانية والعشرون تجعل اللغات الرسمية فى البلاد ثلاثاً : الإنجليزية والعربية والعبرية .

وليس من هدفنا أن نناقش مواد الانتداب مادة مادة ، ونوضح مدى ما فيها من إهدار لحقوق عرب فلسطين .

ولكن الواقع أن الانتداب كان بلاء على فلسطين ، وكان أسوأ وثيقة حكمت بمقتضاها أمة ، إذ وضعت بريطانيا - حين تولت الانتداب على فلسطين - نصب عينيها هدفاً هو تحويل فلسطين العربية إلى دولة يهودية ، وجعلت خطوط سياستها تلتقى عند هذا الهدف . ووضح منذ اليوم الأول

لإحتلال فلسطين ، أن بريطانيا قد وضعت برنامجاً محددا لإنشاء الوطن القومى ، ورسمت سياسة لتحويل فلسطين العربية إلى دولة يهودية ، بعد إجلاء أهلها ، أو إبادتهم ، وحددت زمناً للوصول إلى ذلك الهدف ، على أن تنفذ ذلك تدريجيا ، أو خطوة إثر أخرى . ولكن جهاد عرب فلسطين أرجأ تحقيق المؤامرة الصهيونية البريطانية ثلاثين سنة من ١٩١٧ إلى سنة ١٩٤٧ حيث قامت الدولة اليهودية فى مايو سنة ١٩٤٨ بعد حرب فلسطين .

لقد أعلنت الحكومة البريطانية فى أوائل يولية سنة ١٩٢٠ انتهاء الإدارة العسكرية فى فلسطين ، وقيام إدارة مدنية ، وعينت السير « هربرت صموئيل » أول مندوب سام لفلسطين ، وهو يهودى الأصل ، بريطانى الجنسية ، من أقطاب الصهيونية المتعصبين لها . وقد أخذ على عاتقه تنفيذ برنامج « تهويد » البلاد ، وطفق يسير بخطوات سريعة نحو ذلك الهدف ، مبتدئاً بتنفيذ المادة الثانية من صك الانتداب التى تحتم على بريطانيا وضع البلاد فى ظروف وأحوال إدارية وسياسية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين .

ولكى تنفذ بريطانيا برنامجها الاستعمارى ، ولكى تحقق لليهود أملهم فى إنشاء دولة لهم فى فلسطين سلكت السبل التالية : —

١ — حكمت فلسطين حكماً مباشراً .

٢ — خولت نفسها الحق فى الإدارة والتشريع ، وكان الواجب أن يكون هذا الحق لأبناء فلسطين أهل البلاد .

٣ — فتحت أبواب فلسطين للهجرة اليهودية .

٤ — مكنت اليهود من الاستيلاء على أرض العرب ، وحابتهم ، وأمدتهم بالأسلحة ، ودربتهم على استخدامها .

٥ — ضغطت على عرب فلسطين ، وأهدرت حقهم فى حكم أنفسهم ، واضطهدتهم فى شتى مرافق الدولة ، وأقصتهم عن تولى المناصب الرئيسة فى بلادهم .

(١) الحكم المباشر :

حكمت بريطانيا فلسطين حكماً مباشراً وكأنها مستعمرة من المستعمرات ، وأنشأت فيها إدارة بريطانية بحتة سمتها — ظلماً وزوراً — حكومة فلسطين ، وأهل فلسطين منها براء .

ونتيجة لذلك ألحقت شئون فلسطين بوزارة المستعمرات بدلاً من إلحاقها بوزارة الخارجية ،

وعوملت على أساس أنها مستعمرة بريطانية لا قطر عربى تولت الانتداب عليه لتدرب أهله على حكم أنفسهم ، وكان المندوب السامى يتلقى التعليمات الصادرة إليه من وزير المستعمرات ، وترتب على هذا الحكم المباشر أن المندوب كان ينفرد بحكم البلاد وإدارة شئونها يعاونه فى ذلك مجلسان تنفيذى مكون من كبار ورؤساء الدوائر البريطانيين واستشارى يختار المندوب السامى نصف أعضائه من كبار الموظفين البريطانيين ، ويعين النصف الثانى من العرب واليهود .

وترتب على هذا الحكم المباشر إقصاء عرب فلسطين عن تصريف شئون بلادهم ، والمشاركة فى وضع القوانين ، وإصدار التشريعات ، ورفضت بريطانيا إنشاء مجلس تشريعى منتخب يمثل فيه السكان حسب نسبتهم العددية ، كما رفضت الاعتراف بهيئة تمثل عرب فلسطين ، وعندما كانت توجه إليها الأسئلة أمام لجنة الانتدابات عن الأسباب التى حالت دون تشجيع الحكم الذاتى فى فلسطين ، وإنشاء مجلس تشريعى يمثل فيه العرب حسب عددهم ، كانت الإجابة استحالة ذلك لتعارضه مع سياسة الحكومة الرامية إلى تنفيذ وعد بلفور .

(ب) الإدارة والتشريع :

على الرغم من أن الانتداب على فلسطين كان من درجة الانتداب على سورية ولبنان والعراق وشرقى الأردن نفسها وهى أعلى درجاته ، وعلى الرغم من أن بريطانيا وفرنسا نفذتا فكرة الانتداب على تلك الأقطار ، وأنشأتا فيها حكومات وطنية تدير شئونها - تحت إشراف الدولة المنتدبة - شذت بريطانيا عن هذه القاعدة فى انتدابها على فلسطين ، فلم تنشئ بها حكومة وطنية ، وإنما وضعت السلطة التامة فى التشريع والإدارة فى يد المندوب السامى ، وجاء ذلك نصا فى المادة الأولى من صك الانتداب التى سلبت أبناء فلسطين حقهم فى إدارة بلادهم ، وتطلبت إدارة البلاد أن تعيد حكومة الانتداب النظر فى التقسيم الإدارى لفلسطين فى العهد العثمانى ، وتقسمها تقسيماً إداريا جديداً يتلاءم مع سياستها . وتنفيذاً لذلك قسمت فلسطين بعد الانتداب إلى الألوية الستة الآتية التى كان على كل لواء منها حاكم بريطانى ، ويتألف كل لواء منها من عدد من الأقضية

١ - لواء القدس : ومقره مدينة القدس عاصمة البلاد ويتألف من قضائها ، وقضائى الخليل ورام الله .

٢ - لواء حيفا : ومقره مدينة حيفا ويتكون من قضائها فقط .

٣ - لواء الجليل : ومقره مدينة الناصرة ويتألف من قضائها ، وقضاء عكا ، وقضاء بيسان ،

وقضاء صفد ، وقضاء طبرية .

٤ – **لواء نابلس** : وكان يعرف باسم لواء السامرة ومقره مدينة نابلس ، ويتألف من قضائها ومن قضائى جنين وطولكرم .

٥ – **لواء يافا** : وكان يعرف باسم لواء اللد ، ومقره مدينة يافا ويتألف من قضائها ومن قضاء الرملة .

٦ – **لواء غزة** : ومقره مدينة غزة ويتألف من قضائها وقضاء المجدل ، وقضاء خان يونس ، وقضاء بئر السبع .

ويتبع كل قضاء عدد من القرى .

(جـ) الهجرة اليهودية :

فتحت بريطانيا لليهود أبواب فلسطين يدخلون منها كما يشاءون ، وبأعداد مذهلة ، ومن البر والبحر والجو . وبالطرق المشروعة وغير المشروعة ، حتى صور إبراهيم طوقان ذلك فى أبيات تحت عنوان الرقم ١٠٠٠ يقول فيها :

أرى عدداً فى الشُّؤم لا كثَلاثةٍ ... وعشرٍ ، ولكنْ فاقَه فى المصائِبِ
هو الألفُ لم تعرفْ فلسطين ضربةً ... أشدَّ وأنكى منه يوماً لِضاربِ
يهاجِرِ ألفٌ ، ثم ألف مهرَّباً ... ويدخلُ ألفٌ سائحاً غيرَ آيِبِ
وألفُ جوازٍ [1] ، ثم ألف وسيلةٍ ... لِتسهيلِ ما يلقونَه من مصاعِبِ
وفى البحرِ آلاف كأنَّ عبَابَه ... وأمواجَه مشحونةَ فى المراكِبِ

وتوخياً منا للإيجاز نورد أعداد المهاجرين لفلسطين ، وهى الإعداد المستقاة من الإحصاءات الرسمية الدقيقة .

كان عدد اليهود فى فلسطين سنة ١٩١٨ نحوا من ٦٠,٠٠٠ وكانت نسبتهم إلى مجموع سكان البلاد ٦٪ فقفز هذا العدد – بسبب الهجرة – إلى ٨٤,٠٠٠ فى سنة ١٩٢٢ ، وإلى ١٧٥,٠٠٠ فى سنة ١٩٣٢ ، وإلى ٦٥٠,٠٠٠ فى سنة ١٩٤٨ وارتفعت نسبتهم إلى مجموع سكان البلاد من ٦٪ إلى ٣٣٪ .

---

(١) المقصود جواز سفر .

(د) استيلاء اليهود على الأرض العربية :

يأتى خطر استيلاء اليهود على الأرض العربية وتملكها بعد خطر الهجرة مباشرة ، لأن الأرض هى الدعامة الثانية فى بناء الوطن القومى .

وقد يسرت حكومة الانتداب لليهود الاستيلاء على الأرض العربية أولاً بما منحته لهم من مساحات واسعة من أرض فلسطين ، وثانياً بما أتاحته لهم من تملك أرض العرب تحت تأثير ظروف اصطنعتها .

وكان اليهود يملكون فى سنة ١٩١٨ نحواً من ٦٥٠ ألف « دونم » أو ما يعادل ٢,٥ ٪ من مجموع مساحة فلسطين .

وقد بلغت مساحة ما يملكه اليهود من الأرض ١,٤٩١,٦٩٩ « دونما » فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ أو ما يعادل ٥,٦٧ ٪ من مجموع مساحة فلسطين ، وذلك بفضل سياسة حكومة الانتداب .

وأمدت بريطانيا اليهود بالأسلحة ، ودربتهم على استخدامها ، وأخذ اليهود أنفسهم يهربون الأسلحة إلى فلسطين تحت سمع الحكومة وبصرها ، ويوزعونها على منظماتهم العسكرية .

(هـ) الضغط على العرب :

أمعنت حكومة الانتداب فى اضطهاد عرب فلسطين ، وإهدار حقوقهم ، وإقصائهم عن المناصب الرئيسة فى بلادهم فجعلت رئاسة الدوائر وقفاً إما على أشخاص بريطانيين ، وإما على أشخاص من اليهود ، واختارت للوظائف القيادية والتوجيهية بعض أبنائها ، أو بعض الموظفين اليهود وتجافت عن مبادئ الحق والعدل ، والانسجام المطلوب بين من يتولى الوظائف من سكان فلسطين ونسبته العددية .

(و) كفاح فلسطين الوطنى :

وأمام هذا البرنامج الاستعمارى ، ومحافظة من عرب فلسطين على بلادهم ، وصداً للغزو الاستعمارى الصهيونى ، قرروا أن يكافحوا ، ويناضلوا ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأقلامهم وأفكارهم ، ليحولوا بين بريطانيا وبين إنشاء الدولة اليهودية فى فلسطين .

حاربوا فى جبهتين ، ووقفوا أمام خصمين جبارين : الصهيونية العالمية بنفوذها وسلطانها ،

وبريطانيا العظمى بجيوشها وأساطيلها . واتخذ كفاحهم مظاهر متعددة ، وأساليب مختلفة ، تطورت بتطور الوعى ، وتغيرت بتغير الظروف ، وتمثل كفاحهم فى ستة أدوار :

الدور الأول من ١٩١٧ إلى ١٩٣١ .

الدور الثانى من ١٩٣٢ إلى ١٩٣٥ .

الدور الثالث من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ .

الدور الرابع من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٥ .

الدور الخامس من ١٩٤٥ إلى ١٩٤٧ .

الدور السادس من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٠ .

فى الدور الأول من ١٩١٧ إلى ١٩٣١ عقدوا سبعة مؤتمرات ، وأعلنوا رفضهم القاطع للانتداب ، ووعد بلفور والهجرة اليهودية ، وطالبوا بإنشاء حكومة وطنية مستقلة .

وسافرت وفودهم إلى لندن لإقناع الحكومة البريطانية بخطل سياستها ، وفى مؤتمرهم الخامس سنة ١٩٢٢ انتخبوا لجنة تنفيذية تمثل البلاد ، ووضعوا ميثاقاً قوميا .

واصطدموا اصطدامات دموية واليهود فوقفت بريطانيا بجنودها تحمى اليهود وسقط عدد من الشهداء العرب برصاص الجيش والبوليس .

ولم تتوقف المصادمات الدموية ، ولم يتوقف الهجوم على المستعمرات الصهيونية فى خلال هذه الأربعة عشر عاماً ، وكان من أهم هذه الاصطدامات اصطدام سنة ١٩٢١ ، وثورة البراق سنة ١٩٢٩ ، وعلى أثر ثورة البراق هذه أصدرت المحاكم البريطانية فى فلسطين أحكاماً بالسجن على نحو ٨٠٠ عربى لمدد مختلفة ، وفرضت غرامات فادحة على بعض المدن جمعتها بالقوة ، وأحكاماً بالإعدام على ٢٠ عربيا خفف الحكم عن ١٧ منهم ونفذ شنقاً فى ثلاثة فى سجن عكا صبيحة الثلاثاء ١٧ يونية ١٩٣٠ وهم الشهداء : فؤاد حجازى من صفد ، وعطا الزير ، ومحمد جمجوم من الخليل .

وفى الدور الثانى وابتداء من سنة ١٩٣٢ إلى ١٩٣٥ اتضح لعرب فلسطين أن حكومة الانتداب هى أس البلاء ، ورأس الداء ، وأنها وحدها التى تملك وقف الهجرة ، ومنع إنشاء الوطن القومى ، وأنها المسئولة عن كل ما حدث فى فلسطين من أخطاء ، فقرروا أن يوجهوا كفاحهم ضدها ، وقرر أعضاء اللجنة القيام بمظاهرات تقدموا فيها جماهير الشعب دون إذن سابق من الحكومة وتحدياً لها ، واصطدموا بالجيش ، وسقط عدد من القتلى والجرحى .

وفى ٢٠ أبريل سنة ١٩٣٦ بدأت الثورة الكبرى بإضراب عام قامت به مدن فلسطين ، شمل جميع مرافق الحياة ، واشترك فيه المعلمون ، والطلبة والطالبات فى المدارس والمعاهد ، والموظفون والتجار والعمال والمحامون ، وتألفت اللجنة العربية العليا فى ٢٥ أبريل ودعت الشعب إلى مواصلة الإضراب حتى تغير الحكومة سياستها وحددت مطالب فلسطين فى وقف الهجرة ، ومنع بيع الأرض ، وإنشاء حكومة وطنية .

وفى ٢٧ مايو دعت اللجنة العليا إلى مؤتمر عقد فى القدس وتقرر فيه إعلان العصيان المدنى ، والامتناع عن دفع الضرائب ابتداء من ١٥ مايو . ولكن الحكومة صمت آذانها عن سماع الحق ، وبذلك أشعلت الثورة التى أخذت تتسع وتتعاظم وتزداد قوة بمن انضم إليها من المجاهدين العرب الذين توافدوا من مصر وسورية والعراق ولبنان والأردن ثم بقدوم المجاهد فوزى القاوقجى الذى نظم فصائلها ، وتولى قيادتها ، ولم يوقف عرب فلسطين ثورتهم إلا استجابة لنداء ملوك العرب فى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٣٦ ، وأرسلت الحكومة البريطانية لجنة ملكية للتحقيق فى أسباب الاضطرابات سميت لجنة اللورد بيل رئيسها فقررت تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام : الأول عربى يضم إلى شرق الأردن ، والثانى يهودى ، والثالث يخضع للانتداب .

واستنكر عرب فلسطين قرار اللجنة ، واستنكرته الأقطار العربية ، واستأنف عرب فلسطين جهادهم بعد أن خابت آمالهم فى بريطانيا ، واشتعلت الثورة من جديد ، وكانت أشد عنفاً من سابقتها ، ونتج عنها إلغاء قرار التقسيم ، والعدول عنه ، وإعلان بريطانيا أن وعد بلفور قد استنفد مفعوله .

وتأجلت مأساة فلسطين عشر سنين من سنة ١٩٣٨ إلى سنة ١٩٤٨ .

هذه هى خطوط الحياة السياسية فى فلسطين فى الربع الثانى من القرن العشرين .

انتداب بريطانى تحول إلى حكم مباشر ، أخذ على عاتقه إعداد البلاد لإنشاء الوطن القومى اليهودى ، وسخَّر كل قواه من أجل تحقيق ذلك الهدف وحكم البلاد بالحديد والنار ، وكلما قامت

ثورة عمل جاهداً على إخمادها ، وإرسال لجنة من أبنائه الإنجليز للتحقيق فى أسباب الاضطرابات وجعل من نفسه خصماً وحكَماً حتى غدت فلسطين فى ظل ذلك الانتداب دنيا من الأعاجيب كما صورها إبراهيم طوقان حين قال مخاطباً روح الشاعر عبد المحسن الكاظمى بعد موته سنة ١٩٣٧ :

أَبا المكارِمِ أَشرِفْ من عُلاك وقلْ
أَرى فلسطين أمْ دُنيا الأَعاجِيب

تجدْ قوِيًّا وفَى وعْد الدَّخيل ولمْ
يكنْ لنا منه إلا وعد عُرْقوب

ومرَّ سبعٌ وعشر فى البلاد لِه
وحكمه مزْج ترهيبٍ وترغيب

قد تَنْتهى هذه الدُّنيا وفى يدِه
مصيرُنا رهن تدْريب وتجْريب

ووقف عرب فلسطين بكل ما لديهم من وسائل ضعيفة وقفة بطولية خلال ثلاثين سنة بذلوا فيها أرواحهم ودماءهم وأرووا أرضهم بدماء شهدائهم ، ولفتوا أنظار الدنيا بما سطروا من صفحات البطولة واستخدموا فى معركتهم ضد الانتداب والصهيونية كل الأسلحة التى كان من بينها سلاح العلم والأدب والفكر .

٢ – الحياة الاقتصادية

انتعشت الحياة الاقتصادية انتعاشاً ملموساً بعد الانتداب البريطانى بالنسبة لما كانت عليه فى العهد العثمانى . ففى مجال الزراعة تقدمت وسائل الزراعة ، واستحدث اليهود وسائل رى المزروعات الحديثة ، وزادت مساحة الأرض الصالحة للزراعة ، وأخذت زراعة القمح والذرة والشعير والفول تقل تدريجيا ، وتكثر زراعة « البيارات » – بساتين البرتقال – التى تروى بوساطة آبار أرتوازية تركب عليها « ماكينات » ترفع المياه ومن ثم يتم توزيعها على تلك البساتين .

وقد أقبل أهل فلسطين على إنشاء هذه البساتين ، وتركيب الآلات والماكينات وبذلك صارت « الموالح » – البرتقال والليمون واليوسفى – المورد الأول للثروة القومية فى فلسطين وتضاعفت ثمارها ،

وصارت تصدر إلى موانى بريطانيا وفرنسا وغيرها من دول أوربة ، كما أخذت تدر أرباحاً عظيمة على أصحابها ، وقد ارتفع مستوى المعيشة عند عدد كبير من العرب الذين أوتوا قدرة مالية ساعدت على زراعة أرضهم برتقالاً بعد حفر الآبار ، وتركيب الماكينات عليها .

وارتفع الدخل الفردى ارتفاعاً ملحوظاً ، وارتقى المستوى الاجتماعى حتى حُسِد أهلُها من بعض الأقطار الشقيقة لما يجدون فيها من نعمة مادية ، وتنوعت المحصولات الزراعية ، وتعددت أنواعها فهناك الحاصلات الطبيعية المعروفة من قمح وشعير وذرة وفول وعدس ، وهناك الخضر بأنواعها المختلفة ، وهناك الفواكه التى تشمل كروم العنب ، والبساتين المغروسة بالتفاح ، والكمثرى ، والمشمش ، وأشجار اللوز والجوز والتين والبرقوق بالإضافة إلى البطيخ والشمام والبرتقال الذى اشتهرت به مدينة يافا ، وأصبح ينسب إليها .

وقد فتحت الأسواق الخارجية أمام تصديرها ، وتولت حكومة الانتداب تصريف الزائد عن حاجة البلاد ، حيث أخذت هى أولاً ما تحتاج إليه ، وصدرت ثانياً ما زاد على حاجتها .

وفتحت أسواق جديدة كانت موصدة فى العهد العثمانى ، إذ وجد أبناء فلسطين أسواق مصر وسورية ولبنان مفتحة الأبواب أمام تجارتهم .

وفى مجال الصناعة قامت الصناعات المختلفة فى فلسطين على أثر توليد الكهرباء ، وكانت حكومة الانتداب قد منحت لليهود منبعين هامين من منابع الثروة ، إذ منحت أولاً « روتمبرغ » اليهودى فى سنة ١٩٢١ امتياز توليد الكهرباء لمدة سبعين سنة وذلك بالاستفادة من نهر الأردن وحوضه ، ونهر اليرموك وفروعه ، ويقضى الامتياز بأن تقتصر عليه إضاءة أى بلد فى فلسطين باستثناء مدينة القدس . أما المنبع الثانى فهو امتياز البحر الميت الذى منحته حكومة الانتداب لليهود سنة ١٩٢٧ لمدة خمس وسبعين سنة بما فيه من أملاح البوتاس ، وملح الطعام والفوسفات ، والصودا الكاوية .

وأدير كثير من المصانع بالكهرباء حتى بلغ عدد هذه المصانع ٣١٣ مصنعاً من بينها مصانع للغزل والنسيج ، والأسمنت واستخراج الزيوت ، وصناعة الصابون .

وفى مجال التجارة كثرت المحال التجارية التى أخذت تستورد الكثير من السلع الضرورية والكمالية من دول أوربة ، وبخاصة بريطانيا وفرنسا وألمانيا .

وتنوعت التجارة فشملت الحبوب ، والملابس ، والعطور ، وأنواع السجاد ، وأدوات البناء ، والأدوات الطبية والرياضية ، ولكن التقدم الاقتصادى بوجه عام كان أكبر درجة عند اليهود منه عند العرب لأن حكومة الانتداب كانت تشجعه وتنميه وترعاه ، كما كانت تحمى الصناعات اليهودية

بفرض رسوم جمركية عالية على المصنوعات التى لها نظير عند اليهود فى البلاد .

وفى مجال العمل والعمال وجد الكثير من العمال العرب مجالات واسعة للعمل وتقاضوا أجوراً تعادل أضعاف ما كانوا يتقاضونه فى العهد العثمانى .

ولكن الحكومة كانت دائماً تحابى اليهود فتعطى العامل العربى نصف ما تعطيه للعامل اليهودى ، وتستخدم العمال اليهود بنسبة أكبر من النسبة التى تستخدم بها العمال العرب الذين يمثلون غالبية السكان

وشاد أبناء فلسطين صرح نهضة اقتصادية بجهودهم الذاتية ، وبدافع من حرصهم على تقدم بلادهم ، فأقاموا الكثير من الشركات والمؤسسات العربية برؤوس أموال عربية ، واستخدمت هذه المؤسسات أعداداً كبيرة من الموظفين العرب ، وفى مقدمة تلك المؤسسات البنك العربى ، وبنك الأمة العربية ، وصندوق الأمة ، وشركات السيارات التى تربط القرى بالمدن ، أو المدن بعضها ببعض والشركات التجارية والتعاونية .

وقد انعكست مظاهر ازدهار الحياة الاقتصادية على جوانب الحياة المختلفة من النواحى الاجتماعية والثقافية والفكرية والأدبية والصحية بوجه عام .

٣ – الحياة الثقافية

فى خلال فترة الانتقال التى حددناها من ١٩١٩ إلى ١٩٢٦ ، وفى خلال المرحلة الثالثة من ١٩٢٦ إلى ١٩٤٧ ، شعت على فلسطين أضواء نهضة ثقافية غمر نورها جميع الأرجاء ، وامتد إلى مجالات العلم والفكر والأدب وكان حظ الشعر منها الحظ الأوفر .

وتمثلت عوامل هذه النهضة فى عشرات المدارس والمعاهد التى أنشئت فى فلسطين ، وفى ألوف التلاميذ والتلميذات الذين ضمتهم فصولها ، وفى العشرات من فتيان البلاد وفتياتها الذين التحقوا بالجامعات العربية والأوربية ، ونالوا منها أعلى الدرجات العلمية ، وفى عشرات المطابع التى وصلت إلى فلسطين ، وفى الصحف اليومية ، والمجلات الأسبوعية ، والشهرية التى صدرت فى البلاد ، والدوريات التى وفدت عليها من الأقطار العربية والغربية ، وفى عشرات الكتب والمؤلفات التى ألفها أعلام فلسطين فى شتى فروع المعرفة وشملت الكتب المقررة على الطلاب فى المدارس ، والكتب التى عالجت جوانب علمية وموضوعات أدبية وثقافية . وفى ذلك الفيض الزاخر من الأندية والجمعيات

الأدبية والثقافية ، والاتصال بالتيارات الفكرية الحديثة ، واستقبال أعلام الفكر الذين زاروا فلسطين ورثاء الراحلين من المشهورين ، وإنشاء إذاعة فلسطينية تذيع برامجها على البلاد ونوجز القول فى أهم العوامل والأسباب التى أدت إلى قيام هذه النهضة ، وعملت على تحقيقها :

(ا) التعليم :

حين تولت بريطانيا مهمة الانتداب على فلسطين أدارت المدارس العربية الحكومية إدارة مباشرة وتركت للمجلس الملى اليهودى إدارة المدارس اليهودية الحكومية . وظل التعليم العربى فى فلسطين فى عهد الانتداب مقصوراً على المرحلتين الابتدائية والثانوية ، مع الزيادة المطردة بمرور الزمن فى عدد التلاميذ والمدارس ، واتخاذ العربية لغة التعليم ، وإدخال الوسائل العصرية فى تلك المدارس .

لقد كان عدد المدارس العربية الحكومية ٢٤٤ مدرسة فى سنة ١٩٢٠ فأصبح ٥١٤ مدرسة فى سنة ١٩٤٥ على حين كان عدد المدارس اليهودية الحكومية ١٣٧ مدرسة فى سنة ١٩٢٠ فأصبح ٥٧٣ مدرسة فى سنة ١٩٤٥ ، ويرجع السبب فى ذلك – كما أشرنا – إلى أن حكومة الانتداب أدارت المدارس العربية إدارة مباشرة ، وتركت إدارة المدارس اليهودية للمجلس الملى اليهودى ، وكانت غالبية هذه المدارس ابتدائية أما الثانوية الكاملة فكانت قليلة ، ولذلك اتجه عرب فلسطين إلى سد النقص من هذه الناحية ، وأنشئوا بأموالهم الخاصة المدارس الوطنية – الحرة – التى بلغ عددها ٣١٣ مدرسة فى سنة ١٩٤٥ ، وأسهموا فى إنشاء المدارس الحكومية فى المدن والقرى ، إذ كانوا يقدمون الأرض التى تقام عليها المدرسة ، والمال اللازم للبناء والأثاث ، وتقدم الحكومة بعد ذلك الكتب والأدوات المدرسية والمعلمين وقد أنشئت معظم المدارس الحكومية فى قرى فلسطين بهذه الطريقة .

ووصل الأمر إلى أنه حين كان يحدث عجز فى عدد المدرسين فى هذه المدارس وتعجز خزانة الحكومة عن سده تقوم القرية بسد العجز وتدفع مرتبات بعض المدرسين ، كما تدفع المال اللازم لزيادة عدد غرف الدراسة إذا ضاقت بالتلاميذ ، أو أنشئ بها صف أعلى .

ودل إقبال أهل القرى الفلسطينية على التبرع من أجل إقامة المدارس والمعاهد ودور العلم على وعى عظيم وتقدير لقيمة العلم وأهميته فى الحياة إذ جمعوا ٤٢٦,٥١٢ جنيها فى المدة التى بين عامى ١٩٤١ و ١٩٤٥ ودل الإحصاء على أن عدد الذين أصبحوا يعرفون القراءة والكتابة من أبناء القرى ممن كانوا فى سن السابعة فما فوقها كان أكثر من ٣٠ ٪ . أما فى المدن فكانت النسبة تتردد بين ٤٠ و ٤٥ ٪ وهى أعلى نسبة فى البلاد العربية باستثناء لبنان .

وعند بداية العام الدراسى ١٩٤٧ - ١٩٤٨ وقبل وقوع الكارثة كان فى فلسطين ١٢ مدرسة عربية ثانوية كاملة ، و ٢٠ مدرسة تضم الصف الأول الثانوى فحسب أو الثانى فقط أو الصفين معاً ، ومعهدان للتعليم العالى وهما الكلية العربية - دار المعلمين - والكلية الرشيدية فى مدينة القدس ، وفى كل منهما سنتان دراسيتان خاصتان بعد إتمام الدراسة الثانوية توزعت فيهما المواد بين القسمين الأدبى والعلمى . ومعهد ثالث للحقوق يلتحق به الطلبة من العرب واليهود وكانت المرحلة الثانوية فى فلسطين مكونة من أربع سنوات ، والابتدائية من سبع .

ونظراً لخلو البلاد من التعليم الجامعى والدراسة العالية ، اندفع فتيان فلسطين وفتياتها فى عهد الانتداب للدراسة العالية فى الجامعات العربية أولاً ، والاوربية ثانياً على نفقتهم الخاصة ، يغذيهم الشعور الوطنى الجارف الذى أججه ظلم حكومة الانتداب الصارخ ، والتنافس الشديد بينهم وبين اليهود فى مضمار العلم والثقافة ، وانشاء الجامعة العبرية فى القدس سنة ١٩٢٥ . وقد التحق عدد كبير من أبناء فلسطين بالجامعة الأمريكية فى بيروت والقاهرة فبلغ عددهم فى بيروت من سنة (١٩٢٠ - ١٩٢١) إلى سنة (١٩٤٦ - ١٩٤٧) ٥٤٢٩ طالبا و٦٨ طالبة ، وزاد فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة حتى سنة ١٩٤٧ عن ١٠٠ طالب وطالبة . ووفد على القاهرة عدد كبير من أبناء فلسطين الذين التحقوا إما بالأزهر الشريف ، وإما بدار العلوم ، وإما بالكليات النظرية والعملية فى جامعة القاهرة .

وبمضى الزمن ، وتوثق الصلات الفكرية بين فلسطين والاقطار الشقيقة ، فتحت الجامعات والمعاهد العالية المصرية والسورية واللبنانية والعراقية أبوابها لأبناء فلسطين وبناتها ، كما رحل عدد منهم للدراسة فى الجامعات الأوروبية والأمريكية وعاد هؤلاء الطلاب إلى فلسطين يحملون مشاعل الفكر ، ومصابيح المعرفة ، واسهموا فى نهضة بلادهم فى جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والأدبية وبذلوا لبلادهم كل ما استطاعوا من علم وفكر .

وقد بلغ عدد الطلاب الفلسطينيين الذين كانوا يدرسون فى الاقطار العربية حسب إحصاء سنة ١٩٤٨ - ٦٥٠ طالباً وطالبة ، من بينهم ٣ فى سورية ، ١٥ فى العراق ، ٤١٦ فى لبنان ، ٦٣١ فى مصر .

(ب) الصحف والمجلات :

صدر فى فلسطين فى هذه المرحلة عدد من الصحف والمجلات التى اسهمت فى نشر الثقافة ، وتقديم النماذج العالية للأساليب العربية الرصينة ، والأداء الرفيع وعالجت قضايا الأدب والفكر ، إلى

جانب القضايا السياسية ، وزانت صفحاتها بقصائد الشعراء الذين استلهموا أحداث البلاد ، واستوحوا جوانب محنتها قبل الكارثة نقف عند أهمها :

١ – الصراط المستقيم : التى أصدرها فى مدينة يافا صاحبها الشيخ عبد الله القلقيلى فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩٢٤ وكانت أسبوعية ، تمتنع عن نشر الإعلانات التى لا تتفق مع مبادئ الإسلام ، وظلت توالى الصدور حتى حدوث المأساة سنة ١٩٤٨ حيث لجأ صاحبها إلى المملكة الأردنية .

٢ – الجامعة العربية التى أصدرها صاحبها ورئيس تحريرها محمد منيف الحسينى فى القدس سنة ١٩٢٧ – جريدة يومية سياسية

٣ – العرب : التى صدرت فى القدس سنة ١٩٣٢ جريدة أسبوعية تبحث فى شئون العالم الإسلامى ، وكان الاستاذ عجاج نويهض يشرف على سياستها ، وظلت توالى الصدور حتى سنة ١٩٣٤ .

٤ – الجامعة الاسلامية : التى أصدرها فى يافا الشيخ سليمان التاجى الفاروقى سنة ١٩٣٢ ، لتنشر فكرة الجامعة الاسلامية ، وممن حرر فيها السادة : على ناصر الدين وسامى السراج والشيخ عبد الله عفيفى .

٥ – الدفاع : التى أصدرها فى يافا أيضاً إبراهيم الشنطى سنة ١٩٣٤ ، واشترك معه فى تحريرها السادة : خير الدين الزركلى ، وسامى السراج ، وفيها نشر إبراهيم طوفان طائفة كبيرة من قصائده الوطنية فى الفترة من ١٩٣٥ إلى ١٩٤١ .

٦ – الوحدة العربية : التى أصدرها فى القدس إميل الغورى سنة ١٩٣٥ .

٧ – اللواء : التى أصدرها فى القدس جمال الحسينى سنة ١٩٣٦ رئيس الحزب العربى لتنطق باسم الحزب .

المجلات الأدبية :

١ – الفجر : التى أصدرها فى مدينة يافا سنة ١٩٣٥ ثلاثة من الأدباء الشبان هم : محمود سيف الدين الإيرانى ، وعارف العزونى ، وزهدى السقا . وتعد من أرقى المجلات التى صدرت فى فلسطين إذكانت تهتم بنشر الثقافة والأدب والترجمة من اللغات الأجنبية ، وقد صدر منها حوالى عشرة أعداد ثم توقفت عن الصدور . وكانت أسبوعية وتطبع فى مطبعة الفجر بمدينة يافا .

٢ – المنتدى : التى صدرت فى القدس فى أبريل سنة ١٩٤٠ عن مكتب المطبوعات ، بالاشتراك

مع دار الاذاعة الفلسطينية ، وكانت شهرية فى أول الأمر وابتداء من يناير سنة ١٩٤٦ صدرت أسبوعية .

٣ – المستقبل : التى أصدرها فى القدس الاستاذ خيرى حماد سنة ١٩٤٥ ، وهى مجلة سياسية أدبية أسبوعية وقد صدرت لمدة سنة واحدة توقفت بعدها .

(جـ) الإتصال بالتيارات الفكرية الحديثة :

أخذت الصحف اليومية ، والمجلات الأدبية ، والدوريات الثقافية ، والكتب والمؤلفات العلمية تفد على فلسطين من الأقطار العربية الشقيقة ، مصر وسورية ولبنان ، فتتلقفها على الفور أيدى القراء فى مدن فلسطين : القدس وحيفا ونابلس وغزة ويجدون فيها رياً لنفوسهم المتعطشة للمعرفة .

فكانت الأهرام والبلاغ والجهاد والمصرى تصل إلى فلسطين فى اليوم الذى تصدر فيه فى القاهرة .

وكانت مجلات الهلال والمقتطف والسياسة الأسبوعية تصل إلى فلسطين بانتظام وابتداء من سنة ١٩٣٣ استقبل المثقفون من ابناء فلسطين مجلة الرسالة التى أصدرها الاستاذ أحمد حسن الزيات ، وتابعوا باهتمام ما ينشر على صفحاتها من مقالات فى العلم والأدب والسياسة والتاريخ لاعلام الفكر وأقطاب الأدب ، وما تصدح به بلابل الشعر فى الوطن العربى من أشجى الأغانى ، وأعذب الالحان وعلى صفحات الرسالة أسهم أعلام فلسطين فى نشر المقالات والابحاث والقصائد . فمن الكتاب إسعاف النشاشيبى وأحمد سامح الخالدى ، وقدرى حافظ طوفان وعادل زعيتر ، وخيرى حماد ، وكامل السوافيرى ، وعلى سرطاوى ، ونجاتى صدقى ، وحمدى الحسينى ، وحلمى الأدريسى ، ومحمد البسطامى ، وغيرهم ومن الشعراء إبراهيم طوقان ، وعبد الكريم الكرمى – أبو سلمى – ومحمد العدنانى ، وعبد الرحيم محمود . وفدوى طوقان .

كما استقبلوا مجلة الثقافة التى أصدرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨ ، وأسهموا فى الكتابة فى هذه الصحف والمجلات فكان السكاكينى ينشر أبحاثه ومقالاته فى السياسة الأسبوعية على حين كان النشاشيبى ينشر كلماته فى الرسالة .

وعندما أصدر الأستاذ ألبير أديب مجلة الأديب فى بيروت سنة ١٩٤٢ أشرع كتاب فلسطين أقلامهم ، وممن خصها بكتاباته الدكتور إسحق موسى الحسينى ، والأستاذ أحمد سامح الخالدى ، ومحمود سيف الدين الإيرانى ، وكامل السوافيرى وغيرهم .

ولم تكن الصحف والمجلات وحدها تفد إلى فلسطين ، وإنما وفدت معها المطبوعات الثقافية

والأدبية لأعلام الفكر فى مصر : العقاد والمازنى وطه حسين وأحمد أمين ومصطفى صادق الرافعى والدكتور عبد الوهاب عزام ، والدكتور زكى مبارك ، ومحمد عوض محمد وغيرهم .

إلى جانب الدواوين الشعرية لأعلام الشعر : أحمد شوقى ، وحافظ إبراهيم ، والعقاد ، وشكرى ومطران وغيرهم .

ومع أن فلسطين قطر ضيق المساحة ، قليل السكان ، كانت نسبة قراء هذه المجلات والكتب بين أبنائه كبيرة كانوا يلتهمون مؤلفات العقاد وطه حسين وأحمد أمين والمازنى والرافعى التهاماً وكانت مجلة الرسالة توزع كمية كبيرة فى فلسطين ولا يقف قراؤها عند حد المثقفين وإنما امتدت إليها أيدى طلاب المرحلة الثانوية فى مدارس فلسطين .

(د) الجمعيات الثقافية والمحافل الأدبية :

وقد زخرت فلسطين فى هذه المرحلة بالجمعيات الثقافية : جمعيات الشبان المسلمين التى امتدت فروعها إلى كل مدينة ، والشبان المسيحية ، والجمعية الإسلامية المسيحية ، والنادى الرياضى الإسلامى ، والنادى الأرثوذكسى . وقد استضافت هذه الجمعيات والمحافل كوكبة من أعلام الفكر والأدب والشعر فى الوطن العربى لإلقاء كلماتهم ومحاضراتهم ، وقصائدهم فيها . وممن زار فلسطين من أولئك الأعلام الأستاذ / عباس محمود العقاد ، والشيخ عبد الوهاب النجار ، والدكتور عبد الوهاب عزام ، والدكتور زكى مبارك ، والدكتور منصور فهمى ، ومحمد مهدى الجواهرى ، وبشارة الخورى ، وخليل مطران ، وخليل مردم ، وأمين الريحانى والمازنى وغيرهم .

(هـ) حفلات التكريم والتأبين :

أقام أبناء فلسطين فى خلال تلك المرحلة العديد من حفلات الاستقبال والتكريم لأعلام الأدب وفرسان الشعر الذين زاروا فلسطين ولقوا من كرم أبنائها وعظيم حفاوتهم ، ولطف معشرهم ما جعل أولئك الشعراء ينوهون به فى قصائدهم .

فقد أقام أبناء فلسطين حفلات تكريم واستقبال للشعراء معروف الرصافى ، وخليل مطران ، وبشارة الخورى ، ومحمد مهدى الجواهرى ، وخليل مردم ، وفؤاد الخطيب واحتفوا بالدكتور عبد الوهاب عزام ، وجورجى زيدان ، وفؤاد صروف ، وقسطنطين زريق ، ومحمد توفيق دياب صاحب الجهاد وأمين الريحانى . . وأقاموا حفلات تأبين للشعراء الذين صمتوا عن الغناء بعد أن لبوا

نداء ربهم ، وانتقلوا إلى عالم الخلود .

ومن أهم هذه الحفلات التى أقاموها حفلة تأبين شوقى سنة ١٩٣٢ ، وحفلة تأبين الكاظمى سنة ١٩٣٧ ، ودواوين شعراء فلسطين زاخرة بقصائدهم فى الترحيب بمقدم هؤلاء الأعلام ، والفجيعة بفقد الراحلين منهم حتى إن الشاعر محمد العدنانى وكان اسمه محمد خورشيد جمع كتاباً كاملاً سماه — أمير الشعراء أحمد شوقى بين العاطفة والتاريخ — سجل فيه قصائد وكلمات شعراء وكتاب فلسطين التى رثوا فيها الشاعر .

(و) الإذاعة :

أنشأت حكومة الانتداب إذاعة فلسطين ، وجعلت مقرها مدينة القدس ، وقد بدأت إرسالها فى ٢٩ مارس سنة ١٩٣٦ ، واختير شاعر فلسطين المطبوع إبراهيم طوقان مديراً للقسم العربى بها يختار برامجه ، ويراجع نصوصه ، ويشرف على المواد المذاعة منه .

ومن هذه الإذاعة أذاع نفر من أبناء فلسطين كلماتهم فى الأدب والنقد والتاريخ . وقد استضاف القسم عدداً من الأعلام من كتاب وشعراء لإذاعة أحاديثهم وقصائدهم فأذيعت كلمات للعقاد والمازنى والشيخ عبد العزيز البشرى ومحمد كرد على وخليل تقى الدين وغيرهم . كما أذيعت طائفة من القصائد لشعراء العالم العربى .

* * *

تطور الشعر فى المرحلة الثالثة

من ١٩٢٦ - ١٩٤٧

نهض الشعر فى هذه المرحلة فلم يتحرر من القيود التى كبلته فى المرحلتين السابقتين ، ولم ينعتق من إسار الزخارف اللفظية أو المحسنات البديعية فحسب ، وإنما انتقل من الصورة القبيحة التى كان يجرى عليها فى العصر العثمانى إلى صورة زاهية مشرقة .

لم يعد مجرد محاكاة ، أو تقليداً لقصائد الشعراء السابقين ، أو تشطيراً أو تخميساً وإنما كان شعراً صادراً عن عواطف قائليه ، مصوراً لخلجات قلوبهم ، وهمسات أرواحهم ، تجلت فيه العواطف الصادقة للشعراء الذين عبروا عن وجدانهم ووجدان أمتهم ، لأن الشاعر أحس أنه جزء من أمته ، من عواطفها تنبثق عواطفه ، وتتفاعل أحاسيسها وأحاسيسه وكان شعراء فلسطين الألسنة الصادقة المعبرة عما يضطرم فى صدور أبنائها .

تطور الشعر الفلسطينى فى الربع الثانى من القرن العشرين وارتقى فى مدارج القوة والجودة ، فى الأغراض والأفكار والأساليب .

أما الأغراض والموضوعات فقد استمدها الشعراء من واقع بلادهم . مما كابد أهلها من ظلم الانتداب ، وبطشه وجوره وعسفه ، ومن ختل الصهيونية ومكرها ودهائها ، ومن البطولات التى سطرها أبناء فلسطين فى كفاحهم الدامى ، واستهانتهم بكل وسائل العنف والضغط والإرهاب

ومن هذه الموضوعات : وعد بلفور ، والانتداب وبطشه وأساليب عنفه ، والهجرة اليهودية ، ومقاومة الاستعمار ، ومناضلة الاحتلال باللسان والقلم والثورات والكفاح المسلح ونشر الوعى القومى ، بإيقاظ الأمة العربية جمعاء وفتح أبصارها على ما يحاك ضدها من مؤامرات والتأكيد على حاجة الحق إلى القوة ، وتمجيد البذل والفداء ، وتخليد الشهداء ، والدعوة القوية إلى الوحدة العربية الشاملة باعتبارها السبيل الوحيدة التى تتبلور فيها قوة الأمة العربية .

ولم يقفوا عند الموضوعات الوطنية والسياسية – وإن كانت هى أكثر الموضوعات الشعرية – وإنما استجابوا أيضاً لنوازع نفوسهم ، وصبوات قلوبهم فتغزلوا ، ورتلوا أناشيد الهوى ، وترنموا بألحان الغرام ، ووصفوا ما قاسوا من الصد والهجر ، وما نعموا به من الوصل وحلاوة اللقاء .

ووصفوا ما وقعت عليه أعينهم من مفاتن الطبيعة فى فلسطين ، من جبال وأودية وأنهار وبحيرات ، وكروم وبساتين وعيون ماء ، وسهول ممرعة ، ورثوا الأحباء والأعزاء ، من أزواج وأبناء وإخوة وأصدقاء ، وأعلام وزعماء .

وأما الأفكار فكانت جيدة منها المألوف الذى تناوله الشعراء فى عصور ماضية ، والطريف الجديد الذى لم يسبق تناوله ، والذى استلهمه الشعراء مما ابتليت به فلسطين فى عهد الانتداب مثل وعد بلفور ، والهجرة اليهودية والمحافظة على الأرض .

وأما الأساليب فقد سارت على نهج القصيدة العربية القديمة ذات الوزن الواحد ، والقافية الواحدة .

وقد تميزت هذه الأساليب بقوة البناء ومتانة النسج ، ورصانة الجمل وحرص الشعراء على أن يجودوا فى قصائدهم ، ويرتفعوا فى أدائهم إلى درجات عالية من الإشراق فى العبارة ، والجمال فى الأسلوب ، والصفاء فى التعبير ولا أستطيع أن أزعم أن هؤلاء الشعراء لم يقلدوا غيرهم من السابقين ، أو أنهم ابتكروا وجددوا . لأنهم أخذوا عن غيرهم . من ناحية ، وظهرت شخصياتهم فى قصائدهم من ناحية ثانية .

لقد نظموا قصائدهم على غرار القصيدة العربية ، وترسموا فيها نهج السابقين من حيث البناء الفنى للقصيدة القائم على وحدة الوزن والقافية . وإن كان كثير منهم قد نوع فى القافية فى القصيدة الواحدة . ونظم عدد منهم على طريقة الموشحات والمربعات .

ولا جدال فى أن هؤلاء الشعراء قد تأثروا بما قرءوه لفحول الشعراء السابقين ، وبخاصة فى العصر العباسى ، وأعجبوا بأبى الطيب ، وأبى العلاء ، إلى جانب اعجابهم بأبى تمام والبحترى . وظهر هذا التأثر واضحاً فيما اقتبسوه من أبيات كاملة لعدد من هؤلاء الشعراء ، وفيما أضفوا عليهم من عبارات الإطراء . كان شعر هؤلاء الشعراء بعامة استجابة لدواعى النفس ، وتصويراً لما يقع عليه الحس وتعبيراً عما يجيش فى الصدر ، صدر فيه كل شاعر عن ذاته ، وأعرب عما يضطرم بين جوانحه ، وكان ما يضطرم فى أغلب الأحيان موضوعات وطنية وقومية ، انفعل بها وتفاعل معها . وحيناً كان تصويراً ذاتيا مرتبطاً بوجدان الشاعر الخاص ، ومصوراً لعاطفته من حب وبغض ، وإعجاب واحتقار ، ووصف ورثاء .

لم يكن الشاعر بوقاً لحاكم ، ولا مسخراً لسلطان وإنما كان يعيش للشعب ومع الشعب يأسى لآلامه ، ويفرح لأفراحه . كان هدفه الدفاع عن وطنه وأمته ، وهذا الهدف يجعل شعره ذائعاً على كل

لسان ، مردداً فى كل محفل .

وقد تزود شعراء هذه المرحلة بأكبر قسط من الثقافة ، وأوفر حظ من المعرفة إذ درسوا فى الجامعات دراساتهم العالية ، وحذقوا بعض اللغات الأجنبية إلى جانب اللغة العربية ، واطلعوا على تيارات النقد ، ومذاهب الأدب فى الغرب وما استحدثه من فنون فى الشعر . وعرفوا الكلاسيكية والرومانسية والواقعية والرمزية وتأثروا – على تفاوت فى الدرجة – بهذه المذاهب كما طربوا للأنغام الشجية العذبة التى أطلقها فى سماء العروبة شوقى وحافظ ومطران والرصافى والجواهرى وأبو ريشة والأخطل الصغير وغيرهم ، وشهدوا كفاح مدرسة الديوان على أيدى شكرى والعقاد والمازنى ، ونظرتها الحديثة للشعر ، ومقاييسها النقدية لتحديد قيمته .

وشهدوا مولد جماعة أبولو على يد أبى شادى ، وما انتظمت من شعراء يمثلون الوطن العربى على امتداد حدوده واتساع رقعته .

وطربوا لأنغام شعراء المهجر : جبران ونعيمه وأبى ماضى فى نزعاتهم الإنسانية والفلسفية والتأملية .

وبعبارة موجزة توافر لهؤلاء الشعراء من مقومات الثقافة ، ووسائل المعرفة ، والاتصال بالتيارات الحديثة ما لم يتوافر للشعراء فى المرحلتين السابقتين .

ومن حقنا أن نصف شعراء هذه المرحلة بأنهم الشعراء الرواد فى الشعر الفلسطينى المعاصر الذين أطربوا الأمة العربية بصداحهم على دوحة العروبة فى وقت سيطر فيه الاستعمار الغربى على معظم أجزاء الوطن العربى ، وهب فيه كل قطر ليحطم الأغلال ، ويقضى على الاستعمار ويظفر بالحرية .

ولقد غنى الشعراء فى فلسطين أقوى أغانى الحرية وأججوا حماسة عرب فلسطين فى معركتهم ضد الانتداب والصهيونية ، وجمع نفر منهم بين سلاح الشعر ، وسلاح البندقية ، فخاض المعارك ضد قوات الحكومة البريطانية ، وسقط شهيداً فى حومة الشرف ، كالشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود .

وقد تحطمت قيثارة بعض هؤلاء الشعراء قبل وقوع الكارثة سنة ١٩٤٨ فلم تقذ أعينهم برؤية أشلاء قومهم تتطاير فى الدروب ، ولم تتفتت أكبادهم حزناً على ما أصاب وطنهم من مؤلمات ، لأنهم لبوا نداء ربهم قبل ذلك وشهد كثير منهم الكارثة التى شردته عن أرضه ، بعد أن اغتصبتها العصابات الصهيونية فأخذوا يذيبون عواطفهم شوقاً وحنيناً إلى عهود الطفولة ، ومراتع الصبا إلى فلسطين ومدنها وقراها وجبالها وسهولها وكل ذرة من ترابها ، وكل نسمة من هوائها .

الفصل الرابع

المرحلة الرابعة من ١٩٤٨ - ١٩٦٠

الكارثة أو المأساة أو النكبة

١ - الحياة السياسية

كانت هذه المرحلة مرحلة الكارثة التى وقعت فى فلسطين ، ولم تكن كارثة أبناء فلسطين فحسب بل كارثة العروبة والعرب والإسلام والمسلمين . وكارثة الإنسانية فى القرن العشرين .

ففى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ أقرت هيئة الأمم مشروع تقسيم فلسطين ، وثار عليه أبناء فلسطين ، وصمموا على محوه بدمائهم ، واشتبكوا فى معارك طاحنة مع اليهود حتى دخلت الجيوش العربية فلسطين فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، وانتهت حرب فلسطين بالكارثة التى لم يعرف لها التاريخ مثيلاً إذ اغتصبت العصابات الصهيونية فلسطين ، وشردت أبناءها عن أرضهم وديارهم ، وأقامت دولة إسرائيل . وحين أرغم أبناء فلسطين على مغادرة بلادهم واللجوء إلى مكان أمين ، لم يجدوا أمامهم المكان الأمين إلا فى القسم الباقى من فلسطين بأيدى العرب ، ويشمل أولاً قطاع غزة الذى أشرفت عليه الحكومة المصرية ، وثانياً الضفة الغربية لنهر الأردن التى أشرفت عليها الحكومة الأردنية ، وإلا فى الأقطار الشقيقة المجاورة .

وقد لجأ إلى قطاع غزة مائتان وعشرة آلاف لاجئ ، وللضفة الغربية لنهر الأردن والضفة الشرقية خمسمائة ألف لاجئ أو ما يقرب من نصف مليون لاجئ ، وإلى لبنان مائة وعشرة آلاف ، وإلى العراق مثلهم ، وسجل معظم هؤلاء اللاجئين لدى وكالة الإغاثة التى أنشأتها هيئة الأمم المتحدة بعد المأساة ، وظل من عرب فلسطين فى الأرض المحتلة تحت الحكم الصهيونى مائة وثمانون ألفاً .

وخلف اللاجئون وراءهم مدناً كاملة ، و ٧٠٠ قرية ، وتركوا بيوتهم زاخرة بالغذاء والكساء والأثاث والرياش ، ومتاجرهم مزدحمة بالسلع والمواد التجارية ، وحقولهم بسنابلها قبل الحصاد ، وكرومهم بعناقيدها ، وبساتين برتقالهم بأشجارها المثقلات بالثمار . خلفوا وراءهم ثروات بلغت قيمتها

ألفى مليون من الجنيهات الإسترلينية .

وقد تألفت فى غزة حكومة فلسطينية فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٨ سميت حكومة عموم فلسطين ، ودعى مجلس وطنى مكون من ١٥٠ عضواً يمثلون مناطق فلسطين ، وانعقد المجلس وأذاع فى أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ قراراً تاريخيا أعلن فيه استقلال فلسطين بحدودها التى عرفت أيام الانتداب استقلالاً تاما ، وإقامة دولة حرة ديمقراطية ذات سيادة وأبلغ رئيس الحكومة نبأ تأليفها إلى الحكومات العربية والأجنبية ، والأمين العام للجامعة العربية .

ولم تكد حكومة الأردن تعلم نبأ قيام هذه الحكومة حتى ثارت على قيامها ، وعقد مؤتمران أعلن بعد ثانيهما وحدة الأراضى الفلسطينية والأردنية ، وقرر المؤتمر مبايعة الملك عبد الله ملكاً على فلسطين ، وفى ٢٤ أبريل سنة ١٩٥٠ قرر الملك عبد الله ضم القسم العربى من فلسطين إلى الأردن ، وأعلن توحيد الضفتين الشرقية «الأردن» والغربية «الجزء الباقى من فلسطين بأيدى العرب ما عدا قطاع غزة وتمثيلها على قدم المساواة فى مجلس الأمة الأردنى . وفى ٢٧ أبريل سنة ١٩٥٠ أعلنت بريطانيا اعترافها بضم الضفة الغربية للأردن .

وقد كابد اللاجئون من أبناء فلسطين أهوالاً ينوء بها البشر ، فعاشوا فى أول الأمر عقب الكارثة مباشرة فى خيام مهلهلة لا تقى حراً ولاقراً ، وحين كان يسقط المطر ، وينحدر السيل يجرف معه هذه الخيام بما فيها ومن فيها ، وحين تزمجر الريح وتثور العواصف تمزق هذه الخيام ، ولكى تتماسك وتقاوم لجأت هيئة الأمم إلى طلائها بالقار ، وأصبحت الخيمة السوداء رمزاً للاجئ ، وحين تراخى الزمن بدلتهم بالخيام أكواخاً من الطين ، هى بالمغاور والكهوف أشبه منها بالمنازل ، تكدسوا فيها تكدساً مؤلماً ، وأخذت تقدم لهم بعض الغذاء الذى لا يكاد يقيم الصلب ، وقد صور الشعر الفلسطينى بعد المأساة خيام اللاجئين وبؤسهم وآلامهم المادية والمعنوية أروع التصوير .

وهكذا عاش أبناء فلسطين بعد المأساة ، فريق يلقى أشد ضروب العنت والإرهاق تحت الحكم الصهيونى ، وفريق يعيش فى مخيمات أقامتها هيئة الأمم فى قطاع غزة والأردن وسورية ولبنان .

وعلى الرغم مما كابدوا من أهوال ، وما حاق بهم من بؤس وشقاء وحرمان ، ثبتوا وواصلوا كفاحهم ، وصمموا على الكفاح حتى يعيدوا فلسطين بدمائهم وأرواحهم يقدمونها رخيصة من أجل هذه الغاية ، ووقفت الحكومات العربية الشقيقة من اللاجئين موقفاً كريماً فقدرت ظروفهم ، وحاولت بكل ما تملك أن تخفف عنهم أعباء العيش ، وأهوال الحياة .

٢ - الحياة الاقتصادية

لا نستطيع أن نفصل القول عن الحياة الاقتصادية للاجئين الذين نزحوا عن فلسطين ، ولجأوا إما إلى قطاع غزة ، وإما إلى الأردن ، وإما إلى الأقطار العربية المجاورة ، ولا أن نحدد الموارد المادية لهم . ذلك لأن الحكومات العربية قدرت مشكلة اللاجئين حق قدرها ، وأولتهم عظيم اهتمامها ، فآوت الذين نزحوا إليها خير إيواء ، وهيأت لهم المساكن والأغذية ، وأشعرتهم بأنهم ليسوا غرباء بل أبناء وطن ، وبقرار من مجلس الجامعة تكون مجلس عال لإغاثة اللاجئين فى الأقطار التى نزحوا إليها .

وبذلت محاولات لتصفية مشكلة اللاجئين تمهيداً لتصفية قضية فلسطين عن طريق توطينهم إما فى الأقطار التى نزحوا إليها ، وإما فى أماكن أخرى ، ولكن اللاجئين رفضوا رفضاً قاطعاً التوطين والإسكان ، وتمسكوا بحق عودتهم إلى ديارهم ، والإصرار على هذه العودة وعندما استبان للهيئة الدولية تعذر حل مشكلة اللاجئين حلا بعيداً عن الحل السياسى لمشكلة فلسطين ، واتضح لها استحالة قبول اللاجئين بديلاً عن عودتهم ، قررت هيئة الأمم فى الثامن من ديسمبر ١٩٤٩ تأليف وكالة لإغاثة اللاجئين ، وتخصيص أربع وخمسين مليوناً من الدولارات للإغاثة والعمل حتى منتصف سنة ١٩٥١ ، وقررت الجامعة العربية التعاون مع الوكالة دون أن يكون لذلك تأثير على مصير اللاجئين وحقهم فى العودة .

ولا تزال وكالة الإغاثة منذ إنشائها حتى سنة ١٩٦٠ تؤدى أعمالها ، وتقرر هيئة الأمم فى كل عام أولاً تجديد مدتها ، وثانياً إمدادها بما تحتاج إليه من أموال تسهم فيها الدول الأعضاء فى المنظمة الدولية .

وقد أخذت الوكالة تقدم خدماتها للاجئين فى قطاع غزة ، والأردن ، وسورية ، ولبنان ، من المأوى والغذاء ، والتعليم . أما المأوى فقد قدمت لهم فى أول الأمر ، وعقب المأساة مباشرة الخيام التى مزقتها الريح ، وجرفتها الأمطار فطلتها الهيئة بالقار لتتماسك وتقاوم ، وأصبحت الخيمة السوداء رمزاً للاجئ . أو قبراً له كما يقول هارون هاشم رشيد :

أخى والخيمة السوداء قد أمست لنا قبراً

وعندما تراخى الزمن بدلتهم وكالة الإغاثة بالخيام السود أكواخاً من الطين تكدسوا فيها . وهى إلى الجحور أقرب منها إلى المساكن . وقد رصت هذه الأكواخ إلى جانب بعضها البعض رصا عجيباً

لتستوعب أكبر عدد من اللاجئين . وأما الغذاء فكانت الوكالة تقدم للفرد كل أسبوعين مقداراً من الدقيق والزيت والسكر لا يكفيه إلا نصف المدة ، ويظل كثير من الأسر يعيشون على الطوى .

وكان اللاجئون يقفون صفوفاً متراصة أمام مخازن تموين الوكالة ، وتبرز كل أسرة بطاقتها المسجل بها عدد أفرادها حيث يتم توزيع المواد التموينية فى منظر مؤلم ذليل .

وفى كل معسكر من معسكرات اللاجئين يتوجه المئات من الرجال والنساء فى المواعيد المحددة لتسلم المواد الغذائية التى توزعها عليهم وكالة الإغاثة .

٣ – الحياة الثقافية

وعلى الرغم من فداحة الكارثة التى حلت بأبناء فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وما كابدوا بسببها من أهوال ، وما تجرعوا من غصص ، فقد دفعتهم بقوة إلى العلم فتزاحموا على ينابيعه المتاحة لهم بعدها تزاحماً شديداً فى المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية .

وقد أنشأت الوكالة مدارس ابتدائية فى المخيمات والمعسكرات والمراكز التى يكثر فيها اللاجئون ، كما أنشأت بعض الفصول الثانوية .

وتقوم مدارس الوكالة فى خيام «وبراكات» خشبية ، وغرف واسعة فى الثكنات مقسمة إلى فصول بحواجز خشبية وأبنية أقامتها الوكالة فى بعض المراكز .

أما فى منطقة غزة فقد سمحت الحكومة المصرية للوكالة باستعمال دور المدارس الرسمية فى أوقات فراغها من طلابها لتعليم أبناء اللاجئين .

وقد ذكر مدير الوكالة العام فى تقريره عن العام الدراسى ٥٣/١٩٥٤ أن عدد المدارس التابعة للوكالة فى جميع المناطق التى فيها لاجئون بلغ ٢٤٢ مدرسة : منها ٢١ لا تزال فى الخيام ، وأن ١٤٧,٨٦٣ طالباً وطالبة من أبناء اللاجئين تلقوا التعليم الابتدائى ، و ٧١٢٧ طالباً وطالبة تلقوا التعليم الثانوى فى مدارس تديرها أو تساعدها الوكالة بالإضافة إلى تسهيلات التعليم الجامعى ، والتدريب المهنى التى قدمتها الوكالة لعدد من الطلاب والطالبات [١] .

وكان حظ اللاجئين الذين لجئوا إلى قطاع غزة باسماً بالنسبة للتعليم إذ قدمت الإدارة المصرية التى تشرف عليه خدمات جليلة لأبناء القطاع فى ميدان التعليم ، فبلغ عدد المدارس التى افتتحتها ٣٢

---

(١) اللاجئون الفلسطينيون – مكتب الهيئة العربية العليا بالقاهرة ص ٥٦ – ٥٨ .

مدرسة ابتدائية وإعدادية وثانوية للبنين والبنات ، وأنشأت معهدين للمعلمين ، ومثلهما للمعلمات ، ومدرستين تجاريتين ، ومدرسة زراعية ، وبلغ عدد الطلاب والطالبات الذين يتعلمون فى المدارس التى تشرف عليها الإدارة المصرية ، والمدارس التى تشرف عليها وكالة الإغاثة ٧٢,٢٣٥ طالباً وطالبة بلغت نسبتهم المئوية للسكان ٢٢٪ وبلغ عدد الذين يدرسون فى الجامعات المصرية ١٢٠٠ طالب وطالبة .

وقد اندفع الطلاب والطالبات من أبناء اللاجئين فى منطقة غزة ، والأردن ، وسورية ولبنان إلى التعليم الجامعى ، وفتحت لهم الجامعات العربية أبوابها ، فى مصر وسورية ولبنان والعراق والأردن بعد قيام الجامعة الأردنية .

وقد تكاثر عدد أبناء فلسطين وبناتها الذين يدرسون فى الجامعات تكاثراً يدعو للإعجاب ، وتوزعوا بين الكليات العملية والنظرية ، ونبع منهم العشرات الذين تفوقوا فى الدراسة ، ونالوا درجة الليسانس أو البكالوريوس بتقدير ممتاز وجيد جداً .

تخرجوا فى كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ، وكلية اللغة العربية فى الأزهر ، وكليات الآداب فى جامعات القاهرة وعين شمس والإسكندرية ، وتخرجوا فى كليات الطب والهندسة والصيدلة والزراعة والتجارة . كما تخرج عدد منهم فى المعاهد الفنية والزراعية والصناعية والرياضية . وهكذا صار منهم آلاف الأطباء والمهندسين ، والصيادلة والزراعيين والتجاريين ، ومدرسى اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية ، والعلوم والرياضة والفلسفة وجميع المواد الدراسية .

ولم يقف الكثير منهم عند الحصول على الليسانس أو البكالوريوس ، بل شقوا طريقهم للدراسات العالية وحصلوا على درجات الماجستير والدكتوراه فى اللغة العربية ، والدراسات الأدبية ، من كليات دار العلوم والآداب ، واللغة العربية فى الأزهر فى فروع المعرفة المختلفة من أدب وتاريخ ونقد وجغرافيا وتربية وعلم نفس وفلسفة إلى جانب فروع الطب والهندسة المختلفة .

وفى الجامعات العربية اليوم عشرات من أبناء فلسطين من حملة الدكتوراه يتولون التدريس فى الكليات المختلفة النظرية والعملية ويسهمون بجهودهم فى دعم صروح المعرفة بفروعها المختلفة ، وفى الجامعة الأمريكية فى بيروت ، والجامعة الأردنية وجامعات المملكة السعودية ، والكويت وليبيا والعراق والجزائر والسودان والمغرب عشرات من الأساتذة ، والأساتذة المساعدين والمدرسين والمعيدين من الرجال والنساء ماعدا الذين يتولون التدريس فى الجامعات الأمريكية فى الولايات المتحدة والجامعات الإنجليزية والفرنسية فى بريطانيا وفرنسا وماعدا حملة الدكتوراه الذين رغبوا عن العمل فى الجامعات ، وآثروا التفرغ للبحث والدراسة والتأليف .

٤ – تطور الشعر فى المرحلة الرابعة

من ١٩٤٨ – ١٩٦٠

إذا كان الشعر قد تطور فى المرحلة السابقة ، وصدر عن عواطف الشعراء ، وصور خلجات قلوبهم ، وهمسات أرواحهم ، وارتقى فى مدارج الكمال والجودة فى الأغراض والأفكار والأساليب فإنه فى هذه المرحلة قد تطور إلى أفضل مما كان عليه فى المرحلة السابقة ، وازداد رقياً وازدهاراً ، وافتن الشعراء فى تجويده وإبداعه . ذلك لأن دواعيه قد شحذت من همم الشعراء ، ولأن أسباب القول التى تهيج الشعراء قد تعددت وتنوعت ، ولأن الشعراء أنفسهم احترقوا بالنار التى احترق بها أبناء فلسطين ، كان الشعر فى هذه المرحلة شعر المأساة أو النكبة أو الكارثة مأساة العروبة والعرب والإسلام والمسلمين ، أو بتعبير أدق مأساة القرن العشرين التى لم يقف خطرها عند أبناء فلسطين ، وإنما امتد إلى العرب والمسلمين فى مختلف الديار والأقطار .

وكانت المأساة نفسها ينبوعاً ثرا من ينابيع الشعر العربى فى العصر الحديث ، فجرت الشعر بفنونه المختلفة من قصيدة وملحمة ومسرحية فى قلوب أبنائها ، كما فجرته فى قلوب شعراء العروبة والإسلام .

وكانت المأساة معيناً لا ينضب ، يمد الأدباء والشعراء بأروع ما أبدعوا ، وأعذب ما غنوا ، ولا تزال المأساة وما خلفته من فواجع ، مصدراً للوحى ، ونبعاً للإلهام فى الشعر المعاصر وفى النثر أيضاً بفنونه من خطبة ومقالة وقصة ومسرحية .

ولا تزال آثارها المادية والمعنوية منذ حدوثها فى سنة ١٩٤٨ إلى نهاية سنة ١٩٦٠ التى وقفنا عندها واقعاً حياً تراه الأعين ، وتدمى له الأفئدة .

وكما شردت المأساة مئات الألوف من أبناء فلسطين وبناتها عن ديارهم وأوطانهم ، وجعلتهم لاجئين يهيمون على وجوههم فى الأرض بحثاً عن الغذاء والكساء والمأوى . شردت العديد من شعراء فلسطين وشواعرها عن مدنهم وبلادهم وعن مراتع صباهم ومهود طفولتهم ، وعهودها الباسمة فتجرعوا غصص الغربة واللجوء ، واحتسوا كؤوس الحسرة والعذاب وأحسوا بمرارة الضياع والبؤس والحرمان .

ولا نريد أن نسرد الأسماء ، ونقدم الأمثلة لقد كان أثر المأساة عميقاً ، وكانت جراحها نغارة نزافة لا تكف عن الدماء النازفة ، ولا تجد من يضمدها . كانت المأساة فادحة تدق عن الوصف ،

وتجل عن التحليل . وكان من تأثيرها فى قلوب أبنائها أنها جعلت منهم شعراء ، وأنطقتهم بالقصيد . لقد خلقت المأساة من أبناء فلسطين وبناتها شعراء وشواعر ألهمتهم فاجعاتها الشعر ، وأوحت إليهم بالقصيد ، ولولاها ما غنوا ولا أطربوا ، ولا عرفت الدنيا عنهم وعن شعرهم شيئاً لأنهم لم يعرفوا فى عداد الشعراء قبل وقوعها .

وفجرت ينابيع الأدب فى نفوس نفر من الأدباء والكتاب فصوروا فى كلماتهم ونفثات أقلامهم ما تجرعوا من العذاب كما صوروا فواجع المأساة .

* * *

قلنا فى مسهل الفصل الرابع إن شعر المأساة الذى تفجرت به قلوب الشعراء من أبنائها وبناتها كان أجود شعر ، وأقوى قصيد تغنى به شعراء فلسطين بما توافر له من أسباب القوة ، وعوامل الجودة فى الموضوعات التى طرقها وفى الأفكار التى تناولها ، وفى الأساليب وطرائق التعبير التى عبر بها .

فأما الموضوعات فتكاد تكون جديدة بمعنى أن المأساة أوجدتها ولم تكن موجودة من قبل ومنها :-

١ – قرار التقسيم الذى أقرته هيئة الأمم فى ٢٩ نوفبر ١٩٤٧ .

٢ – هيئة الأمم ، وما انبثق عنها من مجالس ووسطاء ومراقبين .

٣ – مجزرة دير ياسين الوحشية فى التاسع من أبريل سنة ١٩٤٨ .

٤ – مولد الأمة العربية من جديد فى ١٥ مايو ١٩٤٨ .

٥ – قيام دولة العصابات اليهودية .

٦ – حرب فلسطين – نشوب القتال ، ففرض الهدنة الأولى – فاستئناف القتال ، ففرض الهدنة الثانية وتوقف الحرب .

٧ – الكارثة أو المأساة أو النكبة .

٨ – أسباب المأساة .

٩ – نقمة الشعب العربى على حكامه وثورته عليهم .

١٠– اللاجئون وآلامهم المادية والمعنوية .

١١– الدعوة للثأر من الغاصبين المعتدين .

١٢– الأمل فى المستقبل ، وترقب العودة للوطن المغتصب إلى جانب معالجة حاجة الحق للقوة ، وتمجيد البذل والفداء ، وتخليد الشهداء ، والدعوة للوحدة العربية والثورة على فساد الأوضاع والنظم

ومكانة فلسطين الدينية والتاريخية .

أما الأفكار فكانت جيدة ، وكانت مستمدة من التاريخ والواقع والتجربة المريرة . فقد استعاد الشعراء ذكريات الأمجاد والبطولات العربية عبر عصور التاريخ الماضية فى ذى قار ، والقادسية واليرموك وحطين وعين جالوت .

ورددوا الحقائق التاريخية المعروفة عن اليهود ، من عبادة للمال ، وغدر وخيانة ولؤم ، وتنكر للمبادئ والقيم .

وصور الشعر فداحة المأساة ، وأنها خسارة للعرب والمسلمين بل كارثة الكوارث ونكبة النكبات ، وأن ضياعها ذل الدهر وعار الأبد ، وفقدها فقدان لأمجادنا التاريخية .

وقد وعى الشعر أسباب المأساة والتى كان من أكبرها تنازع العرب ، واختلاف كلمتهم ، وتصدع رأيهم ، وقرر الشعر أن اللاجئين ضحايا الظلم والغدر ، ورسم طريق استعادة فلسطين ، وقرر أن هذا الطريق هو طريق القوة المادية والروحية ، وتتمثل الأولى فى قوة الجيوش ، وحسن تدريبها ، وصناعة الأسلحة ، وفى تغيير الأنظمة الفاسدة ، وفى وحدة الدول العربية عسكرياً وسياسيًّا وفكريًّا واقتصاديًّا ، وهتف الشعر بصرخات متتالية عن حاجة الحق للقوة باعتبارها لغة العصر ، التى لا يفهم الظالمون سواها لردعهم عن الظلم .

وكانت عواطف الشعراء والشواعر من أبناء المأساة وبناتها أصدق العواطف ، وأعظمها توقداً ، لقد أوقدت المأساة عواطف الشعراء ، وأضرمت أحاسيسهم ، وألهبت مشاعرهم ، ولا يعرف الشعر الحديث مأساة عربية قومية عامة ، تضرمت فيها العواطف ، والتهبت المشاعر كما تضرمت والتهبت فى مأساة فلسطين ، تضرمت عواطف أبناء المأساة أشد التضرم ، واحترق الشعراء وذابت أفئدتهم لوعة وحسرة وأسى ، فكان الشعر دماء تتحدر من القلوب ، ودموعاً تتقاطر من الأعين ، وكان نيراناً تحرق ، وجمرات تقتل ، وقنابل تدمر فى الثورة والغضب على خيانة بعض الحكام والرؤساء ، وكان غضباً وسخطاً على قرار التقسيم وعلى الهيئة التى أقرته ، ونعى الشعر للدنيا مصرع الحق والعدل فى رحاب الهيئة ، وحض الدول العربية على الانسحاب منها ، وبكى الشعر فلسطين ومقدساتها وأمجادها ، وحزن على تشرد اللاجئين وجوعهم وعريهم وضياعهم ، وقد تطلبت هذه العواطف أنماطاً من الصور ، وألواناً من الخيال ، وكانت صور الخيال بعامة مستمدة من واقع المأساة ، وهول أحداثها ، وقد شملت الصور الجزئية من تشبيه واستعارة وكناية ، والصور الكلية التى رسم الشعراء إطارها فى جملة أبيات ، ولونوها بمشاعرهم وأحاسيسهم . أما الأساليب فكانت من الطراز العالى ،

والنمط السامى حرص فيها الشعراء على رصانة العبارات وإحكام النسج ، ومتانة البناء ، وجودة الأداء ولا نستطيع القول بأنهم تأنقوا فى الألفاظ على حساب المعانى ، أو أنهم آثروا الاهتمام بالشكل على المضمون . ولكننا نقرر أنهم وجهوا عنايتهم الفنية للمبنى والمعنى أو الشكل والمضمون . وقد صبوا قصائدهم فى قوالب متعددة فأكثرهم سار على نظام القصيدة العربية القديمة ذات الوزن الواحد ، والقافية الواحدة ، وفريق ثان حافظ على الوزن الشعرى فى القصيدة مع التنوع فى القوافى ، واستخدم هذان الفريقان بحور الخليل بن أحمد الطويل والبسيط والكامل والوافر والخفيف والرمل والرجز وغيرها كاملة ومجزوءة ومشطورة .

وفريق ثالث نظم على طريقة الشعر الحر الذى يسير على نظام التفعيلة دون التقيد بانتظام التفعيلات فى البيت الواحد ، وكان عدد الشعراء الذين نظموا على هذه الطريقة قليلاً .

واختلفت الأساليب فكان منها **الاتباعى** « الكلاسيكى » أو المحافظ الذى سار فيه الشعراء على نهج الأقدمين صياغة ووزناً وخيالاً ، **والإبداعى** « الرومانتيكى » المجدد الذى ظهرت فيه ذاتية الشاعر ، وفرديته ، وحريته فى التعبير عما يجيش فى صدره ، وعاطفته المحتدمة ، وخياله الطليق ، **والرمزى** الذى جنح تارة إلى رمزية الأسلوب وأخرى إلى رمزية التعبير ، وثالثة إليهما معاً وتغلفت الرمزية فى بعض القصائد بالغموض والإبهام .

والواقعى الذى حاول تصوير الواقع بكل ما فيه من شرور وآلام ، وبكل ما فيه من قبح وغلبت عليه النزعة التشاؤمية .

ولا نستطيع أن نزعم أن أداء الشعراء كان من درجة واحدة لقد تفاوتت القصائد جزالة وسلاسة وفخامة ورقة ، تفاوتت أنماط التعبير ، وطرق الأداء اللغوى تبعاً لتفاوت الشعراء أنفسهم فى مواهبهم ، وتعدد منابع تفانيهم ومدى تأثرهم وتأثيرهم بواقع أمتهم وبلادهم ، ودرجة احتراقهم بالمأساة وإحساسهم بجمرها ، وتبعاً لاختلاف نزعاتهم واتجاهاتهم ومذاهبهم الفنية فى التعبير عن أنفسهم ، والتصوير الفنى لما يضطرم بين جوانحهم وقد اهتموا بالبناء الفنى للقصيدة ، وقوة الترابط بين أبياتها ، ولم يقفوا عند وحدة الموضوع ، وإنما تجاوزوا ذلك إلى تحقيق الوحدة العضوية فى طائفة من قصائدهم .

ونظراً لأن الشعور بالغربة والضياع قد سيطر على اللاجئين عقب وقوع المأساة ، وصدمتها العنيفة ، ونظراً لأن العودة كانت المصباح الذى يضىء قلب كل لاجئ ، والأمل الذى يداعب خياله . اشتقت أسماء الدواوين الشعرية فى تلك الفترة (من ١٩٤٨ – ١٩٥٨) من تلك المعانى فسمى

هارون هاشم رشيد ديوانه الأول «مع الغرباء» سنة ١٩٥٣ ، والثانى «عودة الغرباء» سنة ١٩٥٦ وسمى رجا سمرين ديوانه الأول «الضائعون» وعلى هاشم رشيد ديوانه الأول «أغانى العودة» ، وسلمى الخضراء الجيوسى ديوانها الأول «العودة من النبع المسالم» ويوسف الخطيب ديوانه الأول عائدون .

ولقد كان الشعراء على درجات عالية من الثقافة والمعرفة تلقى معظمهم دراساته فى الجامعات العربية ، وأجاد الكثير منهم الإنجليزية والفرنسية إلى جانب حذقه العربية ، وقرءوا دواوين الشعر العربى فى عصوره الزاهية ، ودواوين الشعراء المعاصرين فى الوطن العربى ، والمهاجر الأمريكية ، واطلعوا على الثقافة الغربية وألوانها وتعمقوا دراسة المذاهب الأدبية ، والنقد الأدبى وفنونه واتجاهاته ، كانوا مزودين بكل الثقافات ، مطلعين على ما أصدرته المكتبة العربية من آثار فى الأدب والنقد والدراسات الأدبية . ودعوات التجديد التى نادى بها خليل مطران ، ومدرسة الديوان ، وشعراء المهجر .

وجدير بنا أن نقف وقفة قصيرة لنقسم الشعراء الذين ظهروا فى المرحلتين الثالثة والرابعة من سنة ١٩٢٦ إلى ١٩٦٠ ثلاث طوائف .

الطائفة الأولى : التى شهدت فلسطين وهى تكافح الانتداب والصهيونية ورحلت عن دنيانا قبل أن تقذى عيونها برؤية أشلاء قومها تتناثر فى الدروب ، ووطنها وقد اغتصبته حثالات العالم ، وشعراؤها هم إبراهيم الدباغ وإبراهيم طوقان ، ومطلق عبد الخالق ، وعبد الرحيم محمود .

الطائفة الثانية : التى نطلق عليها – إن جاز الإطلاق – الطائفة المخضرمة التى شهدت فلسطين وهى تكافح الانتداب والصهيونية فى عهد الانتداب البريطانى ، وشهدتها بعد أن اغتصبت وتشرد أهلوها وقال شعراؤها شعراً فى المرحلتين قبل المأساة ، وبعدها ، وشعراؤها هم : إسكندر الخورى ، ومحيى الدين الحاج عيسى ومحمد العدنانى ، ومصباح العابودى ، وأبو سلمى ، وبرهان الدين العبوشى ، وحسن البحيرى ، وكمال ناصر ، وعلى هاشم رشيد .

الطائفة الثالثة : الشعراء الذين أوجدتهم المأساة ، وأنتجتهم النكبة ونطلق عليهم شعراء المأساة لأنهم أبناؤها ، ولأن فواجعها هى التى ألهمتهم الشعر ، وأوحت إليهم القصيد ، وجعلت منهم شعراء طار ذكرهم فى العالم العربى ونذكر منهم يوسف الخطيب ، وهارون هاشم رشيد ، ورجا سمرين ، ومحمود الحوت ، ومعين بسيسو ، وخليل زقطان ، وخالد نصرة . ومن الشواعر فدوى طوقان ، وسلمى الخضراء الجيوسى ، ودعد الكيالى وسميرة أبو غزالة وأسمى طوبى .

* * *

أعلام الشعر – الطائفة الأولى

١ – إبراهيم الدباغ

١٨٨٠ - ١٩٤٦

١ – حياته :

ولد إبراهيم بن مصطفى بن عبد القادر الدباغ فى مدينة يافا بفلسطين سنة ١٨٨٠ م ، وفى كتاتيبها التى كانت تعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب والقرآن الكريم تلقى دروسه .

وفى الرابعة من عمره نكب بفقد والديه فكفله جده لأبيه عبد القادر أحمد الدباغ ، وجده لأمه الشيخ محمد سعيد الشرقاوى ، وكلاهما من أهل العلم والفضل ، وعنهما تلقى الدباغ النحو والتفسير والفقه فى يافا ، وعليهما قرأ بعض كتب القصص الشعبى ، وقد تطلعت نفسه إلى تلقى العلم فى الأزهر الشريف ، ولكن منعه من تحقيق ذلك أنه طفل يتيم تحت الوصاية . وفى سنة ١٨٩٣ أتيح له أن يحقق ما تمنى من دراسة فى الأزهر بسبب اختيار السيد عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية السفر إلى يافا بعد نفيه من مصر سنة ١٨٩٢ ، وإقامته بها سنة ، لقيه فى خلالها الدباغ ، وأصغى إلى أحاديثه وشهد مجالسه ، وأعجب بعلمه وأدبه ، وكان ذلك أكبر مشجع له على الرحيل للقاهرة التى وصلها فى خريف سنة ١٨٩٣ ، وانتسب للأزهر ، وسلخ فيه من عمره عشر سنوات ، وكان من شيوخه الشيخ محمد عبده ، والسيد عبد القادر القصاب ، والشيخ سليم البشرى ، وسيد على المرصفى ، والشيخ حسن الطويل ، وغيرهم من أعلام الأزهر الشامخة ، وقد درس علوم الدين من فقه وأصول وتفسير وحديث وعلوم اللغة العربية وآدابها من نحو وصرف وبلاغة وعروض وتاريخ أدب ، وانكب على دراسة الأدب العربى ، وأسعفته ذاكرته القوية على حفظ روائعه ، وكان من زملائه فى الدراسة الشعراء ولى الدين يكن ، وأحمد محرم ، وأحمد نسيم ، وأبو الوفا محمود رمزى نظيم ، ومن الكتاب الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى .

وبعد تخرجه فى الأزهر عمل فى ميدان الصحافة ، وأخذ ينشر شعره ونثره فى صحف الأهرام والمؤيد واللواء ، ومجلة سركيس ، وأسهم فى تحرير عدد من الصحف والمجلات .

وفى سنة ١٩٠٤ أنشأ جريدة الإنسانية .

وقد آثر الدباغ الإقامة فى مصر بعد تخرجه فى الأزهر واتخذها موطناً ثانياً له .

وفى سنة ١٩٢٦ انطفأ نور بصره ، ولكنه لم يتوقف عن أداء رسالته الوطنية وظل يواصل نشر قصائده ومقالاته فى الصحف والمجلات وأطلق عليه عشاق أدبه رهين المحبسين بل رهين الأحباس وأديب القاهرة ، وفولتير مصر .

وفى ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٦ تحطمت قيثارة الدباغ وكفت عن العزف بعد أن أطربت الدنيا زهاء نصف قرن .

٢ – شعره :

الدباغ أديب فذ ، وشاعر مطبوع متسع الطاقة ، طويل النفس ، حاضر البديهة ، ذكى القلب ، ترك ثروة ضخمة أولاً من نثره الذى تمثل فى رسائله التى أرسلها إلى ابن أخيه الأديب الشاعر مصطفى درويش الدباغ وقد نشرها بعد وفاة عمه فى ثلاثة كتب [١] متضمنة نظراته فى الحياة والناس ، ونقده للشعراء والكتاب الذين عاصروه ، وخواطره الاجتماعية والفلسفية ، وثانياً فى شعره الذى نشر قسماً منه فى حياته فى ديوان الطليعة المؤلف من جزءين [٢] ، ونشر ابن أخيه قسماً آخر منه فى كتبه الثلاثة التى ألمحنا إليها . وقد تناول الدباغ فى شعره الجوانب الذاتية من مدح لشيوخه ، ورثاء لأحبائه الذين فقدهم ، وتصوير لما يجيش فى صدره من آلام وآمال ، كما تناول الموضوعات الوطنية والسياسية والاجتماعية والإنسانية ، ولم ينسه فقد بصره محنة بلاده فلسطين التى ألهمته العديد من القصائد ، كما أسهم بشعره فى أحداث مصر وهكذا توزعت عواطفه بين فلسطين موطنه الأول ومصر موطنه الثانى الذى اختاره للإقامة فيه بقية عمره وتوثقت روابط المودة والإخاء بينه وبين أعلام مصر من رجال السياسة والأحزاب والشعراء والكتاب ، وأصحاب الصحف ومحرريها ، فأطرى الشعراء والكتاب شعره ، ونوهوا بأدبه ، وأشادوا بفنه وفى طليعة من أشاد بأدب الدباغ صديقه الشاعر خليل مطران الذى قدم للجزء الثانى من الطليعة ومما قاله : «وهل يوجد فى الأقطار العربية من لم يردد اسم الشيخ

---

(١) هى حسب تسلسل تاريخ نشرها :

(ا) حديث الصومعة .

(ب) فى ظلال الحرية .

(جـ) شهد وعلقم .

(٢) الجزء الأول من الطليعة ضم بعض قصائده حتى سنة ١٩٢٥ والجزء الثانى ضم بعض قصائده من سنة ١٩٢٦ إلى ١٩٣٨ م .

إبراهيم الدباغ ، ولم يرو له بيتاً من الشعر رائعاً ، أو طرفة من النثر شائقة ، أو لطيفة من اللطائف الأدبية تهتز لها النفوس طرباً »[١] .

وقال عنه الأستاذ محمود تيمور : كان الدباغ ذلق اللسان ، عذب الكلام ، فكه الروح ، وكان آية عصره فى قوة الذاكرة ، وحضور البديهة ، وسعة الاطلاع »[٢] .

وقال الشاعر عادل الغضبان « وشعر الدباغ هو شعر القوة والعنفوان لما اجتمع لصاحبه فيه من أدوات البيان شأنه فيه شأن كبار الشعراء فى هذا العصر ممن تمرس على نهج الأقدمين ، وسلك فيه سبيله الواضحة المعبدة ، وكان لما نهله من ينابيع الفصاحة العربية أثر برز فيه شعره قويا كالصخر ينبجس بالعذب الزلال ، وجلاه شعراً عربيا تمتزج فيه الجدة بالرصانة ، ويتألف فيه النسج القديم والمعنى الحديث على خير نحو يأتلق فيه الوحى والبيان » .

« ولما كان الدباغ فلسطينى المنبت ، مصرى المنشأ ، فقد طبعت نفسه على آلام هذين البلدين وآمالها فكان شعره فيهما بلبل أفراحها ، وعندليب أشجانهما ، يرقى بغنائه إلى السماء إذا أصابا من الزمن خيراً وجميلاً ، ويهز بغضبته الغاب والآجام إذا مسها ظلم الطبيعة ، وغدر الإنسان »[٣] .

ويرى صديقنا الدكتور ناصر الدين الأسد أن للصداقة أثراً فيما أضفاه هؤلاء الأعلام على الدباغ وشعره فيقول « قصدنا إلى الإكثار من القول قصداً لندل على مدى تأثر الأصدقاء المعاصرين بالجو العام الذى يربطهم بالذى يترجمون له فتكون للصداقة أو للعطف أو الإعجاب بالخلق والسلوك ، أو الاتفاق فى الرأى والمذهب أو غير ذلك من العوامل الخارجة عن التقدير الفنى الصرف – يكون لكل ذلك أثر فى توجيه حديثهم وجهة قد يتأثر بها الدارسون من بعدهم . والحق أن الدباغ لم يكن أدنى منزلة فى الشعر من كثير من كبار الشعراء فى زمنه فى مصر وغيرها بل ربما كان أعلى من بعضهم منزلة فيه ، ولكن كثيراً من كبار الشعراء أولئك قد أحاطت بهم هالات نسجها أصدقاؤهم ومعاصروهم لبعض العوامل التى أشرنا إليها غير أن للناقدين الدارسين من بعدهم رأياً فى هؤلاء الشعراء يحفظ لهم بعض منزلتهم ولكنه لا يجنح إلى الشطط والإسراف بعد أن ابتعد عن تلك العوامل »[٤] .

ونحن نتفق مع الدكتور الأسد فى أن كثيراً من الشعراء أحاطت بهم هالات نسجها أصدقاؤهم ومعاصروهم وليس لها أدنى صلة بالنقد الحقيقى المعتمد على الدراسة والتحليل .

---

(١) الطليعة – جـ ٢ – المقدمة – ص ٤ .

(٢) حديث الصومعة – المقدمة .

(٣) فى ظلال الحرية ص ١٠ .

(٤) الشعر الحديث فى فلسطين والأردن ص ٦٣ .

وقد تناولنا شعر الدباغ بالدراسة والنقد فى كتابنا «الاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطينى المعاصر»[١] ولا نريد أن نكرر ما قلناه ، ولا أن نضع شعر الدباغ تحت أشعة النقد البعيد عن روح المجاملة والخصومة لأن ذلك ليس من أهدافنا فى هذا الكتاب .

* * *

مختارات من شعره

فلسطين الدامية

يافتية الأكْرمين العُرْبِ هل لكمُ — فى نجدةٍ من بقايا نَخْوة العرَبِ
إخوانكمْ فى جنُوبِ الشّام قد وَثَبوا — لمَّا دعا داعى الويلاتِ والحرَب
أَلْهى الجزيرةَ عن أَهْلٍ وعن وطَنٍ — ما حلّ فيها من الويْلاتِ والكُرَبِ
يجُول فيها العِدا فى جحْفلٍ لجِبٍ — ولا يصدُّ بغيرِ الجَحْفل اللَّجبِ
ألاَ تُعيدُ لها الدُّنيا التى ذهبتْ — ماضَيَّعت من عتادِ الدِّين والحسَب ؟

* * *

أين الفتى العربىُّ المسْتعانُ به — يوم الكَريهةِ هل ضاع الفتى العَربى ؟
متى أرى القومَ حوْل الصّخرة اجتمعُوا — بعد التفرُّق من ناءٍ ومُقْتَربِ
إنى أَرَى حولَها برقاً وجلْجلةً — وقد خلا رَعدُها من هاطِلِ السُّحُبِ
ما وعدُ بلفور من أمرِ السماء ولا — فى الجَدْب من أرْضنا زرعٌ لِمحْتطِب
هل وعْد بلفور تشريعٌ إذا فرطتْ — أغْلوطة منه تدعو النّاس للعَجَبِ ؟

* * *

ما الانتدابُ أمرْماه وغايتُه — إذلالُ حرٍّ أبى باسم غيرِ أبى ؟
أم الانتدابُ يرامُ الاغتصابُ به — معْنى وأحرفُه فى ذِمَّة العَرب ؟
لما انتدبتمْ حسِبْنا خيرَ منتدَب — موفَّق وابتلينا شرَّ منتدبِ
ملأتم الأرضَ من عدل وأُغْنيةٍ — عنه فهلْ أخذتْها هِزة الطَّرب ؟
العدلُ شعرٌ خيالى حقيقته — فى ذمّة الظلم والتدْليس والكذب

(٢) من صفحة ٨٠ – ٨٤ ، ١٧٦ – ١٧٧ ، ١٩٠ – ١٩١ .

أصدقاء فلسطين

لستُ أبكى إلاَّ مصابَ فلسطين ... وما نالَها من التَّمزيقِ
أَعجزتهم مجموعةً فاسْتعانوا ... بِسلاح التَّقْسيم والتَّفريقِ
أَوِّبى يا جِبالَها برِجال ... كجبال ، ويا سَماها أفيقى
واصْعدى ثم حَلِّقى بِنُسور ... ذدْن غِرْبانها عن التَّحْليق
يا كتاباً تُطْوى به صحُف العِـــزَّة والمجْدِ والفَخارِ العريق
نقل الكاذبون عنكِ كثيراً ... من فُصول الهراء والتَّنميق
قلْ لهم إن فى فلسطين شَعباً ... عربيًّا من هاشمٍ فى عُروق
أَظهروا العدل بينهمْ واسْتعينوا ... بِرضاهم قبل اتِّساع الخُروق
سيمرُّ التاريخ عنك ويتلو ... واضحاً مشكِلاً بلا تَعليق

* * *

دم الشهيد

من رام تفسير الحياة لِقَوْمه ... فدَمُ الشَّهيد يُبين عن معناها
لولا الدّماء تُراق لم نرأمّة ... بلغتْ من المجدِ العريض مناها
تَسْمو الشُّعوب بكلّ حرٍّ ماجِد ... وجبتْ عليه حُقوقها فقَضاها
بَخل الزّمان فكنتُ من شُعرائها ... ياحبّذا لو كنتُ من قَتْلاها
فى دَولة للمسلمين تشوقهم ... أَيّامُها ، وتهزُّهم ذِكْراها
أُمم هوالِك مالمست جراحَها ... إلاَّ بكتْ ، وبكيتُ من جرّاها
إن الذى خلَق السِّهام لمثلها ... جمعَ المصائب كلَّها فرَماها

* * *

هوى النفس

ياسائلِى عن هَوى نفسى وبُغْيتها ... من الحياةِ وقد غُصَّت بِتكْدير
هوايَ تحريرُ أَهْل الأرضِ عن مَلأ ... من الهداةِ وأقْطاب الدَّساتير

فكلُّ نفْس لها من سعيها أَمَلٌ ولا تنالُ مُناها دون تَحْرير
هل تمنعُ النّفس من آمالها جِدةٌ لغَيرها وهى منه دون تَقْدير

* * *

تحية القرش

عفا من الدّرهم جَيبى فما أَسأل أَنّى ذَهب القِرشُ
ناجيتُه حيناً فلمْ يَستجبْ لِذى جِراح مالها أَرْشُ
والقرشُ لا يستُر عاباً لِمن ليس له سِتر ولا فَرش
لـكنَّه يَقْضى وأَحْكامُه كالسَّيف لا يُرْشَى ولا يَرْشو
مجتمعاً تُبنى به دَوْلةٌ مفترقاً يهْوِى به عَرْشُ
ولى نَشيدٌ فيه غنَّيته فهزَّنى مِن صوته «مرش»
من ضَنَّ بالقرش على قَومه أفضلُ منه ذلك القِرش

آثار الدباغ :

١ – الطليعة الجزء الأول – مطبعة مصر – دون ذكر لتاريخ الطبع .
٢ – الطليعة الجزء الثانى – مطبعة حجازى – القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م .
٣ – حديث الصومعة – مكتبة الطاهر إخوان – يافا فلسطين ١ أغسطس سنة ١٩٤٧ .
٤ – فى ظلال الحرية – مطبعة مخيمر – القاهرة سنة ١٩٥٤ .
٥ – شهد وعلقم – المطبعة العصرية – القدس – فلسطين سنة ١٩٦٠ .

٢ - إسكندر الخورى البيتجالى

١٨٨٠ - ١٩٧٣

١ - حياته :

ولد إسكندر الخورى فى بيت جالا الواقعة بجوار مدينة بيت لحم فى فلسطين ، ونشأ وترعرع فى بيئة دينية إذ كان والده مدرساً للغة العربية والعلوم الدينية بمدرسة دار المعلمات الروسية فى بيت جالا ، ونهل معارفه فى المرحلة الابتدائية فى مدرسة الروم الأرثوذكس فى بيت جالا ، وفى المدرسة الروسية بمدينة الناصرة .

ثم أرسله والده إلى المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك فى بيروت ، ليبرع فى اللغة العربية وآدابها ، على يد الشيخ عبد الله البستانى المشهور بعلمه وأدبه ونبوغه فى اللغة العربية فى تلك الحقبة .

وفى سنة ١٩٠٦ أنهى بها دراسته . وعلى أثر إعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ عاد الشاعر إلى فلسطين ، وانتخب عضواً فى الوفد الذى قررت الطائفة الأرثوذكسية إرساله إلى الآستانة للمطالبة بحقوق الطائفة .

وبعد عودته أخذ يبنى الأنفس وينشئ العقول إذ عمل معلماً للغة العربية فى مدارس المطران والفرير فى القدس .

وعندما ابتليت فلسطين بالانتداب البريطانى الذى أرسى دعائم الوطن القومى اليهودى التحق الشاعر بمعهد الحقوق الفلسطينى - الذى أنشأته حكومة الانتداب - ونال منه شهادة الحقوق ، وانتقل من ميدان التعليم إلى ميدان القضاء ، وتدرج فى المناصب القضائية حتى ارتقى إلى وظيفة « قاضى صلح » وأتاح له عمله فى القضاء أن يتنقل فى مدن فلسطين من مدينة إلى أخرى . يصغى لحجج المتخاصمين ، ويناقشهم ، ويحاول الوصول إلى الحقيقة ، ويصدر أحكامه ، ومما يروى عنه أنه كان يصدر أحكامه فى قضاياه نظماً .

وفى سنة ١٩٤٥ هجر حياة الوظيفة وأخذ يزاول المحاماة ، وبعد المأساة اضطر الشاعر للنزوح عن بيته ووطنه وفى أغسطس سنة ١٩٧٣ رحل عن الدنيا إلى العالم الآخر .

٢ – شعره :

شاعر مكثر ، يهوى الشعر ، ويعشق النظم ويحاول أن يعبر عما يضطرم فى جوانحه بالمنظوم ، وأن يصف ما تقع عليه حواسه بعد أن يلونه بمشاعره ، ويصبغه بإحساسه .

حاول أن يحلق فى الذرى ولكن جناحيه لم يسعفاه على التحليق فى الأعالى .

شهد فلسطين وهى تئن تحت وطأة الحكم العثمانى بما فيه من فساد وتخلف ، وعاش فيها وهى ترزح تحت الانتداب البريطانى الذى فتح أبوابها لحثالات العالم فعاثوا فيها الفساد وجلبوا الدمار ، وعاش حتى جرفته المأساة فيمن جرفتهم .

وفى كل تلك العهود عزف على قيثاره أنغام شعره ، وألحان قريضه وما كان شعره إلا شعر الموعظة والحكمة وشعر التهذيب والتعليم الذى يدعو للفضيلة والقيم ، ويحارب الرذيلة والانحراف .

واتخذ من الأسلوب القصصى إطاراً لقصائده فزادت من تأثيرها ، ويعد رائداً فى هذا المجال – مجال القصة الشعرية – كما يعد رائداً فى محاولة التجديد فى الشكل وبخاصة فى القافية .

وهو أول شاعر من أبناء فلسطين صدر له ديوان . إذ أصدر ديوانه الأول : الزفرات سنة ١٩١٩ وطبع فى بيت المقدس ، وفى سنة ١٩٢٣ أصدر ديوانه الثانى «دقات القلب» وصب مادة هذين الديوانين الشعرية مع بعض القصائد الجديدة فى ديوانه الثالث مشاهد الحياة الذى أصدره سنة ١٩٢٧ ، ثم أخذ يتابع إصدار الدواوين وينشر خواطره فى الصحف والمجلات حتى رحل عن الدنيا .

وقد تناول الخورى فى شعره الأغراض الوطنية والسياسية والاجتماعية ، ولكن الجانب الاجتماعى حظى منه بقسط وافر من العناية . ففى الديوان الأول تطالعنا قصائد تحت العناوين التالية : الشيخ المتصابى – الغرام سقام – المرأة فى الشرق – الزوجة العفيفة . كما تطالعنا فى الديوان الثانى قصائد تحت العناوين الآتية : سن الذهب – نجاح الأمة فى رقى المرأة ، الكعب العالى – غانيات القدس – الفساطين القصيرة – السيدات والتدخين – الرصافى – الألقاب .

وقد عجب الشاعر حين وقعت عيناه – بعد ابتلاء فلسطين بالانتداب ، ونكبتها بالصهيونية – من رؤية الفتيات الصهيونيات يغزون القدس بالفساتين القصيرة وركوب الدراجات والملابس التى تبدى الصدور والنهود ، وتبرز المفاتن ، فصور عجبه وثورته على هذه المناظر التى لم تألفها عيناه فى أثناء خضوع فلسطين للحكم العثمانى .

* * *

أيها الشرق المذل للسيدات

راعنا فى الشَّرق توظيفُ البناتْ فى الدَّوائِرْ
وركوبُ السَّيدات العجَلاتْ فى الحَواضِر
وامتِطاهُنَّ الجِيادَ الصَّافناتْ كالقَساوِرْ
بِلباسٍ لا يَقينا العَثَراتْ والمَخاطِر
بين ثوب فيه جِسم الغانيات باتَ ظاهِر
ونُهود منه تبْدو كالمهاة وهى نافِر
وصُدور عاريات فاتِنات للنَّواظِر
و «بناطيل» على رَغم النُّهاة والأوامِر
لبستْها هذه المسترجلات كالعساكر

* * *

الكعب العالى

بين غُنج وصبْوة واخْتيالِ خطرت غادة بكعْب عال
وعلى صدْرها الجميلِ تدلَّى عقدُ جيد منظَّم باللآلى
وكَساها من الحرير رِداء مستحَب فى عين بعض الرِّجال
تظهر الرُّكبتان منه ويبْدو جسمُها الغض مثل صافى الزُّلال
تارَةً كالغَزال تَمْشى وطَوْراً بازدهاء كظافِرٍ فى قِتال
كلَّ هذا لأن ذا الكعب عال لم يدعْها تسير سيرَ الكمال
بعد حين رأيتها فى ارتباكٍ وحَياءٍ وحَيرة وانْذهال
حَجَر فى الطَّريق كان كَبيراً صدَم الكعب كَعْبَ ذات الدَّلال
صدْمة من مكانِه زَعزعته فغدا خُفُّها من الكعب خالى
وانحنتْ عند ذاك والتقطتْه وهى تُخفيه عن عُيون الرجال

غير أن الرجال قدْ نظروها فعلا ضحكُهم رؤوسَ الجبال
فمشت تسرُع الخُطا بحياءٍ كغُراب مقلِّد للحِجال
وتوارتْ عن العيون سريعاً وهى لم تدْر شَرقها من شمال

* * *

يانسانا ويا بَنَات نِسانا حسْبكنَّ اتّباع طُرْق الضَّلال
إن هذى الأَزْياء هدَّت قُوانا دعننا منها «يابنات الحلال»
كل يوم زِىّ جَديد غَريب مُتلِف للعُقول والأَمْوال
ما جمالُ النساء فى الزّى كلاً لا ولا فى صَبْوة أو دَلال
لا ولا الحسْن فى ارْتفاعِ كِعاب إنما الحُسن فى جَمال الخِصال

* * *

حول وعد بلفور

وعْد ولا هُوَ كالوعُودْ خدَعوا به أُمَمَ اليَهودْ
أُمٌّ تنوّم طفلها والطّفل يُخدع بالنَّشيد
كالمغرَم المفتون يقْنعُ بالتعلُّل بالوعُود
والختلُ فى شَرَع السياسة ليس بالأمْر الجَديد

* * *

مهلاً بنى «التّامِيز» بالأَعراب والأمَل الوطيد
لا تَعبثوا بالله بالودّ القَديم وبالعُهود
أو تؤثرون على العُروبة وُدَّ ناعمةِ الخُدود ؟
أم أنكم قد بِعتُمُ وُدّ الأَعارِب بالنُّقود ؟

* * *

أَو لمْ نُساعدكم على الأَتراكِ والخَصْم اللّدود ؟
لولا تعشُّقنا لكمْ لبقيتُم خلف الحدود
ولما دخلْتم أَرضَنا بالإنكلِيز وبالْهُنود

دواوين إسكندر الخورى الشعرية :

١ – الزفرات – القدس ١٩١٩ .

٢ – دقات القلب – القدس ١٩٢٣ .

٣ – مشاهدة الحياة – القدس ١٩٢٧ .

٤ – العنقود – القدس ١٩٤٥ – ١٩٤٦ .

٥ – آلام وآمال – القدس ١٩٦٠ .

٦ – الطفل المنشد – قصائد للصغار .

٧ – المثل المنظوم – قصائد على ألسنة الطير والحيوان .

من نثره :

١ – حقائق وعبر – مقالات فى اللغة والأدب والاجتماع .

٢ – الحياة بعد الموت – رواية تاريخية غرامية وقعت حوادثها فى فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى .

٣ – غبريلا الحسناء – مترجمة عن الفرنسية .

٤ – الحرب العالمية الثانية – تاريخها نظماً ونثراً مع الرسوم .

٥ – فى الصميم بحث فى الزواج بقالب روائى .

٣ – محيى الدين الحاج عيسى الصفدى

١٩٠٠ – ١٩٧٤

١ – حياته :

كفانا مهمة الترجمة له إذ كتب فى الصفحتين السادسة والسابعة من ديوانه « من فلسطين وإليها » ترجمة حياته. وها نحن أولاء ننقلها عنه كما سجلها :

« كان مولدى فى مدينة صفد عام ١٩٠٠ ، وقد أكملت التحصيل الابتدائى فى مدرستها الابتدائية ، والإعدادى فى مدرسة عكا الإعدادية ، والثانوى فى سلطانى دمشق وبيروت ، وقد انتقلت من الصف المنتهى من سلطانى ببيروت إلى الكلية الصلاحية التى افتتحها جمال باشا التركى فى مدينة القدس فى أوائل الحرب العالمية الأولى ، فقضيت فى صفوفها العالية ثلاث سنوات حتى كان الاحتلال البريطانى لفلسطين ، وفى خلال الانتداب البريطانى اشتغلت فى التعليم فى صفد مديرا لمدرستها ثمانى سنوات حصلت خلالها على شهادة الحقوق من القدس ، وفى أعقاب الثورة التى اشتعلت فى فلسطين سنة ١٩٢٩ نقلتنى مديرية المعارف إلى ثانوية مدينة نابلس لانتمائى إلى جمعية الشبان المسلمين التى نسب إليها نشوب الثورة فى نفس مدينة صفد ضد اليهود وإحراق قسم كبير من بيوتهم فقضيت فى تدريس اللغة العربية فيها خمس عشرة سنة ، وبعدها نقلت إلى صفد نائبا لمدير مدرستها الثانوية ، وقائما بتدريس اللغة العربية فيها حتى كانت النكبة سنة ١٩٤٨ فنزحت مع عائلتى وأولادى إلى سورية حيث استقر بى المقام فى حلب مدرسا للأدب العربى فى ثانوية معاوية ، ودار المعلمات مدة خمس سنوات ، ثم تعاقدت مع معهد حلب العلمى فقمت فيه بتدريس الأدب العربى مدة سبع سنوات حتى سنة ١٩٦١ ، وبعد هذا التاريخ آثرت الراحة على العمل تمشيا مع ما تقتضيه سنة الحياة بعد التقدم فى السن مكتفيا براتبى التقاعدى »

« وقد كان لنشأتى فى أسرة علمية ، وميلى إلى كثرة المطالعة ، وقراءة القرآن ، وحبى لترديد ما كان ينظمه أمير الشعراء أحمد شوقى وحافظ إبراهيم من قصائد ، وممارستى النظر فى دواوين الشعراء وخاصة دواوين أبى تمام والبحترى والمتنبى بالإضافة إلى المعلقات العشر ، وبعض شعراء العصر الجاهلى والإسلامى كل ذلك كان سببا – على ما أعتقد – لتنمية ذوقى للشعر ، وإقدامى على ممارسته منذ كنت فى الخامسة عشرة من عمرى ، ومن الوفاء الاعتراف بفضل أساتذتى فى دمشق وبيروت والقدس

الذين كان لهم الأثر الحميد بتشجيعى على ممارسة نظم الشعر والإكثار من المطالعة ، وأخص منهم بالذكر الأستاذ المرحوم الشيخ عبد القادر المبارك العلامة واللغوى المعروف ، والأستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني الكاتب العربى المشهور ، والشيخ عبد القادر المغربى الذى كان فى المدة الأخيرة عضوا فى المجمع العلمى العربى بدمشق » .

« وفى خلال وجودى فى نابلس سنة ١٩٤٦ أكملت نظم مسرحية « مصرع كليب » وتم طبعها فى القاهرة فى مطبعة عيسى البابى الحلبى سنة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م وقد كان تقرر تدريسها كمادة إضافية للمطالعة الشعرية فى جميع مدارس فلسطين الثانوية ، ومن المؤسف أن هجرتنا من فلسطين حالت دون تنفيذ ذلك القرار ، وفى خلال نزوحى عن فلسطين ، وإقامتى فى حلب نظمت مسرحية « أسرة شهيد » سنة ١٩٦٦ التى وصفت فيها ما لاقته أسرة شهيد فلسطينى من الآلام والتشريد الذى كان أنموذجا لما حل بالشعب الفلسطينى خلال هجرته وتفرقه فى مختلف البلاد العربية وغيرها » .

وفى ٢٥ آذار مارس سنة ١٩٧٤ لبى الشاعر نداء ربه قبل أن تتحقق أمنيته برؤية ديوانه مطبوعا . كما نوه بذلك ابنه البار إياد محيى الدين الحاج عيسى حيث قال بالحرف الواحد فى الصفحة التاسعة والعشرين بعد المائة الثالثة : « لقد كانت أمنية والدى رحمه الله أن يرى ديوانه مطبوعا ، وقد قام بترتيبه ، وإعداده لذلك ، وكتب مقدمته بنفسه ، ولما شرع فى طباعته ، وخرجت مسودة الملزمة الأولى للوجود وافته المنية وأسلم الروح إلى بارئها »[١] .

٢ - شعره :

من ترجمة الشاعر لسيرته وحياته نلمح العوامل التالية التى أعانته على الشعر وهيأت له أن يكون فارسا من فرسان القريض :

١ - الموهبة الفطرية التى حباها الله له .

٢ - نشأته فى أسرة علمية تزود منها بزاد ثقافى متعدد الألوان .

٣ - شغفه بتلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته ، والوقوف على أسرار بلاغته .

٤ - إدامة نظره فى دواوين أصحاب المعلقات وغيرهم من العصر الجاهلى وشعراء صدر الإسلام وبنى أمية ، وشعراء العصر العباسى وبخاصة دواوين أبى تمام والبحترى وأبى الطيب المتنبى .

---

(١) تفضل الأستاذ إياد نجل الشاعر الفقيد مشكوراً فأرسل لنا الديوان ومسرحيتى مصرع كليب ، ومسرحية أسرة شهيد بعد أن أعيانا البحث عن آثار الفقيد .

٥ – ترديده لقصائد شوقى وحافظ ، وإعجابه بهما فى العصر الحديث .

وهذه العوامل كانت سببا على ما يعتقد لتنمية ذوقه الشعرى ، وإقدامه على ممارسة قول الشعر وهو بعد لم يجاوز الخامسة عشرة من عمره . وقد تعددت الموضوعات الشعرية التى تناولها فى شعره فكان منها الوطنى القومى الذى استوحى فيه محنة فلسطين قبل المأساة ، ونكبتها بعد الكارثة أو استلهم أحداث أمته العربية ، وقضايا قومه العرب ، والجوانب الإسلامية .

وكان منها الشعر الذاتى الذى يتمثل فيما نظمه فى أفراد أسرته من زوج وأبناء وبنات وفى أصدقائه ، وما ناجى فيه الطبيعة واستنطقها ، وبكاءه الراحلين من أحبابه ولكن شعره الوطنى كان أغلب ما نظم ، وأكثر ما قال وها نحن أولاء نقدم مختارات من شعره :

مختارات من شعره :

أولاً – قبل المأساة

(١) إيه يا يوم الثلاثاء :

رثاء شهداء ثورة ١٩٣٠ على أثر محاولة اليهود إقامة شعائر دينية غير متعارف عليها عند حائط المبكى فى القدس سنة ١٩٢٩ نشبت الثورة فى جميع أنحاء فلسطين فاعتقلت السلطة البريطانية عدداً كبيراً من شباب العرب حكمت المحاكم عليهم بأحكام مختلفة وكان منها الحكم بالإعدام على الشهداء فؤاد حجازى من صفد ومحمد جمجوم وعطا الزير من الخليل ونفذ الحكم فيهم يوم الثلاثاء ١٧ يونية حزيران سنة ١٩٣٠ وكان كلما أُعدم أحدهم يؤذن المؤذنون ، وتدق أجراس الكنائس فى جميع أنحاء فلسطين :

أنحيبٌ أم نَشيـد   ورثـاء أم قَصيـدُ
إيهِ يا يوم الثّلاثـا   ء اكتوْت فيك الكُبود
فتية غُرٌّ غطارِيف   بحْبل الموتِ قِيدوا
أَنِفوا أن يُنزلَ الضَّيم   بهمْ طاغٍ عـنيدُ
فأثاروها على الطُّغيا   ن تَـطْغى وتُبيـدُ
ثوْرة قـد حطَّمت صهـ   ـيونَ فارتدّ يَكيـدُ
واسْتجاب الظالمُ العا   تى لمـا شـاء اليهودُ

إبْكِ يا خِلّى فؤاداً إنه الليثُ الشَهيد
إبْك جمجومًا وزيراً لا يكفكفك جُحود
إبك من أثقلهم فى سِجن عكاء الحديدُ
إبكهمْ يومَ دعاهم للردى عاتٍ مَريد
فمَشَوْا للموت فى تيـ ـه كما تَمشى الأسودُ
واكتَسوا إذْ راقهم يـ ـوم النَّوى البُرْدُ الجَديد
فكأنّ المـوت عُرس أوْ كأن المَوْت عيدُ

* * *

لا تشقّى الجيب يا أمّ فذَا الموتُ حَميدُ
ما حياةٌ نحنَ فيها لِذوى الظّلم عَبيد
إنها يا أم خِزْى ليس ترضاه الجُدود
كفكفى الدَّمع فإن الحرَّ بالنفس يَجود

* * *

أيهاذا الساكن الطور[1] تحيـيـه الوفُود
لا يغـرَّنْك زمـانٌ أقبلتْ فيه السُّعود
إنما الرّيح إذا هبَّـ ـبت لها يوماً رُكود
وإذا ابـيضَّ نهارٌ فـالـليالى هى سُود
قل لمن فى لندنٍ أواهم القَصر المَشيد
أبِهذا حكَم العَدْ ل وهل تَرضى اليهود؟
أم لديكمْ بعد قتْل النَّفس بالجَوْر مَزيدُ
بينما العُرب تُمنيهم من الغَرب الوعُود
فإذا الوعْد وَعيد وإذا الثّعلبُ سِيدُ
وإذا هـذَا سَجينٌ وإذا ذاك شَـهيد
فرويدًا إن مجد العُرْب لابـدَّ يـعـود
وفتى العُـرب كريمٌ وفتى العُرب حَقود

---

(١) يقصد المندوب السامى البريطانى.

وإذا نجمٌ هوى منهم بدا نَجْم جَديد
وإذا عود ذَوَى فى أرضهم أَوْرَقَ عود

(ب) عودى لخدرك :

نظمت هذه القصيدة فى نابلس فى أوائل ثورة ١٩٣٦ إثر مظاهرة اشترك فيها فريق من نساء المدينة وطالبات المدارس والخطاب موجه للفتاة الفلسطينية :

عُودى لخِدْرك يا أُخْت المَها عودى فى الحىّ ما شئتِ من شُوس ومن صِيد
تبارك الله إذا أَقْبلتِ مغضَبَةً والحسنُ يُشرق من طَرْف ومن جيد
فكفكفى الدَّمعَ من عينيك واطّرحى عنكِ الأسَى لتُواسى قلبَ معْمود
ودونك الحىَّ جُرّى فى مسارِحه ذيلَ المفاخر بين الخُرَّدِ الغيد
أما رأيت ليوث الحىّ قد بَرَزوا حمرَ المَناصل فوق الضُّمَّرِ القود
غادين للموت لا يلوون أو يَصلوا إلى سبيل من العلْياء محْمود
فتيانُ قومك كم خَفُّوا لِنائبة فى كل يوم من الأيام مَشهود

* * *

من مبلغ الغَرب والدنيا بأجْمعها بأنَّ فى الشَّرق ناراً ذاتَ توْقيد
أثارها الجشَع القتّال محتدِماً أوارها فهى دوماً ذاتُ تجْديد
هذى فلسْطين قد جاشَت بوادِرُها لما تلاقيه من جَور وتنكيد
تقضى النهار بأتْراح مبرّحة وتقطع اللَّيل فى همّ وتَسهيد
تَشكو إلى الله ما تلْقاه واندَفعتْ تجْلو العَناء بعزْم غيرِ مَردود
فمن جَريح على الرَّاحات مضْجَعُه ومن شهيد بِجَوْف القلب مَلْحود
والناس ماهمَّها ضِيق ولا عَوز فالكلّ راح يلبّى داعىَ الجود
والكلّ أضرب عن كَسْب وشدَّ على خَصم البلاد بإقدام الصَّناديد
وآخرون نَسوا ما كان بينهمُ من الضَّغائن شأن القادةِ الصّيد
تصافحوا بالأَيادى والقُلوب معاً إخوان همٍّ وعزْم غيرِ مجْحود

* * *

كم كان وعدك يا بلفورَ مَشْأَمةً أعوذُ بالله من شُؤم المواعيد
جرَّ البَلاءَ وأَسباب البلاء إلى أرض مباركة الأمْصار والبِيد

ظنَّ اليهودُ بأن الوعْد أرجعهم لِعَهد يوشع أم أَيَّام داود
وما دَروا أنَّ مقت الله حلَّ بهمْ ما حيلةُ العَبْدِ فى تقدير معبود
وأنهم أينما حلُّوا أو ارْتحلوا مُعاقبون بتنكيل وتَشْريد
ما ذاك الا لِكيد فى طبائِعهم للنَّاس يجرى كمجْرى الماءِ فى الْعود
تَوارثوه فما ينفكُّ ميزتهم منذ التَّمائم فانظرْ أىّ مولود
ليعْلموا فلعلَّ العلم يردعهمْ أو يخرج الحسن من أحشاء جلمود
دون البلادِ وتَهْويد البلادِ كما يرون عزم أباةٍ غيرُ مردود
وأمة وثبتْ تحمى حقيقتها فى ذا الوجود ولا ترْضى بمَوعود
فالله يشهدُ والتَّاريخ مرتقب فيه الصحائف من بيض ومن سُود

(حـ) الشاعر :

يَنْظم الشّعر لا يرومُ جزاءَ فيُباهى بحسْنه الجوْزاءَ
يَسْهر اللّيل شارد العقل واللّـ ـب يناجى السّها ويرعى السماء
وينادى الصُّبح المنير ويدْعو ربّة الشعر أن تلبى النّداء
وإذا البدْر فى السّماء تبدَّى يبهرُ العين بهجة وسناء
قلَّب الشاعر المعذَّب فيه الطـ ـرْفَ يشكو لنوره الظَّلماء
ودعاه يوحى إليه بشعْـ ـر يطرب النفس أويُزيل العناء
فيرينا فى شعره طلْعة البدْ ر مفيضا على الوجود ضِياء
من سُكون الظّلام يستلْهم الشعْـ ـرَ يحيىّ به صباحا ذُكاء
ومن الطير فى الرياض تُغنى يمنح الشعر لحنَه والغناء
ومن الورد فى الخمائل والأزْها ر يكسوه حلَّة زهراء
ومن الشمس فى الأصائل والأبْـ ـكار حُسناً ورونقاً وبهاء
ومن البرْق والسحائب والغيْـ ـثِ جَلالاً وروعةً ورواء
كل ما فى الوجود شعر ولَحْن أعجز العقل حيَّر الحكماء
ينتقى شاعر الطَّبيعة فيه رائع الحسن مُشْرِقا وضَّاء
رب لو أنتَ تلهم النَّاس طرًّا مثلَ ما قد ألْهمتَه الشُّعراء

لغدا الناسُ كلُّهم فى خشوع يحمدون السَّرَّاء والضَّراء
ويرون الإبْداعَ فى كل شىْء قد أراهم من أبْدع الأشياء

ثانياً – بعد المأساة

النكبة الكبرى

طرْف أضرَّ بجفنه التَّسهيد وحشا تُعانى قرحة وتَبيد
جُرح يسيلُ ولوعَة لا تنطفى وجوًى على مرّ الزمان جَديد
قيلَ الأساة فأين منهم بَلْسَم يَشفى وأين المنقذُ الموعود ؟
يا شهر «مايس»[1] خلتُ ليلَك مؤْنِساً فإذا الأمانى فى نَهارك سودُ
كم بتُّ أرقب فيك همّاً ينْجلى فإذا الرزايا والنحوس تَزيد
وإذا العَجائب أى أمر عجيبة أَدْهى زَعانفة الأنام تَسود
نبذتْهم الدُّنيا فضلَّ سبيلُهم فيها فَسارٍ فى الُدجى وشَريدُ
عادوا يحوكون العِداء لأمّة حدبتْ عليهم والزَّمان حَميد

* * *

فى ثالثِ الحرمينِ رنَّة ثاكلٍ وأنينُ مفْجوع له تَرْديدُ
وطَن يضيع فيا قلوبُ تفطَّرى وتجرَّدى للرّزء فهو عتيد
وطَن تمزَّق قاطِنوه وشُرِّدوا فبكلِّ أرضٍ نازحٌ وطَريد
وطَن يضيع وأُمة عبثتْ بها أيدى البُغاة فعاثَ فيه السّيد
يا من شهدتَ رحيلَهم يوم النَّوى وجموعَهم إثر الجموع تَميدُ
أرأيت كيف الرُّزْء يصْدع أُمَّةً والنَّازِلات الصم كيف تَعود
نَزَحوا وخلَّوا جازعين دِيارهم وهم هنالك مُطرف وتَليد
قد حازَها أعداؤهم وتجرَّدوا مِنها كما يتجردُ العُنقود

* * *

---

(١) مايس = مايو .

« حيفا » ولا أَدْرى يروعك يومُها | أم يوم « عكا » الأَسْود المَنْكود ؟
أم يوم « يافا » والعدوُّ يدكُّها | أم يوم « سلمة » والْمنايا سُود ؟
أم « دير ياسين » وقد طاف الرَّدى | فيها وأفنى أَهلَها التَّشريدُ ؟
أم « رَمْلَة » الصّيد الكرام أُميّة | هُتكتْ ولم يحفَظْ حِماهم صِيدُ ؟
« وقرى » كجنات الخلود بحسنها | دَرَستْ . وحلَّ بأهلها التَّبْديد

* * *

« صفد » وقد عانيتُ هَوْلَ مُصابها | صُرِعتْ وفارقها الحماةُ الصّيد
ذادوا وكم ذاق العدو بلاءَهم | مُرًّا وحسْبك بالليوث تَذودُ
حتَّى أتى القَدَر العجيبُ وها هنا | دَعْنى فلا أُبدى الأَسى وأُعيدُ
هِىَ معقل دكَّ العدو حُصونه | غَدْراً ، وكان لِغدره تمهيدُ
ثار الرّصاص وجُن مقتحم الوغى | وصدَى المدافع صيحةٌ وَوَعيدُ
فالأرض يعفرُ بالقذائف وجْهُها | والجو فيهِ لِهولها تَرْديدُ
واللَّيل داج ، والرّياح عواصِفٌ | وبَلاءُ ربّك بعد ذاك شَديد
مطَر طغَتْ فوق الطَّريق سيولُه | أَيْنَ الطَّريق ورسُمه المعْهود ؟
هذا هو الوادى[١] وتلك صُخوره | برزتْ وذاك طريقُه المنْشود
كَيف المسيرُ وكلُّ شبر مزْلقٌ | منه وكل حَفيرة أُخْدود
لم يَبْق من بين المسالكِ غيرهُ | سُدَّت وصار لِغَيرنا الإقليدُ
ساروا وهم يتلمّسون رسومه | يتعثّرون ورُشْدهم مفْقود
يتلفّتون مُودّعين فَثاكِل | تَبْكى وشَيْخ ذاهلٌ ووليد
كم مرضع ناءتْ بحمل رَضيعها | تسعى لتنجو والنَّجاء بعيد
وأشاوسٍ صمدوا لكرات العِدى | كم خرَّ منهم أَروعٌ صنديد
جُثمانه للطّير أصبح مطعما | أو للسّباع ولا يعاب شهيد
لم يبق من يلقى عليه ترابه | رحل الجميع وقلبهم مكمود

* * *

يَتساءلون وأين بعد الْمُبتَغَى | قيل : الحدُودُ وظِلُّها المقْصود

---

(١) الوادى : هو المعروف بوادى الطواحين غرب مدينة صفد.

ربضَتْ بنو الأَعمامِ فى أكْنافها غِيلٌ رعتْه من الكرام أسود
إخواننا فى كُلِّ خطْب داهم ما بَيْنَنا فى النائبات حدود
هَرعوا لنُصرتنا ، وآسْوا جُرحنا ليتَ الجراح أزالها التَّضميد
أبناء سوريا ومفخر يعرُبِ طبتمْ وطابَ نداكم المحْمود
أسديتمُ فوق الذى تَبْغى العُلا وبذلتمُ ما يَرْتَضيه الجُود
أنا إنْ شكرتُ فشاعرٌ لقى الرِّضا وإذا شكوت فموجَع مَفْئود
ما خطْب أَندلسٍ ولا وَيْلاتها أدهى فشرُّ الحادثاتِ تَعود
هذى فلسطين الشَّهيدةُ مُزِّقتْ من بعد ما حزّ الوريدَ حَديدُ
يا تربَةَ الأَجدادِ حظُّك عاثِرٌ لم تُغْنِ عنك من البلاء جُدود
سلفٌ كرامٌ قد تداوَل إرْثهمْ خلفٌ أَضاعوه غداة أبيدوا

وادى الطواحين

يقع وادى الطواحين فى غرب مدينة صفد ، ويبدأ من نبع قرية ميرون ، ويسير بمحاذاة جبال «الجرمق» وترفده فى طريقه روافد كثيرة من الينابيع حتى ينتهى إلى بحيرة طبرية وكانت تدار بمائه أكثر من ثلاثين طاحونة يقصدها أهالى صفد ، وأهل القرى المجاورة لطحن حبوبهم وقد قل عدد هذه الطواحين بسبب وجود الآلات الحديثة . وعلى جانبى غدير هذا الوادى نجد البساتين الكثيرة ذات الأشجار المختلفة من الفواكه وغيرها .

وادى الطواحين كيف الرَّوض والزَّهَر والظلّ والدوْح والحبَّات والثَّمرُ ؟
هل هن فيك كأيام لنا سلفَتْ بيض يُسربهنَّ القلبُ والبَصرُ ؟
وهلْ غديرك ماض فى تدفُّقه كأنَّه من جنان الخُلْد يَنْحدرُ ؟
أمْ قد تعكَّر من وَجْد ومنْ حَزَن على فراق أَحبَّاء له غَبروا ؟
وادى الطواحين كم فى السَّفح من نُزَهٍ كانتْ لنا فيك فى الأبْكارِ تُبْتَدرُ
نأْوى إلى ظلّ دَوْحاتٍ قد اشتبكَتْ أَغصانُها وتبدّى حُسنها النَّضِر
ونحن فى نشْوة من طيب مجْلسنا ومن نسيم عليلٍ جوُّه عَطِر
فما نزال من الإصْباح فى مَرحٍ إلى المساء وحتى يطلعَ القَمرُ

أيام صفْو تقضَّت فى مرابعِنـا ... والشَّمل مجْتمع والعيشُ مزْدهِر
حتى إذا الدَّهر أَبدى ناجذيْه لنا ... حالتْ بنا الحالُ واستشرتْ بنا الغِيَرُ
وادى الطواحين هل عَوْد إلَيْكَ وهلْ ... يصفو الزَّمانُ ويُجْلَى عنك من غَدَروا
وادى الطَّواحين لا جَادَتْك غادِيَةٌ ... مادام فيكَ عدوٌّ غاصِبٌ خَطِر
وجَادَ أَهلَك غيثٌ أينما نَزَلـوا ... من البلادِ وشاقَتْهم لَكَ الذِّكَـرُ

١ - مصرع كليب :

مسرحية شعرية نشرتها دار إحياء الكتب العربية فى القاهرة سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧ فى مائة وستين صفحة من القطع المتوسط . وهى مسرحية تاريخية ذكر الشاعر فى الصفحة الخامسة مصادرها التاريخية الخمسة ١ - الأغانى ٢ - العقد الفريد ٣ - الكامل لابن الأثير ٤ - خزانة الأدب للبغدادى ٥ - أيام العرب .

وفصل القول فى أحداثها ووقائعها بين بكر وتغلب فى عشر صفحات من السابعة إلى السادسة عشرة .

ويبدو لنا من فصول المسرحية الخمسة . وما يندرج تحت كل فصل من مشاهد . أن الهدف الحقيقى للشاعر هو الدعوة إلى تضامن العرب . وتوحيد صفوفهم . وجمع كلمتهم . ونبذ الفرقة والبغضاء بينهم . إذ يقول فى المنظر الثالث من الفصل الخامس على لسان الحارث بن عباد وشيوخ بكر وتغلب مجتمعون للصلح فى ديار تغلب .

جمع الله شملنا بَعْد بُعدٍ ... وخصام مبدَّد وتَلاح
واحْتِرابٍ أَبادَ منا قُوانا ... فألِفنا فى الحىِّ صوتَ النواح
يا بنى تغلبٍ وبكر جميعاً ... جمعَ الله أمركمْ للصَّلاح

ولكنه مع هذا الهدف يتناول إبراز جوانب أخرى حيث أجرى على لسان كليب ما يشعر بزهوه وغروره ، بعد أن دانت له معد . فطغى وبغى على قومه . حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه . وإذا جلس لا يمر أحد بين يديه إجلالا له ، ولا يحتبى أحد فى مجلسه غيره ، ولا تورد إبل أحد مع إبله . ولا توقد نار مع ناره . ولم يكن بكرى ولا تغلبى يجير رجلا ولا بعيرا . فيقول على لسانه لزوجه جليلة بنت مرة وهى تسرح له شعره .

كليب : جليلة سَرِّحى شَعرى وألقى فوقَه الغارا
فقد أصبحت أقْوى النّاس أعْوانا وأنصاراً
فمَنْ مثلى يقودُ الجيش فى الغاراتِ جَرَّارا
ومن مثلى يُعزّ الجارَ إنْ دهْر به جارا
ومن مِثلى يُطاعُ إذا عَصَى الأقوامُ جبَّارا
ويحمى الماءَ والمرْعى ويجزى من عَصَى النارا
مليك لا يُدانينى مليك يحمل الغارا

وتحاول زوجه أن تكبح جماح غروره :

جليلة : كليب يا حياة النّفس هذا الْفَضل من ربّكْ
فلا تكثر رَعاك الله أخشى الشرَّ من عُجْبك
لقد أخلصت لى حُبًّا وقد أخلصْتُ فى حبكْ
وفى الحى لنا نِدٌّ عَزيز الجار فى قُرْبك
شديدُ البأس يوم الرَّوع لا ينفكُّ من صَحْبك
أبيٌّ يأنفُ الدُّنيا ندىً من ندى سُحبك

ولكن كليباً تأخذه العزة بالإثم ، والإمعان فى الكبرياء فيسألها قائلاً :

كليب : من أعزُّ وائل يا جليلة اسْمعى
من أعز وائلٍ أجْملى القولَ أودعى

جليلة : هما أخواى يوم الفَخرِ جسَّاسٌ وَهمَّام
هما اللَّيثان فى شيبان لا يعْروهما ذام

كليب : أجساس وهمام أعز الناس

جليلة : لا تغضَبْ :
هما عَيناىَ فى الدُّنيا وأَنتَ القصْد والمأْرَب

وقد وفق الشاعر فى إبراز دور جليلة وهى تمحض كليبا النصح ، عندما أمر سعدا برمى ضرع ناقة البسوس .

جليلة : بربّك يا كليب دع البَسوسا وناقتها ولا تثِر النُّفوسا
فإن أخى ابن عمك ليسْ يَدْرى رعتْ غَضًا « سراب » أم يَبيسا

ولا يدرى أفى مرْعاه باتت أم اتبعَتْ إلى مرعاكِ عِيسا

فما فى الأمْر ما يدعو لشرٍّ يثير الْحرب بينكما ضروسا

وقد أجاد الشاعر تصوير أحداث المسرحية ، وجعل شخوصها يتحركون فى حيوية ، ويؤدون أدوارهم بمهارة واستعان بشعر المهلهل وهو يصور حزنه على كليب ، ويصمم على هجر النساء والشراب والطيب حتى يثأر لأخيه .

وقد انقادت القوافى للشاعر ، وعبر عن الأحداث بلغة فصيحة ، وبأسلوب يتسم بالسهولة .

٢ - أسرة شهيد :

مسرحية نشرتها مطبعة الإنشاء فى دمشق سنة ١٩٦٦ فى مائة وثمانين صفحة من القطع الكبير ، وقد سبق لنا أن نقلنا عنه قوله : وفى خلال نزوحى عن فلسطين ، أو إقامتى فى حلب نظمت مسرحية أسرة شهيد سنة ١٩٦٦ التى وصفت فيها ما لاقته أسرة شهيد من الآلام والتشريد الذى كان أنموذجا لماحل بالشعب الفلسطينى خلال هجرته وتفرقه فى البلاد العربية وغيرها وقبل أن نتناول المسرحية بالشرح نعرض لموضوعها الذى تحدث عنه المؤلف ، ونلخصه فى هذه السطور .

استشهد رب أسرة فلسطينية فى معركة وقعت بالقرب من مدينة حيفا ، وأوصى زوجه أن تكتم نبأ استشهاده عن أبنائه ، وتخبرهم بوقوعه أسيرا فى أيدى اليهود ، ولا تكشف لهم الحقيقة إلا بعد أن يصبحوارجالا قادرين على أخذ الثار ، وتنزح الأم عن فلسطين بعد استشهاد زوجها مع ابنيها سعد وجميل وابنتها دعد ، وتعيش فى كوخ من أكواخ اللاجئين فى أحد المخيمات فى الأقطار العربية ، وفى كثير من الليالى كانت تندب زوجها ، وأولادها نائمون ، وتبكى ما تعانى من فقر وشقاء ، وشعر الأبناء بذلك ، واضطرت- بعد حوار معهم- أن تكشف لهم عن الحقيقة وتحضهم على الصبر والأخذ بالثأر .

ونظرا للضيق الذى تعانيه دفعتها الحاجة إلى أن توافق على أن تذهب ابنتها دعد مع معلمتها « نجية » إلى بيت والدها لتتعلم الحياكة ، وتساعد فى أعمال المنزل نظير أجر قليل . ولكن خالة نجية- زوجة أبيها- اتهمت دعدا بالسرقة وطردتها من المنزل ، فعادت إلى بيت أمها ووجدتها وحدها ، لأن أخويها تطوعا فى جيش الفداء ، ثم عملت فى مكان آخر فترة اشتد بها الحزن فى خلالها ، ومرضت وفارقت الحياة بعد أن اعترفت لها زوجة أب نجية أنها بريئة من تهمة السرقة .

أما أخواها فقد كانا مرابطين على حدود فلسطين تجاه مدينة طبرية ، ثم دخلا فلسطين مع الرائد

الخبير : « سالم » ليتعرفا عليها وكان لهم موقف على جبل كنعان ، وآخر على جبل الكرمل ، وثالث على جبل الطور ، ورابع فى إحدى « بيارات » . حدائق يافا وأخيرا زارا أمهما فى كوخها ورجعا إلى مقرهما على الحدود انتظارا ليوم الثأر .

وفى الصفحة الخامسة تحت عنوان الإهداء قال :

إلى رُوح كل شَهيد مضَى ... يكافحُ والثّأْر من قَصْدِهِ
فسال الدَّم الحرُّ فوق الثّرى ... وفاءً بما كانَ من عَهْدِهِ
فقلْ للّذى ضلَّ فى دربه ... وأذهله الخطب عن رشْده
دماء الشّهيد منارُ الطريق ... لمن يحفظ العهد من بعده

والمسرحية مكونة من خمسة فصول ، وتقع فى ألف وسبعمائة بيت ، ويقول المؤلف إنه يمكن تمثيلها جميعا ، وتمثيل كل فصل على حدة .

وفى الصفحة السابعة خريطة فلسطين العربية غير مدنسة بالعدوان الصهيونى وتحتها هذان البيتان .

سَنَعودُ للأرْض المقدسَّة التى ... قد دُنِّسَتْ بمُشرَّدى الآفاق
وتَموجُ فى أنحائها راياتُنا ... خفَّاقةً كفُؤادى الخفَّاق

والواقع أن مسرحية أسرة شهيد ليست إلا قصة أسرة فلسطينية استشهد ربها فى حومة الجهاد ، وخلف وراءه أسرته التى نزحت ، وذاقت من آلام التشريد واللجوء ضروب البؤس والشقاء ، لنستمع إليه على لسان الأم التى تندب حظها بعد استشهاد زوجها .

أم سعد : لَيلى طويلٌ وهمِّىَ ... كاللّيل همٌّ طويلُ
وقد تحَول اللَّيالى ... وليس همّى يحَولُ
فقدتُ زَوجى شهيداً ... كالغُصن غضاً يميلُ
يذودُ عنَّا الأعادى ... كاللَّيث وهو يَصول
مرَّتْ سنون طِوالٌ ... وحَسْرتى لا تزول
شَـــريـــدة وبلادى ... يعيثُ فيها الدَّخيل
نــام الـبـنون جِياعاً ... والبؤسُ فيهم نَزيل
رحماك يا ربّ عوناً ... فأنت نِعم الكفيل

ولم يكن هذا شعور أم سعد فحسب ، بل كان شعور كل فتاة فلسطينية فقدت أباها أو زوجها أو أخاها ، ومرت عليها السنوات ثقيلة بطيئة ، لما تعانى من جوع وحرمان وعذاب وشقاء وعندما تضطر

لكشف الحقيقة لأبنائها .

الأم : بَنىّ لا تيئسو فالله مرتقبٌ يُجزى المسيىء ويُردى الغاشم الْجانى

كتمت عنكم زماناً موت والدكمْ وبتُّ وحْدى أعانى فرط أَحْزانى

حتى لمحتُ بكم ما كنت آملُه وشمتُ برق المنى من عين أعوانى

كشفتُ عما طوتْه النفس مشفقةً عليكمُ من أذى يُتْم وطغيان

فالثار ثأرُ أبيكم ثار أمتكم ثأر العروبة لا يغدو له وان

فاسعَوا إليه وعيشوا عاملين له لا يغسلُ العار إلا بالدم القانى

وشيّدوا للعُلا فى أرض أمتكم صرحاً يتيه على الدّنيا بإتقان

صرْحا على الوحدة الكبْرى دَعائمه قد شَيّدته بإحكام يدُ البانى

والهدف المقصود من المسرحية أصلا هو تصوير ما عاناه اللاجئون من ضروب البؤس وألوان الشقاء ، وما كابدوه من الشعور بالضياع والتمزق فى الأقطار والأماكن التى لجأوا إليها ولكن الشاعر يعالج إلى جانب الهدف المقصود أهدافا أخرى منها الدعوة إلى استعادة فلسطين ، وأن هذه الاستعادة لن تتم إلا بالكفاح المسلح ، والجهاد والنضال وأن هذا واجب العرب جميعا لا أبناء فلسطين وحدهم ولن يتحقق ذلك إلا بالوحدة العربية الشاملة التى تمثل قوة العرب وتصل بهم إلى ما يريدون ولذلك وجدنا الشاعر يؤكد على هذه المعانى فى شخوص مسرحيته فى الحوار الذى أجراه بينهم .

يقول على لسان جميل :

العـرب فى كل قطـر يبغـونَ عيشـاً كريما

فى وحـدةٍ يحتويها عِقـد الإخـاء نظيما

لا فرقـةٌ لا خصـامٌ يُرْضى العـدوَّ الخصيما

لكن صـفاءٌ وودٌّ يدْنى الولىَّ الحميما

ويصور الشاعر حنين اللاجئين إلى أرضهم فيقول :

وسالم وسعد وجميل على سفح جبل الكرمل ليلا

سالم : نحن يا سعدُ بسفح الكرمل نرقبُ البحر بقرب المنزل

هذه «حيفا» وهذا بحرُها صاخب يزخر بالموج العلى

مغضب حلّت به من دهْره نكبات همُّها لم ينجل

قد عرفناه بأيام الصَّفا باسِمَ الثَّغر لعين المجْتلى
كم حَدَوْنا فوقه من زَوْرقِ تحت ضَوْء القَمر المكْتمل

وقد نجح الشاعر فى تحقيق الهدف الذى رمى إليه من المسرحية ، وكانت أسرة شهيد أفضل من مصرع كليب من الناحية الفنية التى تبدو فى تسلسل الأحداث وسيرها حسب حدوثها فى الواقع ، ورسم الشخوص ، وإجراء الحوار بينها وحيويته وأدائه الغرض الذى قصده الشاعر :

ووفق الشاعر ثانية فى تطويع البحور لوقفاته العاطفية . واستخدامه القصير منها والطويل ، وانقياد النظم له للتعبير عن أحاسيسه ومشاعره بالأسلوب الواضح السهل الذى يفهمه السامعون وأجاد تصوير آلام النازحين – وقد كان واحدا منهم – وكان ترجمانا صادقا لما يضطرم فى جوانح أبناء المأساة الذين شردتهم يد الظلم عن ديارهم وأوطانهم .

واستلهم الأمجاد العربية التاريخية لإنهاض الهمم وشحذ العزائم حيث استوحى ذكرى معركة حطين عندما زار الفدائيون طبرية ، وعندما وقفوا على شواطئ حيفا وعكا

آثار الشاعر :

١ – مصرع كليب – مسرحية شعرية – القاهرة ١٩٤٧ .
٢ – أسرة شهيد – مسرحية شعرية – من أحداث نكبة فلسطين دمشق – ١٩٦٦ .
٣ – من فلسطين وإليها – ديوان – حلب ١٩٧٥ .

٤ – محمد العدنانى

١٩٠٣

١ – حياته :

من رسالة مؤرخة فى ١٦ شباط – فبراير سنة ١٩٧٣ بعث بها إلينا وألقى فيها بعض الأضواء على نشأتَه وحياته بقلمه كتب يقول : «ولدت فى مدينة جنين فى ٢٦ مارس – أذار – سنة ١٩٠٣ ، وتلقيت علومى الابتدائية فى جنين وطولكرم وغزة ودوما ودمشق وصيدا وأتممت دراستى فى مدرسة الفنون الأميركية بصيدا ، وعملا بوصية والدى درست الطب فى جامعة بيروت الأميركية سنتين إعداديتين ، وسنتين فى كلية الطب ثم التقيت بأمير الشعراء أحمد شوقى فى لبنان وأنشدته معارضتى لقصيدة ابن زريق البغدادى التى مطلعها :

لا تَعذُليه فإن العذْل يولِعُه ... قد قلْتِ حقًّا ولكن لَيس يَسْمعُه

وعندما وصلت إلى قولى :

رأيته عِندها والدَّمْع مضْطِربٌ ... الجفْن يحبسُه والوجْد يَدْفعُه
فخلت نفسك تدرى ما ألَمَّ به ... يوم الفِراق وما تبديه أدْمُعُه
وفى المآقى دُموع لست تبصرُها ... وفى الضّلوع أنين لست تسمعه

وقف شوقى . وقبلنى فى جبينى ، وأصر على أن أترك كلية الطب ، وأتحول إلى كلية الآداب بالجامعة نفسها ، وعلى أن يصبح هو والدى الروحى فنزلت عند رأيه .

وفزت بشهادة كلية الآداب سنة ١٩٢٧ ، وسافرت إلى العراق ، وأصبحت أستاذا فى دار المعلمين العليا . والثانوية المركزية ببغداد ، وكان من زملائى يومئذ شاعر العراق الكبير معروف الرصافى ، وفيلسوف القومية العربية ساطع الحصرى ، والكاتب المبدع الفذ أحمد حسن الزيات . »
ثم عدت إلى فلسطين ،وأصبحت أستاذا للأدب العربى فى كلية النجاح الوطنية بمدينة نابلس من سنة ١٩٣١ إلى سنة ١٩٣٣ وانتقلت بعد ذلك إلى القدس أستاذا للأدب العربى فى الكلية الرشيدية مدة تسع سنوات وفى عام ١٩٤١ نلت الجائزة الأولى فى مباراة شعرية موضوعها «حرب الطيارات»

وقد شملت المباراة شعراء فلسطين والأردن[١] : «وفى عام ١٩٤٨ يممت مدينة الزرقاء مشردا عن وطنى ، وأقمت بها ستة أشهر ، ثم برحتها إلى سورية ، حيث توليت التدريس فى الجامعة السورية ثم فى جامعة حلب ، ودارى المعلمين والمعلمات بها إلى أن أحلت إلى المعاش عام ١٩٦٤».

«ثم انتقلت إلى مدينة صيدا مديرا لكلية المقاصد الإسلامية فيها مدة ثلاث سنوات عملت بعدها مديرا لشركة المقاولات والتجارة فرع المدينة المنورة . وفى سنة ١٩٦٨ عدت إلى صيدا حيث تفرغت للأدب والشعر والتأليف».

٢ - شعره :

ظهر للعدنانى ديوانه الأول الذى سماه «اللهيب» سنة ١٩٥٤ عن المكتبة العصرية فى صيدا وجعله الجزء الأول من ديوان العدنانيات وأهداه إلى روح والديه الحبيبين اللذين حبب وجودهما إليه الحياة . واللذين علماه الإباء والتضحية واحتمال السجن والنفى والتشريد فى سبيل الوطن المفدى وقال فى مقدمته «هذا هو الجزء الأول من ديوانى العدنانيات الذى اخترت له اسم «اللهيب» لأنه وحى عاطفة ملتهبة ثارت على الظلم الصارخ فى فلسطين الشهيدة ، وسجلت جهادها فى جميع أدواره رغم خسارة عشرات القصائد النارية التى وقعت فى أيدى الإنجليز وجواسيسهم فى المرات العديدة التى اقتحمو فيها بيتى لسجن أو نفى أو توقيف».

وإننى أقدمه بنفسى إلى القراء غير لاجئ إلى أديب من أصدقائى الكثر فى العالم العربى لكتابة المقدمة التى اعتاد كتابها - إلا من عصم ربك - الإسراف فى الإطراء إسرافا يجعل صاحب الديوان أعظم شعراء العالم قديمه وحديثه غير مدافع . فأنا شاعر سيضعه غدا التاريخ الذى لا يجامل ولا يحابى موضعه الذى يستحقه بين شعراء العربية».

ولا أدرى ما إذا كان الشاعر الخالد شوقى قد أحسن إلى الشعر أو أساءحين أصر على - وهو والدى الروحى - أن أترك كلية الطب إلى كلية الآداب قبل ثمانية وعشرين عاما فالحكم فى هذا موكولى إلى قراء هذا الجزء من العدنانيات والأجزاء الأربعة التى سوف تليه وملحمة الأمومة».

وكل ما أتمناه أن يجد القراء فى هذا الديوان الطبع متغلبا على الصناعة والقلب متفقا مع العقل ، واللفظ متلائما مع المعنى . والخيال مستمدا من الحقيقة ، وإلى الملتقى فى الجزء الثانى «الوجيب».

---

(١) القصيدة فى ديوان اللهيب - ص ٢٥.

وتبدأ قصائد الديوان بالقصيدة الأولى وعنوانها « من محمد العدنانى إلى محمد خورشيد » وتحت العنوان هذه الكلمات

« كنت معروفا حتى عام ١٩٣٦ باسم « محمد خورشيد » ثم تركت اسم جدى لأبى وهو « خورشيد » إلى جد الأسرة البعيد عدنان وأنا من نسل الحسن بن على حفيد عدنان ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت معروفا باسم محمد العدنانى .

والقصيدة فى أربعين بيتا نكتفى منها بالأبيات التالية :

نشأت على هوى الفصحى صَبِيًّا ... ومعْ شعرائها خضت العُبابا

ولم ترَ غير آى الله وِردا ... فراح اللب يلتهمُ الكِتابا

وحمّلت اسم خورشيد ولمّا ... تمتّ إلى الأكاسرة انْتِسابا

لقد ظلموك ـ فالدّم يعربىّ ... من الزّهراء سال سَنى وطابا

* * *

لقد كنتَ السُّؤال عن الأمانى ... مجنَّحةً . وكنتُ أنا الجَوابا

أتانى الرشْد مفتّر الثنايا ... وبنت وأنتَ تنهارُ انتحابا

لئن سكبَ الزّمان لك الدّواهى ... معلقمة وناقشك الحسابا

فقد ملأ الكؤوس كؤوس نفسى ... مُنًى غرًّا وأَحْلاما عِذابا

وأدركت الذى يبغيه قلبى ... فلم أبْل النبال ولا الحِرابا

وصرت إذا طلبتُ السُّحب صيدا ... مددتُ العزْمَ فاقتنص السحابا

وسار على لسان الدّهر شِعرى ... وساغ لكل درَّاك شَرابا

تسرّب فى القوب بغير إذْن ... وران على النُّهى طرًّا خلابا

* * *

وفى سنة ١٩٥٧ صدرت للشاعر الأمومة وهى ملحمة شعرية حفزه إلى نظمها تقديس الأمومة ، وقال فى مقدمتها « وزعمت بعض الكتب والصحف والمجلات والإذاعات أن هذه هى الملحمة الاجتماعية الأولى من نوعها فى الأدب العربى ، وزعم آخرون أنها من حيث طولها ووحدة موضوعها الأولى من نوعها فى الأدب العالمى فإذا صح ما قيل فإننى ليشرفنى أن أكون خادم الفصحى الأول فى باب الملاحم الاجتماعية الشعرية ، وإذا سبقنى أخ شاعر فى هذا المضمار فيسرنى أن أتشبه به ، والتشبه بالكرام فلاح » والأمومة قصة تقوم على تضحية الأم فى سبيل ابنها الوحيد بطلتها « سلمى » التى أخذ

الشاعر يتابع نشأتها ومراحل نموها ولَيدة فطفلة فشابة رائعة الحسن بارعة الجمال لفتت أنظار الرجال وغدت أمنية الشباب والشيوخ الذين تدافعوا على طلب يدها فصدتهم جميعا ما عدا « طريفا » الذى قبلت أن تتزوجه وأنجبت منه ابنها « عصاما » ثم قصف الموت شباب زوجها ورفضت الزواج بعد موته واقفة حياتها على وحيدها عصام حيث أظلته بالعطف والرعاية وعنيت بتربيته وتعليمة حتى أصبح طبيبا مشهورا ولكنه وقع فريسة للحمى ، وأحضرت له أبرع الأطباء لعلاجه ، ولكنهم أعلنوا عجزهم ، ويأسهم من شفائه ، وكادت الأم تصعق وتصاب بالجنون فلجأت إلى عجوز محنكة أخبرتها أنه لا أمل فى شفاء وحيدها إلا بأن تتوسل إلى « عزرائيل » نفسه .

وتذهب الأم المعذبة باحثة عن عزرائيل ، وتضحى فى طريقها إلى لقائه بدم قلبها وأسنانها وبصرها وشعرها الذهبى أجراً لمن دلها على مكان عزرائيل ، ولما وصلت إليه وقصت عليه أمرها قبل رجاءها فى أن يبرئ ابنها شريطة أن تقدم هى روحها فداء له وقبلت ذلك فرحة مستبشرة » .

هذا ملخص الملحمة ، وقد نسج خيال الشاعر أسطورة من الأساطير وهو يقص قصة هذه الأم وهى فى الطريق إلى ملك الموت ، وبلغ الخيال درجة عالية من الخصب واستعان بالرمز .

وتتكون الملحمة من مائة وثلاثة مقاطع يتألف كل مقطع من سبعة أبيات وجعلها فى شكل موشح حتى لا يمل القارىء من تكرار حرف روى واحد وحاول جهده الأتيان بالألفاظ المألوفه . وشرح فى النهاية ألفاظا قد يغلق فهم معانيها على بعض القراء .

يقول الشاعر فى جمال سلمى :

صاغها الله وفق ما تتمنى
فتنةً تخلُب العقول وحُسْنا
وحَديثاً يخاله القلبُ لَحْناً
عرفته الشفاه والأوتارُ
وحكاه الشحرورُ والقيثارُ
ووعَى الجدول الحديثَ فغَنَّى
وطفا وجدُه الدفين حبابا
وأتاها من الغَزالة جيدُ
قد تشهَّته فى رؤاها البيدُ

والدُّجى تيمته فهو عَميد
نظَم البَدْرُ والكواكبُ عقدا
حوْل عنقٍ أذكى العوالم وَجْدا
وإليه حجَّ الملوكُ الصّيدُ
بقلوبٍ أمسى لها مِحْرابا
وعلا عرش صِدْرها الزُمانُ
مُشْـرَئِبًّا ولِلْهوَى مِهرجَانُ
كلَّما اهتزَّ طاشَتْ الأذْهانُ
وأصابَ الوَرَى جميعاً ذُهولُ
وحنينُ الأرواحِ بات يسيلُ
لوعة والكهولُ والشُّبانُ
تَيَّمتْهم بِصَدْرها خلابًا
لم تكنْ غير بنتِ سَبع وعَشْرِ
يوم سارَ اسمُها على كل ثغر
وغدا شغْل كل كُوخ وقَصْرِ
وحديث الشيوخ والشّبان
وحداء القصيد والألحان
ظَلموها إذْ شَبَّهوها بِبَدْر
يخسف البَدْر حين تنضو النِّقابا

وفى سنة ١٩٦٠ صدر له الجزء الثانى من العدنانيات وسماه « فجر العروبة » وضمنه قصائد نظمها قبل حدوث المأساة وجلها من الشعر القوميِ .

وفى سنة ١٩٦٥ صدر له الجزء الرابع من العدنانيات باسم « الوثوب » وفى سنة ١٩٦٦ صدر الجزء الخامس من العدنانيات باسم « الروض »

والعدنانى شاعر فذ غزير المادة ، وناثر مبدع مشرق الديباجة ، وباحث لغوى محقق له صولات وجولات فى صحة المفردات ، وتحقيق معانى الكلمات وضبطها صدر له معجم الأخطاء الشائعة الذى

نشره منجما على صفحات مجلة الأديب اللبنانية [١]

وقد نظم الشعر فى الأغراض المختلفة فى الجانب القومى والوطنى والسياسى نجده فارسا مجليا تتجلى فى مطولاته محبته لأمته وإيمانه برسالتها ، ويعد شعره فى هذا الميدان سجلا بارزا لأحداث العالم العربى خلال نصف قرن من الزمان ، وأثر مأساة فلسطين الدامية بارز فى شعره فى كل دواوينه ، وإذا ما تركنا الجانب القومى عثرنا له على شعر اجتماعى ، تناثرت قصائده فى ثلاثة من دواوينه هى : العبير والروض وزهر [٢] ووجدنا له غزلا عفيفا متأجج العاطفة ، وشعرا إنسانيا يفيض بحب الخير والعدل ، وشعرا إخوانيا يهنئ فيه أحباءه ، وينوه بإخائهم ، ويرثى من رحلوا منهم عن دنيانا .

والعدنانى حريص على تغنيه بشعره الذى سار على لسان الدهر ، وتسرب فى القلوب بغير إذن وأشجى الدوح ، ولطالما افتخر بشعره ، وتغنى بقصائده ومن ذلك قوله .

كان شِعْرى القَيْثار تشْدو عليه ... كلُّ حسناءَ كالصَّباح خرودِ
يعْبق العِطر من قوافيه حتّى ... حسبوها منظومةً من وُرود
وتفيض الأنغام منها كأنّى ... أنظمُ الشّعر بين دُفٍّ وعود

وقد لاحظنا من اطلاعنا على دواوين العدنانى ، ومن تسليط أشعة نقدنا عليه وتحليلنا لطائفة من قصائده إعجابه بشاعر العربية العظيم أبى الطيب المتنبى ، وتأثره بشعره فى قوة النسيج ، ومتانة الصياغة ، وتناثر الحكم فى أبيات شعره .

كما لاحظنا فى الوقت ذاته إجلال الشاعر لأحمد شوقى واحتذاءه فى طلاوة الأسلوب ، وعذوبة الجمل ، ولا غرو فى ذلك فقد كان شوقى الأب الروحى للعدنانى .

مختارات من شعره

الدولة اليهودية [٣]

أجهضت هيئة الأممْ ... عندما باعتْ الذّمم
جهضها دولة الرِّبا ... والمواخير والنّقم

(١) نشرته مكتبة لبنان فى بيروت سنة ١٩٧٣ .

(٢) لم يتح لنا الاطلاع على ديوانيه العبير وزهر .

(٣) اللهيب ص ٧٥ وقد نظمها الشاعر فى القدس بتاريخ ٣٠ / ١١ / ١٩٤٧ وقدم لها بما يلى : تآمرت هيئة الامم على =

جيشُها المَكر والنّسا تبذل العِرض فى الظُّلم
تحسبُ المال أنــــهُ يخلق العِـزَّ والشَّمَم
وترى فيه فخرَها وذُرا مجدِهـا الأشم
بِـئْس والله دَوْلـة لِلْخَنا ترفَع العَلَم

* * *

وترى الخلْق أنَّه لا يساوى سوى العَدَم [٢]
وُلـدتْ أمس ميتةً دولة الشَّر والْقَرَمْ
فإذا قيل : إنَّها حَية مهجةً ودَمْ
قلت : لا شك أنها حمَّة اللّسع والأَلَم
مَلْمس جدْلَيّن وفم منه فاض سُم
ليس تخْشى زُعافها أمَّة العزْم والهِمَمْ
انّ فينا حُواتها يُبطلون الرّودى الأصَمْ
فاشهْدى دفنها غداً ويْكِ يا هيئة الأممْ

أناة بنى قومى [١]

أناةً بنى قومى ولاتُشهروا العَتْبا ورأبا لصدع القلب أفديكم رأبا
ألوْما على مانابنا من مصائب ولم نَجترحْ إثما ، ولم نقترفْ ذنبا
لئن كنتْم جسَم العروبة فاعْلموا بأنّ فِلسطينا لكم كانت القَلْبا

= العرب فأقرت فى ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧ تقسيم فلسطين العربية إلى دولتين عربية صغيرة ، ويهودية كبيرة ، وقد ثبت للعرب أن عدداً كبيراً من ممثلى الدول الذين وافقوا على التقسيم قد رشاهم اليهود . بمبالغ طائلة فقلت هذه القصيدة » .

(١) وردت هذه القصيدة فى ديوان اللهيب ص ٩٠ ، وقدم لها الشاعر بهذه الكلمات هاجر جل عرب فلسطين فى الحرب التى قامت بينهم وبين اليهود من مدنهم وقراهم إلى الأقطار العربية الشقيقة بعد أن تآمر عليهم اليهود والإنجليز والحظ العاثر والفقر ونفاد العتاد فتحامل عليهم بعض إخوانهم من أبناء الأردن ظناً منهم أن عرب فلسطين لم يهاجروا إلا جبنا وهربا من ميدان الشرف والاستشهاد ذلك الميدان الذى بزت ضحاياهم فيه جميع ضحايا الأقطار العربية المنافحة عن استقلالها عدداً ، ورد بعض الفلسطينيين على إخوانهم ردا عنيفاً كاد يحدث تفرقة فى الصفوف فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى الاتحاد والتآلف فأوحى إلى قلبى وعقلى القصيدة الآتية .

وكنّا لكم دِرعاً تقيكم عِصابةً ... تزفُ الأسى والشّر والهولَ والجَدْبا
وذدْنا همُ عنكم ثلاثين حِجَّة ... بعزْم محاشُمّ المعاقِل والهُضْبا
ومن يبلهم والتيمسيّين مثلنا ... يَرَ المكْر والبهتانَ والزّيف والكذبا
ونحن صمدْنا للعدوّين وحْدنا ... صموداً أثار الكونَ قاطبة عُجبا
ورُحنا نُثير الحرب شَعْواء فَذة ... فكنّا رحَاها والعِدا كانت الحبا
ولولا حرابُ الإنكليز وكيدُهم ... ومال اليهود الوفر كالوبل منصبا
وإطلاق أسْد العرب آخر طلقة ... لما هجروا الأموال والمنزل الرحبا
ولايمُوا قطرا شقيقا يجلهم ... ويلقون فيه الجار والأهْل والصَّحبا

* * *

تخذنا لنا الحرب الزّبون حبيبةً ... فلم تصْبنَا لَيلى ولم تلهنا حبا
هوِينا الوَغى منذ اصْطلينا بنارِها ... وأَصبحَ كلُّ مستهاماً بها صَبًّا
وقفنا عليها مالنا ونسيبنا ... وكدْنا - عطاشا - نشربُ الطعن والضربا
نعانق فيها ألبندقية عِفة ... وننتظم الأوداء[1] والبيدَ والهضبا
وليس لنا إلا الزنود وسادة ... إذا مااختلسْنا النوم من ليلنا سلبا
وندرع الإيمان والصبر والوغى ... ونفترش الغبرا ونلتحف السحبا
ونرتجل الأمجاد فى كل معرك ... لتصبح للتاريخ من بعدنا كتبا

* * *

هَممت بلَوم العرب لومًا مدوّيا ... على مابدا منهمْ فردّتنى القُربى
فإنَّ دمى منهم ، وعزّى عزهم ... وبيتَهُمُ بيتى ، وإن نزلوا القطبا
وجُرحهُمُ جُرحى إذا سال مضّنى ... كما مضَّهم والخطبْ يورثنى خَطبا
لئن ثلموا حدّى شحذت حُدودهم ... وإن أمْعنوا فى البعد زدتهم قربا
وإن نكثوا عَهدى حفظت عهودهم ... وإن أظْهروا بغضا غَمرتهمُ حبا
وإن ملأوا بالشّوك دربى إليهم ... ملأت لهم وَرْدا إلى قلبى الدَّربا
وإن أنزلونى مُجدبا من بقاعِهم ... وهبتهُم قلبا بحبهم خِصباً
وإن قتلونى قلتُ عاشتْ يمينهم ... ولو طَرحوا فى كلّ بادية إرْبا

(١) الوادى جمعها أوداء على غير قياس

سأتركها للعرب فخر الورى نهبا — فروحى وقلبى واللّسانُ ، ونُهْيتى
وأجعل لى درءَ الأذى عنهمُ دأبا — وأوقف أشْعارى على ذكر مجدهم
وجرأتهم فى الحرب مثلهم شعبا — فلست ترى فى خلقهم ووفائهم

غادروا هيئة الأمم (١)

غادروا هيْئَةَ الأُمَمْ — يـارَعـاديـدُ يـاغَنم
زُمْرَةً باعت الذّمَمْ — كيف تخشوْن ويْحكمْ
باطِلاً جد مُهتضَم — وغدا الحقُّ عندها

* * *

لم تَدّفِقْ على العَدَمْ — ليس تحيا الشعوبُ ما
صحَت الحربُ لم نَنَمْ — نحن أُسْدُ الشّرى إذا
كلّهُم فاتِرِ الهمَمْ — ولنا اليوم قادةٌ
لِلعصابات كالنّعم — هـدّدوهـم فـأذْعـنوا
من بنى العُرب أى دَم — لاأرَى فى عُروقهم

* * *

ضيَّعوا القدْس والحَرَمْ — أيها السّـادة الألى
الشّرَّ والهَوْل فى الظُّلم — مـالكم قد نسجْتم
إنْ دَجا اللّيل وادْلَهم — أخـفـافـيش أنـتـمُ
كالمصابِين بِاللَّمَمْ (٢) — طِرتُم من وكوركمْ
وهو باهرٌ عَمَمْ — وعميتمْ عن الضيا

* * *

---

(١) قدم الشاعر لها بقوله : فرض مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم على العرب أن يوقفوا حربهم الطاحنة مع اليهود فأذعن زعماؤنا وأوقفوا الحرب للمرة الثانية فى ١٨/٧/١٩٤٨ وذلك بالرغم عن إرادة شعوبهم ، بالرغم عن تصريحهم بأنهم لن يقبلوا الهدنة التى يخسرون بها كل شىء ويربح اليهود كل شىء فثارت نفسى وقلت هذه القصيدة المصدر السابق ص ١١٢ .

(٢) اللمم طرف من الجنون يلم بالإنسان .

كلّكم فوقَ عرشِه يجلسُ اليوم كالصَّنَم
لستُم غير تحفةٍ أوغلت فى دُجى القِدم
فاقبْعوا فى متاحفٍ واستريحوا من التهَمْ

* * *

ياملوكَ الهوى اغرْقوا فى الملذَّات والنّعِم
أشْغلتكم بطونُكم وانصرفتمْ إلى النَّهم
قد قتلتمْ شُعوبكم ثم نُحتم على الرِّمَمْ
جِئتُمونا جحافلاً غطتَّ السَّهل والأكَمْ
لو رميتمْ بها الرَّدى شمَّر الذَّيل وانهزمْ
ثم قلتمْ تراجعوا فقضى العزمُ والْخطَمْ
وجَعَلْتم من العدا أذْؤبا والعِدا غنَمْ
فارْحلوا عن رُبوعنا وَخذُوا الجبْن والقرَم

* * *

منابر الشهداء[1]

فلسطين الحبيبة لاتضنى علىَّ بنظرة تشفى السّقاما
ينازعنى إلى مغناكِ قلب يكادُ يجنُّ فى حلب هُياما
يخفُّ إلى الشفاه إذا رآها تلفَّظ بعد حرف الفاءِ لاما
فليس يرى سِواك لها حبيبا تفوَّه باسْمه الغالىَ دواما
وهذا وَرْد نيسان تلَظى من اسْمك غيرةً تفرى العِظاما
تضرَّج خده حنقا لأنى صدَدْت فلم أتيمْه غَراما
تعوَّد أن يرى فى المغنى يعافُ سباتَه إلا لِماما
وينظمُ فيه أشتاتَ الأغانى ويضمدُ من جوارحه الكلاما
فهبنى ياملِيكَ الزّهر عفواً إذا ما القلب حولَ القُدس حاما
هى الفجرُ المبين لِلَيْل نفسى يفض ضياؤهُ منها الظَّلاما

(١) المصدر السابق ص ١٤٩ .

لعلى لأطيلُ عليك بعدى ... لألثم من أباطِحك الرّغاما
وأبْصر فيك جُند العرب طرًّا ... قد اعتنقوا المودّة والوِئاما
إذا ماكان فى مَغناك بدْئى ... سأجعل فيه فى غدى الخِتاما

* * *

رثاء خليل السكاكينى (١)

تحاول كفى اليوم أنْ تمسك القلْبا ... فلا يهجر الأضلاعَ من كهفه وَثبا
لقد شمَّ ترب القدسى بعبقُ فانبرى ... يدق ضلوعَ الصَّدر كى يلثم التُّربا
رأى ثغرى الملهوفَ بعدَ نُزوحنا ... يروّى الثّرى لثما ويمحضهُ الحبّا
فغار من الثّغر المشوقِ ولم يُطق ... بقاءً على الأشواق أضرمت الجنبا
أناتُك ياقلبى لئن طالت النوى ... ورُحت جريحا تذرعُ الشرق والغربا
فلابدَّ بعد البين أن تُفرخ المنى ... ويرجع من قد غادر الأهل والصّحبا
وإن ضاقت الدُّنيا عليه فحسبه ... ضريحٌ يراه فى ثَرى قَدسه رحبا
فياوطنى بلغتَ عنِدي رتبة ... من الحب حتى كدت تصبْح لى ربا

* * *

وعدت فؤادى باللقاء فجن فى ... ملاعبه إذ لم يحقق له الوعْدُ
خشيتُ انصرامَ العمر من قبل أن أرى ... بِلادى فيطوينى من الجدث الغمدُ
لئن شاءت الأقدارُ عودةَ نازحٍ ... فَسوف يشاءُ العزم أن يرجعَ المجدُ

* * *

أتيت لأرثى صاحباً كان صارماً ... من العزم يأبى أنْ يثلم حدّه
رأى الإنكليز الغاشمين تجاوزوا ... حدودهم والبطش جافاه غمدُه
فثار على المستعمرين مجلَجِلا ... « خليل » ودوَّى فى المنابر رَعْدُه
وروَّع من فى لندنٍ من جحافل ... صرير يراع قام فى القدس مجدُه
وراح السكاكينى ينهض عاثراً ... من المجد فى شعب تناثر عِقدُه

* * *

(١) فجر العروبة – ص ٣٨ وقد نظمت فى سنة ١٩٥٥ .

إلَيك خليلَ الروُح مِنّى قصيدة ... أَطلّت على أخراك من شُرفة القَلب
أتيت بها أرثيك فى القدس مُجحفا ... بحقّك فى ذَرْف المدامع والندب
لأنك حىّ والرّثاء يقال فى ... من اندفنتْ كالجسم ذكْراه فى التُّرب
وغيرك من قوّادنا برثائنا ... هم اليوم أوْلى منك يامفْخر العرب
وأَنت ضميرٌ خالد ومُروءة ... رفيفُ شذاها فاح فى الشرق والغرب
عليكَ سلام الضّاد والمجد والعلا ... ودمْعة محزون تداعى من الخَطْب

* * *

آثار العدنانى :

ذكر لنا الشاعر فى رسالته التى بعث بها إلينا أن له سبعة وثلاثين مؤلفا المطبوع منها أربعة عشر كتابا ، والباقى مخطوط وقد توزعت هذه المؤلفات بين الشعر والنثر والتاريخ واللغة والنحو وأول آثر من أثار العدنانى كتاب جمعه ورتب قصائده وسماه « أمير الشعراء شوقى بين العاطفة والتاريخ » اختار فيه أجود ماقيل فى أمير الشعراء من الرثاء نظما ونثرا فى جميع الأقطار العربية وطبعته مطبعة بيت المقدس فى فلسطين حوالى سنة ١٩٣٢ التى كف فيها شوقى عن الغناء وكان الشاعر يومئذ معروفا باسم « محمد خورشيد » قبل أن يتخذ اسمه الجديد « محمد العدنانى » بدلا من محمد خورشيد الذى ظل معروفا به حتى سنة ١٩٣٦ .

وفى هذا الكتاب الذى يعد كتاب أدب ونقد وتاريخ واجتماع كتب العدنانى عن شوقى بحثا ضافيا استوعب اثنتين وعشرين صفحة من صفحات الكتاب وكتب عنه شاعرا ، وناثرا ، ومؤلف مسرحيات ، ورثاه بقصيدة عنوانها « أنة نفس » بلغ عدد أبياتها أربعين بيتا ختمها بهذه الأبيات التى ناجى فيها شوقى :

ياصَفىَّ النُّبوع ألبسْت مصراً ... تاجَ فخرٍ من القريض المْتين
شدْت صرْحاً من الخلود بشعْرٍ ... سوف يُبْلى صرحَ الزمان الغَبين
اين خوفو ومابنى من صُخور ... من خلودٍ بَنَيْتَه بالفنون ؟

* * *

هاكَ جزءاً نظمتُه من حياتى ... فِيكَ شوقى والحزْن يمرى جفُونى
واقبلْ العذْر إنْ نبا الشّعر واسْمع ... زَفراتى ممزوجةً بأنينى

فمن دواوينه الشعرية المطبوعة :

١ – اللهيب – المكتبة العصرية – صيدا ، بيروت – لبنان ١٩٥٤

٢ – الأمومة – ملحمة شعرية – المكتبة العصرية – صيدا ، بيروت – لبنان ١٩٥٧

٣ – فجر العروبة – ديوان شعر – المكتبة العصرية صيدا ، بيروت – لبنان ١٩٦٠ .

٤ – الوثوب – ديوان شعر – المكتبة العصرية صيدا ، بيروت – لبنان ١٩٦٥ .

٥ – الروض – ديوان شعر – المكتبة العصرية صيدا ، بيروت لبنان ١٩٦٦ .

ومن قصصه المطبوعة :

١ – فى السرير – قصة واقعية – مطبعة سعد – حلب ؟

٢ – الطرائف – للأطفال – ثلاث قصص بالاشتراك مع آخرين .

٣ – سيرة أبى بكر الصديق . بالاشتراك مع آخرين .

ومن آثاره فى الأدب والنقد :

١ – أمير الشعراء شوقى بين العاطفة والتاريخ – القدس ١٩٣٢ .

ومن آثاره فى النحو والإعراب واللغة :

١ – النحو البسيط

٢ – الإعراب فى خمسة أجزاء

٣ – معجم الأخطاء الشائعة مكتبة لبنان – بيروت ١٩٧٣

٥ - إبراهيم طوقان

١٩٠٥ - ١٩٤١

١ - حياته :

ولد إبراهيم بن عبد الفتاح طوقان فى مدينة نابلس سنة ١٩٠٥ . وبها تلقى دراسته فى المرحلة الابتدائية فى مدرسة الرشاد الغربية التى كانت تنهج فى تعليم اللغة العربية نهجا حديثا لم يكن مألوفا فى مدارس نابلس فى العهد التركى ، وقضى بها أربع سنوات هى سنوات الحرب العالمية الأولى .

وعلى أثر الاحتلال الإنجليزى لفلسطين مباشرة انتقل إلى مدرسة المطران فى القدس وعمره أربعة عشر عاما ، وأمضى بها فى دراسته الثانوية أربع سنوات ثانية اتصل فى غضونها - عن طريق أخيه أحمد الذى كان يتعلم فى المدرسة الإنجليزية - بالأستاذ نخله زريق الذى حبب إليه اللغة العربية والشعر العربى القديم . وفى سنة ١٩٢٣ غادر مدرسة المطران إلى الجامعة الأمريكية فى بيروت وعمره ثمانى عشرة سنة وقضى بها ست سنوات نال فى نهايتها شهادة الجامعة فى الآداب سنة ١٩٢٩ .

وحين أنهى دراسته اتجه مع والده إلى مصر لتحقيق غرضين الأول أن يعرض نفسه على الأطباء ، والثانى أن يبحث عن عمل فى الصحافة - وكان يمنى نفسه بالعمل فى الصحافة فى مصر - وقد تحسنت صحته وحالت أسباب كثيرة دون عمله فى مصر فعاد إلى نابلس وعمل مدرسا للغة العربية فى مدرسة النجاح الوطنية فى العام الدراسى ١٩٢٩ / ١٩٣٠ .

وعلى الرغم من أنه لم يكن يحب العمل فى ميدان التعليم لما يكابده المعلم من متاعب كان له تأثير كبير فى طلابه إذ حبب إليهم الأدب والشعر ودفعهم لنظم القصائد وعندما بدأت عطلة العام الدراسى لسنة ١٩٣٠ عرضت عليه الجامعة الأمريكية فى بيروت التعليم فى قسم الأدب العربى بها . وكانت فكرة العودة إلى بيروت حرية بأن تجعله يوافق على مزاولة التعليم مرة ثانية ، لما كان لبيروت وأهلها من حب عميق فى نفسه ، ففيها تفتحت زهرة شبابه ، وفيها مسه جناح الحب الأول فى حياته .

أوَّل عَهْدى بِفنون الْهوى ... بيروت أَنْعِم بِالْهَوَى الأَوَّل

وقضى الشاعر فى بيروت عامين مدرسا للأدب العربى فى الجامعة ، قدم استقالته بعدهما وعاد إلى فلسطين وزاول مهنة التعليم للمرة الثالثة فى المدرسة الرشيدية فى القدس . وفى تلك السنة ضاق بالتعليم

ومصاعبه أشد الضيق ، ونفس عن الكرب الذى أصابه من التعليم بقصيدته «الشاعر المعلم» التى صاغها فى قالب عذب فكه وعارض بها قصيدة شوقى وقد عاوده المرض واشتد عليه قبل انتهاء العام الدراسى مما اضطره إلى تقديم استقالته وإدخاله المستشفى ، وإجراء جراحة له فى معدته كانت نجاته منها أعجوبة من الأعاجيب إذ لاحظته عناية الله ، وقد قرر أن يبتعد عن التعليم بعد ذلك ولايعود إليه أبدا وفى سنة ١٩٣٦ ، أسندت إليه حكومة الانتداب الإشراف على القسم العربى فى محطة إذاعة القدس فى أول العهد بإنشائها فبذل أقصى الجهود للنهوض بالقسم ، وتوجيهه توجيها أدبيا وقوميا يمكنه من أداء رسالته الوطنية ولكن اليهود ، والاستعمار الإنجليزى وأعوانه ، وبعض ضعاف النفوس من بنى قومه حاكوا له الدسائس فأقيل من عمله فى أول أكتوبر سنة ١٩٤٠ بعد أن قضى به نحو أربع سنوات .

وقد أثر إبعاده عن الإذاعة فى نفسه تأثيرا قويا دفعه إلى مغادرة فلسطين والتوجه إلى العراق ، ومزاولة مهنة التدريس للمرة الرابعة فى دار المعلمين الريفية فى «الرسمية» لمدة شهرين وقع بعدهما فريسة للمرض الذى اضطره إلى العودة إلى نابلس حيث حمل منها إلى المستشفى الفرنسى فى القدس ولم يمكث به إلا أياما حتى اختاره الله لجواره فى مساء اليوم الثانى من مايو سنة ١٩٤١ .

٢ - شعره :

إبراهيم شاعر فلسطين غير مدافع ، صور آلامها وغنى أحلامها وسجل كفاحها ؛ وماكان لينعت بشاعر الوطن ، ويوصف بشاعر فلسطين ، لولم يسجل فى شعره قضية بلاده ولو لم تنعكس فى ذلك الشعر أصدق صورة لذلك الوطن وقد قال إبراهيم الشعر فى جميع الأغراض الوطنية والسياسية والقومية والاجتماعية وفى وصف الطبيعة ومناجاتها وفى الغزل والرثاء ولكنه تفوق على نفسه فى شعره الوطنى ، وشعره الغزلى الوجدانى .

وقد نال إبراهيم حظا كبيرا من الشهرة ، ونال شعره نصيبا موفورا من الذيوع فسار فى الآفاق ، وتدفق على الألسنة ، وتردد على أفواه أبناء فلسطين أناشيد وترانيم . ولم يتح لشاعر من الشعراء الذين عاشوا معه أن ينال من الشهرة مانال .

لقد كتبت عن حياة إبراهيم وشاعريته وشعره ونثره عدة أبحاث ونشرت دراسات وألفت كتب ووقف كثير من النقاد وقفات إعجاب وتقدير لشعره .

يقول ناقد : «لعلنا نحسن صنعا حين نقيس شاعرية إبراهيم بالمقياس الذى وضعه فقد جرت له

مناظرة أدبية عرف الشعر فيها بأنه قول ذو ميزات خمس : أولاها حسن تخير الألفاظ ، ثانيتها موسيقى الوزن والقافية ، والثالثة خطاب الحس مباشرة وفى اقتضاب ، والرابعة اتساع أفق الخيال ، والخامسة توهج العاطفة » .

وقال : إن الشاعر حين ينظم البيت ، ويعز عليه وجود الكلمة المختارة ليشعر أنها تراوغه وتماطله وتدانيه وتباعده حتى إذا هبطت فى مكانها الذي اختاره لها تنفس الصعداء ، ومشى فى قصيدته مضاعف النشاط . الشعر إذن هو الجمال مقتنصا بالألفاظ »[1] .

لقد قرأ أبناء فلسطين شعر إبراهيم على صفحات الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى بيروت ، وفى فلسطين فى عهد الانتداب ولم يصدر ديوان إبراهيم إلا فى سنة ١٩٥٥ بعد مضى أربعة عشر عاما على رحيله عن دنيانا ، ولم يضم الديوان كل مانظم إبراهيم من شعر ولعل الطبعة الثانية تضيف مالم تتضمنه الأولى .

* * *

ولاعجب فى أن يسير شعر إبراهيم فى دنيا العرب يخترق الحواجز ، ويجتاز المهامه ، فتشدو به الألسنة ، وتتناقله الرواة فقد تضافرت عوامل عديدة على صقل موهبته منها :

تلقيه دروسه فى المرحلة الابتدائية فى المدرسة الرشادية الغربية التى كانت تنهج فى تعليم اللغة العربية نهجا حديثا ، بفضل طائفة من المدرسين الممتازين من أبناء نابلس ، الذين نهلوا ثقافتهم من الأزهر الشريف ، وتأثروا فى مصر بالنهضة الأدبية والشعرية التى كان يرفع لواءها أحمد شوقى ، وحافظ إبراهيم ، وغيرهما من أدباء مصر وشعرائها[2] .

واتصاله بالأستاذ نخلة زريق الذى يعد من الأعلام الشوامخ فى اللغة والأدب والكفاح الوطنى العربى فى الشام ، والذى كان خليل السكاكينى يعتز بتلمذته له فيقول : أستاذى نخلة زريق إعجابا وتقديرا .

واحتفاله بالقرآن الكريم وكثرة تلاوته ، وإطالة التأمل فيه ، ولم يكن يتلوه تلاوة عابرة ، بل كان يتجه إليه بقلبه وروحه ، ويحس له وقعا عجيبا فيهزه إعجازه ، وتفعل فيه بلاغته فعل السحر[3] .

وتقليب بصره فى رياض اللغة والأدب ، والارتشاف من ينابيع تراثنا ، إذ كان كتاب الأغانى أحب الكتب إليه ، كما كان المتنبى من ناحية ، والعباس بن الأحنف من ناحية أخرى ، من أحب

---

(١) عمر فروخ – شاعران معاصران ص ٨٠ .

(٢) فدوى طوقان – أخى إبراهيم ص ١٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٥

الشعراء إليه ، وأقربهما من قلبه ،[١] هذا فى القديم ، وفى الحديث قرأ ماأبدعته عبقرية الشعراء ، وكان شوقى سيد المكان فى قلبه ويضاف إلى ذلك تأثره بواقع فلسطين ، وماقاسته تحت الانتداب ، وماقدمه أبناؤها المجاهدون من أروع سطور البطولة والشجاعة وقد خلد الشهداء فى كثير من قصائده هذا إلى جانب إجادته اللغة الإنجليزية واطلاعه على روائع الأدب الغربى والمذاهب الأدبية وتأثره بالمذهب الإبداعى ، وبطائفة من أعلام الشعر فيه ، وظهر ذلك فى غزله ، وهو يصف لوعة الحب الجارف الذى خامر قلبه ، ووجد فيه ريا لظمأ روحه . ووصف ساعات اللقاء ، ولذة الوصل ، وشقاء الهجر .

مختارات من شعره

الرقم ١٠٠٠[٢]

أرى عددا فى الشؤم لاكثلاثةٍ — وعشْرٍ ولكنْ فاقه فى المصائبِ
هو الألفُ لم تعرِف فلسطِين ضربة — أشدَّ وأنكى منه يوماً لضارِب
يُهاجرُ ألفٌ ثم ألفٌ مهرَّباً — ويدْخل ألف سائِحاً غيرَ آيب
وألف جوازٍ ثم ألف وسيلةٍ — لتسهيل مايلقوْنه من مَصاعِبِ
وفى البحر آلاف كأنَّ عُبابه — وأمْواجه مشحْونةٌ فى المراكِب

* * *

بنى وطنى هلْ يقظة بعد رقدةٍ — وهل من شعاع بين تلك الغياهب ؟
فو الله ما أدرى ولليأس هبة — أُنادى أميناً أمْ أهيب براغب

مناهج

أَمامكَ أيُّها العربىُّ يومُ — تشيبُ لهَوْله سودُ النَّواصى
وأنت كما عَهدتك لاتُبالى — بِغيْر مظاهر العبث الرِّخاصِ

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥ .
(٢) أوردنا هذه المقطوعة فى ص ٦٠ بعد أن أسقطنا منها البيتين السادس والسابع .

مصيرُك بات يلْمُسُه الأَدانى ... وسار حديثه بين الأَقاصِى
فلا رحْبُ القصُور غداً بباقٍ ... لساكِنِها ولاضِيق الخِصاص

* * *

لنا خصْمان ذو حوْل وطوْلٍ ... وآخرُ ذو احْتيال واقْتناص
تواصَوْا بينهمْ فأتى وَبالاً ... وإذْلالاً لنا هذا التَّواصى
مناهج للإبادة واضحاتٌ ... وبالحُسنى تنفَّذ والرَّصاصِ

أنتم (١)

أنتمُ المخلصون للْوطَنيَّهْ ... أنتم الحاملون عبء الْقضيهْ
أنتمُ العامِلون مِن غير قوْلٍ ... بارك الله فى الزّنُودِ القويهْ
وَبيانٌ مِنكمْ يعادِل جَيْشاً ... بمعدَّات زَحفِه الحربيَّهْ
وخلاصُ البلادِ صارُ على الْبابِ ... وجاءتْ أعيادُه الورْديّهْ
ماجحدْنا أفضالكم غير أنَّا ... لم تزلْ فى نفوسِنا أمْنيهْ
فى يَدينا بقيّةٌ من بلادٍ ... فاسْتريحوا كىْ لاتطيرَ البقيهْ

الشهيد

عبس الخطبُ فابتسمْ ... وطغى الهوْل فاقْتحمْ
رابط الجأشِ والنُّهى ... ثابتُ القلْب والقَدَمْ
لم يبال الأَذى ولمْ ... يثْنه طارئُ الأَلمِ
نفسُه طوْع همّةٍ ... وجمتْ دونها الهِمَم
تلْتقى فى مَزاجها ... بالأعاصير والحمَمَ
تجمعُ الهائج الخِضمّ ... إلى الرَّاسِخ الأشم
وهى من عُنْصر الفدا ... ءو من جَوْهَر الكَرمْ

---

(١) الخطاب موجه إلى زعماء فلسطين يومئذ.

ومن الحق جذوة لَفْحها حرَّر الأمم
سارَ فى منهج العُلا يطرق الخلد منزِلا
لا يُبالى مكبَّلا نالـه أم مجدَّلا
فهو رهْن بما عزم
ربّما غالَه الرّدى وهو بالسّجن مرتهَنْ
لم يشيّعْ بدمعةٍ من حبيب ولاسَكن
رُبّما أُدْرج التُّرابَ سَليباً مِنَ الكَفن
لسْتَ تَدْرى بطاحُها غيَّبتْه أم القنن
لاتقلْ أين جسْمُه واسْمه فى فم الزّمن
إنه كوْكب الهدَى لاح فى غيْهَبِ المحَن
أرسل النور فى العيون فما تعرفُ الوَسَنْ
ورمى النّار فى القلوبِ فما تعرفِ الضَّغن
أىّ وجـه تهلّلا يـردُ الموتَ مُقْبلا
صَعَّد الرُّوح مُرسلاً لحْنَه ينشد الْملا
أنا لله والْوطَن

الشاعر المعلم

«شوق» يقول – ومادَرى بمصيبَتى «قمْ للمعلمّ وفّه التّبْجيلا»
«اقعد» فديتك هلْ يكونُ مبجَّلاً من كان للنّشْءِ الصّغار خلبلا
ويكاد «يفلقنى» الأميرُ بقولِه «كاد المعلم أن يكونَ رسولا»
لوجرَّب التعليم «شوقى» ساعةً لقضى الحياة شقاوة وخُمولا
حسْب المعلّم غمّةً وكآبةً مَرْأى «الدّفاتر» بكرْة وأصيلا
مئة على مئة إذا هى: «صلّحت» وجَد العمى نحْو العيونِ سبيلا
ولو أن فى «التصليح» نفعاً يُرْتجى وأبيكَ لم أكُ بالعيون بخيلا
لكن أصحح غلْطةً نَحوية مثلاً وأتخذ «الكتابَ» دَليلا

مسترْشداً بالغرّ من آياته ... أو بالحديث مفصَّلا تفصيلا
وأغوص فى الشّعر القديم فأنتقى ... ماليس ملتبسا ولامَبْذولا
وأكاد أبعث سيبويه من البلى ... وذَويه مِنَ أهْل القرون الأولى
فأرى حمارا بعد ذلك كله ... رفعَ المضافَ إليه والمفعولا
لاتعْجبوا إن صحْت فيكم صيْحةً ... ووقعت مابين «البنوك» قتيلا
يامن يُريد الانتحارَ وجدْته ... إن المعلم لايَعيش طويلا

رثاء الكاظمى

سلْ جنَّة الشّعِر ما ألْوىْ بِروضَتها ... حتى خلتْ من ظِلال الحسن والطّيب
ومن تصَدَّى يرد السَّيْل مزدحِماً ... لما تحدَّر من شم الأهاضيب
ومن أغارَ على تلك الخِيام ضُحًى ... يبيحُ تقويضَها من بعد تطْنيب
هى المنيَّة ماتنفكّ سالبةً ... فما تغادِر حيّا غيرَ مسْلوب
حقّ العُروبة أن تأْسى لِشاعرها ... وتذرف الدّمع منهلاً بمسْكوب
وترسل الزَّفرة الحرَّى مصدّعة ... ضلوعَ كل عميدِ القَلْبِ مكْروب
من للقريض عريقاً فى عروبته ... يأتى بسِحْرين من معْنى وترْكيب
ومن لغرّ القوافى وهى مشرْقة ... «كأوْجه البدوياتِ الرّعابيب»

* * *

أبَا المكارم قمْ فى الحفل مرتجلاً ... مهذّباتك لم تُصْقل بتهذيب
وأضرِمْ النَّار إن القوم هامدة ... قلوُبهمْ ذلَّ قلب غيرُ مشبوب
وانفخْ إباءك فى آنافِهم غضبا ... فقد تحرّك أصْنام المحارِيب

* * *

تمكّن الذل من قومى فلاعجَبٌ ... ألاَّ يبالوا بتقْريع وتأنيب
ماأشرفَ العذرْ لو أن الوَغى نثرتْ ... أشلاءهم بين مطْعون ومضْروب
لكنْ دهتْهم أساليبُ العُداة وهمْ ... ساهون لاهون عن تلْك الأساليب

ويقْنعون بمبذول يلوّحه مُستعمروهم بتبْعيد وتقْريب
كأنهم لم يشيِّد مجدُ أوّلهمْ على السّيوفِ وأطْراف الأنابيب

* * *

يائدا كل أرض أهلُها عَرَبٌ يجتازُها نِضْو تَصْعيد وتصْويب
ومُنْشداً عندهمْ علماً ومعرفةً بحالهم بيْن إدْلاج وتأْويب
هل جئت منهم أُناساً عيشُهمْ رَغدٌ أمْ هل نزلْت بقَطْر غيرِ منْكوب ؟
أم أىّ راعٍ بلاذِئب يجاورُه إن لم تجدْ راعِياً شرًّا من الذيب ؟

* * *

تبوأ الكاظمىّ الخلد منزلةً يلْقى من الله فيها خيرَ تَرْحيب
أبا المكارم أشرفْ من عُلاك وقلْ أرَى فلسطين أم دُنْيا الأعاجيب
وانظرْ إلينا وسَرّح فى الحمى بَصراً عن الهدى لم يكنْ يوماً بمَحجوب
تجدْ قويا وفى وعْد الدّخيل ولمْ يكنْ لنا مِنه إلاَّ وعْدُ عُرقوب
ومر سبْعٌ وعشْر فى البلاد له وحكْمه مزجُ ترْهيب وترغيب
قد تنْتهى هذه الدنيا وفى يده مصيرُنا رَهْن تدرْيب وتجريب
حال أرى شرَّها فى الناس منتشراً وخيرُها لِلمطايا والمَحاسِيب
هلْ فى فلسطين بعد البؤْس من دَعَة أمْ للزمان ابتسامٌ بعد تقطيب ؟
كم حقق العزم والإعجال من أملٍ وخاب قصد بإمهال وتقْليب

خطرة فى الهوى

أعيدى إلى المضْنى وإن بعُد المدى بلهنية العيْش الذى كان أرْغدا
تبارك هذا الوجْه ماأوضح السَّنى وما أطيبَ المفترَّ والمتوردَّا
فقدتكِ فقِدان الصّبا وهل امرُؤٌ تولى صِباه اليوم يُرجعُه غدا ؟
فقدتك لكنى فقدت ثلاثةً سواك : فؤادى ، والأمانىَّ والْهُدَى
وأبقيت لى غير القنوطِ ثلاثةً هواكِ وسُقمى ، والحنينَ المؤبّدا

* * *

«ياوادى الرمّان» لاطبتَ واديا إذا هى لم تنعمْ بظلك سَرْمدا
ويا «وادى الرمان» لاساغَ طعمُه إذا-أنا لم أمددْ لذاك الجنى يدا
ويا «وادى الرمان» واهاً وعندهمْ حرامٌ على المحْزون أن يتنهَّدا
كأنى لم أنزلْ ديارَك مرةً ولم أَلْقَ فى أهليك حُباً ولاندى
ولم تسْقنى كأسَ المدام حبيبةٌ وردت ثناياها مع الكأس مَوْردا
ولم توح لى شعراً ولاقتُ منشِداً ولم يرْو شعرى عندليبك منْشِدا

* * *

أَخى وحَبيبى كنتَ أَرْجوك مُسعِداً يسامُحك الرَّحمن لم تكُ مُسْعدا
أَلم ترَنى فى مصر أطْلب شافياً وراعَك إشفائى على هوّة الرَّدَى ؟
ألم ترنى فى مضجَعى متقلباً أقلّب فى الأفلاك طرْفاً مسهَّدا ؟
ومن عجَب أنا شبيهان فى الْهوى بمن أنْت تهْوى هل أطعْت تَجلدا

٦ – مصباح العابودى

١٩٠٨ – ١٩٧٥

١ – حياته :

ولد مصباح بن الشيخ سليمان العابودى فى مدينة طبرية سنة ١٩٠٨ ، وعلى والده تلقى مبادئ القراءة والكتابة وعلوم اللغة العربية والدين ، أما دراسته الثانوية فقد تلقاها فى مدرسة طولكرم ، وبعد أن أنهى المرحلة الثانوية أعجب به الاقتصادى الكبير أحمد حلمى عبد الباقى مدير بنك الأمة العربية ، فى فلسطين يومئذ فعينه موظفا فى بنك الأمة العربية ، وتنقل فى عمله بين فروع البنك المتناثرة فى مدن فلسطين بين حيفا وطولكرم والرملة ، وظل يؤدى عمله حتى وقعت الكارثة سنة ١٩٤٨ ، واضطرته للهجرة والنزوح من فلسطين الى أرض الكنانة ، وفى القاهرة تجرع مصباح غصص الحياة ، وقاسى ألوانا من العذاب وصارع البؤس والشقاء بهمة عالية تستهين بالصعاب ، وتتحداها وتنتصر عليها ، وفى أواخر أيام إقامته فى القاهرة ، عاودته الرغبة فى الاستزادة من العلم والمعرفة ، فالتحق بكلية الشريعة فى جامعة الأزهر . وأمضى بها أربع سنوات بين الفقه والأصول والحديث والتفسير ، وحصل فى نهايتها على الشهادة العالية وكان ذلك سنة ١٩٥٦ . وعاد إلى الأردن وعينته وزارة المعارف الأردنية مدرسا للغة العربية والدين فى إحدى المدارس الثانوية ، ثم أخذ يتدرج فى الوظيفة حيث أصبح مديراً لثانوية الزرقاء ، ثم مفتشاً للغة العربية إلى أن أحيل على المعاش سنة ١٩٦٨ ، وبعد إحالته للمعاش استبدت به الرغبة فى الدراسات العالية فحضر إلى القاهرة . وانضم إلى طلبة معهد البحوث والدراسات العربية العالية التابع للجامعة العربية – قسم الدراسات الأدبية – وأخذ يعد بحثاً عن الأديب الناقد أحمد شاكر الكرمى ليحصل به على درجة الماجستير ولكنه لبى نداء ربه قبل أن ينجز بحثه وقبل أن يطبع ديوان شعره .

٢ – شعره :

نشر مصباح العابودى طائفة من قصائده الشعرية فى صحف فلسطين التى كانت تصدر قبل النكبة ، وفى أثناء توجهه للقاهرة أذاع العديد من قصائده الوطنية من إذاعة صوت العرب .

وفلسطين والشرق الأدنى . وألقى طائفة من قصائده فى الاحتفالات التى أقامتها رابطة الطلبة الفلسطينيين فى القاهرة بمناسبة ذكرى الشهداء . ووعد بلفور وتقسيم فلسطين . وجمع ديوانه مخطوطا وأطلعنى عليه .

وهو شاعر موهوب يجيد القريض فى الموضوعات الوطنية وقد ألهمته المأساة الكثير من قصائده .

مختارات من شعره :

إلى اللاجئ الفلسطينى (١)

لئِنْ شرَّدوكَ فلا تكْتئِبْ ... وإن عذَّبوك فلا تَنْتَحِبْ
وإن أنْكروك فصِلْ ودَّهم ... وخل إليهمْ كريم النَّسب
وحاذِرْ – فديتك – أن تَشْتكى ... صروفَ الزّمان ودفْعَ النُّوبْ
وصبْراً جميلاً على حكْمها ... فإنك كبْشُ الفِدا للعرب

* * *

فيا موقِداً جمْرة المشْرق ... بمصر تلَظَّى وفى جِلّق
ويا سيداً أعتقِ الموثقـ ... ـين ومازالَ فى القَيْدِ لم يُعْتَق
يَئِن فيبْكى الثّرى تْحتَه ... وقلبُ العُروبة لم يَخْفق
لعمرى لأنْت المسيحُ الجد ... يدُ يموت ليحيا به من شقَى
ثباتاً فمثلكُ من يثْبتُ ... وتأْبى الهزيمةَ رُوح البَطلْ
فغيظُك هذا الذى تكْبتُ ... سيغْدو شُواظاً إذا ما اكْتملْ
وكهفكَ هذا الذى تنحَتُ ... لسوف يهزّ شِعافَ الجبلْ
ونشؤك فيه الذى تُنبتُ ... محطُّ الرّجاء ونبْع الأَمل

* * *

بلادى اطمئنّى فإنّا هنا ... نصوغُ إليك عُقود المهجْ
بلادى استعدّى ليوم اللقـ ... ـاء فيوم اللقاء وليد درج

---

(١) نظمت فى نوفمبر سنة ١٩٥٢ .

فى موكب الشهداء[1]

اذكرْ إذا شئت الشّهيد بمثل ما صَنع الشّهيدْ
وانظم إذا رُمت القَصيدْ بمثل ما نظَمَ القصيد
وانشدْ أناشيد الأبا ة ودَعْ أناشيدَ العَبيدْ
واخطبْ بنا خطبا تسعّر ها لهاة من حَديد
وأعدْ لنا الذّكْرى تها دى فى الشّعاف وفى الصعيد
إنا كرهنا القَول ألْفا ظاً تساقَط كالْجليد
ولقد سَئمنا العيْش فى ظلّ التفاخر بالجُدود
فاهتفْ لمجد تَبْتَنيه ولا تَقلْ مجدى التليد
واعزفْ لنا لحن الخلو د وسرْ بنا نحو الْخلُود
أذْكرْ إذا شِئْتَ الشّهيـ ـد وأنت تغْشى الْمعْمعَه
واذْكر إذا شِئْت الشّهيـ ـد وأنت تحملُ مدفعَه
واذكر إذا شئت الشّهيـ ـد وأنت تطلبُ مَصْرعه

* * *

عَتْبى على النّشْ الجديـ ـد فهلْ يعى النشْ الجديدْ
وكبارُ آمالى أعلّـ ـقها على هذى الجنود
ولهيبُ أشْعارى إذا اضْـ ـطرمت فَهُم وحىُ النَّشِيد
وملاحمى الحمراءُ إن دوّ ت فهم بيتُ القصيد
يا نشء فيم تقيم والأقْصى يُهَدّدُه اليَهود
يا نشء فيم تهيم والأوْطانُ تَرْسُف فى القُيود
ما هذه الخُطوات والآ مال مطلبُها بعيد
ما هذه الحفلات يحْـ ـييها شريدٌ أو طريد
إن لم تجدْ بدم الشّبا ب فليس معنًى للْوجود

* * *

(١) نظمت فى أبريل سنة ١٩٥٣ .

اذكر إذا شئت الشَّهيـ ـد وقد غلْت كالمِرجَل
واذكر إذا شئت الشهيـ ـد تطوفُ حول القَسْطل
واذكر إذا شئت الشهيـ ـد يشمُّ عِطر الكَرْمِل
واذكر إذا شئت الشهيـ ـد تَشُقّ سهل المجْدَل

* * *

يا نشء لاتأمنْ لمن خذلوك فى اليوم الشَّديد
لا تركنَنْ للوعد إن قطَعوا ولا تخْش الوعيد
واحذرْ فديتك أن تميـ ـل عن الجلاد وأن تحيد
واقذف بعرض البحر ما يروى زَعيمٌ أو عَميد
فلكم غَدتْ منهم وفو د وانبرتْ منهم وفود
ولكَمْ سمعنا قد بذلْـ ـنا الجَهد فارتقبوا الجهودْ
ولكم حفَلنا بالْوعو د. وكم شقينا بالوعود
الكلّ قد قطع العْهو د. وكلهم نكَث العْهود
سيّان فى هذا الأمـ ـيرْ وصاحبْ العرش الوطيد
الكل يزهو بالحما ئل. والعمائم والبرود
والكل قد شغلته دنياه عن الذكر الحميد
عاشوا على ترَف الرشيـ ـد وليس فى شرف الرَّشيد

* * *

فاذكر إذا شئت الشهيـ ـد بمثْل ما صنع الشَّهيد
وانظم إذا رُمت القصيـ ـد بمثل ما نظم القصيد

* * *

اذكره بالْبيضِ الرّقا ق دماً بكفك ترشحُ
واذكره بالسُّمر الدقا ق وقد بدتْ تترنّحُ
واذكره بالخيل العِتا ق تُغير فيك وتضْبَحُ
بحوافرٍ يضْربن والصّـ ـفَّاح حولك تـقْدح

* * *

اذكر إذا شئت الشهيـ ـد بمثل ما صنع الشهيد
وانظم إذا رمت القصيـ ـد بمثل ما نظم القصيد

* * *

كسرتْ يراعى أن عمد ت بها افى حق الشهيد
لـكنها الذكرى تؤرّ قنى فأهتف بالنشيد
فـليرحـم الله الشـهيـ ـد . ولتحى أهْداف الشهيد

الـكون

أرى الكَوْن ذا صورَة مُفْزِعَهْ وكأْساً بخمرِ الشَّقا مُتْرَعَهْ
شعوبٌ تذوبُ بفعل الحديد وأخْرى تَسير إلى المعْمعَهْ
سماءٌ تثورُ وأرْض تمورُ ودنْيا لِكَف الفنا مُسرعَهْ
فسحقاً لعلم شقينا به ومرْحى لجهلٍ أمِنَّا مَعَهْ

٧ – عبد الكريم الكرمى (أبو سلمى)

١٩١٠

١ – حياته :

ولد عبد الكريم الكرمى وكنيته أبو سلمى فى مدينة طولكرم حوالى سنة ١٩١٠ وتلقى دروسه فى المرحلة الأولى فى مدرسة طولكرم الابتدائية ومدرسة الظاهر الابتدائية فى دمشق . وتلقى دروسه فى المرحلة الثانوية فى مدارس القدس ، وبعد اتمام دراسته الثانوية التحق بمعهد الحقوق الفلسطينى وحصل منه على إجازة الحقوق ، وافتتح له مكتبا للمحاماة فى حيفا وظل يزاول فيه عمله حتى وقعت الكارثة سنة ١٩٤٨ واضطرته إلى النزوح عن فلسطين إلى دمشق التى قضى بها فترة من عهود طفولته وصباه حيث كان والده يعيش مع أسرته فى دمشق حين كان عضوا بالمجمع العلمى العربى بها ثم نائبا لرئيس المجمع

يقول أبو سلمى « أول بيت سكناه فى دمشق كان البيت الملاصق للمجمع العلمى العربى فى باب البريد ، وكنت فى الصف الثالث فى مدرسة الظاهر الابتدائية المقابلة للمجمع . وفى هذه السنة انتقلت الوالدة إلى رحمة الله وعشت فى كنف الوالد ورعايته متنقلا بين دمشق والقدس وطولكرم »[(١)]

وفى دمشق زاول أبو سلمى تدريس اللغة العربية فى المدارس الثانوية والإشراف على البرامج الأدبية فى الإذاعة

٢ – شعره :

صدر لأبى سلمى ديوانه الأول المشرد سنة ١٩٥٣ . وطبع طبعة ثانية سنة ١٩٦٣ وفى سنة ١٩٥٩ صدر ديوانه الثانى أغنيات بلادى وله شعر كثير قبل المأساة لم يطبع لأنه ضاع بسبب المأساة ومن هذا الشعر داليته المشهورة التى نظمها فى ثورة فلسطين الكبرى سنة ١٩٣٦ – ١٩٣٩ وطائفة من القصائد.

---

(١) أبو سلمى – الشيخ سعيد الكرمى – سيرته العلمية والسياسية – المقدمة – ص ٩ وقد اختير الشيخ سعيد الكرمى عضواً فى المجمع سنة ١٩١٩ ، ونائباً للرئيس سنة ١٩٢١ ، وفى آخر أبريل سنة ١٩٢٢ ترك المجمع لينشئ مجمعاً علميا عربيا فى عمان ولكن الظروف حالت دون إنشائه .

ويعد أبو سلمى من شعراء فلسطين المشهورين الذين سار شعرهم فى الأقطار العربية وقد تناول فى شعره الأغراض الوطنية والسياسية ، وحيا كفاح الأبطال من أبناء بلاده الذين حاربوا القوات البريطانية فى عهد الانتداب . أما بعد الكارثة فقد تحول شعر أبى سلمى إلى قنابل تنهال على رؤوس الذين أضاعوا فلسطين . وتاجروا بقضيتها ، وتظاهروا بالعطف عليها والذين خانوا أمتهم وعروبتهم ودينهم وأضلوا الشعوب باسم الشعوب وهتف بالثأر ، وطفق يطوف فى الآفاق حاملا نكبة قومه كأنه طيف ثار والحمى طلل فى قصيدته «أرض فلسطين» التى يقول فيها :

أهلى على الدهر تدمينى جراحهم　　فى حبهم يتساوى العذر والعذل
تقاذفهم دُروب العمر دامية　　وأنكرتهم رُبوع الأهل والملل
فى كل أرضٍ شظاياهم مشرّدة　　وتحت كلّ سماء مَعْشر ذلل
أطوف أحمل أنّى سِرت نكبتهم　　كأننى طيف ثارٍ والحمى طلل

وصور الشاعر ماكابده المشردون والنازحون من أبناء وطنه وما تجرعوه من غصص فكان اسم ديوانه الأول المشرد الذى يحمل عنوان القصيدة الأولى فيه .

ولا غرو فى أن يسير شعر أبى سلمى فى فلسطين والأقطار العربية وأن يحتفى به النقاد والدارسون . وأن تختار قصائده لتكون نصوصا مقررة على طلبة وطالبات الثانوية العامة فى مصر والأقطار العربية . فقد تعاونت عوامل شتى على نضج موهبته ومن هذه العوامل رعاية والده وتزويده بقسط وفير من علوم اللغة العربية منذ نعومة أظفاره . إذ حفظ المتون ووعى قواعد النحو ، وأسرار اللغة . هذا إلى جانب عكوفه على ما فى مكتبة والده من ذخائر اللغة وعيون الأدب واتصاله الوثيق . وصداقته الوطيدة لشاعر فلسطين إبراهيم طوقان ولطالما أنشد الشاعران قصائدهما فى المحافل وفى الأعياد الوطنية فى فلسطين ، وفى الدعوة للجهاد ، وفى رثاء أعلام الشعراء والكتاب الذين رحلوا عن دنيانا وتنقله قبل المأساة وبعدها فى الأقطار العربية من القدس إلى عمان ومن دمشق إلى القاهرة وبغداد والجزائر وتونس ، واتصاله بالأدباء والشعراء وشهوده العديد من مؤتمرات الأدب . ومهرجانات الشعر .

وثقافته العربية الأصيلة وورده الينابيع الصافية من تراثنا الأدبى الخالد . واتصاله بالثقافة الغربية . والمذاهب الأدبية .

واستلهامه أروع أغانيه من كفاح أبناء فلسطين ضد الانتداب والصهيونية . وتصويره المعارك الدامية التى خاضها المجاهدون ضد القوات البريطانية فى جبل النار الممتد من طولكرم إلى حيفا . وقد شاء القدر أن يشهد أبو سلمى أبناء وطنه وهم يكافحون الانتداب والصهيونية . وأن يشهدهم بعد

المأساة وقد تناثروا فى الدروب وأصبحت شظاياهم مشردة فى كل أرض واحتراقه بالمأساة ، وتقلبه على جمرها فقد ذاق ما ذاقه المشردون ، وطوحت به المأساة فى مهاوى التشريد والضياع بعد أن أرغمته على مغادرة وطنه ، والنزوح عن ملاعب طفولته .

مختارات من شعره

قبل المأساة

من داليته فى ثورة فلسطين الكبرى

سنة ١٩٣٦ – ١٩٣٩

انْشُر على لهب القصيد شكْوى العبيد إلى العبيدِ
شَكْوى يردّدها الزما ن غداً إلى الأبد الأبيدِ

* * *

قوموا اسْمعوا فى كلّ نا حيةٍ يصيحُ دَم الشّهيدِ
قوموا انْظروا «فرحان»[1] فوْ قَ جبينه أثَر السُّجودِ
يَمْشى إلى حَبْل الشها دةِ صائماً مشْىَ الأسودِ
سبْعون عاماً فى سبيـ ـل الله والحقّ التليدِ
خَجِل الشّبابُ من المشيـ ـب بل السنون من العقودِ

* * *

قوموا انظروا الأَهْلين بَيْـ ـن الوعْد ضاعوا والوُعيدِ
ما بين مُلْقى فى السُّجو ن وبيْن مَنْفىّ شَريدِ
أو بين أرْملة تولْولُ أوْ يتـيم أو فقيـد
قوموا انْظروا الوطن الذَّ بيحَ من الوَريد إلى الوَريد
تـتزاحم الأجْيال دا ميةَ الخُطى حوْل اللُّحودِ

* * *

إيهِ شعوبَ العرب أنْـ ـتُم مبعثُ الأمل الوَحيدِ
حـرّيـة الإنسان بالـ ـدم تشْترى لا بالوعود

(١) الشهيد فرحان السعدى .

إيه فلسطين اقْحمى لُجَج اللّهيب ولا تحيدى
الثورة الحمراء نُطْ عمها الجسومَ مع الكبُودِ
أيان نسأل نارها فتجيبنا هلْ من مَزيد
ووقودها أهل الكرا مة من جحاجحة شَرف وصيد
يانار لاتتظلمى وتقبلى شرف الوقود

بعد المأساة

المشرَّد

يا أخى أنت معى فى كلّ درب فاحْمل الجرحَ وسِر جنباً لِجَنب
نحن إن لم نَحترق كيف السَّنى يملأ الدُّنيا ويهدىَ كلَّ ركب
سر معى فى طُرق العمر وقلْ أين من يحمى الحِمى أو من يلبىّ
فهنا الأيتام فى أدمُعهم وهنا تهوِى العذارى مثل شُهب
وشيوخُ حَملوا أعْوامهم مثقلاتٍ بشظايا كل خَطب
هم ضحايا الظلم هل تَعرفهم إنهم أهلى على الدَّهر وصحبى

* * *

يا رفاقَ الدهرِ هل شرَّدكم فى الورى غَدْرُ عَدُوّ أم مُحب ؟
زُعماء دنسوا تاريخكم وملوك شرَّدوكم دون ذنب
وجيوشٌ غفَر الله لها سلّمتْ أوطانكم من غير حرب
يوم هزّت للوغى راياتها حكمتْ فيه على تشْريد شعب

* * *

يا فلسطين وكيفَ الملتقى هل أَرى بعد النّوى أقدسَ تُرب ؟
وأرى قلْبى على شاطئها ناشراً أحْلامه العذراء قربى
وأرى السمراء تلهْو بالهوى تهبُ النور لعيْنى كل حب

* * *

أيها الباكى وهل يُجْدى البكا بعدما أصبحْتَ فى كل مهب
كفكف الدّمع وسرْ فى أفق حافل بالأمل الضَّاحك رَحْبِ

نـنثر الأنجم فى موكبه موكب الحرية الحمراء يصبى
يا أخى ما ضاع منا وَطَن خالد نحمله فى كل قلب

التراب الخضيب

من يحيى عنّا التراب الخضيبا ويُناجى بعْد الفِراق الحبيبا
قد قطعنا دَرْب الحياة ظِماءً وحملنا على الشّفاه القلوبا
ومشيْـنـا على الـلـهيب وسعَّرناه حتى غدا دماً مشبوبا
وزرعنا الأمجاد فى كلّ أرض وحصدنا الغِراس عزّاً خصيبا
واعتنقْنا الوَغى ثلاثين عاما ونـفرنـا لها شبابا وشِيبا
وبلـوْنـا المستعمرين طُغاة وحـطّمْنا مخالباً ونـيوبـا
ثم جارتْ على البلاد الزعّاماتُ وجار العِدا وكانوا ضروبا

* * *

يا فلسطين كيفَ أهتفُ والقلب يُنادى فلا يُلاقى مُجيبا
من يلبى النداءَ يطلب ثأرا ودماً ضائعا، وحقّاً سليبا
أملوك وهمْ إذا نُسبَ العارُ إليهمْ أبى انتِسابا مَعيبا؟
أرجال أين الرُّجولة لما زَحفوا يلْثمون تلك الدروبا؟

* * *

قل لمن يَرْفعون فى كلّ قُطر علماً خافِق الجناح عَجيبا
عربىّ السيماء يبدو ولكن وراء السيماء وجْهاً غريبا
حكموا باسمه الشعوب وسادوا فأضَلّوا باسم الشّعوب، الشعوبا
ودَعوا باسمنا فكنا الضّحايا وأرَوْنا التّشريد والتعذيبا
دُول كالدّمى تمثّل دَوْرا رسموه لها وفَصْلا مُريبا

* * *

بعد عشر سنين

يا رِفاقى جَبُل النار دَعانا   الهوى هذا الذى هَبَّ هوانا
والنسمات التى مرَّت بنا   حملتْ من أرض حِطين شذانا
وعلى كل طرَيق عبقٌ   من صِبانا وشُعاع من دِمانا
وإذا ما لفظتْ أهلى الرّبا   هتفتْ من خَلَلِ الدمع رُبانا
وإذا أنْكرنا كلُّ ثَرى   وانتسْبنا جبل النار نمانا
أى سفح لم يسرْ فيه لَظى   من فلسطين ولم يَعرف سرانا
أى شَعْب خفقت أعلامه   حرة إلا على دامى خُطانا

* * *

باسم أطفالِ بلادى زَحفوا   فى الدُّروب الحمْر ذُلاًّ وهَوانا
بالضّحايا كَتبوا تاريخنا   بالخيامِ السُّود تبكيهم زمانا
باسْم أهلى فى بقايا وطنى   باسمهم فى طُرق البؤس حَزانى
باسمهم فى كلّ أرض مثلوا   شاهداً قد صبَّه الظلم عَيانا
واسمهم يهدر فى شِعرى دما   ودُموعا وسعيراً ودُخانا
باسمهم نقسم أن لا نلتقى   فى غد إلا على طُهْر ثرانا

* * *

يا فلسطين مضتْ عشْر وفى   كلّ يوم يسمعُ الدَّهر نِدانا
وحشدْنا فيه من خُضْر المنى   أملاً أنضر من أزهار قانا
وزَرعْنا الشوق فيه فزكا   واعتنقْنا مثل ما نَهوى كِلانا
وأتيْنا واللّظى يحرقنا   عَرَبا قلْبا ووجْها ولسانا
يا أحباىَ مضتْ عشرولم   تَلثم الترب َ المفدَّى شفَتانا
وشظايانا اللواتى وحّدت   بين أهْلينا ولم يبق سوانا
لن تتمَّ الوحدةُ الكبرى إذا   لم يلحْ فى الوحْدة الكبرى حِمانا

المتجاهلة

سألتك بالحبّ أن ترحمى ... فهذا هواك سَرى فى دَمى
على شفتيكِ تحومُ الأمانى ... وقلْبى يَحوم فلا تحرمى
وأنفاسُك الموحيات الهوى ... وشِعْرى يبوحُ ولم تَعْلمى
تَقولين من أضْرَمَتْ قلبه ... فغنّى كأنكِ لم تُضرمى
وتستفسرينَ من الزَّهر عنها ... وعن ذلك الشاعِرِ المغْرم
وأنت التى جمَّلتْ لى الحياة ... وأصبحْتِ أغْنية فى فمى
ولولاك ما عبقَتْ زهرة ... ولا خفقَ النور فى الأنْجم
وفى مقلتيكِ أرى العالمين ... ودُنْيا ترِف على المبسم

شعر الغزل

تُسائلُ كيف عرْفتَ النَّسيب ... وممن تعلّمتَ شِعر الغزل
تعلمتُه من شَذا وجْنتيك ... إذا ما تفتَّح زهرُ الأمل
ومن شَفَتيكِ سرقتُ العبير ... وحلْم الصبا والأغانى الأول
ومن مقلتيكِ قبستُ السنى ... فرفَّ على الشعر سحْر المقل
ومن ثغرك العذب ذقتُ الهوى ... ولولاه لم أرَ وحياً نزل
ومن قدك اللدن لو تعلَمين ... أوشّى القريضَ بحسن ودل
ومن خفة الدم صُغْتُ الخيال ... وقلت لِقلبى عسى أو لَعل
تعلمتُه من لَيالى اللقا ... معَطَّرة برَفيف القُبل
ألم تَعلمى بعدُ سِرَّ النسيب ... وممن تعلمتُ قالتْ : أجل

آثار الشاعر الشعرية :

١ - المشرد - دمشق سنة ١٩٥٣ الطبعة الأولى والثانية سنة ١٩٦٣ .

٢ – أُغنيات بلادى – دمشق سنة ١٩٥٩ .

٣ – من فلسطين ريشتى – بيروت سنة ١٩٧٠ .

ومن آثاره العلميه والنثرية :

١ – أحمد شاكر الكرمى – مختارات من آثاره – وزارة الثقافة والإرشاد القومى مديرية التأليف والترجمة نشر وتوزيع مكتبة أطلس – دمشق – ١٩٦٤ .

٢ – الشيخ سعيد الكرمى – سيرته العلمية والسياسية – مختارات من آثاره – المطبعة التعاونية – دمشق سنة ١٩٧٣ .

٨ – مطلق عبد الخالق

١٩١٠ – ١٩٣٧

١ – حياته :

ولد فى مدينة الناصرة وبها ترعرع ونشأ وتلقى دراسته فى المرحلة الأولى بمدارسها الابتدائية ، وظهرت عليه دلائل النبوغ وسمات الذكاء فكان أول فرقته فى سنوات المرحلة .

أما دراسته فى المرحلة الثانوية فقد تلقاها فى كلية روضة المعارف فى مدينة القدس وحصل منها على شهادة إتمام الدراسة الثانوية بتفوق .

وانتقل من الناصرة إلى حيفا واستهواه العمل الصحفى فاستهل حياته فى العشرين من عمره بإصدار مجلة كشفية أسماها كشافة الصحراء ، ثم عمل محرراً فى صحيفة اليرموك فمحرراً فى صحيفة النفير فمحرراً ومراسلا لصحيفة الدفاع

وشغل العديد من الوظائف ودفعه ذلك للتنقل فى مدن فلسطين من الشمال إلى الجنوب حيث عين موظفاً فى البنك العربى بحيفا ثم ترك البنك وعمل أميناً لسر صحيفة الصراط المستقيم التى كانت تصدر فى مدينة يافا .

وفى التاسع من نوفمبر سنة ١٩٣٧ ذهب إلى منزل الشاعر وديع البستانى من أجل بذل المساعى لإطلاق سراح المعتقلين السياسيين الذين اعتقلتهم حكومة الانتداب فى مخيم المزرعة بمدينة عكا بتهمة اشتراكهم فى ثورة فلسطين الكبرى سنة ١٩٣٦ ، وفى أثناء عبور سيارته خط السكة الحديدية اصطدمت بالقطار القادم من القنطرة إلى حيفا فتهشمت وتحطمت وأصيب الشاعر بجراح نقل على أثرها إلى المستشفى ولكنه فارق الحياة فى السابعة والعشرين من عمره

٢ – شعره :

بدأ الشاعر ينظم الشعر وهو طالب فى المرحلة الثانوية وينشر منظوماته فى الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى فلسطين فى تلك الحقبة ، ويلقيها على الجماهير فى النوادى الأدبية والجمعيات الثقافية .

وبعد حصوله على شهادة إتمام الدراسة الثانوية عكف على القراءة والاطلاع وشغفته كتب الأدب والتاريخ والحضارة ولكنه عشق الفلسفة ، وأغرم بنظرياتها فقضى فترة يغوص فى شعابها ، ويقرأ

نظرياتها وقد سيطرت عليه نزعة تشاؤمية قاتمة جعلته يزهد فى الحياة ويتمنى الموت وظللت حياته بسحب من الأسى والحزن وقد جمع شعره بعد وفاته فى ديوان الرحيل[١] الذى أشرف أخوه على طبعه .

قال الشعر فى الإغراض الوطنية والسياسية والاجتماعية وفى الغزل والرثاء والوصف ، وفى التأملات النفسية .

مختارات من شعره :

هوان الحياة

تَموتُ الحياةُ ويفْنَى العُمر ونَحْن إلى المَوْت نَمْضى زُمَرْ
ونرْتدّ فِى حُفْرة مالَها قرارٌ ونَغْدو بِها كالْحُفَرْ
ونضْحَى غِذاءً لدُودِ الثّرى وسُخرية لِلقضا والقَدَرْ
ويتْلُو المشِيبُ جمال الصّبا ويلْحَق بالأوّلين الأُخَرْ
وسِيّان فى صَفحة الْمنتهى غدٌ ما تقضّى ، وأمسٌ عَبَرْ

* * *

نمُوتُ ولكنّنا يا أخِى نُحبّ الحياةَ ولا نَعْتبرْ
ونذْهلُ عمّا وراءَ الحياة بما ينْجلى مِنْ شتيت الصُّورْ
فنَحْسبُ أنَّ الْحياةَ الغِنَى وجاهٌ عريضٌ وظبىٌ نَفرْ
وسُكْنى القُصُور ، ولُبْس الْحريرِ ونوْمُ السَّريرِ ، ونَفْح الزَّهرْ
طُيوفُ رغائِبنا فِى الجسُوم وأشْباحُ شهواتِنا والفكَرْ

* * *

يقُولُون عنِّى فتىً بائِسٌ يصوِّرُ الشِّعْر له ما اسْتَترْ
فيرنو إليهِ رنوّ الْحزين ويرْتدّ عنْه كَليلَ البصَرْ
فيَسْخطُ فى نفْسه صاخِباً علىَ النّاس يَرمِى شُواظ الشّرَرْ
وما أنا ياقومُ بالْبائِسِ الشّقىّ بل السّاخِرِ الْمحتقَرْ

---

(١) نشرته دار الأحد – بيروت سنة ١٩٣٨ .

وماذا تَراها تكُونُ الحياةُ لأَغْدو بها بائساً مُنكسرْ

* * *

أمرُّ بدنْيايَ مُسْتلهماً خيالات شِعْرى كَمن لا يَمرْ
فأسْمُو بِشعْرى إلى حيزٍ عرائسُ شِعْرى به تَزْدهِرْ
وأخْلد فى عالَم نيِّرٍ وأبْعد عن عالمٍ مكفهرّ
وأنْسى بأنّى على الأرْض أو بأنّى جِسمٌ وأنّى بَشَرْ

* * *

بَنى النَّاس دُنياكم جِيفَة وليسَ على أرْضكم ما يَسرْ

سحر المال

يامالُ فِي الأُفْق البَعيد سحابُ وعلى مَعالِم صَفحتيك ضبَابُ
يامالُ بَيْنكَ والنَّواظِرِ خشَّعٌ طَمعاً ، وبيْن العالَمِين حجابُ
تبْدُو لَهم فإذا الْحياةُ جَميلةٌ وإذا بآمال الحياة عذابُ
والنَّاسُ لو عَلمُوا الحقِيقة أَدْركُو يامالُ أنكَ ساحِرٌ كذَّابُ

* * *

يامالُ كَمْ نُثرتْ عليْكَ جَماجمٌ وعَليكَ كَم -يامالُ- طاحَ رقابُ
وعَلى أَديمكَ كم صُروحٌ زُلزلتْ أركانُها فإذا الصُّروحُ يبَابُ
وعلى جَحيمكَ كَمْ ديارٍ أحْرقتْ فِي غفْلةٍ فإذا الدِّيار خَرابُ
وعليْكَ كَمْ فاضتْ عليْكَ مدامعٌ وذَوتْ حُشاشاتٌ وسال لُعابُ
ياجامعَ الأَضْدادِ أمْرك بيِّنٌ مـاأنْتَ إلا غِرَّة وكذابُ
وعَليْك من بُرح الْحياةِ غشاوة وعَليْكَ من مَرح الْوُجود ضبابُ
وبكَ اللَّئيم سما وبرَّز خاملٌ وتنازَعَ العلَم الكَرِيم عَذابُ
وبكَ البَصِيرُ غدا وفيه عَمايَةٌ يامالُ والأَعْمى يَرِى ويُهابُ
وبكَ الشُّيوخُ بدَوْا وفيهم صَبْوةٌ يامالُ مِنْ مَرحٍ وشاخَ شَبَابُ
وبك اللباب غدا - تكلتك عابثا بالناس - قشرا والقشور لباب

يا عابدى الذّهب الخسيسَ قلوبكُم قُدّت مِن الصَّخْرِ الأصَمِّ صِلابُ
أَعْمارُكُمْ تقْضُونها فى ذلّةٍ وكزازة وحياتكُم أسْلابُ
فترفّقاً أعْمارُكم موقوتةٌ وتعفّفاً هٰذى الحياةُ سَرابُ

* * *

يامالُ آهِ لِعابديك حياتُهم ولَهمْ -ومالى- مأْكلٌ وشَرابُ
والعَيْشُ فى نَظَرى حديث خُرافةٍ ولأنْت حَلْوى والأنامُ ذُبابُ
يامالُ أنْت أخسُّ شىْءٍ منْزلاً عِندى ، وأَنت كما أراكَ تُرابُ
أنا لِلْعُلا أرْنو فمالِى مطْمعٌ فِيك ومالك فِى حِمایَ رِكابُ

إلى الزُّعماء

قَدّمْتم قبْلَ أيّام مذكّرةً إلى الحُكُومةِ ياقَوْمَ الزّعاماتِ
ياليْتَ أنّا عَرفْنا مايطرِّزُها مِن المعانى ومنْ سامى العباراتِ
وليْتَنا ماجَهلْناها وماجَمعت مِنَ الحُلولِ لأَبعادِ الظّلاماتِ
رُويْدكم لاتلُومُوا إنّنا بَشرٌ منَ التُّرابِ وأنْتم فى السّمٰواتِ
مُذكّرات كِثارُ العدِّ قدْ سبقتْ هٰذِى فراحَتْ شَظايا كالقُصاصاتِ
ياسادَتِى قدْ قَضيْتُم فى كِتابتِها شَهْراً فأمْهلتم شَهْراً وساعاتِ
ماذا جنيتُمْ سِوى إعْراضِ أُمّتكِمْ عَنكُم وغَير شماتات الحكُوماتِ
طُوبَى لكم قد حَصدتُم بَعضَ مابَذرتْ أيديكمُ من «زوان» فارْقبوا الآتِى

يوم الهوان

لَهفِى عَلَى وطنٍ تنازعَ أَهْلَهُ عَبثُ الرُّءُوس وضيْعَة الأَذْنابِ
الضِّغنُ والشحناء بَعضُ خُطُوبهِ ومصارعُ الأخلاقِ والآدابِ
وتبلْبلُ الرَّأْىِ الشّتيتِ وعِزّةٌ موءودةٌ وتَناحُر الأحْزابِ
وتواكُلٌ فى الحادِثاتِ وذِلّة وفتورُ أشياخٍ ، ونومُ شبابِ

وتزلّفٌ أومَا رَأيْتَ سُراتنا هاماتُهم تَمْشِى عَلَى الأعْتابِ
يَومَ الهَوانِ نكأتَ جُرحاً دامياً وأثرتَ بالّذكْرى الأَلِيمة مابِى
ورَجعت بِى عِشْرين عاماً كلها تبرِيح آلام وطُولُ عذابِ

الوطن

قِيلِ لى هات فى الْوطَن شاعِـر الْـحبّ والْـحَزَنْ
إنَّـنـا الـيـومَ نَشْـتـهِى شـاعـراً يـذْكُـر الْمِحَنْ
إنَّ لَـيْـلى وعَـــزَّة والـرَّشـامِـتْـنَ مـنْ زَمَـنْ
فـدع الحبَّ والـهَـوَى ودعِ الشَّـجْـو والشَّـجنْ

* * *

موطِنى آه مـوطِـــنِى شـاقِـنى ذكْـرك الحسَنْ
أنــا صَبٌّ مــتَـيَّـمٌ بكَ يـافِـتْـنَـة الـفـتَنْ
كـلَّما ردت خـاطـرى هجتَ فى السِّرّ والعلَنْ
واعْترتـنِى اهـتِـزازةٌ هـزَّت الـرُّوح والـبَـدنْ
ثـمَّ صـعَّـدت زفـرةً مِـن لَـهيبٍ وقلتَ منْ

* * *

من يَـرى الهولَ نازلاً بـالحمَى ثم لايُـجنْ
موْطِنِى الْـعين أجْـهشتْ والهَوَى فِى الحَشا كمَنْ
إنَّـــــهُ الحبُّ موْطِنى إنـهُ الحبّ مُسـتـكنْ

آثار الشاعر:

الرحيل – ديوان شعر – دار الأحد بيروت سنة ١٩٣٨ .

٩ - برهان الدين العبوشى

١٩١١

١ - حياته :

من رسالة خاصة بعث بها إلينا وترجم فيها لنشأته وحياته بقلمه يقول : « ولدت فى مدينة جنين سنة ١٩١١ وأنهيت دراستى فى المرحلة الابتدائية فى مدرستها ، أما دراستى فى المرحلة الثانوية فقد تلقيتها فى كلية النجاح الوطنية بمدينة نابلس أولا فالكلية الوطنية فى الشويفات فى لبنان ثانيا » .

« وأنهيت السنة الإعدادية فى الجامعة الأمريكية فى بيروت ولكنى لم أتمكن من مواصلة دراستى بها لأسباب وطنية ، وكان ذلك سنة ١٩٣٢ . .

«وعينت موظفاً فى البنك الزراعى العربى بنك الأمة العربية بناء على رغبة أحمد حلمى باشا. وفى سنة ١٩٣٦ اعتقلنى الإنجليز بسبب تحريضى القرى العربية على الثورة واشتراكى فى محاربتهم وعوقبت بالنفى الى منطقة « عوجا حفير » . على حدود سيناء بعد أن قضيت فترة فى سجن القدس ثم نقلت مع الأحرار المناضلين إلى معتقل «صرفند» . . بالقرب من مدينة الرملة لمدة ستة أشهر ثم اعتقلت بعد خروجى وأدخلت معتقل مزرعة عكا مع عدد كبير من الإخوة المجاهدين . وكنت المحرض الأول على الإضراب عن الطعام هناك . . ثم نزحت إلى بيروت ومنها انتدبتنا الحكومة العراقية سنة ١٩٣٩ للتعليم فى العراق وظللت به إلى نهاية مارس سنة ١٩٤١ حيث اشتركت فى معركة رشيد عالى الكيلانى ضد الإنجليز وكان معنا فى هذه الحرب البطل المجاهد عبد القادر الحسينى وآخرون من أبناء فلسطين . ثم تسللت إلى الموصل فسورية وعدت إلى جنين وإلى وظيفتى فى البنك فى حيفا وكنت أميناً للسر للمقر العام لجمعيات الشبان المسلمين فى حيفا . وفى سنة ١٩٤٥ سافرت إلى القاهرة مع الكشافة الإسلامية لشرح قضية فلسطين ، والتحقت بالقوات العربية التى حاربت اليهود سنة ١٩٤٧ ، ونقلت إلى جنين سنة ١٩٤٨ ، وخضت المعارك ضد اليهود مع جيش الإنقاذ ، وأصبت بجرح بالغ فى كتفى .

وبعد انسحاب الجيوش العربية من فلسطين سافرت إلى بيروت لطبع مسرحيتى الشعرية الثانية شبح الأندلس ، وزرت العراق وجعلت أزاول مهنة التدريس فى مدارسها إلى أن أحلت إلى المعاش » .

٢ - شعره :

فى خلال الفترة التى حددناها لهذه الدراسة صدر للشاعر برهان الدين العبوشى ثلاث مسرحيات شعرية وديوان ، الأولى وطن الشهيد ، والثانية شبح الأندلس ، والثالثة عرب القادسية ، ثم ديوان جبل النار .

ولكنه أصدر طائفة من المسرحيات والدواوين بعد ذلك والعبوشى شاعر مجاهد سخر شعره لخدمة أمته وبلاده ، وتقلد بندقيته وخاض المعارك ضد جيوش بريطانيا ، والعصابات الصهيونية ، وأبلى فى الدفاع عن فلسطين أحسن البلاء .

وعاقبته بريطانيا على جهاده بالاعتقال والنفى والاضطهاد والمحاربة فى الرزق فلم يزده حربها إلا ثباتاً على المبدأ وإلا مزيداً من الجهاد وحرصاً على الاستشهاد .

وشعره ترجمان صادق لمايضطرم فى جوانحه شعر وطنى قومى يحرض على الجهاد ، ويوقظ النيام ، ويبصر قومه بما يحاك ضدهم من مؤامرات ، ويدعو العرب والمسلمين إلى وحدة الصف ، ورأب الصدع ، واجتماع الكلمة ، ويحذر من التفرق ويستلهم العبرة مماحدث فى الأندلس . ففى مسرحيته الأولى يقول فى مقدمتها : «إن كتابى هذا هو الأول من نوعه حسب اعتقادى الأول من نوعه عن فلسطين إذ صورت فيه بالشعر المتواضع نوايا العدو وتخيل ما يضمره لانتزاع فلسطين وما جاورها من العرب لعل فى هذا التصوير حافزاً للأمة العربية لتتدارك الأمر وتستعد وتحرص على الباقى وتنظم شملها وتنسى أحقادها» .

وقال فى مقدمة مسرحيته شبح الأندلس إنه قصد من تسميتها أن ينبه العرب شعوباً وملوكاً وحكومات إلى ماهم فيه من خلاف ونزاع يكفى بعضه لضياع فلسطين وبلاد العرب كما ضاعت الأندلس وليعيد إلى ذاكرة كل عربى رواية خروج العرب من الأندلس التى مثلت كثيراً على مسارح فلسطين ليتعظ بها الناس ، و يمضى قائلا نحن الآن نمثل رواية خروج العرب من فلسطين فمتى يمثل العرب رواية دخول فلسطين وتحريرها ؟ .

أما فى مقدمة ديوانه جبل النار فيقول : أسميت ديوانى جبل النار اعترافا ببسالة أهله ، وسترى فى هذا الديوان ومضات من شعر الصبا ، وفيه تنبأ الحس المرهف بما سيقع لنا ، وفى الديوان شعر قلته فى دمشق والقاهرة و بغداد لننبه الإخوان إلى الخطر نفسه ، ولكنهم لم يدركو الخطر كله ولاأدرى إن كانوا أدركوه اليوم .

لن تجد فى ديوانى أثراً لغزل أونسيب فى شقراء مصقول ترائبها لأن حب الوطن شغل قلبى عن العرب الأتراب بالعرب والتراب .

الناس تعشق فى الحياة حبيبة وحبيبتى الأولى هى الأوطان

ولم أكن أجهد نفسى فى تزويق شعرى فإننى لا أحب التصنع بل كان شعارى :

حُسْن الحضارة مجْلُوب بتَطْرِية وفى البداوة حُسن غير مجْلوب

ولم أكن لأقول ليقال إنى شاعر بل هى ثورات نفسية عاطفية منطقية تجيش فى صدرى فأنفثها لأبناء الشعب على اختلاف مداركهم ليفهموها لأنها نتيجة آلامهم ، وخلاصة أوطانهم » .

والواقع أن شعر العبوشى ذوب نفسه ، وعصارة روحه وترجمان قلبه أراد به أن ينبه قومه عرب فلسطين والعرب حكومات وشعوبا إلى الخطر المحدق بهم فى فلسطين ليدرأوه قبل استفحاله ، وفى سبيل تلك الغاية استخدم شعره سلاحاً فى المعركة ، واستخدم مع شعره بندقيته ومدفعه فكان من الشعراء الفرسان .

مختارات من شعره

قبل الكارثة

الوطن المبيع

مرّغ جبينك فى طهور ترابه واسْجُد فإن الله فِى محرابِه
واخْفضْ جَناح الذّلّ للوطن الّذِى رواك من أكْوابه ورضَابهِ
وطَنِى فداهُ دَمِى وما مَلكت يَدِى وإذا فَدَيت قَضَيت بَعْض حِسابه
والله لوجَعلُوا الكواكِبَ فِى يَدِى لنبذتُها تَهْوى عَلَى أعْتابهِ
وأعزّ مانرجُوه نَحْن شَبابه أنِ نحمل الرّايات فوق هضابهِ
يابن البِلاد وأَنت كل رَجائِها يَوم الْجلاء اسمع نعِيق غرابهِ
مامس أَندلساً يمسك مثله فابْذُل له تلحقه قبل ذهابهِ
قَدْ شردوا العربى عن أوْطانِه قد جرّدُوا العربىَّ من أثْوابهِ

* * *

لَهْفِى على اللّيث المهدد غابُه قد كانَ اَجْدر أَن يمُوت بغابهِ

والحرُّ يدْفع عن حِماهُ بسَيْفِهِ ... فإذا تحطَّم سَيْفُهُ فبنابِهِ
فَلنمشِ للموْتِ الزُّؤام كما مَشَى ... جَيْشُ النَّبى بشيبه وشبابه
لَم تَسْمَع الدُّنيا بمِثْل مُصابنا ... ومُصاب هذا الشَّعب من انصابهِ
بلغَ الأَسَى والحِقْد فينا مَبلغاً ... قد كادَ يخْرجُ عنْ حُدود نِصابه
فالمجْدُ لايُبْنَى بِغير جَماجم ... والْمجدُ تحْميهِ سُيوفُ غضابهِ
إن كان الاسْتقلالُ يؤخذ عنوةً ... والموت فيهِ فنحنُ من أربابهِ

مصر (١)

سَرى الرَّكْب مشتاقاً يحنُّ إِلَى مِصر ... يزفُّ سلامَ القدْس للبَلد النَّضْر
يُعبِّر عن آمالِهِ بشبابِهِ ... ويرفعُ آى الشُّكْر للسَّادة الغرِّ
إلى بلدٍ فاضتْ أيادِيه بالنَّدى ... عَلَى أمَّة شادَت فسادَت على الدَّهْرِ
يُطأطئُ رَأسُ الكونِ إن لاح تاجُها ... علَى رأسِ راعِيها ويخْشعُ للذِّكْرِ

* * *

شممتُ شَذا مِصر فأسْكرنى الشَّذا ... وهِمْتُ بنهْرِ النِّيل وهْوَ بها يجْرى
فسُبْحان من أَعْطاك من فَيْض حُسْنه ... وسُبْحان مَن أضفى عليكِ سَنَا الفخْر
شَقَقْت ثَرَى مِصْر فرويت أرْضها ... وأنْجبت أجْيالا مِن السَّادة الزّهْرِ
فلولاك لَم يَسْمَع «بخُوفو» مسامعٌ ... ولولاكَ لَم يسْعَ الزَّمان إلى مصْرِ
ولولاكَ لَمْ يخْفُق جَناحٌ ولم تَطر ... إلى «أُم كَلْثوم» ملائِكة الشّعْرِ
ولم يَأتِ «أنطون» إلى مصْر عاشقاً ... ولم يأْت عَمْرو مِصْر من بلَد قفرِ
تجمَّعت الدُّنيا بِوادِيك تجْتَنى ... جناك ولم تلْهج لمصْرك بالشُّكرِ
فَتِهْ مُعْجباً يانِيلُ فالمجْدُ كلُّه ... نباتُكَ فاسْق الكوْنَ من فيْضِكَ الغَمْرِ

* * *

فَهلْ عنْدكم ياأهْلَ مِصر بقيَّة ... تبدِّل ذُلَّ القدْسِ بالعِزِّ واليُسْرِ ؟

---

(١) ألقيت القصيدة من محطة الإذاعة المصرية فى القاهرة فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ حيث كان الشاعر فى زيارة لمصر مع الكشافة الإسلامية وتقع فى ثمانية وعشرين بيتاً .

وهلْ عِنْدكم ماعِنْدنا منْ مصائبٍ   مَصائبنا حُكْم السِّياسة والغَدْر ؟
فإنْ تَسْلَمِى يامِصْر فالشَّرق سالمٌ   وإنْ تنْفُرى نَنْفر إلَيْكِ علَى ضُمْرِ
وإنْ تدْعنا يانِيلُ للرَّوع نأْتهِ   جنودا فإن الشرَّ يُقرع بالشرِّ
نموتُ ونحْيا والأُخوة ديننا   ونهتف بالتَّوحيدِ حتّى من القَبْر

لايلدغ المؤمن من جحر مرتين[1]

أرهقْتمونا وقربتم مَنايانا   واليوم تبغُوننا نَنسى ضحايانا ؟
لم تتركوا فوقها أُنْثى ولاذكَرا   إلاقتلْتُم له أَهْلا وإخوانا
ولم تُراعوا لأهْل الدِّين حرمتَهم   بل انتبذتم وراء الجوْر صبيانا
زاحمتم الله فى الدنيا فقوَّضكم   وزلزلَ الأرض حيتانا وعقبانا
وصاح فيكمْ فأشقاكم وشردكم   وضاقَت الأرضُ فيكم من خَطايانا
وماجمعتمْ طِوال العمر بدّده   وصرتم للعَبيد السود عُبدانا
يحمونكم من نُسور الريخ خاوية   عليكم كرُجوم الجن حسبانا
ومن صواعق يابانية صهرتْ   من جمرة الشمس نيرانا وبركانا
تذيبكم مثلما ذُبنا وتصهركم   كما صَهرتم أمانينا وَقتلانا
أبعد ماجرتمُ واشتطَّ حاكمكم   جئتم تُريدوننا أهلاً وخلانا ؟
لا كانت العرب إن مدت لكم يدها   بغير سيف تجلت فيه أحزانا

بعد الكارثة

سألهب الأرض

لقيتُ ظلما فعفت الأهل والولَدا   ولم أُطقْ فى بلادى الغَبن والنكدا
وكيف أبسمُ والأيام عابسة   والأهل فى جرح والشر قد مردا

---

(١) الخطاب موجه للإنجليز الذين طلبوا من عرب فلسطين أن يحالفوهم فى الحرب الثانية وهم يذبحونهم ويشردونهم وفى القصيدة شماتة بهجمات الألمان على الجزر البريطانية.

أليس لى مهجة تصدى إذا ظَمئوا — وإن بكوا خلت عينى قرحت رمدا
أليس من دينهم دينى ومن دَمهم — دمى الذى منه أرجو للبلاد فدا ؟
دمى الذى منه ساقيتُ العِدى قدحاً — فما ارتووا وسأحْيى العُرب فيه غدا
سألهب الأرضَ علّى لاأرى أحداً — إلا ابن يَعرب يمشى فوقها أسدا

* * *

أريدُها راية خفّاقة يدها — فوق الجميع ولم نُشرك بها أحدا
أريدها العلمَ والأخلاقَ مافضلت — أريدُها العزمَ والإيمان متقدا
أريدها دجلة والنيل محتضناً — ومكة وفلسطين إلى بردى
أريدها المغرب الأقصى إلى عدن — أعزُّ ضادى بها والخالق الصمدا
أريدها كل شئْءٍ فى الوجود ألم — تكن كذلك يوم استلهمت أحدا ؟

ياأخى اللاجئ

يافتى القدْس تجلّدْ للأذى — كنْ حديداً حامياً قلباً ويدْ
واحمل النفس على الصبر فما — ينفع البأس إذا الصَّبَر نَفَدْ
أيها اللاجئ ياكبْش الفدا — أنت علّمت الورى الجود فجُدْ
الـثلاثون التى جاهـدْتها — قد دَعتْ أبْطالها الأسْد لِغد
قد أبى الثار علينا غفلةً — فلنمتْ من مات للثار سعد
لاتقلْ إنى غريب هاهنا — إنما أنْت أصيل من مَعَد
لاتقل إنى قليل فى الورى — أنت فى العُرب كثير لاوحَد

مسرحية وطن الشهيد [(١)]

وتقع فى ثلاث وثمانين صفحة من القطع المتوسط وقد طبعتها المطبعة الاقتصادية فى القدس سنة ١٩٤٧ ، وتحتوى على أربعة فصول يضم الأول أربعة مشاهد ويضم كل من الثانى والثالث والخامس ثلاثة مشاهد ويضم الرابع ستة مشاهد .

---

(١) د. كامل السوافيرى الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

وقد أهداها المؤلف للشهيد وصدرها بمقدمة وضح فيها هدفه من تأليفها فقال :

«إن كتابى هذا هو الأول من نوعه حسب اعتقادى عن فلسطين ، إذ صورت فيه بالشعر المتواضع نوايا العدو وتخيل ما يضمره مستعيناً بالمطالعة والجرائد والأخبار اليومية والحوادث الدامية والتحليل والبيانات المختلفة والعقل والعاطفة وتجارب الذين خدموا القضية على تصوير مدى استعداد العدو وخداعه وبذله وتنظيمه وحيله لانتزاع فلسطين وما جاورها من العرب لعل فى هذا التصوير وهذا التخيل والاجتهاد - مبالغاً فيه أو غير مبالغ - حافزاً للأمة العربية لتتدارك الأمر وتستعد وتحرص على الباقى وتنظم شملها وتنسى أحقادها ثم إننى أعلم أن مواضع النقد الشعرى فى كتابى هذا موجودة ولكن ليعلم إخوانى الأدباء أننى أردت الشعب الذى هو موضع العناية والعرق النابض وأن ضميرى لجد قانع بأننى قمت بواجب للشهيد والمجاهد والعاملين» .

ويصور الفصل الأول من المسرحية سخط العرب على الأتراك فى خلال الحرب العالمية الأولى وقيام الثورة العربية فى الحجاز ضد الأتراك بقيادة شريف مكة وامتدادها من الحجاز إلى الأقطار العربية الخاضعة للترك ويصور الفصل الثانى فرحة اليهود الغامرة بنجاح مساعيهم فى الحصول على وعد بلفور وطيف الأمل الذى داعب خيالهم بإنشاء دولة فى فلسطين .

ويصور الفصل الثالث سعادة اليهود بهجرتهم إلى فلسطين واكتمال هنائهم بمرأى أورشليم ويصور الفصل الرابع كفاح عرب فلسطين الرائع وبطولة أبنائهم فى الدفاع عن فلسطين وصد الصهيونية عنها وتدفق إخوانهم من الأقطار العربية على البلاد ووقوفهم إلى جوار أبنائها فى ميادين القتال وجريان الدم العربى على بطاحها ورباها أثناء الثورة الكبرى سنة ١٩٣٦ والمعارك التى وقعت بين المجاهدين وبين الجيش البريطانى وماكان يدور من حوار بين قادة هذه المعارك كالحوار الذى صوره المنظر الثالث الذى تخبرنا أبياته بين القائد سعيد العاص والقائد عبد القادر الحسينى فى جبال الخليل .

ويصور الفصل الخامس إعجاب الدول العربية ببطولة عرب فلسطين وإحساسها بالمحنة وتضامنها للوقوف إلى جوار أبنائها ، والعمل على إنقاذ فلسطين بالقتال لا بتأليف اللجان وإصدار البيانات .

وقد بذل المؤلف جهداً مشكوراً فى تحرى الحقائق التاريخية والوقائع الحربية وتسلسل الأحداث ومواقف الأبطال والمجاهدين ووفق فى تصوير البطولة فى أزهى الصور وفى تصوير الشهداء فى الصور المشرقة وساعده على ذلك سهولة النظم وبساطة الأداء واستطاع أن يصور نوايا الأعداء ، ويتخيل شر ما يضمرونه كما استطاع أن ينبه الأمة العربية ويوقظ مشاعرها .

ولكن الناحية الفنية فى المسرحية لم تنل حظها من العناية فالمسرحية تفتقر إلى وحدة الموضوع وكل

فصل من فصولها تناول موضوعاً ، وتفتقر إلى الترابط بين الفصول أولاً وبين مشاهد كل فصل ثانياً وتفتقر إلى ما نسميه التخطيط المسرحى القائم على الحركة وتدرج الأحداث .

ومع أن المسرحية تاريخية وسياسية فقد كثر عدد أشخاصها حتى أربوا على المائة بين حقيقى وموضوع وقائد ومجاهد وشاعر وزعيم وبين أشخاص من العرب وأشخاص من اليهود .

مسرحية شبح الأندلس[1]

مسرحية شعرية تقع فى ٧٥ صفحة من القطع المتوسط نشرتها دار الكشاف فى بيروت سنة ١٩٤٩ ، واستوحت مأساة فلسطين ، ومعركة جنين الكبرى التى كان الجيش العراقى يعسكر فيها وعلى الجانب الأيسر من غلاف المسرحية هذه الأبيات .

من كان يطْمع فى الخُلو د ففى فلسطين الْخُلودْ
أبوابُـهـا الـفولا ذ تفتحها المدافعُ والجُنود
فى قلْبها سكنَ الشهـ ـيد وبالشَهيد غداً تعود

وأهداها إلى فلسطين وكان الإهداء هذه الأبيات :

بلادى إليك العذاب المذاب بصفحة عُمْرى وهذا الكتاب
فأنتِ الحياة وأنتِ المماتُ وأنْت الطّعام ، وأنت الشَّرابْ
وقـفـنا لأجلك لا نَـنْحنى لِغَير جلالِكِ فوقَ التُّراب
ألا فـاطْـمـئنى ولا تـقـنـطى فإن القنوط نذير الخراب
ستعْلو بنودُك فوق البنود وتُشْرق شَمسك بعد الغِيابْ
ويجْمع شَمْلك بعد الشتات ويبْسَم ثغْرك بعد اكتئابْ

واستهلها بمقدمة تحدث فيها عن مادتها ومضمونها واعتذر عن مواطن القصور – لأنه لم يسبق له أن قرأ رواية شعرية عربية فى مأساة فلسطين ـ وقصد من تسميتها شبح الأندلس أن ينبه العرب شعوباً وملوكاً وحكومات إلى ما هم فيه من خلاف ونزاع يكفى بعضه لضياع فلسطين وبلاد العرب كما

---

(١) د. كامل السوافيرى – الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين. ص ٦١٣ – ٦١٦.

ضاعت الأندلس وليعيد إلى ذاكرة كل عربى رواية خروج العرب من الأندلس ليتعظ بها الناس .

وتتناول المسرحية المأساة وأحداثها الدامية منذ زحف الجيوش العربية إلى فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ إلى توقيع اتفاقية الهدنة الثانية ، وضياع البلاد ، وتشريد أهلها وأسباب الهزيمة والتنديد بمواقف الحكام والقادة والرؤساء الذين تقاعسوا عن واجبهم الوطنى وتحظى معركة جنين مدينة الشاعر بقسط وفير من المسرحية حيث أسهم فيها بسلاحه إلى جانب شعره ووقف على أسرارها وشهد عدداً من القرى التابعة لها يسقط فى أيدى اليهود .

وتتألف المسرحية من ثلاثة فصول يضم الأول أربعة مشاهد والثانى خمسة ، والثالث ثلاثة .

وعاطفة الشاعر متوقدة ، وحنينه إلى فلسطين عاصف وقد صورها فى أجمل الصور فهى أمه الرؤوم وسهولها ورباها أجمل السهول والربا ، وثغراها يافا وعكا أجمل ثغرين .

والأسلوب سهل يلائم المسرحية ، وهذه العاطفة الوطنية الصادقة تجعل للمسرحية قيمة فنية .

آثار الشاعر :

١ – وطن الشهيد – مسرحية شعرية – المطبعة الاقتصادية – القدس ١٩٤٧ .

٢ – شبح الأندلس – مسرحية شعرية – مطابع دار الكشاف – بيروت ١٩٤٧ .

٣ – عرب القادسية – مسرحية شعرية – لم يتح لنا العثور عليها .

٤ – جبل النار – ديوان شعر – الشركة الإسلامية للطباعة والنشر بغداد ١٩٥٦ .

٥ – النيازك – ديوان شعر .

٦ – الفداء – مسرحية شعرية – مطبعة البصرى – بغداد ١٩٦٨ .

٧ – إلى متى – ديوان شعر – مطبعة المعارف – بغداد ١٩٧٢ .

٨ – جنود السماء – ديوان شعر – مكتوب على الآلة الكاتبة ١٩٧٤ .

١٠ - عبد الرحيم محمود

١٩١٣ - ١٩٤٨

١ - حياته :

ولد عبد الرحيم محمود فى قرية عنبتا التابعة لقضاء طولكرم سنة ١٩١٣ ، ولما بلغ السابعة من عمره أدخله والده مدرستها الابتدائية حيث تلقى بها دراسته حتى السنة الخامسة وأكمل السنتين السادسة والسابعة الابتدائيتين فى مدرسة طولكرم وحصل منها على الشهادة الابتدائية .

أما دراسته فى المرحلة الثانوية فقد تلقاها فى كلية النجاح الوطنية فى نابلس ، وبعد إتمام دراسته بها اختارته الكلية معلماً للغة العربية والأدب العربى بها وقد نفخ فى طلابه روح الجهاد ضد الانتداب والصهيونية ، وأضرم فى أفئدتم حب الوطن وحب العرب والعروبة ، وفتح عيونهم على عيون الأدب العربى وظل يزاول عمله فى التدريس حتى اشتعلت ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩ فاستقال من وظيفته ولم يكن له مصدر رزق سواها وانضم إلى كتائب المجاهدين فى جبل النار تحت قيادة البطل المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد وأخذ يقتحم الأخطار ويركب الأهوال أملاً فى أن يظفر بشرف الاستشهاد فى حومة الشرف ولكن القدر ادخره إلى معارك أخرى فى سنوات تالية وعندما توقفت الثورة فى فلسطين سنة ١٩٣٩ تعقبته زبانية بريطانيا وطاردته جنودها واضطهدته وحاربته فى رزقه وحاولت القبض عليه ولكنه تمكن من مغادرة فلسطين والنزوح إلى العراق حيث زاول مهنة التدريس ، ودرس الفنون العسكرية واشترك مع أبناء فلسطين المجاهدين فى ثورة رشيد عالى الكيلانى وقد أقام الشاعر فى العراق زهاء ثلاثة أعوام عاد بعدها إلى وطنه فلسطين واستأنف عمله ثانية مدرساً للأدب العربى فى كلية النجاح الوطنية حتى صدر قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ونشبت الحرب بين العرب واليهود وعندئذ ترك الشاعر وظيفته للمرة الثانية ، وسافر إلى الشام ، وتدرب على القتال فى معسكر قطنه والتحق بجيش الإنقاذ .

وفى معركة الشجرة التى استعرت بين العرب واليهود سقط الشاعر المجاهد شهيداً فى حومة الشرف والبطولة وحمله زملاؤه فى الجهاد وهم يرددون قوله :

سأحمل روحى على راحتى وألقى بها فى مهاوى الرَّدى
فإما حياة تسر الصديق وإما مماتٌ يغيظ العِدا

ودفن فى مدينة الناصرة قبل أن تسقط فى أيدى العصابات الصهيونية .

٢ – شعره :

فى غضون الثورة الفلسطينية الكبرى من ١٩٣٦ – ١٩٣٩ أرسل عبد الرحيم صيحاته الوطنية فى آفاق فلسطين والعالم العربى ، ورتل أغاريده الحماسية التى استظهرها طلاب وطالبات فلسطين الذين تعلموا فى مدارس فلسطين ابتداء من سنة ١٩٣٠ وما بعدها وهو من الشعراء الفرسان الذين لم يقنعوا بالجهاد بالشعر والقلم بل ضم إلى جهاده بالشعر والقصيدة جهاده بالبندقية والمدفع ودعا أبناء وطنه لبذل أرواحهم دفاعاً عن ديارهم ، وضرب المثل بنفسه إذ حمل سلاحه فى سنة ١٩٣٦ ، وتوسد الصخر ، وافترش الحجارة ، واقتحم الهول ولكنه لم يظفر بأمله فى الاستشهاد فى تلك الثورة وقد قال الشعر فى جميع الأغراض الوطنية والقومية والسياسية والاجتماعية والإنسانية ، وقاله فى الغزل والوصف والرثاء ولكنه تفوق على نفسه فى الجانب الوطنى والقومى ، وحبه للعرب والعروبة ، واللغة العربية .

وقد بصر قومه بما يحاك لهم من مؤامرات وتنبأ بالكارثة قبل حدوثها كما تنبأ بها إبراهيم طوقان وشعره صورة صادقة لحياته فما قال إلا ما جاش فى صدره ، وما عبر إلا عمّا اضطرم بين جوانحه وما صور إلا ما ارتسم على صفحة فؤاده .

وكانت عاطفة حبه لوطنه هى العاطفة السائدة التى جسدها عملياً بنضاله الذى ختمه باستشهاده .

لقد التقى الشعراء الأربعة إبراهيم طوقان وأبو سلمى . وبرهان الدين العبوشى وعبد الرحيم محمود فى ميدان الكفاح الوطنى فى فلسطين وتوطدت بينهم روابط المودة والإخاء ، وقد جند الأربعة شعرهم فى المعركة الناشبة بين عرب فلسطين وبين الانتداب والصهيونية ، ولكن عبد الرحيم محمود ضم إلى كفاحه بالشعر كفاحه بالسلاح ، وتبعه برهان الدين العبوشى . وما أعظم تأثير دم الشاعر حين يخط على ثرى فلسطين أروع قصائده بالدم الزكى الذى سال فى ميدان الجهاد .

مختارات من شعره :

نجم السعود[١]

نجم السّعود وفى جبينك مطلعه — أنى توجّه ركب عزك يتبعه
سهْلا وطئْت ولو نزلت بمحل — يوماً لأمرع من نزولك بلقعه
والقوم قومُك يا أمِير إذا النوى — فرقته ، آمال العُروبة تَجْمَعه
مالوا إليك . وكل قلب حبُّه — يحدوبه شوقاً إليك ويدفعه

* * *

يا ذا الأمير أمام عَيْنك شاعر — ضمّت على الشكوى المريرة أضْلُعه
المسْجد الأقصى أجئت تزورُه — أم جئْت من قبل الضِّياع تودِّعه ؟
حرم تُباح — لكل أوكع آبق — ولكل أفاق شريد — أرْبعه
والطّاعنون — وبُوركت جنباته — أبناؤه أعْظم بطعن يُوجعه
وغدا وما أدناه لا يبقى سوى — دَمْع لنا يهْمى وسنّ نقرعه

* * *

شكْوى وتحلُو للمضيم شكانهُ — عند الأمير وإن ترقْرق أدْمُعه
سرْ يا أمير ورافقتك عِناية — نجم السّعود وفى جبينك مَطْلعه

الشهيد

سأحمل رُوحى على راحتى — وألْقى بها فى مهاوى الرَّدى
فإما حياة تسرُّ الصّديق — وإمّا مماتٌ يغيظ العِدا
ونفْس الشّريف لها غايتان — ورُود المنايا ، ونيل المُنى

* * *

(١) ألقاها الشاعر فى قريته عنبتا بين يدى الأمير سعود بن عبد العزيز (الملك سعود) فى ١٤ آب – أغسطس – سنة ١٩٣٥ فى أثناء زيارته لفلسطين .

وما العيشُ لا عشْت إن لم أكن مخوف الْجناب حرام الحِمَى
إذا قلت أصْغى لى العالمون ودوّى مقالى بيْن الْوَرى
لعمرك إنى أرى مصرعى ولكن أغذ إليه الخُطى
أرى مقتلى دُون حقّى السليب ودون بلادِى هو المبتغى
لعمْرك هذا مماتُ الرِّجال ومن رام موتاً شريفاً فذا
أخوفاً وعندى تهون الحياة وذلاًّ وإنى لرب الإبا ؟
بقلْبى سأرْمى وجُوه العداة فقلْبى حديدٌ ونارى لظى
وأحمى حِياضى بحدّ الحُسام فيعلْم قَوْمى بأنّى الفَتَى

بين الشرق والغرب

قومى لأنتم عِبرة الأقوام هلْ تنْسبون ليافثٍ أوسام
ابناء عمى من نزار ويعرب ليسُوا بأعْرابٍ ولا أعْجام
يترسَّمون الغرْب حتَّى يوشكُوا أن يعْبدوهُ عبادةَ الأَصْنام
ما قلّدوهم مبْصِرين وإنّما تَبعُوا نظامَهم بغَيْرِ نِظام

* * *

لا تأْمنوا الْمُسْتَعْمرين فكم لهُم حربٌ تقنَّع وجْهُها بسَلامِ
حربُ على لُغة البلادِ وأرْضِها ليْسَتْ تُشَنُّ بمدفعٍ وحُسامِ
والشَّعب إن سلِمَتْ له أوطانُه ولسانُه لم يخْش قطْع الهامِ

* * *

لا أعرف العربىِّ يلْوى فكّه إن همّ يوماً فكُّه بكلامِ
إن فاه تَسْمع لكْنةً ممقوتَةً من فِيهِ سكْسُونيّة الأَنْغامِ
لفظاً من الفُصْحَى وآخر نابياً كالغاز ممزوجاً بكأس مُدامِ
لهفى على الفصحى رماها معشر من أهْلها شلَّت يَمين الرَّامى
لم يهْتدُوا لِكنوزِها فإذا هُم يرْمُونها بالفَقْر والإعدامِ

* * *

إن يزه شرقىٌّ بِغَيرِ الْعُرْب مِن أجداده الأَتْراك والأرْوام ِ
فَأنا الفخُورُ بأنَّنى لا يَنْتَمِى للعُجْم ِ أَخْوالى ولا أعْمامِى
إن تسْأَلُوا عنِّى إلَى من أَنْتَمِى فإلى رُعاة النُّوق والأَغْنام ِ
أبغير مَجْد بَنى نزار ويَعرب يزْهى عراقىّ ويفخر شامى ؟

رثاء حمال[١]

قد عِشْت فى النَّاس غريباً وها قَدْ متّ بيْن النَّاس موْت الغريب،
والناسُ – مذكانوا – ذوو قسْوةٍ ولَيْسَ للبائِس فيهم نصيب
لوْكنت فى حبْلك شنّاقهم لولْولوا حزنا وشقوا الجيُوب
لكنَّك الحمَّال لم يطْمعُوا فِيك ولم يَخْشَوْا أذاك الرَّهِيب

* * *

رَغيفُك الطَّاهر غمسْته من عَرق زاكٍ ودَمْع صبيب
ماكنْت سلاّباً أخا غصبة بل كنت ذا حقّ سَليبٍ غصيب
فرحت لم يسكب عليْك امرؤ دمعاً ولا قلب رفيق يلوب
ولم يودِّعك حبيب وقدْ يَهون الصَّعب وداع الحبيب

* * *

حبْلك والسلّ .. قد أوْديا بهيْبة الموْت الوقور الرَّهِيب
قد مرّ أَهْل الدّرب لم يأبهُوا للمُهْمل المطْروح فوْق الدُّروب
كمْ قدْ سألت النَّاسَ ماء فلَم يجبْك فى النّزعِ شفيقٌ مجيب

* * *

إنّ قوافىّ على قَحْطها تلقى بمرآك المَجال الخَصِيب
بُرودك الهادِئ قَد هاجَها فجررت غضبى ذَيول اللهيب
يا مُوقظ النقْمة فى أضْلُعى بشعت فى عَيْنى الجَمال العجيب

* * *

---

(١) أوحى بهذه القصيدة أن الشاعر رأى حمالاً ميتا وبجانبه سله وحبله على قارعة الطريق فى مدينة حيفا والناس يمرون به فلا يأبهون بمنظره.

لـثوبك الـرّث وإخلاقـه كرهت أثواب الحرير القشيب
وصمْتك الرائع يا مُوحشى بغض لى الصّوت الحُنون الطروب
زهدّتنى بالعيْش فى مَعشرٍ عار عن الرَّحمة خاوٍ جديب
حـيـاتك المأسـاة مـثّـلتها ذِرْوتها الفَصل الأخير الكئيب

* * *

إنى من النَّاس لكنَّنى فى رقّتى عنهم بعيدٌ جنيب
فراق هذا النّاس عيدٌ فلا تَجْزع وذِى الرَّاحة بعد اللُّغوب

فى حالة غضب

ضاقَتْ الدنيا وإنِّى بها أضيق يالى من فتى ضائق
روحى عبْء مثقلٌ كاهلى أيان ألقى العِبْء عن عاتقى
تغلو على الناس ولكنَّنى أبيعـهـا لـلـنَّـاس بالدَّانق
متى أرانى بت طى الثَّرى يَسْحقنى بالكَلْكَلِ السَّاحِق
وأغْمِض العَيْنَيْن عَن عالم لا يَعْتَلى فِيهِ سِوى الفَاسِق
يحْظى به الكذَّاب بالمشْتهى والتعْس للمخْلِص والصَّادق
الخيرُ والخبزُ غدا حكرةً لـبَـعْـضـهـم والويْل للسَّارِق
هُم أوجدُوا السّارق من حاجةٍ وقِيل هٰذِى قِسْمَة الخالِق
يا منْطقاً لم يرو عن عاقِلٍ الـعىّ خير منه للناطِق
قدْ مُحق العَدْل فلا عادِل أما لأهل الأَرْضِ من ماحق ؟
متى أرى الحقّ وأصْحابه يعلُون من أدْنى إلى شاهق ؟
وأبْصر الشر وأرْبـابـه يَهْوون من أعْلى إلى ساحِق

مخلوقة أنت فلا تكبرى

خالتنى الميّت مِنْ صدِّها والعائِش الدَّهر معنًّى ذَلِيل
قالت : قَتِيلى أنت قُلت : اعْلَمِى أن قد صحا السَّاهى وعاد القَتيل
ملت إلى غيْرى وإنى امرؤ إن مالتِ الرُّوحُ فعنها أمِيل
قالت : فَسِحْرى لَمْ يزلْ فاعِلا قُلْت : فهاتى عليْه دَلِيل
مخلوقـةٌ أنْتِ فلا تـكْبرى مِثْلك بيْن النَّاس ألفا مَثِيل

* * *

قالَت إذا رحْت فلا عَوْدة إما تشكّيت النّوى والصُّدود
قُلْت : ومَنْ يخلص من قيْدِهِ أينثنى يطْلُب ذُل القُيود
نَجَوْت من نارٍ فلا تحسَبى أنى إلى النّار حياتى أعود
قالت : أتنسى قلت : لِمْ لا وقد نسيتِ ميثاقى وخُنْت العُهود
غداً أرَى غيْرك لى وافياً وأبدل الحبَّ بحبٍّ جَدِيد

* * *

أَخلصْتك الودّ وجازيتنى بالغدْر ما أظلم هذا الجزاء
وإذ بأَحْلامى التى شدتها تنهارُ من فَوْقى وتغدو هباء
لكن سأبنيها فلا تشمتى نعم سأبنيها وأُعْلى البناء
مِثْلى كما قلت رجال ولا يدركهم حصر ، كذاك النساء

آثاره الشعرية :

١ – ديوان عبد الرحيم محمود – عمان ١٩٥٨ .

٢ – ديوان عبد الرحيم محمود – جمع قصائده ورتبه وقدم له ، وألقى الأضواء على حياته وشعره د . كامل السوافيرى – دار العودة بيروت ١٩٧٤ .

١١ - فدوى طوقان

١٩١٤

١ - حياته :

تحدثت عن نشأتها وثقافتها فى كتاب أرسلته للصديق الأديب الشاعر الناثر الأستاذ عيسى الناعورى بتاريخ ٢٠ تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٩٥٠ نشره فى كتابه الجديد فى الأدب العربى للصف الأول الثانوى فقالت :

« ولدت فى نابلس [١] وفى مدارسها تعلمت وقد لمس شقيقى المرحوم إبراهيم طوقان قوة ميلى الفطرى إلى الشعر منذ صغرى فأخذ على نفسه عهداً بالأخذ بيدى ، والعناية بتوجيهى ، وبدأ يخصص لى فترات من وقته يعطينى فى خلالها دروساً فى الأدب والشعر ، وانصرفت أنا إلى التحصيل والتثقيف الذاتى بمثابرة وإلحاح تحفزنى رغبة قوية وشوق ظامئ إلى بلوغ الهدف .

ومع أن المثبطات كانت تكتنفنى وتتعقب خطواتى فقد كنت أحس بقوة نفسية وروحية تدفعنى دائماً إلى الأمام وكان أخى إبراهيم مصدر هذه القوة » .

« وقد حصلت من اللغة الإنجليزية قدراً مكننى من مطالعة أدبها وشعرها ولا أزال مكبة على دراستها والاستفادة من مطالعاتى الخاصة فيها . وأنا أهتم بالقصص العالمية من ناحية والموضوعات النفسية والفلسفية من ناحية أخرى . وفى مكتبتى زاوية تحتوى غير قليل من كتب علم النفس والفلسفة » .

« ويجذبنى بصورة خاصة الأدب المهجرى الذى ينبع من أغوار النفس وينبعث من أعماق الروح ويعجبنى منه انطلاقه وانعتاقه من أسر الزخرف اللفظى وأعتقد أنه حقق لأدبنا العربى ما كان يعوزه من الصدق والإخلاص وقد تأثرت به تأثراً غير قليل » .

« وتوفى شقيقى إبراهيم فكانت وفاته ضربة أهوى بها القدر على قلبى ففجر فيه ينبوع ألم لا ينطفئ ومن هذا الينبوع تتفجر أشعارى على اختلاف موضوعاتها .

« لدى ديوانان مخطوطان الأول « ينبوع الألم » ويحتوى على مراثى فى إبراهيم وعلى قصائد من وحى أوضاع فلسطين ، والآخر أشواق الحياة » وهو مجموعة « أشعار عاطفية وتأملية وفى سنة ١٩٤٦

---

(١) أخذنا تاريخ ميلاد فدوى من الدكتور عمر فروخ فى كتابه « شاعران معاصران » ص ١٥ .

أخرجت كتيباً استعرضت فيه حياة إبراهيم وشعره»[١]

وقد عاشت فدوى فى مدينة نابلس فى فلسطين طليقة لا تقيدها وظيفة ، حرة لا تكبلها قيود ، ولكن كبلتها أغلال العادات والتقاليد .

وشهدت فلسطين قبل أن يقصف الموت شباب أخيها وهى تكافح الانتداب والصهيونية ، وشهدتها بعد المأساة وقد غدت خربة ماحلة ، وأبصرت أشلاء قومها هنا وهناك على طرق السابلة وعيونهم المفقأة بعثرت حباتها على الأرض وقد زارت فدوى الأقطار العربية ، وشهدت مؤتمرات الأدب ، ومهرجانات الشعر التى عقدت فى عواصم العالم العربى . وألقت فيها العديد من قصائدها . كما زارت كثيراً من البلاد الأوربية وعاشت فى لندن فترة من الزمن .

ولاتزال تطرب العرب بصداحها وغنائها الحزين على حاضر قومها وأمتها تارة ، والمسجل لبطولات المجاهدين من أبناء فلسطين الذين قدموا أرواحهم فداء لبلادهم تارة أخرى ، والذى يصور عسف الاحتلال الإسرائيلى مرة ثالثة .

٢ - شعرها :

لم يصدر لفدوى ديوان من الديوانين اللذين ذكرتهما فى كتابها السالف الذكر ، وإنما صدر ديوانها الأول وحدى مع الأيام وتلاه ديوانها الثانى وجدتها وتتابعت دواوينها بعد ذلك .

وقد قلنا عن فدوى ونحن نقدم ديوانها الأول وحدى مع الأيام على صفحات مجلة الرسالة الغراء[٢] : نعتقد أننا لسنا بحاجة إلى أن نقدم للقراء الشاعرة فدوى طوقان وهى الكوكب اللامع فى سماء الشعر ، والنجم الساطع فى أفق الأدب ، والبلبل الصادح فى دوح العروبة الذى غنى فأشجى الأسماع وهز الأفئدة .

وأرجعنا صقل موهبتها واتساع طاقتها ، وتعدد منافذها ، وجودة شعرها إلى أربعة عوامل

الأول : البيئة التى ترعرعت فيها طفولتها حيث أطلت على الحياة فى مدينة نابلس ذات المناظر الرائعة ، والمفاتن الخلابة ، والتى يحتضنها جبلا جرزيم وعيبال اللذان تتناثر على سفحيهما شجيرات الزيتون وما أكثر ما أوحيا للشاعرة بأروع أغانيها وتلمذتها لشقيقها إبراهيم الذى تعهد موهبتها ، وأضاء لها طريق الفن .

---

(١) عيسى الناعورى- الجديد فى الأدب العربى- ط ٢ - ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) الرسالة . العدد ٩٩٦- ٤ أغسطس سنة ١٩٥٢ .

الثانى : إحساس الشاعرة بالوحدة والفراغ ، وثورتها على العادات والتقاليد ، وتعطشها لإرواء ما تشعر به من ظمأ روحى ، وانطلاق إلى الآفاق السامية .

الثالث : تأثر الشاعرة بما قاسى أبناء فلسطين قبل النكبة من ظلم الانتداب ودسائس الصهيونية ، وما كابدوه بعد النكبة من ضياع وتشرد وجوع وشقاء ، وقد أبصرت الشاعرة قومها وهم يهيمون على وجوههم فى الأرض يطاردهم البؤس ، ويتخطفهم الردى .

الرابع : تعدد الدول والأقطار التى زارتها ، وكثرة الرحلات والأسفار التى قامت بها متنقلة بين الأقطار العربية والبلاد الآسيوية والإفريقية ، ودول أوربا وشهودها مؤتمرات الأدب ، ومهرجانات الشعر . لقد زارت القاهرة وبيروت ودمشق ولندن .

وقد نظمت فدوى الشعر فى أغراضه المختلفة ولكن أكثره كان تعبيراً عن همسات روحها ، وخلجات قلبها . ومناجاة الطبيعة بعد تجسيدها ، والارتماء فى أحضانها ، وبثها الألم والأسى وكانت النزعة الرومانسية أو الذاتية هى النزعة السائدة فى شعرها وفى العديد من قصائدها كانت تبحث عن المجهول ، وتفر من الواقع ، وتلوذ إلى التأمل النفسى ولها قصائد جيدة فى الأغراض الوطنية ، وفى تصوير فداحة المأساة وفواجعها الدامية . وفى الأغراض الاجتماعية والإنسانية .

ونظمت الشعر فى أشكاله المختلفة وقوالبه المتعددة فهناك قصائد من الشعر الذى التزمت فيه الشاعرة وحدة الوزن والقافية وأخرى التزمت فيها وحدة الوزن مع تعدد القوافى وثالثة سارت فيها على نظام الموشحات ، ورابعة نهجت فيها طريقة الشعر الحر المعتمد على وحدة التفعيلة .

ولها محاولات فى التجديد فى الموسيقى الشعرية وقد استطاعت أن تحلق فى الأجواء العالية بما لديها من رصيد وقدرة على اختيار الألفاظ وابتكار الصور ، والتلوين الموسيقى والملاءمة بين الأنغام والموضوعات .

مختارات من شعرها :

حياة

حياتى دُمُـوع

وقلبٌ ولُوع

وشَوْق ، وديوان شِعْر ، وعُود

حَياتى ، حَياتى أَسًى كلّها
إذا ماتَلاشَى غَدا ظلّها
سيبْقى على الأرض منه صدى
يردد صَوْتى هُنا منْشِدا
حياتِى دُمُوع
وقلبٌ ولُوع
وشَوْق ، وديوان شِعْر ، وعُود

* * *

وفى لَيْل سهْدى
يُحرّكِ وجْدِى
أخ كانَ نَبْع حَياة وحُبّ
وكان الضّياء لعيْنى وقلْبى
وهبَّت رياحُ الرَّدى العاتِية
وأطفأت الشُّعْلة الغالية
وأصبحت وحْدى
ولا نُور يهْدى
ألجْلج حيْرى بِهذا الوُجود

* * *

وهذا شبابِى
أمان كوابى
شبابٌ سقاهُ الأسى ورواه
إذا ما دعتْه إليها الحياه
وأشواقها شدَّه ألف غلّ

* * *

شبابٌ عذابٌ
رهين اغتراب

يضيع شذاهُ بأسْر القيود

* * *

وأطـــرق رأسى
بـوَحْشَــة يـأْسى
وفى الرّوح تصخب أشواقِها
وفى النَّفس ترْعد آفاقها
وأفزَع للشِّعْر سلْوة رُوحى
أصوِّر أشواق عُمر ذَبِيح
فَـيـهْـدأ حِسّى
وتـخْشَـع نَـفْسى
وتسْكن لَهْفة رُوحى الشّريد

* * *

وأضْـرب عُودى
بـقـلْبى الـوَحِـيد
فتـخْفِق أوتـارهُ بـاللُّحون
تهَدْهد قلْبى وتجْلو شُجونى
لفنى وشعْرى وألْحان عُودى
أُصارِع آلام عُمْر شَهِيد
وهـــذا نشِـيدِى
نَشـــيــد وجُودى
سَيَبْقى ورائى صداهُ بعيد

* * *

حيـاتى دُمُـوع
وقـلبٌ ولُـوع
وشَوْق ، وديوان شِعْر ، وعُود

الصدى الباكى

شاعِرِى لا تَقْسِ فى عَتْبك لا تظلم وفائى
أنا حَسْبى قَسْوة الدُّنيا وإعنات الْقضاء
آه لَوْ تَدْرى بآلامى بمأساة شَبابى
لبكى قلبك وارتج ليأسى وعذابى

* * *

أنا لمْ أَنْسَ هَوًى فجّر ألحانى وشِعْرى
أنا لم أنْس هَوًى رفّت به أيّام عُمْرى
أنا أنسى كيف ؟ لا ياحُلم قلْبى يا نجِي
لا ومن ألف روحيْنا علَى الحبِّ النَّقِى

* * *

سَلْ ضَمِير اللَّيْل هلْ أودعته أسرار حُبِّى
هلْ تغنّيت بأشعارِك فى وحْدة قلْبى
إنَّ هٰذا اللَّيل يَطْوى كُل أسْرار حَياتى
إنه معْبد أحْلامِى ومأوى ذِكْرياتى

* * *

شِعْرك العاتب كمْ فجَّر دمْعِى كمْ شجانى
والنداء الشَّاعِرى العذْب كمْ هزَّكيانِى
لَوْ ترانى والهَوَى يصْرخ فى رُوحى الأسِير
وأنا أشدْو بأشعارِك فى اللَّيل الكبير

* * *

أنت روحٌ طائِرٌ يشْدو على كلّ الغُصُون
يَرْتوى من خَمْرة الحبِّ ومن نَبْع الفتُون
وأنا روحٌ سَجِينٌ قصَّت الدُّنْيا جَناحى
نغمى يُنْبِيك عَنّى عن مَدى عُمْق جِراحى

رَحْمة ياشاعرى وانظر إلَى أصداءِ رُوحى
إنها فى شِعْرى الباكِى اسْتِغاثات ذَبيح
إنها ياشاعِرى أنَّات مظْلوم طَرِيد
إنّها غصات مخْنُوق بأطْواق الْحديد

* * *

كلَّما ضمَّك حُضن اللَّيْل فى صَمْت وحُزن
ومَضَى قَلْبك حيْران الهَوَى يسْأل عنِّى
أرْهف السَّمْع تجد رُوحى مجْروح النِّداء
ضارعاً فى ألم رحْماك لا تظلم وفائى

فى مصر

يا مِصْر حُلم ساحِرِ الألْوان رافق كُلَّ عُمْرى
كم داعبت رُوحى رُؤاهُ فرف رُوحى خلْف صَدْرى
حــلم كظلّ الْواحَة الْخضراء فى صحْراء قفر
أن أجتلى هذا الحِمَى وأضُمه قلْبا وعَيْن
واليوم فى حُلْمٍ أنا أمْ يَقَظة أم بيْن بيْن؟

* * *

صَدحت بقلْبى إذْ وطئْت ثراك أنغام سَواحر
فكأنَّما فىِ قلْبى المأخُوذ غنَّى ألْف طائِر
وغَرقت فى أَمواج إحْساس بَعيد الغَوْر فائِر
أأنا هُنا؟ أأنا هُنا فى مصر؟ فى الْوادِى النَّبيل؟!
أأنا هُنا فى النِّيل؟ فى الأهْرام، فى ظلِّ النخيل؟!

* * *

وتلفَّتتْ عَيْناى فى دَهشٍ وفى لهفٍ غريب
ماذا؟ هُنا الدُّنْيا الْخلوب تُثير أهْواء القُلُوب
ماذا؟ هُنا نار الْحياةِ تؤجّ صارِخة اللَّهيب

فى كُلّ مجلى فِتنة رقصت وسحر مدّ ظله
مَاذا ؟ أمصْر أم رُؤًى أُسْطُورة من ألف ليله ؟

* * *

كَيْف اتَّجهت تجاوب وصَدى لموسِيقِى الوُجُود
فى النّيل يَعْزِف لحْنَه الأبدى للشطِّ السَّعيد
فى وشوشات النَّسْمة المعطار فى النّخل الميود
حتّى النجوم هُنا أحسّ لهُنّ أَلحاناً شجيَّه
حتّى السَّحاب أخالَهُ تحدوه مُوسيقى خفيَّه

* * *

يا مصر بى عَطشٌ إلى فرحِ الْحياةِ إلى الصَّفاء
يا مِصْر نحن هُناك أمْواتٌ بمقْبرة الشَّقاء
لا يطْمئِنّ بنا قرارٌ لا يعانقنا رَجاء
لا شَىْء إلاّ ضِحْكة الهُزْء المرِير عَلَى المباسِم
كالضّحكة الخرساء قد يبست عَلَى فك الجَماجم

* * *

ياليتَنى يا مصْر نَجْم فى سَمائك يَخْفُقُ
ياليْتنى فى نِيلك الأزلىّ موْج يدْفقُ
يا لَيْتَنِى لُغز أبو الهَـوْلِ احْتواه مغلق
تَهْوى وتنسحق الدُّهور مواكباً وأنا هنا
بَعض خَفِىّ مِن كيانكِ لسْت أدرى ما أنا

* * *

يامِصْر حلم ساحر الألْوان رافق كُلّ عُمْرى
كمْ داعبت رُوحى رُؤاه فرفّ روحى خلف صَدْرى
حُلم كَظلّ الْواحة الخضراء فى صَحْراء قفر
أنْ أجتلى هٰذ الحِمى وأضمه قلبا وعيْن
واليَوْم فى حلم أنا أمْ يقظة أم بيْن بيْن

مع سنابل القمح

أوت إِلَى الحَقْل كطَيْف كَئِيب يَرْسُو بَعَيْنيها أسى غامر
فِي رُوحها اللَّهْفى اضطراب غرِيب وقلق مستبهمٌ حائر

* * *

تأملت فى السُّنْبل الْوادع يَمُوج فِى الحَقْل زكيًا نماه
تكادُ فى سُكُونِها الخاشِع تسْمع فى السُّنْبل نَبْض الحياه

* * *

وفِى رُؤَى خيالِها الشَّارد منجذباً بروعِة السُّنبل
لاحتْ لعيْنيْها يد الحاصِد يخفق فيها شَبَح المنْجل

* * *

رأت رغيفاً جبلته دُموع . دُمُوع مكْدودين مُستْضعفين
أنْضاء حِرْمان وبؤس وجُوع هانُوا على الرَّحْمة والرَّاحِمين

* * *

رَأته فى كفِّ غنىّ بَخِيل سطت عَليْه يدهُ الْجانِيَة
الخبْزُ فى كيانه يستحِيل خلجات شحّ كزَّة قاسِيَة

* * *

ومدَّت الأفكارُ أظلالَها فلَمْ تزَلْ شاخِصةً فى وُجوم
مَن أبْصَر استْغراقها خالَها مخبُولة تهِيم فوْق الغيُوم

* * *

كانَت تُناجى ما وراءَ الْفضاء قُوى الْقضاء الْغامِض المبْهَم
مَنْ يمْطر الرِّزق علَى ذِى الثّراء ويمْسِك الرِّزق عن المعْدَم

* * *

كمْ بائِس كمْ جائِع ، كمْ فقِير يكْدَح لا يجْنى سِوى بُؤْسه
ومترف يلْهُو بدنْيا الفجُور قد حَصر الْحياة فى كأْسِه

أرحمة الله بِعُلْيا سماه تقول أن يكتظ جوف الثّرى
ويحْرِم المعوز قُوت الحَياة فى عيْشه المضْطَرب الأَعْسَر ؟

* * *

أَلَيْس فى قُدْرته القادِرة أن يَمْسح البُؤس ويمْحُو الشَّقاء
أَلَيْسَ فى قُوّته الْقاهِرة أن يَغْمر الأَرْض بعَدْل السَّماء ؟

* * *

وراعَها صوتٌ عَميقٌ مُثير جلْجل فِيها مِثل صَوْت الْقَدر
لم تحْبِس السَّماءُ رزْق الْفَقير لكنَّه فى الأَرْضِ ظُلْم البَشَر

* * *

وأطْرقت نهباً لِشكٍّ مُريب يملؤها مِنهِ أسًى غامر
فِى رُوحِها اللَّهْفَى اضْطراب غريب وقـلَـق مسْـتَـبْـهم حائِر

* * *

حلم الذكرى (١)

إلى روح شقيق إبراهيم

أخِي يا أحبّ نداءٍ يرفّ علَى شفَتى مُثقلاً بالْحنَان
أَخي لَك نَجْواى مَهْما ارتَطمت بقَيْد الْمكانِ وقيْد الزّمانِ
أحقًّا يحُول الرَّدَى بَيْننا ويفْصِلُنى عنك سِجْن كِيانى
فمالِى إذا ما ذكرْتُك أشْعُر إنَّكَ حوْلِى بكلٍّ مَكان
أحسّ وجُودك أُومن أنك تَسْمَعُ صَوْتى هُنا وتَرانى
وكَمْ طائِف منْك طافَ بِرُوحى إذا ما الكرَى لَفّنى وحَوانى

* * *

أخِي أَمْسِ واللّيل يَعْمُق غوراً ويحْضُن قلب الوُجُود الكبير
وذِكراك تَغْمر أَقْطار نَفْسى وتَملأ قَلْبى بَفيْض غمير

---

(١) من ديوان وجدتها – دار الآداب . بيروت ١٩٥٩ .

تفلّت بَيْن انْعِتاق الرُّؤى خيالُك فِى غفْوة من شُعورى
تحدر مِن شرُفات الخُلود عَلى هوْدجٍ مِن غمَام وثير

* * *

أخِى وهَتفت بها واندفعت إلَيْك بكلّ حنَانِى وحُبّى
أخِى غير أنّك رُحت تصوّب عيْنَيك نَحْو المدَى المشرئبّ
وكنت حزيناً وكانَت عَلَى جَبِينك مَسْحة غمّ وكَرْب
وجُرْح عتيق بِجنْبك يَدْمى شَعرتُ بِه يتنزّى بجنْبى
وأرسلت عيْنى حَيْث رنوت وقد دبَّ ثقل خفى بقلبى

* * *

خِلال دُخان عَلا واسْتَدار رأَيْت الحِمىَ خَربة ماجلَه
عَلَى الْعتبات تدبّ هَوام وتـعْـبُـر قـافـلـة قـافِلَـه
وبَيْن الزّوايا عناكب تحْبُو وتمعن فى زحْفِها واغِلَه
وأَبْصرتُ أشْلاء قَوْمى هُنا وهُناكَ عَلَى طُرق السَّابلَه
عـيُـون مـفـقـأة بـعثرت عَلى الأَرْض حباتها السَّائِله
وأيْـد مـقـطَّـعـة ووجوه غزا التُّرْب أَلْوانها الحائلة

* * *

وكان هُناك وراء الدُّخان قطيع تشتّت فى كل بيد
قطيعٌ وديعٌ بقية قوْمى فهذا شَريدٌ ، وهٰذا طَريد
تظلّلهم فِى الْعراءِ الخيام وقدْ أخلدوا فِى هُدوءٍ بَلِيدِ
براكِين خامِدة لا تفُور اسْتحال اللّظى فى حشاها جَليد
قصارى مطامِحِهم لُقْمة مُـغـمّـسـة بهوانِ الْـعَـبِـيـد
تجُودُ بِها كفّ جلاَّدِهم لِتخدِيرهم كُلّ صُبْح جَدِيد

* * *

وأرْجَعْت نَحْوك طَرْفاً ثقِيلاً وفِى شَفَتىّ سُؤال كَئِيب
أخى أرأيْت القَضية كيْف انْتهت ، أرأيْت المصير الرّهِيب ؟
أتذْكُر إذْ أنْت تُرسِل شِعْرك يَطْوى الحمَى عاصفاً مِن لَهِيب

تحذِّرهُم مِنْ هوانِ الْمآل   كأنَّك تقْرأ لَوْحَ الغُيوب
ولكنَّ طيْفكَ كان يَغيب   وراء الْمدَى صامِتاً لا يجيب
وجُرْحك يقْطُر أزْكى دِماء   همت من حَواشى غمام خصِيب
وراحَت تُعانِق جُرح الحِمى   حِمانا المسمّر فَوق الصَّليب

آثار فدوى الشعرية :

١ – وحدى مع الأيام – القاهرة ١٩٥٢ .

٢ – وجدتها – بيروت ١٩٥٩ .

٣ – أعطنا حبًّا – بيروت ١٩٦١ .

٤ – أمام الباب المغلق بيروت ١٩٦٧ .

٥ – الليل والفرسان القاهرة ١٩٦٩ .

١٢ – سعيد العيسى

١٩١٥

١ – حياته :

ولد سعيد بن جرجس العيسى فى مدينة يافا من أسرة أسهمت فى الصحافة ، وعشقت الأدب فأبوه شاعر أرخ أحداث الشرق العربى فى النصف الأول من القرن العشرين على حساب الجمل فى الشعر ، وأبناء عمومته حنا عبد الله العيسى صاحب مجلة الأصمعى التى أصدرها فى القدس سنة ١٩٠٨ ، وعيسى داود العيسى ويوسف العيسى صاحبا جريدة فلسطين التى صدرت فى يافا سنة ١٩١١ ، ويوسف العيسى صاحب جريدة ألف باء التى صدرت فى دمشق سنة ١٩٢٠ وداود بندلى العيسى صاحب جريدة البلاد المقدسية .

وتلقى الشاعر دراسته فى المرحلة الأولى بالمدرسة الوطنية الابتدائية فى يافا وفى المرحلة الثانوية فى مدرسة « الفرندز » فى مدينة رام الله وفى خلال دراسته الثانوية فاز بالعديد من الجوائز فى مباريات سنوية للشعر العربى والإنجليزى واغترف معارفه بعد ذلك من الجامعة الأمريكية فى بيروت التى واصل فيها دراسته العالية ، وحصل منها على درجة البكالوريوس فى الأدب العربى سنة ١٩٣٧ .

وعلى أثر تخرجه اختير مدرساً للغة العربية وآدابها فى كلية بيرزيت الوطنية فى فلسطين وفى سنة ١٩٤٢ اختير مدرساً للغة العربية وآدابها فى كلية غزة الوطنية وتخرج على يديه عدد من الشعراء الذين أنتجتهم كارثة فلسطين .

وفى سنة ١٩٤٣ وقع عليه الاختيار للعمل فى الإذاعة الفلسطينية أيام الانتداب ، وأصبح مسئولاً عن القسم الأدبى وفى غضون تلك الفترة اختاره المربى الكبير خليل السكاكينى لتدريس الأدب العربى فى كلية النهضة التى أنشأها بالقدس وبعد الكارثة نزح الشاعر عن فلسطين وزاول العمل فى الإذاعة فى مواقع مختلفة آخرها اختياره مديراً للإذاعة الأردنية سنة ١٩٥٧ وفى سنة ١٩٥٨ استقال من عمله .

٢ – شعره :

لم يتح للشاعر أن يجمع شعره وينشره فى ديوان ، وتناثرت قصائده فى الصحف والمجلات الأدبية التى كانت تصدر فى فلسطين وسورية ولبنان والتى لايزال بعضها يوالى الصدور وفى مقدمتها مجلة الأديب اللبنانية التى خصها بالنصيب الأوفى من قصائده .

وقد قال الشاعر الشعر قبل المأساة وبعدها ، وتناول فى شعره الأغراض الوطنية والسياسية والاجتماعية كما تناول أيضاً الغزل ووصف الطبيعة والرثاء وله قصائد عديدة فى المولد النبوى الشريف والهجرة وهلال رمضان .

وهو من شعراء فلسطين المجيدين الذين سمت بهم مواهبهم ، وظهر نبوغهم ، وجاوزت شهرتهم حدود بلادهم وصاغوا قصائدهم فى أداء رفيع ، وأسلوب جيد .

مختارات من شعره

فى مولد الرسول العربى

أتتْك القَوافى الغُرّ فى يوْم أحْمَدا ... تَهادى وكانَتْ قبلهُ مِنْك شُرَّدا

ألا ليْت شِعْرى هلْ توافى لموْكِب ... إذا لَمْ توافِ اليَوْم فى موْكب الهُدَى

وأرسَلْتها شِعْراً على الدَّهْر كلَّما ... تقادَم عَهْد الدَّهرِ فيه تجدَّدا

تُعطره الذِّكْرى إذا ما تلوْتَه ... ويـكْـبُـره الرَّاوون أيَّان أنْشدا

زحمْتُ بِهِ فى حلْبة الشِّعْر فارساً ... يغبر فُرْسان الْقَريض إذا عدا

وعارَضْت من صناجة العُرْب مدْحَة ... لَهُ فى ابْن عَبْد اللهِ عذرية الصَّدَى[1]

(نبىّ يَرى مالا يَروْن وذِكْره ... أغار لعمْرِى فى البِلاد وأنْجدا)

* * *

(١) هو الأعشى ، ويعرف بصناجة العرب عاش فى الجاهلية وأدرك الإسلام وأعد قصيدة فى مدح الرسول تعتبر من الشوامخ فى الشعر العربى مطلعها :

ألَم تغْتمِضْ عَيْناك ليْلة أرْمدا ... وعادَكَ ما عَادَ السَّلِيم المسهدا

وركب ناقته وقصد النبى ﷺ لينشده إياها حتى إذا كان على مقربة من يثرب تصدت له قريش فصرفته عن الدين الجديد . وقد نظم الشاعر هذه القصيدة سنة ١٩٤٣ .

غفرْت لنفسى زلَّة التِّيهِ مرَّة بِشعْرى وباسم المصْطَف قد تأيَّدا
أَقول لَها تيهى بِذكْرَى مُحمَّد ؟ أَلم يصطفى الرَّحْمن قِدْماً مُحمَّداً
أُسائِل عنْه الغيْبَ حتَّى وجدْته سَنا رَحمة فى غَيْهب الشِّرْكِ قدْ بَدا
يُؤيِّده وحْىٌ من اللهِ صادِق إذا سارَ شأواً سار بالْوحْى أبْعدا
تنزَّل للفُصْحى وللضَّادِ منْهلاَ وللْخلْقِ فِيما يشرعُ اللهُ مورِدا
إذا تُليتْ آياتُهُ خشعُوا تقىً وخرُّوا لها من رَوْعة الذِّكْر سُجَّدا

* * *

جَرَى ديمة وطفاء فى أرْض مكَّة ولاحَ عَلَى آفاقِها الجَهْم فرْقدا
ضعيفٌ عَلَى الأَدْنين ، سلط عَلَى الْعِدى فكانَ النَّدى فِيهم وكانَ المهنَّدا
يُقِيم حُدود الله فى الأَرْضِ مُصلِحاً وما ضارهُ ما عابثُ القَوْم أفْسَدا
رِسالةُ حَقٍّ ماونى دُون حقِّها ومِنْ دونها الهَوْل المسدَّد والرَّدى
دياجِير من جَهْل النفوسِ وقد أَبَت بغيْر رَسُول الله أنْ تَتبدَّدا
وفى أُمَّة هَلكى تقسَّمها الهَوَى فلا لُحمْة يَوْم التَّنادى ولا سدى
مُوزَّعة الأهواء شتَّى قُلُوبها أهاب بها المبْعُوث أنْ تتوحَّدا
فكانَتْ كطَوْدٍ فى ثَرى الدَّهْر راسِخ تكادُ إلى الجَوْزاء أن تبْسُط اليَدا
أفاضت عَلَى الدُّنْيا المراحِمُ جمَّة وأعلت من الأَخْلاقِ ركناً مُشيَّدا

* * *

نظرت إليها اليَوْم واهِيَة العُرى فيا ليْت شِعْرى أىّ شأْن لها غدا ؟
تَداركْ رَسُولَ اللهِ مِنها بقيَّةً تناوشها فى كلِّ أرْضٍ لَها العِدَى
لَعلَّ لها فِى المَوْلِدِ السَّمْح عبْرة وفى السِّيرةِ المثْلَى لعلَّ لَها هُدى
فيا خيْرَ مَوْلُودٍ ، ويا خيْرَ مَوْلِدٍ تباركْت مَوْلُوداً ؛ وبُورِكْت مَوْلِدا
أُحيِّيك يا ذا العيد عِيدَ محمَّدٍ وما أنا إلاَّ بُلبُل فيك قد شَدا
فإن شِئْت من (حسَّانها) جدت مقولاً وإنْ شِئْت مِنْ (غسَّانِها) طبت محتدا

هلال كريم

فى قبَّة الفلكِ الرَّفيع تراءى وأهلَّ يخطُر باسِماً وضَّاء
وأطلَّ يحمل للعوالِم رحْمةً وإلى نُفوس القانطين رَجاء
يختال فى عرضِ الفضاء كأنَّه جِبْريلُ بالبُشْرى الكَرِيمة جاء
كبرت لما لاح يذْرَع أفْقَه ويَسير متَّئِد الخُطى إعْياء
وعَلَى البسِيطة راحَ يلقى رَحْمة ومودَّة وعلى الشُّعوب إخاء

* * *

إيهٍ هِلال المكْرُمات وشَهْرها قد جِئْت تحمل سلْوة وعَزاء
رَمضانُ فِيكَ تزيَّنت أيَّامهُ وزهَت لياليهِ وكن وضاء
أو لم تُنزَّل فِيه آيات الْهُدى وَالْكونُ أرْهف أذْنه إصْغاء
شَهْرٌ يتيه عَلَى الشُّهور هِلالُهُ حتَّى لأحْسَبُه مَشى الخيَلاء
لَمْ يعْدَم المسْكِين فِيكَ مبرَّةً يوماً ولم يَشْك الفَقير عَطاء
والمعْوزون مِن الخلائِق فى الوَرى لا يجْهلُون يَمينك السَّمْحاء
ألَّفْتَ بيْن قلوبهم وعطفْتهم وضَمَمْتهم ضمَّ الأَب الأبْناء
فَإذا هُم حَشْد عَلَى سُبُل الهُدى سِيَّان سَرَّهم الزَّمان وساء

* * *

شَهْر الصيام إلَيْك خَير تحيَّةٍ عطَّرت حين بعثتها الأرجاء
أوحيت لِى بجمِيل مَعْناها الذى لمَّا تزل تهْدى بِهِ الشُّعَراء

* * *

عوتب الشاعر على قلة الشعر

بعد المأساة

أنا إن غنيْت قالُوا شاعرٌ ... عَنْ هوًى ينْطق مشبُوب الفُؤاد
ماله والنَّاس صَرْعى نكبْة ... راحَ يشْدُو هائِماً فى كلِّ واد
ولَئِن أصْمُت فكمْ من عاتِبٍ ... قالَ إنِّى لَمْ أشارِكْ فِى الجِهاد
أوثر الصَّمْت وهٰذا موْطِنِى ... زُلْزلت من تَحْته الأَرْض فماد
رَبِّ إنِّى حائرٌ فى أُمَّة ... أسْلَسْت فِى حِيرةٍ مِنْها القِياد
ومضَتْ تخْبِط فى غيْرِ هُدى ... مالها الوَغْى ، ولا فِيها الرَّشاد
عَصَفت مِنْ حَوْلِها البَلْوى فَما ... لَقِيت فى ساحِها غير الرَّماد
يا لٰهذا الوَطَن العانِى أما ... مِن (صلاح الدِّين) فى هٰذِى البِلاد

العيـــد

العِيدُ ما العِيدُ ما بِالعِيد لى شانُ ... دُنْياى مَسْغبة ، دُنْياى حِرْمان
تاهتْ خُطاى علَى دَرْب الشَّقا فأنا ... سِيان عنْدِى أفراحُ وأحْزان
ما فِى قرارةِ كأسِى من ثُمالتها ... إلا دُموع وأنَّات وأشْجان
ماذا مَع العِيد إلا حُرقة وأسىً ... أو ذكْريات وأشْواق وتَحْنان
لا العِيدُ عِيدٌ كما قد كُنْت أعْهَده ... بِالأمْسِ كلاَّ ولا الأَوْطان أوْطان

حنين

بُلبُل الرَّوْض لَم ينم ... شَـفَّـه الوجد والأَلَـم
هـاجَـهُ ذِكْـر إلْـفِـه ... إذْ دجا اللَّيْل وادْلَهمّ
حَـيَّـر السَّفح والرُّبا ... أقْلَق الدَّوح والأكَم
كُـلَّـما أنَّ أنَّـةً ... قلْبُه المثخَن اضطَرم

أوْ بَكى فَوق أيْكَةٍ أرْسَل الدَّمْعَ وهْو دَم
هلْ تَرَى نالهُ أذىً أمْ تَرى مَسَّه سَقَم
أمْ شكا البُعْد والنَّوى فَهْوَ فى حَيْرةٍ وهَمّ
سالَ مِنْ قلْبه النَّغَم

* * *

ودِّع الأيْك وارْتَحل ما شكا الأين والْكَلل
فَهْو فى السَّهل تارةً وهْو طَوْراً عَلَى الجَبَل
يَسْألُ الظّلّ والجَنى حَيْثما حلَّ أوْ نَزَل
عَنْ حَبيبٍ لهُ مَضى كان دُنْيا مِنَ الأمَل
يَحسبُ الهَجْر والنَّوى منْه كانا إلَى أجَل
أوْشك العُمْر ينْقضِى وهْوَ ناءٍ وما قَفَل
كلَّما لاح طيْفُه فى الدُّجَى دمْعه انهَمل
أىّ داء به إشتعل

* * *

يَسْألُ النَّجْم فى السَّحَر علَّه عنْده خبَر
يَسْألُ العِطْر والشَّذى والنَّدى كلَّل الزَّهَر
والنَّسِيم الَّذى سَرى لاثماً صَفحَةَ النَّهر
والعَناقِيد والرُّبا والجنى الرَّطْب والثَّمر
والعَشيَّات حُفَّلا بالْهَوى الحُلو والسَّمر
أيْن ولَّى حَبيبُه أيْن يا دَوْح أيْن فرّ ؟
هلْ ترى مرّ مِن هُنا أم تُرى مِن هُنا عَبر ؟
يا رَعى الله من هَجَر

* * *

عادَ للدَّوْح والفَنَن يائساً هدَّهُ الحَزَن
بَعْد أن غابَ حِقْبَةً ما وَهى العَزْم أوْ وهَن
لمْ يمتَّع بهدْأة لا ولا جنبه اطْمأن

دائبُ السَّعْى والسّرى يذْرع السَّهل والحَزَن
فـإذا الـدوح آنس بحبيب إلـيـه حَنْ
هـاجَهُ الشَّوْق لِلْحِمى بَعْد حينٍ منَ الزَّمن
كلّ ربعٍ وَإنْ حَلا منزلٌ فيه أو سَكَن
لَيْس أحْلَى مِنَ الوَطَن

١٣ - محمود سليم الحوت

١٩١٦

١ - حياته :

ولد محمود سليم الحوت فى مدينة يافا سنة ١٩١٦ وفى مدارسها تلقى دراسته فى المرحلتين الابتدائية والثانوية التى أنهاها سنة ١٩٣٣ واتجه إلى الدراسة العالية فى الجامعة الأمريكية فى بيرَوت قسم الدراسات الاقتصادية وبعد أن أمضى به عامين تحول منه إلى قسم الدراسات العربية والشرقية وحصل على درجة بكالوريوس فى الأدب العربى من الجامعة سنة ١٩٣٧ وعاد إلى يافا دون أن يقبل وظيفة فى الحكومة .

وبعد فترة عاد إلى بيروت ومنها إلى العراق حيث اختارته وزارة المعارف العراقية مدرساً فى مدارسها ، وقد زاول مهنة التدريس فى متوسطة « عنه » القريبة من الحدود السورية الشمالية الشرقية عاماً دراسيًّا واحداً عاودته بعده الرغبة فى الإستزادة من الدراسة للحصول على درجة ماجستير وقد حصل عليها فى يونية « حزيران » سنة ١٩٤٠ عاد بعدها إلى فلسطين واختير مساعداً لمراقب البرامج العربية فى إذاعة القدس وقضى فى عمله عاماً ونيفا قدم بعده استقالته ولكن إدارة معارف فلسطين اختارته مفتشاً لمعارف بلدية مدينة يافا ، ومساعداً لمفتش معارف اللواء الجنوبى من فلسطين وظل يزاول هذه الوظيفة إلى وقوع المأساة سنة ١٩٤٨ حيث نزح مع أفراد أسرته إلى بيروت ومن ثم اختارته وزارة المعارف العراقية للمرة الثانية محاضراً ومدرساً فى كليات بغداد العالية وقضى ثلاث سنوات محاضراً فى الأدب العربى وتاريخه فى الكلية التوجيهية وكلية الآداب والعلوم والملكة عالية .

وعاد الشاعر إلى بيروت فاختارته الجامعة الأمريكية مدرساً للأدب العربى فى العام الدراسى ١٩٥١ - ١٩٥٢ وبعد انتهاء العام الدراسى استدعته جامعة تاكساس فى مدينة أوستن من أعمال الولايات المتحدة الأمريكية بالاشتراك مع وزارة الخارجية الأمريكية أستاذاً زائراً فذهب إليها وهناك أنشأ قسماً للدراسات العربية والشرقية بها .

٢ - شعره :

محمود الحوت شاعر بدأ ينشر شعره فى صحف فلسطين منذ سنة ١٩٤٠ ويتناول الجوانب الوطنية

والقومية والجوانب الذاتية الوجدانية .

وقد نشر العديد من قصائده قبل النكبة فى صحف فلسطين التى كانت تصدر فى مدينة يافا – الدفاع ، وفلسطين وكانت هذه القصائد تتناول الوجدانيات تارة والوطنيات تارة أخرى ، وحظى محمود الحوت بقسط وفير من الشهرة وعندما حدثت المأساة عام ١٩٤٨ كان محمود أول شاعر فلسطيني صورها ، وقصّ أحداثها فى ملحمته التى سماها «المهزلة العربية» والتى نشرتها له مطبعة المعارف فى بغداد سنة ١٩٥١ وتحتوى على ستة وعشرين نشيداً يتألف كل نشيد من ثمانية أبيات نوع فى قافيتها واحتفظ بوحدة الوزن الشعرى وهو بحر البسيط .

وفى سنة ١٩٥٨ نشرت له دار الكتب العربية فى بيروت ديوانه «ملاحم عربية» ويشتمل على خمس ملاحم الأولى «ثورة النيل» وتقع فى خمسة وسبعين نشيداً يتألف كل نشيد من ستة أبيات الثانية «الجمهورية العربية المتحدة» وتقع فى عشرة أناشيد يتألف كل نشيد من سبعة عشر بيتاً ، الثالثة «لبنان الثائر» وتقع فى ثلاثة وخمسين بيتاً ، الرابعة «١٤ تموز ١٩٥٨» وتقع فى مائة واثنى عشر بيتاً ، الخامسة المهزلة العربية وتقع فى ثلاثين نشيداً يتألف كل نشيد من ثمانية أبيات وقد ظهرت للمرة الثانية فى مجموعة الملاحم بعد أن زاد عليها الشاعر أربعة أناشيد لم تكن موجودة فى الطبعة الأولى . هذا إلى جانب قصائد تناثرت فى الصحف والمجلات التى تصدر فى لبنان .

مختارات من شعره :

من النشيد الثانى من المهزلة العربية

ليتَ العُروبَة فى إبَّان وثْبتها   لَمْ تُشْهِر السَّيف بتاراً ولم تثب
ليتَ العُروبَة مازالت تُهدِّدهم   من خَلْفِ عَسْكَرها المسْتأسد اللَّجب
إذَن لكانَ لَها فى قَلْبِهم هَلَعٌ   وكانَ بَعْض الذَّى نبغيه من أرب

ومن النشيد الثامن

ولسْت أرْغَب فى إفشاء ما فَعَلت   بنا الزَّعامات حتى مزَّقُوا الوَطنا
ما بَيْن «حردان» لاتصْفُو مشارِبه   وَبين «حَيْران» يخشى المنْطِق العلنا
آمنْت إلاَّ بما حاكته شِرذَمَةٌ   جرَّتْ علَى دارِها الأحزان والمحنا

لو أنَّها أَخلَصَت للشَّعبِ لاحتجبت عَن مَسْرح الهَزْل تبغى غيره مهنا
يكفى فِلَسْطِين يا أسباب نكبتها جِنايَة أنكم سُدْتم بها زَمنا

ومن النشيد العشرين

متَى أرى الوَحْدة السَّمْحاء باسِطةً حنانها فِى الهِلال الخَصْب والنِّيل
فَلا سياسات أرباب تُحاكُ لَنا ولا مقامات أَصْنام تماثِيل
ولا حُدُود مُريبات تمزِّقُنا وترفع السَّدّ بيْن الميل والميل
ونحْن شعْبٌ لِسانُ اللهِ يجمعُنا وكلّ ما ورثته وثْبة الجيل

ومن النشيد السادس والعشرين

يافالقد جَفّ دَمْعى فانتَحبْت دما متى أراكِ وهلْ فى العُمْر من أَمد
أمْسى وأَصْبح والذكْرى مُجدَّدة مُحْمولة فى طَوايا النَّفس لِلأَبد
كَيْف الشَّقِيقات واشوقى لَها مُدنا كأنَّها قِطعٌ من جنَّة الخُلد
ماحالُها اليوم يا يافا وهَلْ نَعِمَت مِن بَعْد أن سلمَت أمْساً يداً بيد ؟
وكَيْف من قدْ تَبقَّى فى مَرابِعها وقَدْ تركْناهُ فِيها ترْك مُلْتَحِد
ما بال قَلْبى إذا ما سِرْت مِن بلَدٍ يصيح من وجْدِه فى الصَّدر وابلدى
مهما استْقام لَهُ من عيشةٍ رَغدٍ وجدْتهُ هازئا بالعيشةِ الرَّغدِ
تعبْت لكنَّنى مازلتُ فى تعبى أَشكُو إلَى اللهِ لاأَشكُو إلى أحَد

ومن النشيد التاسع والعشرين

لكن سنرْجع شاءُوا أم أبَوْا ولنا بَفتْح مكَّة درسٌ مِلؤه عِبَر
سَنْستَعيدُ الْجبالَ الشُّمّ صامِدة كأنَّها القَدر المحْتومُ ينْتظِر
والسَّفْح والمنْحنى وَالقاعُ جارِية دُمُوعها فوق خدّ السَّهْل تَنْحدر
ونَسْتردّ الرَّوابِى وهْى صابرَة على الفراق بقلَب كادَ ينْفطِر
والشَّاطئ البائِس الرَّاوى حكايتنا للرَّمْل والموْج يطْغَى ثمَّ ينْكسر
سنَستَعيد رِحابَ الدُّور عانية والشّوق مؤتلقٌ فيها ومزْدَهِر

ونسترد فَـراديساً مُعلَّقة ما خالَط الرُّوح إلا رُوحها العَطِر
من بَعْد عشْرٍ طوَتْها وهْىَ ، جامِدَة والآن كادَ يخف الصَّخرُ والحجر

ومن النشيد الثلاثين

ولا استْتبّ سلامٌ لا ولا نَجَحت له مساعٍ تُجارِى سير حَملته
هُبِّى رِياح الرَّدَى فالموْتْ أفْضَل من حباة شَعْبٍ أَذلُّوهُ برمته
والحربُ أشْرف من سِلْم لمن قلَعُوا واستأصلُوا جذره من مِسْك تُربته
ما السلم ما الأمْنُ وَالأعداء فى وطَنى أنا طَرِيدٌ وهمْ سُكانُ جنته
لا لن نَرى السَّلْم إلا بَعد عَوْدتنا معَ الدَّمارِ المغنى لحْن نِقْمته
نعَمْ سنَرْجعُ والدُّنيا مُهلِّلة للنَّصر والغَرْب مفْجُوعٌ بِدولَته
تِلْكَ الَّتى قالَ عنْها إنها خُلِقتْ لكىْ تعيش ويَبْقى مدّ صَوْلته

من ملحمة ثورة النيل النشيد الحادى عشر

ثورةُ النِّيل لَمْ تكُنْ منْ نَصيبِ النِّيل حوْضاً ومنبعاً ومصبّاً
وحْده فَهْى ثورَة العُرْب طرًّا تتلظَّى بهم بلاداً وشَعْبا
يا لمصر الهُداة ماكنت إلا من فراديسنا حدائق غُلْبا
ومنَ الموْطِنِ الكَبير صميماً عربى الحياة رُوحاً وقلْبا
ولَكَمْ عبت المغاربُ منْ نيلكِ يـا مِصْـر والمشَـارق عبّا
ورأت فِيك كعْبَة من ضِياء متّنت بَيْننا أواصر قربى

من ملحمة الجمهورية العربية المتحدة النشيد الأول

حلماً كان فى ضمير الأمانى مالئاً يا أخى رحاب الزَّمان
اتحاد يضمّ وادى البُطولات طليقاً مِنْ كل عادٍ وجان
وربُوع الشَّآم وهْى حرام أبدى على ذوى العُدْوان
تَتهادى به الأسود الضّوارى وعتـاق النُّسور والعُقبـان
وتتيه الحَمائِم البيضُ أَمناً وسلامـاً بِوارفـات الجنان

رافِلات بثَوْبِ عزٍّ ومجْدٍ وإبـاء وزهْوة وافْـتِـنـان
إن دفق الجِهاد فى مسْبح النّيل طوال الـدّهور والأزمـان
قد تلاقى وموجة لم يصد البغى مدا لها بحَربٍ عَوان

آثار الشاعر :

١ – المهزلة العربية – بغداد١٩٥١ .
٢ – الميثولوجيا عند العرب بيروت ١٩٥٥ .
٣ – ملاحم عربية بيروت ١٩٦٨ .

١٤ - على هاشم رشيد

١٩١٩

١ - حياته :

ولد على هاشم رشيد بمدينة غزة فى السابع من ديسمبر سنة ١٩١٩ وفى محلة الزيتون أحد أحياء المدينة تفتحت عيناه على جمال الوجود وكان أول ما تفتحتا عليه أشجار الزيتون وما تحمله أغصانها من معانى السلام والمحبة .

وفى مدرسة غزة الابتدائية تلقى ثقافته فى المرحلة الأولى من مراحل التعليم ، وفى الرشيدية الثانوية بالقدس أتم دراسته فى المرحلة الثانوية سنة ١٩٤٠ وتلقفته إدارة معارف حكومة فلسطين فى عهد الانتداب وعينته مدرساً وقضى أربعة عشر عاماً يبنى وينشئ أنفساً وعقولاً ثمانية منها ندية الاصباح ، ساحرة الأمسيات ، مشرقة الأيام قبل الكارثة وستة داجية الأيام دامية الجنبات بعدها .

وكانت سنة ١٩٥٤ نقطة تحول بارزة فى حياته إذ ترك غزة مدينته الحبيبة التى عاش فيها طفولته وصباه وشبابه وانتقل إلى القاهرة حيث اختارته إذاعة صوت العرب مشرفاً على ركن فلسطين بها فأدى رسالته ورسالة بلاده وأمته على خير وجه ونجح فى الاتصال بكتاب وشعراء ونقاد فلسطين الذين مزقتهم النكبة ونثرتهم فى أقطار الوطن العربى فأمدوه وأمدوا الركن بفنون من الأدب الفلسطينى الجيد تمثلت فى الحديث الإذاعى والقصيدة الشعرية والقصة والمسرحية والنقد .

وأتاح له عمله فى الإذاعة الاتصال بالعلماء والأدباء والمفكرين فى الوطن العربى والإسهام فى الحركة الفكرية المعاصرة والمشاركة فيها بشعره .

كما أتاح له متابعة الأحداث والتطورات السياسية والاجتماعية والنهضات الفكرية مما غذى شاعريته وفسح من آفاقها وقد شهد العديد من مؤتمرات الأدب ، ومهرجانات الشعر فى العالم العربى عضواً فى وفد فلسطين الذى يمثلها فى هذه المؤتمرات والمهرجانات .

٢ - شعره :

فى سنة ١٩٦٠ صدر للشاعر على هاشم رشيد ديوانه الأول : أغانى العودة :[١] وكان لنا شرف

(١) طبع الديوان على نفقة حكومة عموم فلسطين فى دار ممفيس للطباعة فى القاهرة .

تقديمه إلى القراء يومئذ وكان مما قلناه إن الشاعر قد وفق فى اختيار اسم ديوانه الأول فالعودة لفلسطين حلم قلب كل فلسطينى ، وهى الأمل الذى يحيا عليه اللاجئون المشردون فى أقطار الدنيا ، وهى الشموع التى تبدد الظلام فى الخيام السود ، والنشيد العذب الذى يترنم به أبناء فلسطين ويرددونه فى الغدو والآصال .

ويحتوى الديوان على أربعين قصيدة اختار منها قصيدتين جعلهما نشيدين ، وسكب مضمونه الشعرى فى قوالب شكلية أربعة أولها الشعر العمودى ونعنى به نظام القصيدة العربية التى تلتزم فيها وحدة الوزن والقافية فى جميع الأبيات ، ثانيها القصيدة ذات الوزن الواحد والقوافى المتنوعة ، ثالثها المخمسات وهى القصائد المكونة من مقاطع يتألف المقطع من خمسة أجزاء يجعل الشاعر الأبيات الأول والثانى والثالث منه من قافية والرابع والخامس من قافية أخرى ويلتزم ذلك فى كل مقطع ، رابعها الشعر الحر الذى يعتمد على التفعيلة فى البيت ولا يخضع لقيود القافية ومن دراستنا لقصائد الديوان لاحظنا أنها نظمت خلال فترات متباعدة من الزمن ومعنى هذا أن الشاعر قد قال الشعر قبل حدوث الكارثة ولكننا لم نعثر على قصيدة واحدة تصور حالة أبناء فلسطين أيام الانتداب ، كما لم نعثر على قصيدة واحدة من الشعر الوجدانى ، وأغلب الظن أن الشاعر فى هذا الديوان بالذات اختار قصائد بذاتها مما نظم ، وهذه القصائد مستوحاة من الكارثة وفواجعها وأهوالها .

وقد عاش الشاعر فى فلسطين وأهلها ينعمون بالحياة فى مدنهم وقراهم قبل المأساة . يجنون ثمار البرتقال من البساتين ، ويحصدون القمح من الحقول ويرشفون أكواب البهجة فى الليالى المقمرة على بيادر القمح يسمرون ويهزجون ، وأبصرهم – بعد الكارثة – وهم يتطايرون كالشرر ويهيمون فى وجوه الأرض يتخطفهم الردى ويطاردهم الجوع ، ويلاحقهم الشقاء ، وهزته الكارثة التى هزت قلوب الشعراء من أبناء فلسطين بل قلوب الشعراء فى دنيا العروبة والإسلام ، وأخذت ريشته تصور قصة تشرد الشعب الآمن فى قصيدته الشريد التى استهل بها قصائد الديوان والتى يقولها على لسان لاجئ .

ويحض أمته على الثأر ممن غصبوا فلسطين وشردوا أهلها مترنما بأناشيد العودة فى قصائد عديدة إلام المنام – يا شباب – أمنياتى – إلى إخوتى فى كل مكان – مداد الخالدين – أخى الثائر – أنا لى غدى .

وتمتد عاطفة الشاعر إلى حدود وطنه العربى الكبير تهزه أحداثه فيحيى بورسعيد الباسلة فى أثناء العدوان الغادر سنة ١٩٥٦ ويبارك الوحدة التى قامت بين مصر وسورية سنة ١٩٥٨ ويحيى جهاد الجزائر .

وهو متدفق الشاعرية تواتيه القوافى بسهولة ويسر ويقدم قصائده ومقطعاته لقرائه فى أسلوب سلس سهل لا تعقيد فيه ولا التواء ولا غموض يحافظ فيه على فصاحة الكلمات والجمل وجريانها على قواعد اللغة وضوابط النحو ، والبعد عن العامى واللحن .

وله عدد من القصائد والأناشيد التى لحنت وغنيت ، وقد اختارت وزارة التربية والتعليم فى جمهورية مصر العربية طائفة من قصائده نصوصاً فى المرحلة الإعدادية .

مختارات من شعره

الشريد

أنا يا أخِي الإنْسان مثْلك كان لى وطن حَبِيب
قد كُنْت فيه أعِيشُ فى رَغَد ، وفى عَيْشٍ رحيب
وبِهِ الحدائق والجبالُ الشمُّ والمرج الخَصِيب
وبه الأمانى العِذَاب وشَمْس عزّ لا تَغِيب

* * *

أنا يا أخِي الإنْسان مِنْ حَقِّي بأن أقضِى الْحيَاه
حرًّا كما تحيْا ويَحْيا النَّاس فى ظلّ الإله
فى مَوْطِنِى أَلْقاك بالبُشْرى ، وتُسْعِدنى رُباه
وأَبثّكَ الحبَّ الّذى ماكنت تَعْرف لى سِواه

* * *

أتُراك تَعْرِف يا أخِي الإنْسان ما مَعْنى الضَّياع ؟
أتراكَ تَشْعر ما أُقاسِى من شَقاءٍ والتِياع ؟
أنا واثقٌ مِنْ نُبْل حسك إن دَعا للخَيْر داع
فإلِيْك قصّة موْطِنِى المنكُوب فى هٰذى البِقاع

* * *

كانتْ لنا الآمالُ والأحْلام فى الوَطَن الخَصِيب
من جدنا أثْمارها تدنو على الغُصْن الرَّطيب

نلْقى الضُّيوف ببشْرنا فى بَيْتنا السَّمْح الرَّحيب
ونَشِيد فى الوَطَن الحَبِيب المجْد بالعَرَق الصَّبِيب

* * *

كنَّا كذٰلِك حين عاثَ بأَرْضنا المسْتَعْمرون
ومَضَى اليَهُود يُقَتِّلون ويذْبَحون ويفْتِكُون
وتأجَّجَت فى أَرْضِنا نُوب سَترويها السنون
فِيها بنكْبتنا صحائِف من سَوادٍ للعُيون

* * *

وغدوتُ أضْرب فى القفارِ بلا أَنيسٍ أَو مُعين
والبَيْت بَيْتى خَلف أَسْلاك من الإفْك المبِين
نَفسى تُجَنُّ بلوْعَة فيكاد يقْتُلنى الحَنين
أسَمِعْت عن ظُلمٍ كَهذا الظُّلْم فى عِبَر السِّنين

* * *

أَصْبحْت فى كُوخ حَقيرٍ بعد عالِيَة القُصُور
أصْبحْت منْبوذاً تقاذفنى المنَايا والدُّهُور
والسُّلّ ينْخُر فِى العِظَام وفِى العُروق وفى الصُّدور
والجُوع والتَّشْريد والحِرْمان أكْواب تَدُور

* * *

صِرنا بُعَيْد العِز والأَمْجاد نُدْعى لاجئِين
والبَعْض سمَّى شَعْبنا المظْلوم شَعْب النَّازحِين
فَمَتى نَسِير إلَى الرَّوابِى الخُضْرِ جَمْعا عائِدين
لنَعُود نَصْنع للحيَاة سنى علَى مرِّ السِّنين

* * *

هِى يا أخِى الإنْسان قِصَّة موْطنٍ لاقَى الْمظالِم
هِىَ قصَّة الشَّعْب الَّذى لا يرْتَضى حُكماً لِظالِم
هِىَ قِصَّة التَّشْرِيد والحِرْمان أعْيَتْ كلَّ ظالِم
أَتُريدُنى مِن بَعْدَ هٰذا أنْ أُصِيخ لِلوْم لائِم

إلى إخْوتى فى كل مكان

إِليْكُم بظل سُفوح الْجبال
وخلْف الشُّطُوط وخَلْف الرِّمال
وطُول لَيالى الأسَى المُوحشات
وتَحْت صُرُوف الزَّمان الثِّقال
إلَيْكم إِليْكُم ندائِى وشِعْرى

* * *

إِليْكُم أقَدِّم ذوب الفُؤاد
وأَبْعثُ شِعْرى لحناً حَنُونا
فإنْ هزَّنى الشَّوْق نحو البِلاد
وهاجَ ادكَار المغَانى الحَنينا
بعثت إِليْكم بلحنى وشِعْرى

* * *

أراكُم بعَيْنى تَحْت الخِيام
فَترعاكُمُ رُوحى الحانِيَه
وتِلْك الرِّياح تُثير الْقَتام
وتعْصِف بالخيمةِ البَالية
تكادُ تمزِّق بالْيأْسِ صبرى

* * *

فيا إخْوَتى فى الأَسَى والعَذاب
وفِى البُؤْسِ والعَصْفة الصَّاخِبه
تَعالَوْا لِنقْفِز فَوْق الشِّعابِ
ونُعْلنها صَرْخة لاجبه
فِلسْطِين مهْدى فِلسْطين قبْرى

إلَيْكُم فُؤَادِى إلَيْكُم نَشِيدِى
إلَيْكم جِهادِى برغْمِ القُيُود
مَتَى نلْتَقِى تحْتَ ظلٍّ البنود
ونقْفِز بالعَزْم خلْفَ الحدُودِ
فَتِلك المغَانِى فرادِيس شِعْرى

* * *

إلَيْكم بِليْلِ الشَّقاء الطَّوِيل
وتحْتَ العَواصِفِ تحْتَ المَطر
إلَيْكم بُعَيْد الضحَى والأَصِيل
وعِنْد الصَّباح وعِنْد السَّحر
إلَيْكُم وفِيكُم فُؤادِى وفِكْرِى

* * *

سأطْوِى إلَيْكُم رِمالَ الْفَلاة
لِتلْكَ الخيام وتِلْك الكُهُوف
أبثّ شُعورى ومنْه الحَياة
وأحْنو بِقلْبٍ حنون عطُوف
فِفيكم ومِنْكُم شُعُورى وشِعْرى

جاء الحساب (١)

وطَنِى لَقد كثر الَّذين يُتاجِرون ببؤس شَعْبِى
دمَع التَّماسِيح الغَزِيرة فى عُيونهمُ كصَوْبِ
لم يَشْعُروا بالجُرح يا وطَنِى ولا بحَنِين قَلْبِى
كلاَّ ولا شَوْق الشَّرِيد لِعَوْدة فى رَهْط صَحْبِى

* * *

(١) من ديوان شموع على الدرب .

هُم بَين أَهْليهم فكَيْف يَرون آلام الشَّريد
هُم فى دِيارهم فكَيْف يتاق للوَطَن البَعِيد
أتراهُم عَرفوا الرِّياض الخُضر مِنْ خلْف الحُدود
كذبُوا فما اشتاقوا ولكن إفْكهم لطْم الخُدود

* * *

يا وَيْل من خانُوك يا وطَنِى إذا جاءَ الحِساب
يا وَيْل من عاشُوا بآلامى ومن حازوا الرّغاب
يا ويْلهم من يَوْم ثوْرَتنا عَلَى هذا العَذاب

* * *

قالُوا غريبٌ أجْنَىّ وأرضهم أرض العروبه
ويطاردُونك فى دِيارِهم بأحْكام غَريبه
وتحس فى نظراتهم مينا وأفكاراً مُريبه
تلكم ثمار البُعْد يا قَوْمى وتِلْك هِى الضريبه

* * *

يا وَحْدة تَرْنو لَها عيْن الشَّريد وترتجيها
يا وَحْدَة تقنا لمطلعها وبتنا نَبْتَغيها
العَوْدة الكُبرى بأفقك شَمْس مجد نجتليها
هيّا أريناها على أرْض القداسة أطلعيها

* * *

آثار الشعر :

١ – أغانى العودة – القاهرة سنة ١٩٦٠ .

٢ – شموع على الدرب – القاهرة سنة ١٩٦٧

٣ – الطوفان – القاهرة سنة ١٩٧٠

١٥ – حسن البحيرى

١٩١٩

١ – حياته :

ولد حسن البحيرى فى مدينة حيفا فى فلسطين سنة ١٩١٩ وتعلم فى مدرستها الابتدائية الحكومية واحتمل قسوة القدر وتجهم الدهر فى طفولته فصارع البؤس ، ونازل الشقاء وتجرع غصص الفاقة والحرمان إذ فقد والده وهو جنين فى بطن أمه التى تزوجت بعد ولادته من رجل أمى فظ رفض أن يواصل الطفل دراسته ، وفرض عليه حراسة كرم بعيد فى بلدة سلمة القريبة من يافا ، ولم يكتف الزوج القاسى بما كابد البحيرى فى حراسة الكرم فدفعه إلى العمل فى مخبز حيث كان يقضى لياليه مفترشاً الغبراء ملتحفاً السماء ، وهكذا شاءت الأقدار أن تكون طفولته معذبة صهرت نفسه وأرهفت حسه ، وأوحت له بالنغم العذب والشعر الجميل وعندما اشتد عوده ، واستوت رجولته صمم على أن يكمل ثقافته بنفسه دون الالتحاق بمدارس أو الانضمام إلى كليات ، وشمر عن ساعده ، وعكف على القراءة والدرس والبحث وأطال النظر فى كتاب الله يتدبر آياته ، ويتأمل بلاغته ، وعاش مع دواوين الشعراء الذين استأثروا بإعجابه فى العصر العباسى والأندلسى والحديث وقد أحب البحترى ، وابن زيدون وابن خفاجة وفتن بالشاعر أحمد شوقى ، وأحمد رامى وأتاح له عمله الحكومى فى سكة الحديد بحيفا أن يجد وقتاً طويلاً للقراءة والاطلاع .

وفى سنة ١٩٤٨ اضطر البحيرى للنزوح عن مدينته الحبيبة حيفا واللجوء إلى دمشق وفى مهجره زاول العديد من الأعمال وتقلب فى مختلف الوظائف فى المجال التعليمى والإذاعى وما يزال يعمل فى الإذاعة السورية ، وفى دمشق أخذ يرسل القصائد الملتهبة حسرة على الوطن المغتصب ، وتشوقاً إلى ربوعه ، ودعوة للعرب والمسلمين لاستعادته ، وتطهيره وافتدائه بالمهج والأرواح .

٢ – شعره :

صدر للشاعر حسن البحيرى ديوانه الأول الأصائل والأسحار أو ديوان الغزل سنة ١٩٤٣ ، وديوانه الثانى أفراح الربيع أو ديوان الطبيعة سنة ١٩٤٤ ، وديوانه الثالث ابتسامة الضحى أو ديوان

الوطنية سنة ١٩٤٦ ، وطبعت الدواوين الثلاثة ونشرت فى القاهرة . وحققت للشاعر شهرة واسعة تجاوزت حدود فلسطين . إذ كتب النقاد والدارسون فى الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى القاهرة ودمشق وبيروت عنها وأشادوا بصاحبها وبجودة شعره ، وجزالة أسلوبه ولا غرو فقد تضافرت عوامل كثيرة على صقل موهبة البحيرى وإذكاء شاعريته منها طفولته المعذبة . وما كابده فى غضونها من آلام صهرت نفسه ، وأرهفت مشاعره ، ومنها نشأته فى مدينة حيفا ، وقضاؤه الساعات الطوال على أعالى جبل الكرمل الذى أوحت إليه مفاتنه الخلابة ، ومناظره الساحرة من أشجار صنوبر متشابكة الأغصان ، وتغريد أطيار ، وتفتح أزاهير ومشاهدة البحر المتوسط بطائفة من القصائد التى استوحى فيها الطبيعة ، وناجاها ، واندمج فى أحضانها .

ومنها ما قساه - مع أبناء وطنه - من ظلم وعسف وقهر صبته بريطانيا على البلاد وهى تحارب الانتداب والصهيونية وتقدم قوافل شهدائها قافلة بعد أخرى ثم احتراقه بالمأساة بعد حدوثها حين أرغمته على النزوح من مدينته الحبيبة حيفا إلى دمشق الفيحاء .

وحيث تقذى عيناه كل يوم برؤية أشلاء قومه متناثرة فى الدروب ، وحزنه على ما أصابهم ، وإذابة عواطفه شعراً فى الحنين إلى الوطن ، والتشوق إلى حيفا وإلى الكرمل ، وإلى عهود الصبا ، ومغانى الجمال .

وقد قال الشعر فى الأغراض القومية والوطنية ، وفى وصف الطبيعة ومناجاتها ، وفى الغزل واستلهم روح الإسلام وأمجاد أبطاله ، وتاريخ أمته وحض المسلمين والعرب على إنقاذ فلسطين من دنس الصهيونية .

وسار فى شعره على نظام القصيدة العربية ذات الوزن الواحد والقافية الواحدة تارة ، وذات الوزن الواحد والقافية المتعددة أحياناً ، وكان حريصاً على صحة مفرداته ، وقوة عباراته .

وقد قلنا عن الشاعر إن فى شعره إشراق الديباجة وصفاء العبارة ، وإحكام النسيج . وإن فيه نفحات من ديباجة البحترى . وتأثرا برصانة عبارته (١) .

---

(١) د . كامل السوافيرى - الاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطينى المعاصر من ص ١١٣ - ١١٨ .

شباب الربيع وربيع الشباب

حاكَ الرَّبيع الطَّلْق وحْى شَبَابه ... لِمُروجِهِ وهِضابِه وشِبابه
وتغنَّت الأَطيارُ فى وَكُناتِها ... فهفالها نَفح الشَّذَا من غابه
هَل الرَّبيع بحُسْنه وبهائِه ... وجَلالـه وجَمالـه وشَبـابه
فالعِطْر فى نسَماته ، والسِّحْر فى ... قَسماته ، والمِسْك نشر ترابه
والزَّهْر كلَّلهُ الحَيا بِطلالِهِ ... والعُشْب جلَّله السَّنا بِنقابِه
والنَّبْع تحت الرَّوح أسبلَ دَمْعَه ... فَجرَى لِشكْوى طَيره وعتابه
فاغْنَم زمَانك إذ صفا بِرَبيعِه ... وشَبابِك المخْتال فى أتْرابه
وامْلأ فؤادك بالهوَى وشجُونه ... وانْهل مع اللَّذات من أكوابه

صوت من فلسطين

أُمَم الشَّرقِ فَوْق كلِّ صعيد ... فى المكانِ الْقَريب أو فى الْبُعِيد
طَفَح الكَيْل فالتَّصبرُ كفرٌ ... وَطَما السَّيل فوْق هام النَّجود
فانْفَضى كلة النِّيام وهبِّى ... من سُبات الكرَى ولَيْل الهُجُود
وأثِيرى — فالشّر صرح عرياً — ... كلّ شيخ وكلّ طِفْل وليد
وأعدى ما اسْطعْته من رجالٍ ... هى كالرَّمل فى مَطارح بيد
وهى كالسَّيْل نفرة ومَضاء ... إنْ تَنادَت ليومها المشهود
وهى يَوْم الثَّبات من كلِّ روع ... كرواسى الجِبال فى التَّوطيد
ما دَعاها النَّفير إلاَّ ولبت ... بثُغور مرَددات النَّشيد
تلثم الموْت مُشْرقات الثَّنايا ... لثم بيض الطَّلَى وحُمر الخُدود
الوحى لِلْوغى أيا دُول العُرْب ... جُنوداً تَنْساب إثْر جنود
لا الدُّموع الغِزار فى النَّحب تمضى ... بعدُوّ ، ولا التأوّه يُودى

* * *

قسم الجور مَوْطِنا أنْتِ منه أمّة أثّلتْ عُروش الخُلود
وأطلّت على ذُرَى الدّهر شمساً وهو طِفلٌ علَى فراش المُهود
قبْلتا المَجْدِ منْ حِجازٍ وشامٍ كَيْف تغدو أولاهما للِيَهُود ؟

حيفا فى سواد العيون

ما أشْرقت عَيْناك إلا خانَنى بصبابتى صَبْرى وحُسْن تجملى
وتحسَّستْ كفّاى من ألم الجوى سهْماً مغارس نَصَله فى مقتلى
فَلَقد رأيْت بلحْظ عَيْنِكِ إذ رنت والتّيه يَكْحَلُها بميل تَدَلُّل
حيفا وشاطِئها الحَبيبُ وسَفْحها وذُرى تعالت للسّماك الأعزل
ومنى تقَضّت فى فَسِيح رحابِها وهوى تولّى فى الشَّباب الأَوّل
وذكرت من عُمر النّعيم مضاءه بصبى علَى رود اللّيالى معجل
والعَيْش بُسْتان وبَسْمة سَعْده فجر بأفراح المشارِق ينجلى
عينٌ رأيْت بسحْرها وفتُونها أحلام عهْد بالصّفاء مظلّلِ
ولمحت بَيْن سَوادها وبَياضها ظلّ الصّنوبر فى أعالى الكَرْمل
فَعلَى جُفونكِ لاح طَيْفُ رَبيعه والحُسْن يوطِئه بساط المحمل
جبلٌ أطلّ عَلى مرابع أُنْسِهِ قمرى ، وغاب وتمه لم يكْمُل
وغَرست بَيْن شعافه وشعابهِ زهْر الصّبا ورويته من سَلْسل

أنفاس الوطن

سَألتْ ذات حنين أختها والدّجى يعْقد أجْفان الوسن
وصدى النّجوى علَى أفق الرّبا يزفر اللّهفة فى لَيْل الشجن
أخت ماسرّ الشّذا من زنْبق حير الأدْمُع فى خد الزّمن
فأجابتْها بلحْن شاردٍ رن فاهتزله عطْف الفنن
يا ابْنة الأيك ويا أخْت الشّجى أرج الزنبق أنفاس الوطن

آثار الشاعر :

١ – ديوان الأصائل والأسحار – القاهرة ١٩٤٣ .

٢ – ديوان أفراح الربيع – القاهرة ١٩٤٤ .

٣ – ديوان ابتسام الضحى – القاهرة ١٩٤٦ .

٤ – حيفا فى سواد العيون – دمشق ١٩٧٣ .

١٦ - كمال ناصر

١٩٢٥ - ١٩٧٣

١ - حياته :

ولد كمال ناصر فى بلدة بيرزيت فى فلسطين سنة ١٩٢٥ وفى كلية بيرزيت تلقى دراسته فى المرحلتين الابتدائية والثانوية وكان ذلك سنة ١٩٤١ ، وتوجه بعد ذلك إلى بيروت حيث التحق بالجامعة الأمريكية وحصل على درجة بكالوريوس فى الآداب والعلوم سنة ١٩٤٥ ثم رجع إلى فلسطين وعمل مدرساً للغة العربية فى مدرسة صهيون بالقدس سنة ١٩٤٦ والتحق طالباً . بمعهد الحقوق وقضى به أربع سنوات حصل فى نهايتها على إجازة الحقوق . وفى سنة ١٩٤٧ عين مدرساً للأدب العربى فى الكلية الأهلية فى مدينة رام الله .

وبعد حدوث المأساة سنة ١٩٤٨ أصدر مع بعض زملائه جريدة يومية باسم : « البعث » فى رام الله وفى سنة ١٩٤٩ أصدر وحده مجلة أسبوعية باسم الجيل الجديد فى رام الله أيضا ولكن السلطات الأردنية عطلت الصحيفة والمجلة .

وعمل كمال فى مجال الحقل الوطنى يوقظ الضمائر ، ويستنهض الهمم ويذكى جذوة النضال ضد العدو الإسرائيلى ، ويشرح جوانب القضية وفى أول فبراير سنة ١٩٦٩ انتخب عضواً فى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومسئولا عن دائرة الإعلام والتوجيه القومى وقد اغتالته الأيدى الأثيمة فى بيروت فى العاشر من أبريل سنة ١٩٧٤ .

٢ - شعره :

نشر كمال ناصر الكثير من قصائده ومقطعاته فى الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى فلسطين قبل المأساة ، وقد لفتت قصائده الأنظار لأن كثيراً منها كان فى مناسبات إسلامية كالمولد النبوى الشريف ، والهجرة النبوية أو مناسبات وطنية كوعد بلفور واحتلال القدس .

وفى قصائده الوطنية كان ثائراً داعياً للثورة والكفاح ضد الانتداب والصهيونية .

وبعد المأساة كانت قصائده حسرة ولوعة على ضياع فلسطين وكانت ثورة على العرب ، ودعوة

لاسترداد البلاد ، وحضًّا على الجهاد المسلح ومن المؤسف أنه لم يتح له أن يجمع شعره فى ديوان ولكن دار الطليعة فى بيروت نشرت له أول ديوان سنة ١٩٦٠ وسماه « جراح تغنى » ولكن الديوان لم يضم إلا عدداً قليلا من قصائده التى غناها بعد النكبة . أما قصائده وملاحمه التى أبدعها قبل المأساة فقد تناثرت فى الصحف والمجلات .

وقد أبدع كمال ناصر القصيد ، وعالج الخطابة والكتابة ، إذ كتب العديد من خواطره ، ونفثات قلمه فى الموضوعات الوجدانية والاجتماعية .

أما شعره فكان أكثره وطنيا صدر فيه عن إيمان بأمته وعروبته وبلاده ، وكان فيه يجمع إلى صدق عاطفته فيض قريحته ، وقوة أسلوبه ومتانة نسجه .

مختارات من شعره

اليتيم (١)

حاربيه وأمعِنى فى عذابِهِ ... يا رزايا فلَيْس يَعْرِف ما به

سَكرة للشّقاء لم يصح منها ... صَرعته عَلَى ربيع شَبابه

حَمَل الرزء وهْوَ يجهل ما الرزء ... ويمشى على رءوس حرابه

سَلَخَتْهُ الحياةُ عَنْ أَبويه ... ونأت باليتيم عن أترابه

* * *

لا تلوموه إن شكا رُبَّ شكوى ... خفّفت من شقائِه وعذابه

إنّ للدّمع صَرْخة تسْمع الله ... كوقع الصَّلاة فى مِحْرابه

مِنْ لهذا الضّعيف فى الزمن الظّالم ... غير الدُّموع ملء إهابه

من لهذا القَلْب الشّقىّ المعنَّى ... جردته الأيامُ من أحْبابه

(١) عثرنا على هذه القصيدة فى العدد ٢٧ من مجلة القافلة الصادرة فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٤٧ وهى مجلة عربية أسبوعيه مصورة كانت تصدر فى القدس قبل حدوث المأساة ولم يتضمنها ديوان الشاعر جراح تغنى الصادر سنة ١٩٦٠ .

من لهذا الشجى يغمره الحزْن سوى المنْعشات من أكوابه
كلّما عاقَر المدامة صِرْفا لجَّ في بُؤسه وفى تَصْخابه

* * *

سار فى حَمأة الخنى لا يُبالى ميّت الحسّ فاقداً لِصوابه
فإذا الدّاء أرقط يتلوى فوْق صَدرٍ مَشى الضَنى فى رِحابه
عابثاً يزدرى الفَضيلة جَهْرا ربّ مستهتر سَعَى فى خرابه
لم يَكن مُجْرما وما كان وغْدا إنما اليتم مجرْم فى عِقابه

* * *

صَرعة الدّهر لليَتيم مُصاب كُل خطْب يَهُون عنْد مُصابه
أيْن منه الحنَان فِى ظلّ أهْل أيْن منه الأنيس مِنْ أصْحابه ؟
أيْن منْه أبُوه ينفحه العزْم وللمرْء عزْمة فى شبابه ؟
هكذا يُخلق اليَتيم ليشْقَى ويْحه سطر الشّقا فى كِتابه

* * *

كمْ يَتيِم جَنت عَليْه اللّيالى عبقِرى الفُؤاد أروع نابه
لو حَبْته الأيّام حظا وعطفاً لمشَى المجد والغِنى فى رِكابِه
أهْمل النّاس شأْنه فتردّى فى خِضمٍّ من الأَسَى وعبابه
كُلّما حاوَل النُهوضَ ليسعى ردّه وهنه على أعْقابه

* * *

أَحْمد ذلك اليتيم المفدّى رَفعَ الحقَّ فاستَوى فى نِصابِه
شعَّ فى غابِر الزّمان نبيّا بَهَر الكائِنات وهج شَبابه

حَمل المشْعَل الّذى مزّق الجهل إلى ذِروَة الهُدى وهِضابه
عربىّ قد أسْرفتْ فى هواه أمم فِى الزّمان مِن أَعرابه

* * *

أيهذى الأكف سيلى حنانًا وانْبرى كالغَمام عند انْسكابِه
إنّما أنْت راحَة الله للإحْسان بل أنت ديمة من سَحابه

مصرع البطل القائد الشهيد(١)

أيُّها الموت تهْ علَيْنا وفاخِر لَمْ يطش سَهْمك اللَّئِيم الغادِر
أنْت لَمْ تَطْوِه صغيراً ولكنْ قد تداعتْ فى مقلَتيه الكَبائِر
أنْت لَمْ تَطوه جباناً ولٰكِن قد تهَادَى إليْك نشوان ظافِر
كمْ تحاشَيْت أن تراهُ فألْوى يتحدَّاك رابط الجأْشِ ثائِر
كمْ سعَى فى مَجالك الخصب حتّى بتّ تلْقاه خاشِع الطَّرف خاسِر

* * *

أيُّها المَوْت لا تَسلْ أنْت أدْرَى كَيْف يردى إلى حِماك المغامِر
دُونكَ النَّعش هلْ تَرى مَن علَيْه تِلك أُنشُودة الْجِهاد الطّاهر
رددى صَوتَها الشجى وضجّى ياليالى ، وزغردِى يا مَقابر
زَارك اليَوْم فارس عربىّ عانِقيه فذاك عبد القادر

* * *

ومَشى القائِدُ الكبيرُ إليْه ملعباً بالشّباب والشّيب زاخر
ورمى جَبْهة الصّعاليك بالنّار وللصّعاليك منّا الخناجر
هيه ياموت أيْن أَنْت فلبت عُصْبة الموت من وراء المحاجِر
فإذا الأرْض شُعْلة ألْهبتها هَمَسات الجهاد عَبْر الحَناجر
فجثا الحصن فى يَديْه ولاحَت راية المجْد بهجة للنّواظر
ورنا صامِتاً وفى مقْلَتيْه ومضة النّصر فِى صُدور البَواتر

---

(١) عبد القادر الحسينى وقد ألقيت فى الحفلة التأبينية التى أقامتها كلية بير زيت للبطل الفقيد .

فـإذا قـبضـة الـرَّدى تدّعيـه لا انـتـقـامـاً وإنّما لـلمـفـاخـر
وإذا الـفـارسُ الأبى طـريحاً فـوق أرض نـديـة بـالمآثـر
لَم يرعْهُ الرَّدى ولكنْ عرتْهُ مثْلَما يعْترى الغـريب المُهاجر
لاحَت الدَّارُ دارهُ ثمَّ أغفَت مقلتاه على الطُّيوف السَّواحر

* * *

يا فِلسطين لا تُبالى فإناً قد روينا والخصم ظمْآن صاغِر
ما اغْتَصْبنا المجدَ الأثيل ولكن قَدْ ورثْناهُ كابراً عَنْ كابِر
يا فِلَسْطين لا تُراعى ففينا همَّة تصْفَع الزَّمان القاهِرِ
كـلُّ شـبْـرٍ عَـلَى أديمك سوْفَ يُفْديه شَعْبك المتضافر
كـلّ فـردٍ مـعـذَّبٍ بأمانيه علَى أمانيك يقظان ساهِر
مـزِّق حـالِك الظَّلام وسِيرى بـالْـميـامِين عبر هذى المجازر
فحرامٌ عليْك أنْ يطلُعَ الفَجْر وفى رُبوعك الـخضُرْ كـافـر

* * *

يا فقيد الشَّباب حسْب المنَايا لَوْعة أن تَقُول ماتَ القادرُ
شَمتت زُمرة العِدا واستطارت لـحِماهـا تـزُفّ فيك البَشائِر
هٰذه دمْـعَتى تـثُور بجفنى ثمَّ تهْوى خضيبة فى الخَواطِر
نمْ عَلَى سِدْرة الخُلود فهذا خالِد قد أعد فيها الشعائر
لَك ذِكرُ كالدَّهر يبْقى جنيا فى جَبين الخُلود ريَّان عاطِر

* * *

النكسة (١)

رَجعْت أُغنِّى الأسَى والحزَن فَخُذْ يا فُؤادِى وخُذْ يا وطَن
جِراحى الَّتى رفُرفت بالأمانى تعود لتَهْمى بدُنْيا الشجن
فأغفُو علَى همَسات الخُطُوب وأَصْحُو على همَسات الفِتَن

---

(١) جراح تغنى ص ٨٧

كأنَّ الأَسَى لَعْنة فى عُروقِى تَمَشَّى وأُسْقِيتُه فى اللّبن
فَلا بَسْمة تَسْتَطيع الحياة عَلَى شَفَتِى ولا تُمتَهن
ولَوْ كانَ وقفاً عَلَى خافقى صمت وأخرسته فى البدن
ولكنّه ماج فى أمتى فخُذْ يا فُؤادِى ، وخذ ياوَطَن
ويسْألُنى اللَّيْل عَنْ عَزْمنا وكَيْف تراخى ، وكَيْف وَهَن
وكَيْف تشرَّد شمْل الزَّمان وبات عَلَى قَيْده مُرتهن
ومن قَوَّض الصَّرح فى دَرْبنا ومن خَذَل الشّعب منّا ومن
فرحْت معَ اللَّيْل أحيا رُؤاه أُعاتب فى مُقْلَتيْه الزَّمَن
وأصْغِى إليْه ويُصْغى إلىَّ سمير شُجُون وَخدْن شجن
أقص عليْه حَديثَ الخيانَةِ فى أرْضنا وحَدِيث الفِتَن
وأرْوِى لَه خسة الحاكِمِين عَبِيد الْعَبِيد رُعاة الدّمَن
أُنُوف لَهُم لا تمسّ التّرابَ فبعضُ التّراب كَرِيم حَسَنِ
ولكنَّها مرّغت فى الوحول وَعاشَتَ على ذلّها فى العَفن
عَبِيد ويبنون لِلْغاصِبين مَواخير فى أرْضنا للسّكَنِ
يَبيعون أحْلامنا فِى الْحياةِ و « دولارهم » نابض بالدّرن

* * *

أخا الغدْر إنّ دماءَ الشُّعُوب لَها فى حساب الشّعُوب ثَمن
تَمهّل فلَن تَستَطيع الصّمود ولَن تسْتَطيع البَقاء ولَن
فَهذِى الملايين مِن شَعْبنا وزحْف الملايين عِلْم وفَن
غداً تنحر القَيْد فى سِجْنها وتنفضُ عنْها غُبار الوَسَن
غداً تَسْتَفيق فلا تجدنَّ جبانا ليعبد فيك الوثَن

رؤى وأصداء[١]

شَبابة الرَّاعى الّتى حَمَلت لحْن الجمَال البِكْر من بَلَدى
أنغامها السَّكرى تُطاردُنى وتَعيشُ فى سَمعى وفى خَلَدى
وَأعيشُ فى رُؤيا تُعذّبنى وتسِيل من جَرْحى ومن كَبِدى
ترتد بى شوقاً إلى وطَنى وتَهيم بى للسّاحِل الغَرد
فأرَى بِهِ عُمْرى يؤرّقنى أمْسى على أشْلائِه وغدِى

* * *

شَبابة الرَّاعى الّتى خَفَقت فى مُهْجتى الثّكلى وبَيْن يَدى
راحَت تمزّقُنى وتصْرَعنى وتهُدّ من عَزْمى ومن جَلَدى
وتقُولُ لَنْ تحيا سوى شَبح متشرِّد وتمُوت من جَهد
وتهيم فى الدنيا تواكبها تنساب من بلد إلى بلد

* * *

شَبابة الرَّاعى الّتى زَرَعت تِلْك الرّؤى السّوداء فى نفسى
هَمَست مجنّحة تذكّرنى عُمْرى وما ضيّعت من أمْسى
فأحن للدّار الّتى انتحرت فى مُهْجتى الظمأى وفى حسى
دارِى الّتى شيَّدتها هرماً فى ملْعب التاريخ والشمس
دارِى الّتى خفقت مآذنها بالحبّ والتكْبير والجَرْس
أحنَتْ علَى المجْهُولِ هامتها فى اللّد فى يافا وفى القدس
وتجمَّدت أحْلامُها هلعاً تشكُو الأذى والضيم فى هَمْس

آثار الشاعر :

١ – ديوان جراح تغنى – دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت – ١٩٦٠

---

(١) المصدر السابق ص ٩١ .

١٧ – محمود نديم الأفغانى

١٩٢٦

١ – حياته :

يطلق عليه شاعر شباب فلسطين واسمه محمود نديم بن عبد الحميد الأفغانى ووالده عالم من علماء الآثار المعروفين فى فلسطين ومن العلماء المتبحرين فى الأدب الفارسى .

وقد ولد الأفغانى فى يافا سنة ١٩٢٦ وتلقى دراسته فى المرحلة الابتدائية فى مدرسة دار العلوم الإسلامية فى مدينة يافا وهى من المدارس التى كان يشرف عليها المجلس الإسلامى فى فلسطين فى عهد الانتداب أما دراسته الثانوية فقد تلقاها فى ثانوية مدينة يافا الأميرية .

وفى خلال دراسته فى المرحلة الثانوية اتضح ميله للأدب وحبه للشعر ، ومحاولة نظمه ، وغمرت والده موجة من البشر بظهور الموهبة الشعرية عند الابن فرغب فى أن يغذيها وينميها وعهد بتثقيفه فى علوم اللغة العربية إلى أستاذين جليلين هما الشيخ إسماعيل الربماوى كبير مدرسى جامع يافا الكبير والشيخ سليم البعقوى الشاعر المعروف والملقب بحسان فلسطين ، وفى مطلع شبابه أخذ الأفغانى ينشر همسات روحه على صفحات الصحف اليومية التى كانت تصدر فى مدينة يافا فلسطين والجامعة الإسلامية والدفاع وكان القسم الأكبر من شعره وطنياً .

وعندما حدثت المأساة سنة ١٩٤٨ اضطر الشاعر للنزوح مع أسرته من يافا إلى بيت لحم أولا فمدينة السلط فى الأردن ثانيا حيث ألقى بها عصا ترحاله ، وما يزال يقيم بها ويوالى قرض الشعر ، ونظم القصيد ، وينشر ما تبدعه قريحته فى الصحف الأردنية التى تصدر فى عمان .

٢ – شعره :

أخذ الأفغانى ينشر قصائده ومقطعاته فى صحف فلسطين اليومية التى كانت تصدر فى مدينة يافا – فلسطين والجامعة الإسلامية والدفاع ، والمجلات الأدبية التى كانت تصدر فى فلسطين فى الفترة نفسها ، فى عهد الانتداب وقبل وقوع المأساة واصل نشر شعره فى الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى القدس وعمان ، وألقى طائفة من قصائده فى إذاعة القدس وعمان ، وعلى الرغم من كثرة ما

نشر من قصائد وما أذاع من شعر لم يستطع أن يجمع شعره فى ديوان ومن أجل ذلك لم يتمكن الدارسون من الكتابة عن شعره وتسليط أشعة النقد عليه . وقد عانيت من ذلك بنفسى حين أردت أن أقدم نصوصاً من شعره فى كتابى الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين فلم أعثر له على أى نص ولولا أنه بعث لى بطائفة من شعره فى رسالة خاصة لما استطعت أن أسجل له أى نص .

وقد نظم الأفغانى الشعر فى الأغراض الذاتية والوطنية والقومية والاجتماعية ولكن أغلب القصائد كانت وطنية بكى فيها الوطن المغتصب ، وأيامه الباسمة فى ربوعه ، وصور عذاب اللاجئين ، وأبرز بطولة أبناء فلسطين فى جهادهم ضد الانتداب والصهيونية .

وقد سار على طريقة القصيدة العربية ذات الوزن الواحد والقافية الواحدة فى أغلب قصائده ، ونوع القافية فى بعض القصائد ، ونظم رباعيات فى بعض الأحيان . وخياله مستمد من الحياة العربية .

مختارات من شعره :

أواه[1]

لِيْلاى خلّ القلْب فى بُرحائه   فلقَد أثرت كوامنا من دائِه
أذكرتنى وطَناً شدَوْت مُغَرّداً   فى أَيْكه وصدحت فى أرْجائِه
ولياليًا فى ثَغْر يافا لم تعُد   إلا كحُلْم الطّفل فى إغفائِه
ومجالِس الأدباءِ فَوْق رِمالِها   فى نخبة الأَفْذاذ من شُعرائِه
ومراتعاً فِيها قضَيْت لُبانَة   لِفُؤادى المعْمود بيْن ظبائِه
لو خيَّرونى بالْجِنان وخُلْدها   ما اخْترْتها يوماً على حَصْبائِه

---

(١) نظمت قبل وقوع الكارثة بعامين .

أى فردوس يحاكى أربعك[(١)]

مَوْطِنِى يا مَوْطِنى ما أَبْدعَك   أى فِرْدوسٍ يُحاكى أَرْبُعك ؟

كلّ جنات الوَرَى فى أعْيُنى   لم تكُن شَيْئاً إذا قيست مَعَك

فى الْحنايا من ضُلُوعى فى دَمِى   مِنْ فُؤادِى أنت تدْرِى موْضِعك

أنتِ خُلْد الله فى الدُّنيا وما   أحْسب الكَوْثر إلا منبعك

مَوْطِنى يا مَوْطنى ما أبْدَعك

موْطِنى يا جنَّة الدُّنيا ألاَ   لعْنَة الله عَلَى مَنْ ضَيَّعك

أه مِنَ نارٍ بقلبى كلَّما   حرَّك الوجْد هَواها روّعك

كلَّما سالَتْ دُمُوعى أو هَمَت   فَوْق خَدَّىَّ أراها أدْمُعك

كمْ جُروحٍ فى فؤادى كمْ به   لا أُطيلُ الشَّرْح لا لن أو جعك

مَـوْطنى لَـوَّعنى مالوَّعـك

مَوْطنى يا مَوْطِنى لا لا تَهُن   ما قلاكَ الْقَلْبُ لا ما ودَّعَكَ

أقْسِم اليَـوْم بيافا جنَّتى   لَسْت أنْساك ولا لن أَخدعَك

لَسْت أنْساكَ وإنْ طال المدَى   لَسْت أنْسى بَهْجة العُمْر معَك

لَسْت أنْساك وإنّى ساهر   أرقبُ الفَجْر إلى أن أرجعَك

---

(١) نشرت فى جريدة الصريح العدد ٢٢٧ فى ١٥/٥/١٩٥٤ .

رباعيات

أَيُّهـا السَّائِل عَنْ أخبارنا آه لَوْ تعْلم منها نتفا
قَدْ جرعنا الصَّاب مراً عَلقا بَعْدما كنَّا كراماً شُرفا
لَمْ نعد نَرْجُو حياة رَغدا كلّ ما فى الكَوْن أمسى قرفا
قدْ أَضَعْنا كلَّ شىء إنّما لَمْ يضع والله منّا الشَّرفا

عيسى رسول الهدى

عِيسَى رسُول الهُدَى قَلْبى به ضَرم وفى فُؤادِى جُرْح لَيس يَلْتَئِم
وفى الضُّلوع جُروح لا عِداد لها كتَمتُها مَكرُها والنَّار تَضْطَرِم
عيسىَ رسُول الهُدَى ماجئت أمْدَحُه فعَنْ مديحى له قد تعْجَزُ الكَلِمُ
فآية الله أسْمَى أن يُحيط به وصْف البَيان وشَعْر مُحْكَمُ وفَم
لكن فى مُهْجَتى ناراً يُؤَجّجها من باسمه اليَوْم فى أمر الورى حكَموا
عِيسَى رسُولُ الهُدَى هل جاءَه نَبأ عَن الطغَاة وعَمنَّ باسْمِهِ ظَلَمُوا
ويزْعُمونَ بأنَّ الله قيَّضَهم لِنُصْرة الحق يا للخزى ما زَعَمُوا

لا عيد إن لم تعد أرضى محررة

يا عيد فى مُهجَتى البُرْكان مُشْتعلُ فَلا تَلُم أدْمُعى يا عِيد لا تلم
تلفَّت القَلْب للماضِى فأرقه وكُنْت أحْسب أمْسى غير مُنصرِم
ذَكَرْتُ عهْد الحِمَى والقَلْب منْفَطر فرحْتُ أبكى الحِمَىَ مِنْ مُهْجتى ودمِى
ذَكَرت عَهْد شَبَابِى فى مَراتعه ذكَرْتَ عَهْد الصّبا فى أرْبعُ الكَرَم
ذَكَرْت أمْسى بِهِ والدَّهر يَبْسم لِى فَجن شوْقى وزادَ الوَجْد فى ألَمِى
فاين مِنْ أَعْينى الجنات فِى وطَنِى وأيْن منّى رُعاة العَهْد والذّمم ؟
وأيْن تِلْك اللَّيالِى الخالِدات غدَت عَفا الزَّمانُ عليها فَهْى كالْحُلُم ؟

لَمْ أنسَ أمسكَ يا يافا وما بَرِحت ذكراكِ ملْءَ خيالى دائماً وفَمِى

فأنْتِ لحنٌ نَشيدٍ رُحْتُ أنشده وأَنْتِ قيثارة الإلْهام فى كَلِمى

عشِقْتُ فيكَ الرّبا خَضْراء زاهِرَة وهِمْتُ بالْبَحْرِ لا بالبان والعَلَمِ

فلَيْسَ قومى بأرضِ الغاب مسكنهم ولا منازِلُهُمْ يَوْماً بذى سَلَم

١٨ – هارون هاشم رشيد

١٩٢٧

١ – حياته :

ولد هارون هاشم رشيد – وهو شقيق الشاعر على هاشم رشيد – فى محلة الزيتون بمدينة غزة سنة ١٩٢٧ ، وفى مدرستى الإمام الشافعى والفلاح الوطنية تلقى دراسته الابتدائية فى المرحلة الأولى أما دراسته الثانوية فقد تلقاها فى كلية غزة التى أنشأها الأستاذان شفيق ووديع طرزى ، واستقدما للتدريس فيها خيرة المعلمين وصفوتهم فى المواد الدراسية المختلفة ، ومن أساتذة الشاعر فى اللغة العربية فى الكلية الشاعر الفلسطينى المعروف الأستاذ سعيد العيسى .

وفى سنة ١٩٤٧ زاول هارون مهنة التدريس وكابد ما يكابد المعلمون مدة امتدت سبع سنوات .

وفى سنة ١٩٥٤ ترك التدريس وعين رئيساً لمكتب الإذاعة والنشر فى إدارة الحاكم العام لقطاع غزة ثم رئيساً للإعلام ومستشارا للحاكم العام .

وفى سنة ١٩٦٧ غادر غزة إلى القاهرة بعد الاحتلال الإسرائيلى وعين فى مكتب منظمة التحرير فى القاهرة ومازال يوالى عمله حتى اليوم .

٢ – شعره :

أخذ هارون يقرض الشعر ويبدع القصيد منذ سنة ١٩٥٠ وما بعدها وينشر قصائده فى الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى مدينة غزة مثل غزة والعالم العربى والمستقبل ونداء العودة ، والتى تصدر فى الوطن العربى وقد استقبل القراء شعره بالحفاوة والترحيب واختار المطربون الكثير من أناشيده وقصائده ولحنوها وغنوها فى إذاعات العالم العربى وقد نال الشاعر شهرة تجاوزت حدود فلسطين إلى آفاق العالم العربى وفى سنة ١٩٥٤ صدر له ديوانه الأول مع الغرباء الذى جمع فيه طائفة من القصائد التى أذاعها ونشرها فى الصحف والمجلات وكانت قصائد الديوان بعامة مستوحاة من مأساة فلسطين وقد تناول الدارسون والنقاد ديوان مع الغرباء بالدراسة والنقد وأضفوا عليه وعلى صاحبه هالة من الإعجاب والتقدير، وكتبت عن الشاعر وشعره دراسات قيمة من أساتذة أجلاء نذكر منهم الأستاذ الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتى والباحث العالم الدكتور محمد عبد المنعم

خفاجى والكاتب العربى اللامع وديع فلسطين صاحب البيان المشرق والأسلوب البليغ ، والقلم الساحر ، والأستاذ رضوان إبراهيم والأستاذ عبد الله زكريا الأنصارى .

وتتابعت دواوين الشاعر إذ أصدر فى الفترة التى بين عامى ١٩٥٤ ، ١٩٥٩ ديوانين هما حسب الترتيب الزمنى : عودة الغرباء ، وغزة فى خط النار ، وملحمة شعرية أسماها أرض الثورات .

وقد حقق شعر هارون له شهرة واسعة ذاعت فى أرجاء الوطن العربى الذى رددت إذاعاته الكثير من قصائد الشاعر والذى لحن الملحنون ، وغنى المطربون طائفة منه ، وقد قررنا أن هارون من الشعراء الذين أوجدتهم النكبة والذين وقفوا أغلب قصائدهم على فواجعها وأحداثها . وله فى الخيمة السوداء ، ووصف حياة اللاجئين ، وما يضطرم بين جوانحهم قصائد كثيرة .

وقررنا أيضاً أن العودة للوطن المغتصب ومناجاة بساتينه وكرومه ، وتذكر عهود الطفولة الباسمة بين ربوعه كل ذلك كان المجال الخصب للشاعر ، الذى أبدعت فيه شاعريته أروع ما غنى ، وأجمل ما نظم حتى أطلقنا عليه شاعر العودة و يمتاز شعره بالسلاسة والسهولة وعذوبة كلماته ورقتها والبعد عن الألفاظ الصعبة والكلمات الغامضة كما يتميز أسلوبه فى شعره بالوضوح فهدفه بين ، وقصده ظاهر .

مختارات من شعره :

– الإهداء – إهداء الديوان الأول مع الغرباء

إِلَيْهِم قَصِيدى وما أَنْظم ... وشِعْرى وما فِى دمى يُضرم
إِلَيْهِم إلى إخوتى اللاَّجئين ... إلى إخوتى يَوْم يَدْعُو الدَّم
إِلَيْهِم وإِنْ سَكَنُوا فى الكُهوف ... وفَوْق رَوابِى الأَسَى خَيَّموا
وإنْ مزَّق الصَّخْر أقْدامَهُم ... وفى عاصِفِ الرِّيح إنْ هَوَّموا
وإن ضَربُوا فى قفار الحياة ... وضـلَّـلـهـم ظـالِمٌ مجرم
إِلَيْهم سأشْدو بشِعْرِ الْحياة ... ومنْـهُـم بروحى سَأستلهم
أَلَيْسوا أشقاء رُوحى الكبار ... عَرفْتُهم يَوم أَنْ أقسموا
عرَفْتهُم يَوْم أن أعْلَنوا ... طَرِيقَ الكِفاحِ وقدْ أَقْدمُوا
عرَفْتهُم يَوم أن عُذّبوا ... عَرَفْتهم يَوم أن أَعْدِمُوا
عـرَفْتهـم وسياطُ القوَى ... تَجُور وتَقْسُو ولا ترْحَم

إلَيْهم وإن حطَّمَتْنا الخُطُوبْ وأرهقنا الحادثُ المؤلم
إلَيْهم سأشدو بِشعْر الْحياة سَأشْدو وأَشْدو وأستَلهمُ
فَيصْحو عَلى شعرى السَّادِرُون ويستَيْقظُ النّفر النُّوَّم

سنعود

سَنَعودُ يا أختاهُ للَوطن رَغْم الشّقاء وقَسْوة الزَّمن
رَغْم اللَّيالى الْعابثات بنا والجُوع والتَّشْريد والمِحَن
سَنشُقّ أَسْفار الظّلام غداً سنشقّها ونعود للْمدُن
سَنَسيرُ بالْفَجر الْجَميل قُوى جبّارة تقْضى علَى الوهن

* * *

سَنَعُود يا لَيْلاى فانْتظرى فى الخَيْمة السَّوداء فى الْحُفر
حتَّى يلُوح النُّور مُنْبثقاً وأنا وأنْت نَسير للظفر
وجُنُودنا مِلء الحُدود مشوا يتقحمون مَسالِك الخطر
إن السُّهول الخُضر تَنْتظر وكرومنا والشَّط والشّجر
والذّكريات الهانِيات بها والحبّ والآصالُ والْبكرِ
وملاعِب الأحْلام تائقة تَهفُو لنا والنّاى والوَتَر

* * *

سَنعُود يا لَيْلى مَع الفَجْر والزَّهر والحسُون والقمرى
سَنعُود أكباداً مؤجَّجة توّاقة للوَطن الحر
وهُناك نَرفع رايَة طُويت ونُعيدها تزهو على الدّهر

صوت اللاجئ

أخى فى الخَيْمة السَّوداء فى الكهْف
أخِى فى الجُوع فى التشريد فى الخَوْف
أَخى فى الحُزْن فى الآلام فى الضعف

أخُوك أنا بَرغْم الظُّلم والإرهاق والعَسَف

* * *

أخِي مَنْ نحْن إن سِرْنا على الدنيا بلا وَطَن
وإن عِشْنا علَى صَدَقات قاتلنا عَلَى المنن
وإن جارَ عَلَى الأَقداسِ عَسف الظَّالم النتن
وانْ لَمْ ننتفض لِلثَّأْر رغم البُؤس والمِحنَ

* * *

أخِي لَن يَغْمُض الجفْن عَلَى حق ولاثار
ولا لَن تَرْجَع الأرْض بِغَيْر الدَّم والنَّار
هُناك بِوثْبة تَعْصِفُ من دارِك أو دارى
هُناك غَداً سَنُشْعلها ونَغْسِل لَطْخة الْعار

مشَرَّد بِلا وَطن

عيْناه تَبْحثان فِى الفَضاء
فِى التيهِ فى مَجاهِل الشقاء
عن أمسه الغارق فى الدّماء
عَن ذكريات وَمْضها إباء
وهُوَ يدبّ بادى العَناء
بخْطُو وما فى دربه ضياء
لأنّه مُشرّد بلا وَطَن

* * *

الأمس أين أمْسه اسْتراح
وأين قد سارت به الرِّياح
تكلّمى يا نائبات يا جراح
تحدّثى عنه عن الكِفاح

عَن الشّباب الخلص الصباح
عَساه أن يَصْحو من النّواح
لأنـــــه مشرد بلا وطن

* * *

وأغمض العَيْنين فى ذُهُول
والدَّرب قد طالَ وقَدْ يَطُول
فأبصر الحُقُول والسُّهول
جَرْداء نام فَوقها الذّبُول
ومِثلما تُزَمْجر السُّيول
زَمْجر لا يدرى بما يَقُول
لأنــــه مشــرَّد بِلا وَطَن
راح فى غَيْبُوبة الأفكار
يَبْحث عن أحْلامه الكبار
يَبْحث عَن حَديقَة ودار
كانَت لَهُ هناك فى الدِّيار
كَيف تراها كَيْف يا أقْدار
ودَقَّ صدر الأرْض باحتقار
لأنّـــه مشـــرد بلا وَطَن

وداع غزة

أو داعا فِيم يا غزة بالله الوداع
وأنا مِنك تُراب وشُعور والتماع
وحَنِين لِلغد المَرْمُوق شَوق والْتياع
إنْ أنا ودعت مغْناك تلْقانى الضّيَاع
وتَلقتنى ذئاب جَائعات وضباع

أو داعاً لا وحق الثّأر لا كان الوداع

* * *

هاهنا فى كلّ شبر ذكْريات ورغاب
وأمان عاطِرات وأغاريد عذاب
هاهُنا كان صِبانا وهُنا كان الشّباب
وهُنا كم سلس الهَمْس حديثاً مُسْتطاب
كَم جَلْسنا كم رتعنا كَعَصافير الهِضاب
كَفراشات الرّبيع البكْرْ كنا كالحباب
فَلماذا يا يد الفرقة ما هذا العَذاب

* * *

ووداعاً كان يا غزّة من غير كَلام
عبر الصّمت بِه عن كلّ حسّ وسَلام
دون ما ترتعش الكِلْمَة فى هَجس الظلام
ومع الفَجْر تَسلّلت كَطَيْف مستهام
تاركاً خَلفِى أيّامى وعُمرى والغَرام
تاركاً كلّ أمانى وأطياف الهيام
تاركاً غزّة خلفى تحت أستار القَتام

آثار الشاعر :

١ – مع الغرباء – القاهرة – ١٩٥٤
٢ – عودة الغرباء – بيروت – ١٩٥٦
٣ – غزة فى خط النار – بيروت – ١٩٥٧
٤ – أرض الثورات – ملحمة شعرية – بيروت – ١٩٥٩
٥ – حتى يعود شعبنا – بيروت ١٩٦٦
٦ – فدائيون – عمان ١٩٧٠
٧ – مزامير الأرض والدم – بيروت ١٩٧٠

١٩ – سلمى الخضراء الجيوسى[1]

١ – حياتها :

من رسالة بعثت بها إلينا وترجمت لحياتها قالت « ولدت فى السلط وعشت فى القدس وعكا ، وتركت عكا فى نفسى أثراً عميقاً إذ ذهبت إليها طفلة فى مطلع الثلاثينيات ، وفتنت بالبحر والأسوار ، وطبيعة المدينة المدهشة المزاج المرح اللطيف والحب للحياة والأعياد والاحتفالات الذى كان يتمتع به أهلها .

جلست عند البحر ، وخرجت فى مظاهرات كثيرة وأنا لا أفهم معناها ولا أسبابها ، وزرت حى البهجة والشاحوطه عشرات المرات وقلما سلكت فى ذهابى إلى المدرسة الطريق العام بل عبر الأسوار والخنادق المزروعة بأشجار الكينا الطويلة الظليلة ، وبقيت عكا مزروعة فى قلبى بالروعة أهلها ورقة مزاجهم ووفائهم لأصدقائهم وكنت قد عشت فى القدس طفلة صغيرة قبل عكا ثم عدت إليها فى أواخر الثلاثينيات للدراسة فى « شميت » وهى مدرسة ألمانية علمنى فيها الألمان الحض على العمل ، وتحمل المشاق وفى هذه المدرسة أنهيت دراستى الثانوية وحصلت على شهادة إتمام الدراسة الثانوية « المترك » بامتياز ولكنى عندما علمت أننى كنت الوحيدة فى صفى حزنت وفررت من زميلاتى وفى خلال أيام أرسلنى والدى – صبحى الخضراء ، مع والدتى إلى بيروت ودخلت الصف الأول الإعدادى : سوفومور » فى كلية البنات الأمريكية وكانت سنة صعبة لم أستطع فيها الانسجام مع المدرسة التى كانت تعلمنا معظم الدروس وفى غضون هذه السنة تعرفت إلى السيدة روز غريب التى كانت تدرسنى اللغة العربية ثم أكملت دراستى العالية فى الجامعة الأمريكية فى بيروت وحصلت منها على درجة « البكالوريوس » « وعدت إلى القدس وتوليت التدريس فى دار المعلمات » . وعشت فى بلاد كثيرة أوربية وعربية ومن البلاد الغربية التى عشت فيها إيطاليا وأسبانيا وألمانيا وإنجلترا ومن العربية عدا فلسطين والأردن عشت فى لبنان وسورية والعراق والكويت والسودان والجزائر كما زرت مصر عدة مرات وتونس عدة مرات ومراكش مرة وليبيا مرة وبعض هذه البلاد عشت فيها مع زوجى بوصفه « دبلوماسيًّا » وبعضها عشت معه بسبب عمله فى عمان والقدس ودمشق والكويت وكان زوجى يعيش فى دمشق لاجئاً سياسيًّا ، وهناك أقطار عملت فيها مدرسة فى جامعاتها وهى السودان

---

(١) لم نتمكن من معرفة تاريخ ميلاد الشاعرة .

حيث كنت أحاضر فى جامعة الخرطوم والجزائر العاصمة وقسنطينة . رزقت بابنى أسامة وهو مهندس مدنى ورئيس مكتب شركته فى الكويت وابنتى لينة ثم ابنتى مى .

كتابى عن الشعر الحديث سيظهر بعد أشهر فى ثلاثة أجزاء بالإنجليزية وقد تناولت فيه الشعر العربى الحديث منذ نهاية القرن الثامن عشر حتى سنة ١٩٧٠ » .

٢ - شاعريتها وشعرها :

صدر للشاعرة ديوانها الأول العودة من النبع الحالم سنة **١٩٦٠** ضم طائفة من القصائد فى الموضوعات الوطنية والقومية والذاتية . وهو دليل على موهبة الشاعرة ، وضخامة طاقتها وقدرتها البارعة على استخدام الجمل والعبارات، ذات الدلالة النفسية .

وترجمت الشاعرة الكثير من الأبحاث والمقالات ونشرت العديد من أبحاثها باللغة الإنجليزية .

ونشرت بحوثها فى النقد الأدبى ومن تلك البحوث بحثها عن الشعر العربى المعاصر - تطوره ومستقبله وقد نشرته مجلة عالم الفكر التى تصدر فى الكويت

وبحثها الذى عنوانه : أبعاد المكان والزمان فى شعر أبى القاسم الشابى » .

وذلك عدا مقالاتها وأبحاثها المترجمة . وهى الآن تضع كتاباً عن الشعر العربى الحديث فى ثلاثة أجزاء باللغة الإنجليزية عن دار بريل فى هولاندا

مختارات من شعرها :

أنا والراهب

هُو اللهِ يُغريك يا راهبى ... عن السّحرِ والأفق الغارب
وعنْ رَوْعة الشّمس سالت دماً ... سَكيبا على الشفق اللاهِب
وجدْتك مثْلى كل مساء ... وحيداً مع المغرب الذّاهِب
تصلّى لربِّك مُستلهماً ... هداك مِن المنعم الوَاهِب
وأشكُو لربِّى من عاصفٍ ... يدومُ فى صدْرىَ الغَاضِب
وفى خافِقِى ثورةٌ لاتكن ... وفى مُقلتى دَمْعة العاتِب

---

(١) العودة من النبع الحالم - ص ٨ .

وكَم صغت بالوَهْم يا راهِبى عقوداً من الأَصْفَر الذَّائب
وعِشْت بأحْلام قلبٍ جَريحٍ تهرب من همِّه النَّاصِب
وإنى وإن أفردتنى اللَّيالى وعلقت فى ظُفْرها النَّاشِب
وحالَت أَغارِيد قلْبى نواحاً وعشْت على الأمَل الكَاذِب
فقلْبى سيَبْقى رفيعَ المنى عَزِيز الهَوى ، شامِخ الجانب

مرثية الشهداء

أنا أدْرى أنهم ماتُوا ليَحْيا الوطَن
وطَن القَتْلى وحَقْل الدَّم هذا الوَطَن
أنا أدْرى أنَّها «الحرية الحمْراء» هذا الثّمن
الرَّائع المغْمُوس بالآهاتِ هٰذا الثّمن
أنا أدْرى إنما الحزْن بِأعْماق فُؤادى ليس يَدْرى

* * *

أنا أبْكى كلّ عيْن فقدت ضَوء الحياه
كلّ رُوح سال من بَيْن الشفاه
فاذكرى يا مسيل الخير والخصب الثرى
أنت يـــا أرْض اللآلى والـــزّمـــرد
منبع الفَيْروز يَجْرى فى مياه الأنهر
حيثُ تُهوى دُرر الأقمار ليلا تتبرد

جامع قرطبة

أنْه المطاف فذاك بَيْت اللهِ مسجدنا
الله أكْـبَـر
من رُوحِنا كَسب الخُلود وعاشَ يخلدنا
الله أكْـبَـر

هُو قِطْعة عَربيَّة فى أرْض أنْدلس أراه
ستظل عُمر الدّهر آثار الجُدود عَلَى ثراه
ويرفّ ما شاء الزّمان صدَى المؤذّن فى سَماه
فأصخ لِصوْت المسْجد الجبَّار يَهتف مُعْلنا
إنّى هُنا ، إنّى هُنا
رَمْــز أنــا
رغــم المصــائِب والمحَن
ســأظلّ أحــتقــر الــزّمَن

* * *

سأَلُوذ بالمحْراب أشْرب روعة الفنّ الفريد
وأستعيــد
ذِكْراه ذِكْرى الصّقر ذكْرى الداخل البَطل العَنِيد
الْـفـاتـح الـبـنـاء
وبناهُ جباراً على الأيَّام لا يخْشى الفناء
ويَـعـيشُ يحضنـه الـخُـلود
فى كلّ مضرب أنمل فن عَريق يعربىّ
فى كُلّ موْقع ناظر روح رفيع عَبْقرى
والـعِـطْـر يـنـبـع من ثـراه
والسـحـر يـنـضح من ذُراه
وقَداسةُ الماضِى وروْعَته تفاجئ مَنْ يراهُ
إنّى أراه ولا أعى شيئاً سِواهُ

* * *

ووقَـفْت فى الوادِى الـكَـبير
أقُـول لـلْـقَـلب الـكسير
قـد هـاجت الـذكـرى بـنـا
فـلـتـبك يـا قـلبى هـنـا

فهنا ركبنا المجد تحدونا المطامِحُ والمنى
وهُـنـا ربـطْـنـا خـيْـلـنـا
وهُـنـا صـبـبـنـاويـلـنـا
وهُـنـا أعـدنـا قَـوْلـنـا
« نَحْن العَرَب : فلتخضع الدّنْيا لنا »
وهُنا هُنا
سَـكِـر الـنَّـسِـيمُ بـعـرفـنـا
ونمت زَهور المجْد مغمد سَيْفنا
واندَاحَ سيْلُ الفَنّ ملْمَس كَفّنا
وكما تصوغ الشّمس فوق الأَرْض أثْواب السنا
صُـغْـنـا الـحَضَـارة لـلـدّنـا
ووجـودنـا هـزّ الوُجود
تدفقت أمْواجنا عرض الطَّريق إلى الخُلود
تـلـك الـطَّـريـق
بالبدء سَيْف الفَاتح الجبّار عَبَّدها لنا
حـتّى نُـفِـيـق
والمجْد ملْك نِضالنا
والمجْدُ يغْمرُ زهَـونا ويقود فى دَرْب العُلا أشواقنا
فيسيل نهر العبقرية فى مسيل نِبالِنا
ونرُوح نُعْطى للدّنا والنور والفن العريق
بـنـاءنـا عـمـلاقـنـا

آثارها :

العودة من النبع الحالم - ديوان شعر - بيروت ١٩٦٠ .

٢٠ – دعد الكيالى

١ – **حياتها** :

ولدت دعد الكيالى فى مدينة الرملة البيضاء فى فلسطين حوالى سنة ١٩٣٠ ، وفى مدارسها الابتدائية والثانوية تلقت دراستها فى المرحلتين . وقد قسا القدر عليها ، ووجه الدهر لقلبها الطعنات الدامية حين اختطف الموت منها الوالد الحانى والأم الرءوم وأدمت الفاجعة فؤادها ولكنها ما لبثت أن أذعنت لحكم السماء بعد أن ترك فقد الوالدين فى قلبها جراحاً لا تندمل .

وفى سنة ١٩٤٨ حدثت المأساة التى شردت أبناء فلسطين عن وطنهم ، واضطرت دعد أن تغادر عشها فى الرملة وتودع مراتع صباها ، وعهود طفولتها ، وتتجه نازحة إلى الأردن وتعمل فى حقل التعليم وتصبح مدرسة ثم تترك الأردن إلى العراق وفى خلال الفترة التى قضتها فى العراق كانت ترسل زفراتها الحزينة وقصائدها الباكية أسفا على الأب والأم ، وحسرة على الوطن الذى اغتصب ، وتنشر هذه القصائد تارة فى مجلة الرسالة فى القاهرة ، وأخرى فى مجلة البعثة التى كانت تصدرها بعثة الكويت فى القاهرة فى الخمسينيات .

وفى العام الدراسى ١٩٥٠ – ١٩٥١ عملت الشاعرة مدرسة فى مدارس الكويت ، وأخذت تختص مجلة البعثة التى كان يصدرها بيت الكويت فى القاهرة بطائفة من قصائدها الشعرية التى كانت تنشرها تحت عنوان «أغاريد الحنين إلى الوطن» وهو اسم الديوان الذى كانت الشاعرة تعتزم إصداره .

ولم تكن مجلة البعثة الكويتية وحدها تنفرد بنشر قصائد الشاعرة ولكنها كانت ترسل زفراتها الحزينة وقصائدها الباكية إلى عدد من المجلات الأدبية التى كانت تصدر فى عواصم العروبة وفى مقدمتها مجلة الرسالة التى كان يصدرها الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات والأديب التى يصدرها الأستاذ ألبير أديب ، والعالم العربى التى كانت تصدر فى القاهرة أيضاً .

٢ – **شاعريتها وشعرها** :

تعد دعد من أديبات فلسطين المعروفات اللاتى صنعتهن المأساة ، وتعد من الشواعر التى أوجدتهن

مأساة فلسطين وقد لمع اسمها بعد النكبة أو بعد سنة ١٩٤٨ فى أفق الفن وتوهج نورها فى سماء الشعر .

وقد عشقت دعد الأدب ، وأحبت الفن ، وهامت بالدرس والاطلاع وقد أكسبها اطلاعها على الينابيع الصافية للأدب العربى ثقافة منوعة حصلتها بالكد والجهد ولم تقف دعد عند حدود الشعر تقرضه معبرة عما يضطرم فى جوانحها من عواطف وأحاسيس تتصل بوطنها وقومها وأمتها ، ولكنها أيضاً عالجت فنون النثر فكتبت القصة القصيرة ، والمقالة والبحث وقد فازت بإحدى جوائز محطة الشرق الأدنى سنة ١٩٤٧ فى بحث جاد لها عن الخليفة عبد الله المأمون والعلوم الكونية ثم نشرت أول أثر من آثارها النثرية فى كتاب سمته « سكينة الإيمان » سنة ١٩٥٤ وترقبنا أن نرى ديوانها الأول الذى انتظرناه والذى سمته أغاريد الحنين إلى الوطن ولكنه مع الأسف لم يظهر وقد ظهر لها ديوان « ولم تمطرى يا غيوم » جمعت فيه بين الشعر العمودى ، والشعر الذى يطلق عليه الشعر الحر . وقد شهدت دعد الكثير من مؤتمرات الأدب ، ومهرجانات الشعر التى أقيمت فى عواصم العروبة ، وكانت شاعرة ضمن وفد فلسطين الذى ضم عددا من الشعراء والشواعر .

وشعرها فى أغاريد الحنين إلى الوطن شعر واضح القصد ، بين الهدف ، جرت فيه على المأثور اللغوى ، واستمدت صورها من الحياة العربية واستلهام الماضى الزاهر للعرب والمسلمين . أما شعرها فى الديوان فقد تغلف فى بعض قصائده بالرمزية .

مختارات من شعرها

أغاريد العودة

إلَيْك أعُود يا وَطَنى بجفْن دامِعٍ هَتِن
إلَيْك أعُود يا أحْلام فى وادٍ وفى فنن

* * *

إلَيْك أعُود يا وَطَنى بقلْبٍ خافِقٍ جَذل
إلَيك أعُود والدُّنيا تغنينى وتَبْسم لى
إلَيْكَ أعُود لاهِفة أعبُّ بشاشة الأمَل
وفى غاباتِك السِّحرية العَذْراء أتْلُوها
أغارِيداً هِى الأشواق فى رُوحى تُناغيها
هِى الأحْلام أحْلامى بِقيثارى أغنيها

إلـيْك أعُود يا وَطَنى أقبِّـل تـرْبَك الـغَـالى
ففى واديك يـا وَطَنى دَفَـنْت جَـمـيـع آمـالى

* * *

أحـقًّـا إنّنى سـأَعُود يـا نـايِـى ومـزْمـارى
رَبـابِـى طـالَ جِـرْمـانـى فَـواشَـوقـاً لأوتَـارى
ألا واصـبْـوَة الـمشْـتـاق واشَـوْقـاهُ لـلـدَّار

حنين (١)

أمرّ بالدّيار
أمرّ بالكُروم
أسْألها
عَنْ عَهْدنا بها
عَنْ عَهْدها بنا
وأسأل النّجُوم
عن فِتْنة السّنا
ومَلْعب الْهنا
وأسأل النُّجوم
أسائِل القمر
عن مَلْعَبى هُناك
وياسمِينة
تضم أهلنا
فى سَمَر الْمساء
أسائِل القَمَر
وأذرف الدُّمُوع

(١) ولم تمطرى يا غيوم ص ١٢٦ .

وَيَصْهر الولوع
فؤادى الملُوع
شَوْقا إلى الرُّجُوع
لأمسياتنا
لأغنياتنا

لبيك فلسطين(١)

فِلسْطِين يا كَعْبة المشْرِقَيْن ويا غُرةً فى جَبِين العَرَب
فِلسْطين لا عاشَ مَن لا يُفَدّيك بالرُّوح بالأَمل المرْتَقَب
فِلَسْطين يا مَهبط الأنْبياءِ ومَسْرى النّبى نَبِى العَرب
إذا لمْ نعدك فلَسْنا بعُرب ولسْنا بَنى الخالِدين النجب
ولسْنا الأباة ولسْنا الكُماة ولَسْنا الضّراغم فى كل حَرب
بَرِئْنا من النّفس إنْ لَم نثر وإن لَمْ نُؤرّث جَميع الحطب
بَرِئنا من النّفس إنْ لم نكُن طَلِيعة منْ جاهَدُوا بالْعرب
فإن لمْ نكُن نَحْن فُرْسانها فمَنْذا يُحارب مَنْذا يذبّ
بَرِئْنا من النّفس إن لَم نكُن طلائعها فاشْهَدى يا حِقب

* * *

فيا مَوْطِنى يا عَرين الأُسُود سيُرْجع قَوْمكِ ما قَدْ غُصِب
وسوف نجمع كلّ الحشُود ونثْأرُ ممّن أهانُوا العَربِ
وسوف نُلَقنهم أىْ درس عَسير سَيبقَى حَدِيث الحقب
غداً سنَعُود غداً سَنعُود فيا شعب هلّل ، ويا قلْب طب

(١) المصدر السابق ص ١٤٢

حنين إلى الخليج[١]

تذكرت أيامنا بالخليج وأحْلامنا وأحاديثنا
وتِلْك المرابع ذات البَهاء وتلك المجالس ذات السنا
ربُوع قضيْت الصّبا بيْنها طربنا وغنّيت أحلَى غنا
تمرّ العَشايا على دَرْبنا وتَسأل عنّا وعن عَهْدنا
ونَحْن كما نَحْن لمّا نزَل نَحنّ إلَيْها وتَصْبُو لَنَا
فيا قَلْب كانَ هُنا مَعْبد لَنا وعبدنا به حبنا
سَنَرْجع يوماً له ونطُوف بكَعْبتَه وتُغنى لنا
بِه ذكريات تحاكى الشّذا وترْوى أحاديثنا بعدنا

آثارها :

١ - سكينة الإيمان القاهرة ١٩٥٤
٢ - ولم تمطرى يا غيوم - ديوان شعر بيروت ١٩٧٠

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٢ .

٢١ – معين بسيسو

١٩٢٧

١ – حياته :

ولد معين بن توفيق بسيسو فى مدينة غزة سنة ١٩٢٧ وفى مدارسها الابتدائية أنهى دراسته فى المرحلة الأولى أما المرحلة الثانوية فقد قضاها فى كلية غزة التى أنشأها الأستاذان شفيق ووديع طرزى وكان ذلك سنة ١٩٤٨ وهو عام النكبة .

وفى العام نفسه غادر الشاعر مدينة غزة متوجهاً إلى القاهرة لمواصلة دراسته العالية ، ودخل الجامعة الأمريكية وأمضى بها أربع سنوات من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٢ حصل فى نهايتها على درجة البكالوريوس من قسم الصحافة .

وبعد تخرجه عمل معلماً للغة العربية فى مدارس الحكومة العراقية فى العام الدراسى ١٩٥٢– ١٩٥٣ وعاد بعد ذلك إلى غزة حيث زاول مهنة التدريس فى مدارس وكالة غوث اللاجئين فى منطقة غزة من سنة ١٩٥٣ إلى ١٩٥٥ ثم أخذ يترقى فى وظائف التعليم حتى وصل إلى وظيفة ناظر مدرسة .

ورحل بعد ذلك إلى بيروت فالقاهرة وعمل فترة فى صحيفة الأهرام من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٠ ثم عاد إلى بيروت وواصل العمل فى الصحافة ولا يزال يعمل بها .

٢ – شعره :

أصدر الشاعر الديوان الأول من دواوينه فى أثناء دراسته فى الجامعة الأمريكية وسماه « المعركة » وهو عنوان القصيدة التى سمى بها الديوان ولم يضم الديوان الأول إلا عشر قصائد ثم توالت دواوينه بعد ذلك .

ومعين شاعر موهوب عالج فى شعره مأساة فلسطين ويعد من الشعراء الذين صنعتهم المأساة الدامية ومن أجل ذلك نرى فى شعره وصف اللاجئين عندما يهطل عليهم المطر الغزير مصحوباً بالعواصف الهوج فيجرف خيامهم بما فيها ومن فيها .

وعالج فى شعره ، الثورة على الظلم والظالمين ، والدعوة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس بحيث تتحقق المساواة .

ومعين متأثر إلى حد كبير بالمذهب الواقعى أو ما نسميه الواقعية وفى كثير من قصائده تصوير للواقع الذى يعيشه أبناء فلسطين بعد تشردهم ، وتمزقهم .

وعالج فى شعره أيضاً قضايا التحرر . والتخلص من الظلم والاستعمار ، وأشاد بالكفاح والنضال المقدس للشعوب المغلوبة على أمرها .

وصاغ قصائده التى نظمها على طريقة القصيدة العربية ذات الوزن الواحد والقافية الواحدة فى أسلوب محكم النسج ، متين البناء بعيد عن العامية والركاكة . وقد نظم الشعر بأشكاله وقوالبه المختلفة القصيدة ذات الوزن الواحد والقافية الواحدة والمتعددة القوافى مع المحافظة على الوزن والشعر الحر . ونظم طائفة من المسرحيات التى مثلت على المسارح كما نظم بعض الأناشيد .

مختارات من شعره :

المعركة

أنا إنْ سقطت فخُذْ مكَانى يا رفِيقى فى الكِفاح
واحْملْ سِلاحَك لا يُخفك دَمى يسيلُ مِن السِّلاح
وانْظُر إلى شَفَتَى أطْبقتا عَلَى هُوج الرِّياح
وانْظُر إلى عَيْنى اغْمَضتا على نور الصَّباح
أنا لم أمُت أنَا لَم أزَل أدْعوك مِن خلْف الجراح

* * *

فاحْمِل سِلاحَك يا رَفِيقى واتَّجه نَحو القَنال
واقْرَعْ طُبولك يَسْتجب لك كلّ شعْبك لِلْقِتال
وارْعد بصَوْتك يا عَبيد الأرْض هبُّوا للنِّضال
يَأيُّها المْوتى أفيقوا إنّ عهْد الموْت زَال
ولْتَحْملوا البُركان تقذِفه لنا حُمر الجِبال

* * *

هٰذا هُو اليَوْم الَّذى قد حددته لنا الْحياه
للثَّورة الكُبْرى عَلَى الغِيلان أعداء الْحَياه
فإذ سقَطْنا يا رَفِيقى فى جَحيم المعْركَة
فانْظُر تَجد علمًا يرفْرف فوْق نار المعْركه
مـازال يَحْملهُ رفاقك يا رفِيق المعْركه

السيول

لمْ يترك السَّيل غيرْ الحبْل والْوتد من ذلك الشّعب أو من ذلك البلد
وغير بَعْض العَرايا السَّاحِبين على تِلك الوُحول بقاياهم من الوَلد
وغير ما شاهدت عيناك من جُثث منفوخة لم تزل مجْهُولة العدد
هُنا حطام . هُنا موْت . هُنا غرق هنا الشفاه التى تدْعو لثأر غد

* * *

تِلكَ البَقيّة من شَعْبى ومن بَلَدِى ما بيْن باكٍ ومجْنون ومرْتَعد
تِلك البقيَّة من شعْبى فَذاك أبى وتلْك أمّى وما فى الخيْش من أحدِ
إن جئت تسأل عن أطْفالِها صَرخت وقَهْقَه السَّيل لِمَ تحْبل ولَم تَلد
يا مَن نصبْت لهُم سُود الخِيام علَى صُفر الرّمال لقد غاصتْ إلى الأبد
ألسْت جلاّدهم فاربْط غريقَهم واسحَبْه خلْفك بالأمراس والزّرد
واتْرك لأطْفالِه آثار جُثّتِه وما توهّج فَوْق الرّمل والزّبد
دَم ستُرعِشُ قلب الأرض صرخَتُه يانار قدْ صحَت الأموات فاتَّقِدى

المهاجرون

أخى فى الكِفاح أخِى فى العَذاب أتسْمع مِثْلى عواء الذِّئاب
تفزع أطفالنا النّائمين وتندر أحْلامهم بالْخَراب
ويفتح أعْينهم فى الظّلام دَوِىُّ الرّصاص ولمع الحِراب
وتخْنُق صرخاتهم كالنجوم إذا خنقتها حبال السّحاب
ولكنّه سوْف يأتِى الصَّباح ويكسر أبْواب هذا الضَّباب
يُضىء لنا أرْض آبائنا وأرْض طفُولتنا والشَّباب
فتورق آمالنا كالغُصُون وكانت جُذوراً بِبَطْن التّراب
فقمْ وادْع مِثْلى ليَوم الخَلاص وميلاد تِلك الأمانى العِذاب
وإن قيّدوك وإن عذّبوك وإن هدّدُوك بشرِّ العِقاب

أخى يابْن هٰذا التُّراب الحزين | أتسْمع مِثْلى أنين التُّراب
وقدْ ملأتْهُ جُيوش العُراة | أسارى الرَّغيف سكارَى العَذاب
يَشدُّهُم الغاصِب المسْتبدّ | كما شدت العَنْكبوت الذّئاب
يُخدرُهم بِفُتات الرَّغِيف | ويسْكرهُم ببقايا الشّراب
ويسكِنهُم هاويات الخِيام | ويُلبِسهم باليات الثِّياب
طَريقُهم ملأتْها القُبور | ورنَّت بها ضحكات الغُراب
ولكن خلْف دُجاها الكَئيب | تطلّ مَنازِلهم والقِباب
وهمْ يرْفعُون إليها العُيُون | ولا يملِكون إليْها الذّهاب
وهُم واللَّيالى تنسى الْغَريب | وتُلْقى علَى الذكريات الحِجاب
مَضوْا يحْفرون بدمْع العُيُون | ودَمع القُلوب طَريق الإياب

الأم [١]

لك الجماهير أنْباء بلا عَدد | فلسْت وحْدك يا أماً بلا ولَد
إن يغْلقُوا بيتنا الدَّامى فقد فَتَحوا | لنَا الزّنازين بيتاً شامخ الزَّرد
من خلْف قُضْبانه نرمى الدّماء على | مكبّلينا رصاصاً من فم ويد
إنا جعَلنا طوابيه منابرنا | وفى العَنابر حيث اصطف جيْش غد
قد أقْسمت هٰذه الأيْدى وماكذبت | بالشّعب لمْ تنحرف عنْه ولَم تحد
بأن سترشح فى أغلالِنا لهباً | حتَّى تُحررنا من عيْشنا النّكد
من عيشك الُمرّيا يا أمّى وهل سنة | تمر من غيْر أن ننفى مِن البَلَد
من غير أن يَنْقعُوا فى القيْد كلّ فم | أبى يساوم فى حقّ ومعْتقد
مشَى الطَّريق ولم يَرْهب وعورتها | ولَيْس غير أيادى الشّعب من سند

---

(١) من ديوان فلسطين فى القلب.

آثار الشاعر :

١ - المعركة القاهرة ١٩٥٢

٢ - قصائد مصرية - مع بعض الشعراء القاهرة ١٩٥٤

٣ - مارد من السنابل القاهرة ١٩٥٦

٤ - الأردن على الصليب القاهرة ١٩٥٨

٥ - فلسطين فى القلب بيروت ١٩٦٤

٦ - الأشجار تموت واقفة ١٩٦٦

٧ - مأساة جيفارا - مسرحية . ١٩٦٦

٨ - ثورة الزنج - مسرحية ١٩٧٠

٩ - شمشون ودليلة - مسرحية ١٩٧٠

٢٢ – سميرة أبو غزالة

١٩٢٨

١ – حياتها :

ولدت سميرة ابنة محمد زكى أبى غزالة فى مدينة نابلس فى فلسطين سنة ١٩٢٨ ، وتلقت دراستها حتى الصف الثالث الابتدائى فى المدرسة العائشية فى نابلس ، وأنهت دراستها فى المرحلة الابتدائية حتى الصف السابع فى مدرسة الرملة الابتدائية للبنات ، أما المرحلة الثانوية فقد تلقتها فى كلية دار المعلمات فى مدينة القدس التى أمضت بها أربع سنوات أتمت فى غضونها الصف الثانوى الرابع وحصلت على شهادة إتمام الدراسة الثانوية سنة ١٩٤٦ .

وعندما وقعت مأساة فلسطين سنة ١٩٤٨ انتقلت من مدينة الرملة إلى مدينة نابلس ثم تركتها إلى القدس حيث عملت مدرسة للغة العربية فى المدرسة الثانوية للبنات من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٢ حيث اختيرت فى بعثة دراسية من وزارة المعارف الأردنية إلى الجامعة الأمريكية فى بيروت ونظراً لمواقفها الوطنية فصلت من الجامعة ورحبت بها جمهورية مصر العربية ووافقت على قبولها طالبة فى كلية الآداب قسم اللغة العربية وقد حصلت على درجة الليسانس فى الأدب العربى سنة ١٩٥٦ وعادت إلى فلسطين وعينت مدرسة للغة العربية وآدابها فى دار المعلمات بمدينة رام الله ولكنها آثرت مواصلة دراستها العالية فعادت إلى القاهرة سنة ١٩٥٨ لتعد رسالتها للحصول على الماجستير وقد حصلت على درجة الماجستير فى الأدب العربى سنة ١٩٦٠ وكان موضوع بحثها الشعر القومى فى مصر والشام بين الحرب العالمية الأولى والثانية بإشراف الدكتورة سهير القلماوى وقد آثرت الحياة فى القاهرة وعملت موظفة فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب منذ سنة ١٩٥٨ ولا تزال تعمل به حتى اليوم .

وفى سنة ١٩٦٣ أسست مع بعض الأخوات رابطة المرأة الفلسطينية والدعوة لتكوين اتحاد عام وهى رئيسة اتحاد المرأة الفلسطينية فى القاهرة .

٢ – شاعريتها وشعرها :

نشرت الشاعرة طائفة من قصائدها فى المجلات التى كانت تصدر فى عواصم العالم العربى وفى

مقدمتها مجلة الرسالة التى كانت تصدر فى القاهرة :

وسميرة من الشواعر التى أبرزتهن النكبة التى حلت فى فلسطين سنة ١٩٤٨ فصورت فواجعها وأهوالها فى شعرها الذى ألقته فى المحافل والأندية الأدبية ، ونشرته فى الكثير من الصحف والمجلات التى تصدر فى عواصم العالم العربى ، وبخاصة القاهرة .

وقد عالجت فى شعرها فواجع المأساة والأهوال التى يكابدها اللاجئون . كما تحدثت عن عواطفها الذاتية ، وقضايا أمتها العربية .

وكتبت سميرة الكثير من الأبحاث والمقالات فى النواحى الاجتماعية ولها برنامج خاص فى إذاعة صوت العرب عن الأطفال .

وقد نشرت ملخصاً لرسالتها التى نالت بها درجة الماجستير تحت عنوان الشعر القومى فى مصر والشام بين الحرب العالمية الأولى والثانية .

ويمتاز شعرها بالسلاسة والسهولة والرقة والعذوبة التى يمتاز بها الشعر النسوى فى العصر الحديث وتبدو فيه عاطفتها الوطنية الصادقة ، وحبها لأمتها وبلادها .

مختارات من شعرها :

كبرياء الشرق

وتملْملت فى صَدْرها آه وفى قَـلْبى جِـراح
وتـأوهت فـرأيْت أفْـقـا مكفهَرّ الجوَ مشْبوب الرّياح
والشّمس تعصف بالدُّجى والصَّمت يكتنف البطاح
والثورة الكُبْرى ستحيا فى النفوس إلى الصباح

* * *

ألم تُـوارى حـائـراً مترقـرقـاً فى نـاظِـريْـهـا
فى عُمقه سِرّ دَفين يجذب الـرّوح إليهـا
أنـا أمتى ملـك لها ما عشت رهْن فى يَديها

* * *

هى كِبْرياء الشّرق أدمى حِسّها حد الجنون
هى كبرياء العُرب أشقَت روحها هذى السِّنون

فَغدا بَنُوها تائهين مشرَّدين يعذَّبُون
في كلّ منْعَرج أسى ، وبِكُل منزلةٍ شُجون

* * *

ما عاد يطربنا الغناء ولا التَرنّم بالْوتَر
ما عاد في قلْبي سِوَى ذكْرَى لماض قد غبر
مترِّفقا أرنو له متلمساً ذاك الأثر
أجْثو هنا أحْنو هُناك وقد تكاثفت الغِبَر

غضبة ثائرة

أنا غضبة التاريخ للآلام في أرض الكرامه
في المسْجد الأقصى وفي مهد المسيح وفي القيامه
دَاسُوا على حُرماتها واستمرءوا فيها الإقامَه
يا وَيْل أهلي يا لَقَومي أين للعُرب السَّلامَهِ
وهمُ أضاعوا الملتَقَى وتنازعوا فيها الزَّعامَهِ
ومشوْا على أشلائِنا متمزِّقين بلا كرامَه

* * *

يا أمَّتى يا نبْض آلامِي وأحْلامي الفَتِيَّه
يا مشعِلا قهر الظَّلام وفي عُصور برْبريّه
لنْ يرْجعَ الايمانُ إن لَم تنْقذوا حرماً سبيّه
لنْ تهدأ الآلام إن ساومتم صلب القَضِيّه
أو شئتم إجهاضِها فلسوْف تغدون الضَّحية
سننسير نحن بَدَرْبنا مهما تعاظمت البليه

٢٣ - الدكتور رجا سمرين

١٩٢٩

١ - حياته :

ولد الدكتور رجا محمد سمرين فى قرية قالونيا من أعمال قضاء القدس فى السابع من مارس سنة ١٩٢٩ ، وتلقى تعليمه فى المرحلة الابتدائية فى مدرسة القرية أولا ثم فى مدرسة قرية لفتا ثانياً أما المرحلة الثانوية فقد تلقى دراسته فيها فى كلية روضة المعارف الوطنية فى القدس وعند حدوث المأساة سنة ١٩٤٨ توجه إلى القاهرة وأخذ يرشف العلم من رحاب الأزهر الشريف حيث التحق بكلية اللغة العربية وتخرج فيها سنة ١٩٥٥ بعد حصوله على الشهادة العالية .

وزاول مهنة التدريس يثقف ويعلم النشئ فى الأردن ثم فى السعودية ثم فى الكويت وفى أثناء اشتغاله بالتدريس واصل دراسته العالية فحصل على درجة الماجستير من كلية اللغة العربية سنة ١٩٦٧ وكان موضوع رسالته الاتجاه الإنسانى فى الشعر العربى المعاصر وعلى الدكتوراه سنة ١٩٧٢ وكان موضوع رسالته شعر المرأة العربية بعد الحرب العالمية الثانية ولايزال يعمل موجها فنياً للغة العربية بوزارة التربية والتعليم فى الكويت .

٢ - شعره :

أخذ الدكتور رجا ينظم الشعروهو طالب فى كلية اللغة العربية ويلقى قصائده فى ندوات الكلية ورابطة الأدب الحديث ، وجمعية الشبان المسلمين ، وكان يستلهم شعره من ماضى المسلمين المجيد ، وتاريخهم المشرق ، والدعوة إلى الوحدة والتضامن يبدو ذلك وهو يحيى العام الهجرى ، والرسول الأعظم فى مولده وتناثرت قصائده حتى أتيح له أن يجمع طائفة منها فى ديوانه الأول : « الضائعون » الذى طبع فى عمان سنة ١٩٦٠ وضم شعر الشاعر الوطنى والقومى إلى جانب شعره الإنسانى فى أبنائه .

وقد ظهر أثر المأساة فى شعره فاستوحاها بالكثير من قصائده عن اللاجئين وخيامهم ، وما يقاسون من أهوال وأوصاب وبخاصة عندما يقبل الشتاء الرهيب فيجرف الخيام بما فيها ومن فيها ، واستنهض الهمم لاستعادة الوطن المغتصب بالوحدة والتضامن وجمع الكلمة . والوقوف صفاً واحداً أمام العدو.

ويعد رجا سمرين من الشعراء الذين صنعتهم المأساة ولولاها ما نظم الشعر ، وما بكى الوطن الضائع ، والفردوس المفقود وقد نظم مسرحية شعرية عنوانها : الجنة الضائعة لم يتح لها أن تطبع لأنها لا تزال مخطوطة .

وشعر رجا واضح القصد بين الهدف بعيد عن الغموض والتعقيد . ولكنه نظم قصيدة أو قصيدتين لجأ فيهما للرمز ولكن هذا الرمز لم يكن موغلا فى الإبهام والغموض وحافظ فى أكثر قصائده على وحدة الوزن والقافية ولكنه نظم أيضا بعضها على طريقة ما يسمونه الشعر الحر المعتمد على وحدة التفعيلة .

وللشاعر قصائد متناثرة فى الصحف والمجلات العربية فى الوطن العربى نشرها بعد صدور ديوانه الضائعون وقد قال فى إهدائه : إلى الذين لفظتهم الحياة فهاموا فى مفاوزها حائرين إلى أبناء وطنى المشردين ، وسائر المعذبين فى الأرض أهدى زفرات قلب مكلوم يحاول أن يرسم للقلوب الضائعة طريق الخلاص .

مختارات من شعره :

خيام اللاجئين

ياخياماً فِى القَفْر مثْل القُبور ... وصْمة أنْت فى جبين الدّهور
والنّاس فى جميع العُصور ... يا نَشاز الأَنْغام ياسبّة التّاريخ
شيَّدك الظُّلم على رسْم حقّنا المهْدُور ... أنْت مأوى للبؤْس
البَغْى بأيد مخْضُوبة بالشُّرور ... أنْت سِفْر الآلام سطرك

* * *

يسْفِح الدَّمْع فى دُجى الدَّيجور ... كمْ حوى نسْجِك الأَرث عزيزاً
قد قضاهُ منعّما فِى القُصُور ... راثياً عَيْشة الكَريم وعهداً
يَترع الكأس من مُدام السُّرور ... يوم أن كان فى الدِّيار كريماً

عودة

وطَنى الحَبيب لقد رجَعت إليْك بَعْد نَوى طَويل
فلكم ذكرْتك فى الشُّروق وفى الغُرُوب وفى الأصِيل

ولكَم حنَنت إلَى الجِبال وكم صَبوت إلَى السُّهُول
كم حنَّ روحى للشذا المَعْطار للظل الظَّليل

* * *

كم كُنْت يا وطِنى أود بأن أعُود إلى رُباك
فَأراك مَوْفُور الكَرامة قد نُصِرت عَلَى عِداك
لكنَّنى قد عُدْت والأعداء تَنعَم فى ثَراك
وبنُوك قَدْ هاموا حَيارى فِى المفاوِز للهَلاك

فؤاد الشاعر

نام الوَرَى وأنا مُقِيم ساهِر قَلق يؤرِّقُنى فؤادى الشَّاعِر
مُتدفق الإحْساس مُغرًى بالمنى بالوهْم والأَحْلام دوماً زَاخر
أبداً يحلق فى سَاوات الرُّؤى فِيه إلى التَّغريدِ طَبْع قاهِرُ
لا يستسيغ حَياته فى عالمٍ قد حَدَّه للنَّاس حِسّ قاصِر

* * *

فِى كلّ مجلى يجْتليه فِتْنة ومَلاحةَ تُغْرى وحُسن آسِر
فى المزْن إذ تَهمى ، وفى غَسَق الدُّجى والنَّوء والإعصار إذ تتناحر
فى الغُصْنِ جِرْدِة الخَريفُ من الشذا وَالخصب فى الأزِهار إذ تتناثر
ما للْجَمال مَدى ، ولا حَدّ له إدْراكنا للحُسن ذاك القاصِر

دليل

زَعَمت بأنَّك لا تُشْغلين بحبِّى وأنَّك لا تَحفَلين
ولكن عَيْنيْك قالت لِقلْبى بـأنَك يـا منْيتى تكْذِبين
ألسْت الّتى إن بَعدت قلِيلاً جـلَسْت بِشُرفَتنا تـرْقبين
تظنين كلّ خيالٍ خيالى ووقع النَّسِيم خُطاى الرَّزين

فإنْ لمْ يكنْ ذا دَليل الغَرام فَماذا يكُون ألاَ تَشْرحين ؟

* * *

ألسْت الّتى قلْتِ لى مرَّة إذا ما غدوت فقيراً مَهين
فإنّى سأصْبر للحادِثات وأرْضى بحُكم الزّمان اللعين
وأبْقى بقُرْبك ياآسِرى أصارعِ جَيْش الخُطوب المَكين
فَأنْت المرادُ ، وأنْت الحياةُ فلَسْت أريد النضار الثمين
فإن لمْ يكُن ذا دلِيل الغرام فماذا يَكُون ألاتَشرحين ؟

* * *

ألسْتِ الّتى قلْت لىِ مرَّة ونحن يظللنا الياسمِين
علَى شاطئ النّيل عِنْد المساء وقدْ جلّل الكوْن ثوْب السُّكون
«حبيبى إذا ما أتانا الرّدى ألا فلْيجئنا معاً أجْمعين
لِكيْلا تُراع بموْتى ولا أرى بَعْد موْتك ذلَّ السِّنِين»
فإنْ لمْ يكُن ذا دَليل الغرام فماذا يكُون ألا تَشْرحيِن ؟

آثاره الشعرية :

١ – الضائعون – ديوان شعر – عمان ١٩٦٠ :

٢٤ – يوسف الخطيب

١٩٣١

١ – حياته :

ولد يوسف الخطيب فى قرية دورا من أعمال قضاء الخليل فى فلسطين سنة ١٩٣١ ، وفى مدرستها الابتدائية تلقى دراسته فى المرحلة الأولى ، وواصل دراسته فى المرحلة الثانوية فى مدرسة الخليل الثانوية ووقعت الكارثة فى غضون ذلك فاضطرته للنزوح إلى دمشق حيث واصل دراسته العالية فى كلية الحقوق بجامعتها وتخرج سنة ١٩٥٥ .

وقد اتجه يوسف إلى العمل فى ميادين الإذاعة والصحافة فعمل فى أثناء دراسته بكلية الحقوق وبعد تخرجه فى إذاعة دمشق والرياض والقاهرة والكويت واشترك فى تحرير عدد من الصحف والمجلات العربية وأنشأ فى دمشق داراً للطباعة سمَّاها دار فلسطين للتأليف والترجمة والنشر ولا يزال يؤدى رسالته فى خدمة أمته وبلاده عن طريق عمله فى إذاعة دمشق .

٢ – شعره :

بعد يوسف الخطيب من الشعراء الذين صنعتهم المأساة الدامية التى حدثت سنة ١٩٤٨ إذ كان عمره حين ذاك سبعة عشر عاماً ، فأبصرت عيناه أشلاء قومه الممزقة فى الدروب ، ووعى فؤاده ما كابده أبناء وطنه من أهوال وقد جرفته الكارثة فيمن جرفت من الشعراء والكتاب من أبنائها واضطرته للنزوح عن وطنه إلى دمشق الفيحاء .

وقد بدأ أبو يوسف يصدح على أفنان العروبة منذ سنة ١٩٥٠ . ويذيع قصائده بنفسه من إذاعات العالم العربى ، وينشرها فى الصحف والمجلات الأدبية وقد نشرت له مجلة الآداب اللبنانية الكثير من قصائده .

وفى سنة ١٩٥٥ أصدر ديوانه الأول العيون الظماء للنور وكانت قصائده جمرات محرقة على الذين أضاعوا فلسطين ، ونيراناً تؤجج فى قلوب اللاجئين الثأر من الأعداء ، وتشعل فى قلوب أبناء الأمة العربية جذوة الانتقام من أعداء العروبة .

وقد قلت فى الصفحة الثالثة والتسعين بعد المائة الخامسة من كتابى الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين إن يوسف الخطيب يقف فى طليعة شعراء فلسطين الحاضين على الثأر وحللت قصيدتيه مشيئة الجبار ، وموعد مع الثأر من ديوانه العيون الظماء للنور وفى سنة ١٩٥٨ أصدر يوسف الخطيب ديوانه الثانى عائدون وأخذت دواوينه تتوالى بعد ذلك .

مختارات من شعره :

مشيئة الجبار

أنا مِشْعل أنا مارج جبَّار لا الرّيح تخمْدِنى ولا الإعْصار
سأمدّ فى الآفاقِ ألسنَة اللّظى حمراً لها فى الخافِقين أُوَار
ولأحرقنّ اللّيل حتّى تَنجلى أسدافه فتَوقدى يا نار
للميتين دُمُوعُهم وجِراحُهِم ولجذْوتى ساح الوَغى والثّار
ولسَوْف أغسل جبهتى حتَى ترى مِثل الضُّحى ، ويذُوب عنها العار

* * *

أنا للْحياة ولن أظلَّ مشرَّدا أقْسَمْت لا أرْضى ولا أختار
ومَشيئتى قدَرٌ على أقْدامِه تتمسح الأيّام والأقْدار
أَنا مجرْمٌ ، أنا حاقِدٌ ، أنا سيْئ حتّى تُعاد إلى ذَويها العارُ

موعد مع الثار

أما ترانا فى الدُّجَى نَغْتلى ومَوْعد الثّأْر يُنادِينا
نسعى إلى الفَجْر وما نأتلى نمزّق الليل بأيدِينا
إن كُنْت لا تَعْرف من أُمّتى فاسأل عن العرب الميادِينا

* * *

سنلتقى يوماً على مَوْعد للثأر فى يافا وفى الكرمل
سيجْمع التاريخ أشْتاتنا واحِدة الرَّايَة والجحفَل
ويَعْلم الشُّذَّاذُ من أُمتى وأى دار حرَّة مؤْئلى

العندليب المهاجر

أتـراك مـثْلى يـا رَفِـيق تمرّ فِى الزّمَن
عَـبْـر المهـالِك والـلَّيـالى السُّود والمِحَن
لا صاحِب يُرْخِى عليْك غُلالة الكَفَن
تـذرو بقـيَّة عُـمْرك الصارِى بلا ثَمن
لـكأن فى عَيْنيك بَعْض اللمح من وطنى
وأكاد ألْمحَ فِى وجومك لَوْن مأْساتِى
جُـرحى ومـلْحَمتى ، وتَشْريدى ، وآهاتى
أنـا هَـاهُـنا يـا صاحِبِى أقْضِى عشيَّاتِى

* * *

من أىّدهْـر أغـبَر الـقَسَمات مـنْصرم
من أى مَثْلوج الذُّرَا به شائخ هَرِم
من أى أعْماق الزَّمان أعِيشُ فى الألم
وعَبَرْت صَحْراء العَذاب مُخَضَّبَ القَدَم
وحدى لها أبداً ، ولمْ أضرع إلَى صَنَم
دِفْـءُ العُرُوبة فى شَرَايِينى ، ومِلْءُ دَمى

* * *

بى لَـهْـفـة يـاصاحِبِى مَشْبُوبة الـنَّـار
هـلْ بـعْض أخـبـار تُـحـدثها وأسْـرار
لـلـظَّـامِـئين على مـتاه الوحْشَة الـعارِى
كيْفَ الحُقُول تركْتها فى عُرسِ آذار
ومتَى لَوَيْت جَناحك الزَّاهى عن الدَّار
عجباً تراك أتَيْتنا مِنّ غَيْر تذكار ؟

* * *

لَوْقشَّـةَ مِمَّـا يـرنّ ببيـدِ البَـلَـد
خبـأتها بين الجَنـاح وخَفْقة الكَبد
لو رَمْلَتان من المثلث أو ربا صفَد
لوْ عُشبة بيد، ومزقة سَوسن بيد
أيْن الهدايا مُذْ برحت مرابع الرّغد
أم جئت مثلى بالحنين وسورَة الكَمد

* * *

عَـهْـدى بـدار طُـفُولتى فِـرْدوس أحلام
الشِّعـر بَعْض رَبيعها المتفتح النَّامى
وعـلَى رَوابيهـا يُـغنى ألْف خـيَّام
أُنْشُودة هِى، جمعت من كل إلْهام
من ناى راعية، ومن أجراس أغنام
وحَفيف غاب، واختلاجة جدْول هام

* * *

عَهْدى بدار طُفولتى سحرية الصّور
مـغسُولـة الرَّبوات فى شلاَّلَـة القَـمـر
أواه كم من أمْسيـة عَربيَّة السّمر
كـانت لـنـا فى كلّ رابِية، ومُنْحدر
كمْ سَرْحة عِند الأصِيل ويقْظة السَّحر
بسلالـنـا مـلء الرُّبا، ومسارب الشّجر

أكاد أومن

أكادُ أومن من شكّ ومن عَجَب هذِى الملايين ليْست أمّة العَرب
هذِى الملايين لَمْ يدرِ الزّمان بِها ولا بِذِى قَار شدّت راية الغلب
ولا تنزّل وحْىٌ فى مَرابِعها ولا تَبُوك روت منْها غَليل نبى

ولا عَلَى طنف اليَرْمُوك من دَمِها ... توهّج الصّبح تياها على الحِقَب
ولا السَّفين اشتعال فِى المحِيط ولا ... جواد عُقْبة فِيه جامح الخَبَب
أأمّتى يا شُموخ الرَّأْس متلعة ... من غلّ رأْسِك فى الأقدام والرّكب ؟
أأنْت أنْت أم الأرْحام قاحِلَة ... وبدّلت عن أبى ذرٍّ أبا لَهَب ؟
أكادُ أومِن من شكّ ومن عَجَب ... هذِى الملايِين ليست أمّة العَرَب
أكادُ - لولا تشق اللّيل بارِقة ... يا شُعْلة الدَّم رُدّى حالِك الحُجُب

* * *

تَهيج بِى ذِكر التّاريخ جامِحة ... ويعتَرينى الأَسَى دَوْما فيقعد بى
توزّعتْنِى دُروب لا لِقاء لَها ... الذُّلّ فى النفس ، والْعَلياء فِى الكتب
كأنّما أنَا جمع اثنين : سيْف وغى ... معذب الرُّوح فى غمد من الخَشَب
أغزو عموريَّة فى اللّيْل أحرقها ... وشِلْو أختى غذاء الطَّيْر فى الثّقب ؟
لوكُنت من مازن لم يستبح وَطَنى ... بنو اللَّقيطة من صرَّافة الذّهب
لكنْت غمَّسْت رُمْحى فى حناجِرهم ... أو غَمسُوا هُمْ رِماح الغَدْر فِى غضبى
لكنّنى وبنى شَعْبى تخطّفنا ... قيل الزَّعامَة أن لابُدَّ مِن هَرَب
فكُلُّ عَرْش علَى بقيا جماجمنا ... أَرْسى قوائِمَهَ مخْتالة الطُّنب
لم يَدْر أنّ عِظام الأبْرياء به ... الغام ثار تدوى ساعة الغضب
ما للجماهير لم ترفع مشانقها ... للفاجرين ولم تزأر ولم تثب
لا أمطرت فى سماء العرب غائثة ... وفى الجليل الربا محبوسة السحب
وفى الجليل عذارى ينتحبن دما ... تسرى الحمية فى عرق ولا عصب
هل الطريق إلى يافا مضيعة ... ومن دماها منار ألف ملتهب
وا خجلتنا وبيوت الناس أرفعها ... وبيت أهلى عويل الريح فى الخرب
لولا رفاق طريق فى ملامحهم ... وهج البطولة يذكى سالف النسب
بنى الخيام ، بنى جرحى ، بنى وطنى ... من المحامون بالأرواح والقضب

آثار الشاعر :

١ – العيون الظماء للنور – دمشق ١٩٥٥ .

٢ – عائدون – بيروت ١٩٥٩ .

٣ – واحة الجحيم – بيروت ١٩٦٤ .

٤ – كراسة تضم قصيدتين الأولى «أكاد أومن» .
والأخرى «ما شعلة البعث» دمشق ١٩٦٥ .

٢٥ - خليل زقطان

حياته وشعره :

شاعر من أبناء فلسطين الذين شردتهم الكارثة ، والذين كابدوا أهوالها الدامية وتجرعوا غصصها المرة . إذ يقول فى مقدمة ديوانه الأول صوت الجياع الذى صدر سنة ١٩٥٣ مخاطبا القارئ : سأستوقفك لأشهدك على العهد الذى قطعته على نفسى بأن أظل فى خدمة من شردت معهم ، وأصابنى ما أصابهم وسيظل شعرى صورة صحيحة لآلامهم وآمالهم فألمهم ملهمى ، وأملهم قوتى وقد صدر له ديوانه الأول الذى ألمعنا إليه والذى قال فيه إنه يقف وقت صدوره على جثث خمسة أعوام من النكبة أو مايزيد على خمس عمره عند صدور الديوان سنة ١٩٥٣ واعدا أن يقدم للقراء كتابين هما : « صورة من فلسطين » و « قصر وكوخ » وسيطبعان قريباً وختم مقدمته بقوله «آمل منك العون والتشجيع مستمدًّا من نقدك نوراً يضىء أمامى السبيل راجياً المعذرة فى التقصير فإنها المحاولة الأولى .

مختارات من شعره :

قسماً بجوع اللاجئين

أنا فِى ظِلال الواقِع المشحون بالأرْزاء أحيا
أنا رغْم آلامى الجسام غدوت أطْوى اليأْس طيّا
وأقود آمالى على أشلاء حلم كان غيا
أنا من أنا إلا الذى رغم النّوائب ظل حيّا

* * *

أنا قد صَحَوت على الجِراح تَسيل من بَعضى لبعض
أنا قد صَحْوت وإذ أنا ملقى بأَرْضٍ غير أرضى
أنا قدْ صَحْوت علَى العُروبة تزْدَرى جهراً وتغْضى
أنا قدْ نظرْت المسْتجير وإذ به يا قَوم عِرْضى

* * *

أنا من أنا لا شَىء والأعداء رابِضَة بغابى
أنا لَيْس يُجْدِينى البُكاء أو التحدث عن مُصابى
دُون الرُّجوع إلَى الحمى نزْع القُيود من الرِّقاب
ما هٰذه الأغْلاَل ، ما مَعْنى نُزُوحى واغترابى ؟

* * *

أخى

أخِى ما قِيمة الإنْسان أنْ يَحْيا عَلَى الهُون
وأن يَرْضى من الدُّنيا بعَيْش غيْر مَضْمون
فهذا الخبْز أمْريكى وذاكَ الجُبْن سَكْسُونى

* * *

أخِى ما هٰذِه الخيمات بعْد القَصْر تعْطاها
وما هَذِى الجبال الجرْد بَعد السَّهْل تؤواها
فَلا تَرْض وإنْ زادُوك إلا الأرْض إبَّاها

* * *

أخِى لا الواقِعْ المضْنِى ولا الآلام تثنينا
إذا ثارتْ جحافِلُنا نيمم شَطْر وادينا
«لئِن كنَّا شرارات فَقَد صِرْنا براكينا»

* * *

أخِى غنَّيت من أَلمى فقالُوا صمته أحْرى
وكَيْف يقاطع الألحان من أنفاسه حرَّى
إذاً فتعال قيثارى فأنْت بحالَتى أدْرى

* * *

حالى

لا تَسْأَلِينى كَيْف شيَّعت الشَّباب مضرجاً بِدم الأمانى
وسلَخت من قَلْبى الضنى هَوًى تَرَعْرَع فى كيانى
وتركْتَ فِى الوَطَن الذَّبيح أعاديا نَزلُوا مَكانى
ثمَّ الجَواب علَى فم الأَحْداث يُعْلن ما دَهانى

* * *

هِى قصَّة لو تعْلمين كَتَبتها بِدَمِى لِنفسى
حتَّى تكونَ كِتاب عُمْرى فِى الصَّباح وحِين أمْسى
فَإذا قرأَت سُطُورها الحمْراء كانت خير دَرْس
دَرْس يمزّق بُرْقع الأَوْهام عن أخْطاء أمْسى

* * *

وإذا سألْت عَن المَكانِ وعَن حَياتى كيْف أحْيا
فأَنا بوادِى البُؤْس أنْهَل مِن موارِده شقيا
أنا صُورة شَوْهاء للحقّ الّذِى دَفَنُوهُ حيّا
خلَع الجُباة عَلْيهْ من أحسانِهم كفناً زريّا

* * *

أتساءلين وبعدَ هذا أيْن قَوْمك والزَّعامَه
شىء يُضايِقنى ويجْعلنى أحمِّلك الملامَه
همْ فى البُروجِ الشَّامِخات العاريات مِن الكَرامَه
نامُوا علَى حَقّ الشُّعوب وما لنهضتهم عَلامَه

٢٦- خالد نصره

١- حياته :

شاعر من أبناء النكبة نثرته على دُروبها ، وقذفت به فى طَوايا البُؤسِ . وشَردتْه فى الآفاق . وأوحت إليه النّغم العَذْب والْقصيد الباكِى حزناً على الوَطَن الّذى ضاعَ ، والبلَد الذى اغتصب وثورة على الذين أضاعوه ، وإشعالاً للحماسة فى قلوب العرب ليستردوه .

وقد صدر له ديوان أغانى الفجر سنة ١٩٥٥ ووجدنا فيه دلائل شاعريّة متوهّجة ، وأمارات موهبة لم يكتمل نضجها ويكاد يكون شعره تعبيراً عن إحساسه وإحساس اللاجئين من أبناء فلسطين بالضياع ، وتصويراً لفاجعات الكارثة وتذكراً للأيام الجميلة التى ولّت ، والعهود الباسمة التى انقضت وفى شعره سهولة ، وبعد عن التكلف والغموض ووضوح فى القصد ، وصدق فى الشعور .

٢- شعره :

لعل أول ما اطلعنا عليه من شعر للشاعر قصيدة عنوانها « بلادى » نشرها فى العدد الثانى من مجلة « نداء فلسطين » التى كانت تصدرها رابطة الطلاب الفلسطينيين فى القاهرة الصادر فى أواخر أبريل سنة ١٩٥٣ يقول فيها :

تمرّد غـازيها وقـلّ نصيرهـا ... فذلّ فَتاها واستبدّ حَقيرها

بلادٌ تبنَّاها الفَخار صَغِيرة ... فَشبَّت بأَحْضان الفَخار نُسورها

بلادٌ حَباها اللهُ فِتنة خُلْده ... فراقَت سَواقِيها ، ورق عَبِيرها

ذكرتُ بها للْقُدس إسْراء أحْمد ... وقدْ جاء فى جُنح الظّلام يزورها

ذكرتُ بها حيفا غداة تلفّتت ... تعانق أطراف السَّماء قُصُورها

* * *

والشاعر فى قصائده ومقطعاته فى الديوان يتخذ من الشعر سلاحاً من أسلحة المعركة التى تخوضها الأمة العربية ضد الاستعمار والصهيونية فالشعر هو الذى يشعل فى القلوب جمرات الثار ، ويوقد فى الصدور جذوات الكفاح المقدس استعادة للوطن ، وغسلا للعار ، واسترجاعاً للحق المسلوب :

يقول من أبيات :

حطّم يَراعَك ياأخِى واقْذف بِه   فِى النّار أو أيْقَظ بِه الأَرْواحا
اشْرعْه فى وجْه الطُّغاة مهنَّدا   لا يكْبح الإرْهاب منْه جِماحا
فالفِكْر ثورته تمهِّد لِلعُلا   دَربا وتجعل مرتقاهُ مُتاحا

* * *

وآخر ما نقدمه لشاعر هذه الأبيات التى اخترناها من قصيدة طويلة نظمها عندما اعتزم الهجرة من وطنه والنزوح عن ربوعه ، والتى يقول فيها (١) :

رضَعْت من ثَدْى حِرْمانى محبَّته   وإن أُخذْت بذنْبٍ لسْتُ جانِيه
فكمْ حُقوق أضاعَتْها ثعالِبُه   وكم دماءٍ أريقَتَ من أضاحيه
وكمْ قُبورٍ نبشْناها لأنفسنا   ونحن نحْسبها مثْوى أعادِيه

* * *

فارْقته ويدِى تغْفو على كَبدِى   فى لوْعةٍ واليدُ الأُخْرى تحييه
وسِرتُ لسْت أظنّ الله يَغْفر لى   وإنْ شَقيت بِه مما يُعانِيه
مما أراه به للبؤس من صُورٍ   قد شوَّهت حلم عُمْرى كلَّ تشْويه
من كلِّ لاجئة لاذت بخَيْمتِها   تُناشد القلب أن يخْلو لماضِيه
وتذْرف الدّمع والشّكْوى تكفْكفه   وتَنْشُر الأمس فى بُطْءٍ وتطْوِيه

(١) أغانى الفجر – شركة الطباعة الحديثة – عن سنة ١٩٥٥ – نشر مكتبة الحرية ص ١٣ – ١٤ .

٢٧ - جميل علوش

١ - حياته :

ولد جميل علوش فى قرية بير زيت من أعمال قضاء رام الله فى فلسطين سنة ١٩٣٧ وهو شقيق الأديب الباحث الشاعر ناجى علوش ويصغره بعامين.

وقد تلقى دراسته فى المرحلة الابتدائية بمدرسة بير زيت ، أما دراسته فى المرحلة الثانوية فقد تلقاها فى مدارس مدينة رام الله .

وقد ظهرت على جميل بوادر حبه للنظم ، وأمارات ميله للشعر منذ نعومة أظفاره وعهد طفولته فأحس بالرغبة القوية لنظم الشهر ونمى فيه هذه الرغبة حفظه لطائفة من القصائد الخالدة لفحول الشعراء . وشجعه معلموه فى المرحلة الثانوية على مواصلة قراءة دواوين الشعراء ، وأرشدوه إلى وسائل حذق اللغة العربية ومعرفة أسرارها ، ودراسة قواعدها ، وقد استجاب جميل لنصح معلميه فأطال النظر فى الدواوين الشعرية ، ووجد دافعاً يحفزه إلى دراسة الشعراء على اختلاف عصورهم ، وتباين مذاهبهم وأتاحت له هذه الدراسة ذخيرة قيمة من الشعر الجيد الذى ينسج على منواله ، ويقتفى فيه أثر من أعجب بهم من الشعراء المجيدين .

وظل جميل فى فلسطين حتى وقعت الكارثة سنة ١٩٤٨ فشد الرحال إلى الكويت جرياً وراء الرزق ، وسعياً لكسب العيش وعمل موظفاً فى وزارة المالية والنفط ، ولكن وظيفته لم تحل بينه وبين إرواء ظمئه العلمى ، ورغبته فى الاستزادة من المعرفة فالتحق بكلية الآداب بالجامعة السورية فى دمشق قسم اللغة العربية ، وكافح كفاح الأبطال وتوج كفاحه بحصوله على درجة الليسانس سنه ١٩٦٧ .

٢ - شعره :

أخذ جميل ينشر ذوب عواطفه فى قصائد جميلة فى المجلات التى تصدر فى دمشق وبيروت وعمان والكويت ، ولكن أغلب قصائده نشرت فى مجلة الأديب البيروتية ، ومجلة البيان الكويتية التى تصدرها رابطة الأدباء فى الكويت .

وعلى صفحات هاتين المجلتين قرأت العديد من قصائد الشاعر فى الموضوعات الوطنية والسياسية والاجتماعية .وطالعت طائفة من آرائه ، وتعليقاته ولكنى وقفت وقفة إعجاب وتقدير أمام دفاعه عن الفصحى وتصحيحه للأخطاء النحوية وحرصه على تراثنا الأدبى ، واستقامة الأسلوب ، وجريانه على قواعد اللغة ، وضوابط الإعراب .

ويعد جميل علوش شاعراً من نتاج النكبة فهى التى فجرت فى قلبه ينبوع الشعر ، وألهمته رائع القصيد ، فبكى الوطن المغتصب وحن إلى مراتع طفولته وملاعب صباه فيه ، وتذكر أيامه المشرقة يوم كان كالطير المغرد ينتقل من فنن إلى فنن .

وصور جميل فى شعره ما قاساه المشردود من ضروب العذاب ، وصنوف البؤس . ولكنه كان متفائلا بالغد المرجوّ حين قال :

لَنا الغدُ لا نَرْتضى أن نذلّ وأن يحرس الحقْل خَوانه
أخى لا تكُن آيساً من غدٍ فقَد قرُبت منْك شُطآنه
وداعب حسّك حسّونـــه وغــازل سَـمْعك تحنانـه
لنا الغَدُ إنّا به مؤمنون فما ينفع الخصم كُفرانه

وشعر جميل متين النسج رصين العبارة ، محكم البناء تتضح فيه ذخيرة الشاعر من تراثنا الشعرى الضخم وثروته من الألفاظ والكلمات وقدرته على استخدامها ، وقد نظم الكثير من قصائده فى ذكرى المولد النبوى الشريف وناجى الرسول الأعظم ﷺ وسمى ديوانه عرس الصحراء وهو عنوان القصيدة الطويلة التى أبدعها فى ذكرى مولد النبى العربى الكريم محمد بن عبد الله ﷺ .

واستوحى تاريخنا المجيد وبطولات أبطالنا خالد بن الوليد ، وعقبة بن نافع وطارق بن زياد .

مختارات من شعره :

عرس الصحراء

قَبَس من سنا النّبوة بادى فانهلى فيه واسْكرى يابَوادى
واخْشعى قد تهلّل الأفْق بالبشْـ ـر وقد هَشَّتْ الرّمال الصَّوادى
أىّ بشرى على جبين المغنىّ أىّ نجوى على شِفاه الحادِى ؟
إنها بسْمة الخُلود على ثَغْـ ـر شجىّ وخاطِر منآد

فالسّنى فى مدى الْجزيرة رَفّا ف على شِلو ليلها مُتهادى
وَثبتْ من منامها البيد وسْنى واستفاقت علَى صَدى رَدّاد
وإذا مَولد الرّسول حياة لـتـرُاث الأبـوّة الأمجـادِ
ثوْرة فى الرّمال قام بها الحـ ـق على كلّ ظالم أو عادى
شمختْ فى ظلالها كل نفس عـذبتها قيُود الاستعباد
كبّر المؤمنون فيها لثأر قُـدسِى وَهـللّوا لـجِهاد
وإذا السّاح هَيَنمات أباة قد تفانوا وحَمْحمات جِياد
نبعة لِلخلود فجرها الوحْـ ـى على خاطر الرّسول الهادى
حرّكت ساكِن الرّمال وأجرت نفس المجد فى عروق البوادى
يارسول الرّشاد هذِى أغا نينا تثير الأشْجانَ فى الأعْياد
قفزتْ من حناجر الشعر شوقاً وتنزّت من خاطر الأعْواد
فسمونا على جناح الأمانى لغد ناضر الخميلة . . . ناد
يا رسول الرّشاد سال دم المجْـ ـد على حرْبة الخطوب الشداد
فرّقتنا الأقدار فى كل دَرْب تحت شدّ الكوارِث الأصْلاد
قد دجا فى وجوهنا واضح الدّرْ ب وسدت مسالك المرْتاد
فضللنا – ونحن أوّل شعب قد هفا للسّداد – دَربَ السّداد
يارسول الرشاد هذى أناشيـ ـدى وهذا الشّجِيُّ من تردادى
هزّنى فى الميلاد نحوك شَوْق فـتـقـبـل قصيـدَة الميلادِ

حنين

لا العُود يُطْربنى ولا القِيثارُ خفّ الهَوى وتولّت الأَوْتار
لله كمْ تذكى الحَنين مَواطن وتهزّ أعْطاف الرّجال دِيار
أَنا شاعِر عصَفت بأَعْماق المنى وتضرمت بجوانبى الأشعار
إنى لأهوى للربيع مناظرا تغرى بمثل جمالها الأنظار
الماء والأضواء زاد عواطفى والسحر والنسمات والأزهار

وجداول الوادى تغنى للربا ... ما غنت الأزمان والأدهار
مازالت فى صدر الحنين قصيدة ... يذكى شرارتها جوى هدّار
تَهْتاجُنى ذكر الشباب شَجية ... وتهزنى أطيافه الأطْهار
إنّى هُنا نغمٌ تخطّى دَرْبه ... فتلقّفتْه تنائف وقفار
خلفت فى وطَنى شباباً ضاحكاً ... جذلا بِهِ تتعلق الأبْصَار
وخمائِلا للسَّحر فى جَنباتها ... ألف وفى قسماتها أسْفار
ومسارحا خضراء يحْلُو بَيْنها ... عَذْب الحَدِيث وتبسط الأسرار
ودَّعْتها عجِلا وكلّ جوانِحى ... شوْق وكلّ لواعجى استِعْبار
أين الصّحاب تناهبت خطواتهم ... شتّى الدروب وجارت الأقْدار
أيْن اللّيالى الغرّ يُوقظ صمْتها ... عَبَث ويبعث شجوها استهتار

* * *

ولّت ليالِينا العِذاب وضاعَ من ... خَلَد الزّمان أريجها المعطار
مرت كما خفق السَّراب لظامئ ... وأضاء فى صبح الظلام شرارُ

فلسطين

بِلا فلسْطين لا عُرْس ولا عِيد ... بحت عَلَى فَم قيثارى الأناشِيد
أرْض البُطولة فى ساحَاتِها شَمَخَت ... مختالة وازْدَهى عزّ وتخْليد
كمْ يحزن الحر أن تبقى مُصَفَّدَة ... وأن يضر بها ذلّ وتقْييد
لولا فِلسْطين لم يخفقُ على شَفَتى ... شعرٌ ولَمْ تغر أوتارى الأغارِيد
مَهْد الطُّفولة والأحْلام كلّ ضحى ... على مرابِعها الغناء لى عِيد
وكلّ مَشرق شَمْس فى أباطحها ... من عزّة العُمر والأوضاح معدود
يا مَن يَهِيمون بالأمجاد ويحكُمُ ... أيرْجعُ الحر للأوْطان تمجيد
دَعْواكم فى سماع الدّهْر مَهْزلة ... وبالبُطولة تَشْهِير وتنْدِيد
هذِى فِلسْطِين فى الأقياد راسِفَة ... فَفِيم يفْخَر جبّار وصِنْدِيد
لا هبّ خالد موتوراً لنجدتها ... ولا تحفّز من ذى قار مسْعُود

يا نازعِين إلى عود وفى دَمِهِم شَوْق إلى الوَطن المسْلُوب موءود
ومن تؤرقهم ذِكْرى مبرّحَة وهمّهم لِلقاء النّصْر محشود
ما أقرب العودة الكبرى وأروعها وفوق يافا - لواء النصر معقود

غربة وحنين

عفواً إذا مسّ وحى الشّاعر الحصر لمْ يَبق للشّعْر فى قيثارِه وتَرُ
بَعْد الفَراديس والجنّات زاهية يحلُو لنا الهزْج أمْ يحلو لنا السّمر
لا أمْسنا ضاحِكٌ بالبشْرِ مبْتَسِم ولا غد بالأمالِى وارف نضر
الكِبْرياءُ تهادَت من مَشارِفها ففِيم يا قَوْم هذا التيه والصّعَر
قد حقّق الخصْم أحلاماً فما طرفت عَيْن ، ولا زَاغ عنْ تحْدِيقه بَصَر

* * *

يا للصّنادِيد عَن حَق لَهُم سَكتُوا كأنّهم بجَلال الخَطْب ما شَعرُوا
تعوّدوا الضّيم حتى ما يُؤرِّقهم همّ ولا يتحدّى صَمْتهم خطَر
كمْ علّلونا بثأر ثمّ أفزعَهُم طيف المُنون فما هبُّوا ولا ثأرُوا
تراهم كلّما صاحَ الأباءُ بهم تلفّعوا بِرداء الذُلّ وادّثرُوا
تمزّق الوَطَن الغالى فما وَثبوا ودَمْدَم الدّم موْتُورا فما نفروا
وباترِ كان يزهو فى سَواعِدِهم قد عاد وهَو كَلِيل الحدّ منبتر
ضاعَت فِلَسْطين لمَ تنبس لهُم شَفَةٌ ولمْ يهزهم الإيحاسُ والحَذَر
أرْض تفِيض بها النُّعمى مقدّسة والخيرُ مِنْ جَنَبات الصخر ينفجر
فى كلّ رابيةٍ طاف المسيح بِها نعمى ترف على الدُّنيا وتنْتَشر
أهبْت بالشّعْر فاستعصى وكنْت إذا أهَبْت يهمى كما أهْوى وينهمر
لنْ يصْنع الشّعر إعجازاً ولا عَجَبا وخاب مرتقب إدًا ومنْتظَرِ
وإنما هى آهاتٌ نبث بها ما فى الضلوع من الأشْجان يستعر
كم فى فِلَسْطين من طيْف يراودنى ومن خيال إلى عينى يبتدر
أرْض المفاتن كمْ فى فيحها سَرحت نفْسُ وكم هام فى آفاقِها نَظر

غنَّيْتها خير أَشْعارِى وأرْوعها ولا يَزال لها فى خاطِرِى وطَرُ
إذا اسْتعادَت خَيالاتى مفاتِنها يكادُ قلْبى من الأَشْواقِ يَنصهر
مهد الطُّفولةِ ما فِى صَفْوها رَنَقٌ على الفُؤادِ ولافى نبعها كَدَر
مِنْ فَرط شَوْقى لوادِيها ورَبْوتِها يكادُ يزهر فى عَينى بِها الحجَرَ
يا للذُّرى الشَمّ للبارى مسبِّحة تعْلُو مع الغيْمِ أحياناً وتنْحدر
تاريخ مَجْدك آياتٌ نرتلُها ونعم ما خط أبطال وما سطروا
يافا عَلَى مضَض الأقدار صابِرَة والقُدْس فِى شَرَر الغارات تنْغمر
هلْ من معادٍ إلى يافا وشاطِئها وكلّ ذَنْب جناهُ الدَّهر مغتفر

آثاره :

١ – عرس الصحراء – ديوان شعر – ١٩٦٦ .
٢ – من شعراء العصر – نقد .

٢٨ – أسمى طوبى

١ – حياتها :

ولدت أسمى رزق فى مدينة الناصرة فى فلسطين فى سنة لم تشأ أن تحددها .

وتلقت دراستها فى المدرسة الإنجليزية فى المدينة وحذقت اللغة الإنجليزية ثم أجادت اللغة اليونانية بعد ذلك وقد تفتحت طفولة الشاعرة فى منزل تتردد فى جنباته أنغام الشعر إذ كان والدها شاعراً يقيم فى المنزل أمسيات شعرية يدعو إليها أصدقاءه الشعراء ويطلب من ابنته أسمى أن تلقى على مسامعهم ما تحفظ من قصائد عنترة العبسى . وفى شبابها المبكر أغرمت بالشعر ، وأولعت بالشعراء وانكبت على دواوينهم تطالعها ، وتستظهر منها ما اعجبت به من القصائد .

وعندما وقعت كارثة فلسطين سنة ١٩٤٨ نزحت الشاعرة إلى لبنان واتجهت إلى العمل الصحفى فكتبت الكثير من المقالات فى الصحف والمجلات ونظمت القصائد وكتبت القصص . وأسهمت بجهد مشكور فى الحقل الاجتماعى فكانت عضوا بارزا فى جمعية الشابات المسيحيات كما شغلت أمانة سر الاتحاد النسائى ورئاسته ورئاسة جمعية الشابات الأرثوذكسيات .

٢ – شعرها :

كانت أسمى طوبى من الشواعر اللاتى فجرت مأساة فلسطين ينابيع الشعر فى قلوبهن إذ صورت ما قاساه أبناء وبنات وطنها من إحساس بالغربة والضياع والتشرد ، وتغنت بالبطولات التى سطرها أبناء فلسطين فى سجل الكفاح وهم يحاربون الانتداب والصهيونية .

وقد تناولت الشاعرة فنون الأدب من مقالة وقصة وقصيدة وصدر لها عدد من الكتب .

مختارات من شعرها :

غريب

أنا غَريبٌ شاردٌ فى دَمى ... غريب من ثوْرة الأمْس لهِيب ونار
تقلَّب من حَوْلى شِفاه الوَرى ... كأنَّنى وصْمَة ذُل وعار
أواه لوْ يَدْرون ما مَوْطِنى ... أرض البُطولات وقُدْس الدّيار

مارد

أنا ماردٌ عالى الجَبين أنا صَرْخة الحقِّ المُبين
أنا صَخْرة قدْ حطمت خُطَط البُغاة الغاصِبين
أنا فى زوايا خَيْمتى السَّوداء أهزأ بالسِّنين
وتمدّنى باللُّقْمة العفناء أيدى الظالِمين
لِكىْ ألين ولا ألِين

* * *

قَسماً بتُرْبك يا بِلادِى قَسَم المشُوق إلى الجِلادِ
قَسما بقُدْسِك بالدِّماء المهْرقات علَىَ الوِهادِ
ما ذلَّنى يَوْمى ، وملء الأمْس أوْسمة الجِهادِ
مل الرقاد سَواد ليْلى فمَتى يُنادِينى المنادِى

* * *

الفجْرُ يبزغ فارْقبِى يا أُمتى الحدث الخطِير
جَيْشٌ وأعْلام تَسير غداً متى دَوّى النَّفير
الفجر يبْزغ إنه مِيلاد تحْرير الأسِير
آمنْت بالوَطِن الكَبِير لِيَمْسح العار الكبِير

* * *

الفجرُ يا حُلم الجُدود وصَيْحة الحرّ الشَّهيد
فوق المشانق فى المجازر فى السُّهول علَى النجود
هيَّا أطلُّوا مِن أعاليكم علَى الفَجْر السَّعيد
فَقد اشتُرى دمكم فيا عزّ الكرامَةِ والخُلود

* * *

يا ظُلم يا جَانى علَى الأَحْرار تشْريداً ونكْدا
أحسبْت أنكَ مُستَطيع أن تردّ الحرَّ عَبدا

أنسيت أنَّا نَسْل مَنْ ملكُوا الدُّنى شُهْبا وأسْدَا
يا ظلم زدْ تجرِبحنا حتَّى يثير القدح وقدا
قسماً بتُرْبك يا بِلادى قَسَم المشُوق إلى الجِلاد
ملّ الرُّقاد سَواد لَيْلى فمتى يُنادِينى المُنادِى (١)

آثاره :

١ – عبيرومجد .
٢ – أحاديث قلب .

---

(١) مجلة الأديب أبريل سنة ١٩٧٠.

القسم الثانى

النثر

Title

Author

Accession No.

Call No.

Borrower's No.	Issue Date	Borrower's No.	Issue Date

الفصل الأول

نشأته وتطوره وفنونه

لا نستطيع أن نحدد سنة بعينها لنشأة النثر ، ولكن النصف الأخير من القرن التاسع عشر لم يكن خالياً منه وإن كان قليلا بالنسبة للشعر ويتمثل النثر فى هذه المرحلة من ١٨٦٠ إلى ١٩٠٨ فى الأعمال التالية .

أولا : مقدمة وشرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى الذى طبع الشيخ يوسف ضياء الدين الخالدى المقدسى الجزء الأول منه فى « فينا » عاصمة النمسا سنة ١٨٨٠ حين كان يدرس العربية يومئذ هناك .

ثانيا : ما حرره رب البيان والأخلاق الحسان الأستاذ أبو السعود فى تقريظ كتاب سر الليالى لمؤلفه أحمد فارس الشدياق .

ثالثاً : من قلم صاحب الفضيلة السيد عباس خماش زاده ويتضمن المقالات التالية .

(ا) الدرر الحسان فى ملح الجنان وهو مقال قرظ فيه الكاتب مجلة الجنان التى أنشأها الأستاذ بطرس البستانى سنة ١٨٧٠ .

(ب) السياسة وهو مقال ثان كتبه لمجلة الجنان .

(جـ) الإنصاف وهو مقال ثالث كتبه أيضاً للمجلة نفسها .

رابعاً : رسالة بعث بها من القدس مكاتب الجنان عن ولاية سورية .

خامساً : آثار الشيخ يوسف النبهانى النثرية فى كتبه ومؤلفاته المتعددة .

سادساً : تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هو جو للأستاذ محمد روحى الخالدى الذى طبع بمطبعة الهلال فى مصر سنة ١٩٠٤ [١] .

ومع إيثارنا إغفال إيراد نماذج لهذا النثر نرى أن نقدم نصًا واحداً للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهانى الذى قال فى الصفحة الأولى لهمزيته الألفية المسماة طيبة الغراء فى مدح سيد الأنبياء مايلى :

« يقول ناظمها قد وازنت بهمزيتى هذه همزية الإمام الأبو صبرى (أم القرى فى مدح خير الورى)

---

(١) د . عبد الرحمن ياغى حياة الأدب الفلسطينى .

عالما أن الفضل للمتقدم ، وأنه بمنزلة المعلم ، وأنا بمنزلة المتعلم ، وإن كانت هذه قد حوت أضعاف ماحوته تلك من السيرة النبوية ، والفضائل المحمدية ، وامتازت عنها بحسن التقسيم والترتيب حتى صارت بفضل الله فريدة فى بابها ، لا نظير لها - فيما أعلم - بين أترابها حرية بتدريسها وحفظها ، والاعتناء بشرح معناها ولفظها لمن يهمه مدح رسول الله ﷺ ومعرفة سيرته وفضائله ومعجزاته وشمائله لأنها أقوى أسباب محبته وقوة الإيمان »[١] .

وعندما صدر الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ وأطلق الحريات ، وخفف القيود وأباح لأبناء الولايات العربية أن يفتحوا المدارس ، وينشئوا الصحف أصدر نفر من أبناء فلسطين بعض الصحف والمجلات فى الفترة التى بين ١٩٠٨ و ١٩١٤[٢] وعلى صفحاتها تسابق فرسان الأدب ، وأعلام الشعر يدبجون المقالات ، وينظمون القصائد ، ويؤلفون الأقاصيص ، ويترجمون عن أعلام الغرب ، وقد تألقت فى هذه الفترة من الزمن أسماء أربعة من أدباء فلسطين هم خليل السكاكينى الذى كان أول أديب فلسطينى نشر خواطره أو يومياته التى صور فيها خلجات قلبه ، وهمسات روحه ، وسجل أحداث عصره ، ونظم قصائده . وإسعاف النشاشيبى الذى نشر بعض قصائده ، ونشر أول أثر من آثاره وهو أمثال أبى تمام فى مجلة النفائس العصرية على مدى أربعة أعوام من (١٩٠٨- ١٩١٢) وخليل بيدس الذى نشر العديد من أقاصيصه المؤلفة والمترجمة وحنا العيسى صاحب مجلة الأصمعى .

وقد ظلت هذه الصحف والمجلات تؤدى رسالتها الفكرية ، وظلت الأقلام الفلسطينية تمدها بنفثاتها حتى نشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وتوقف النشاط الفكرى ثم تتابعت الأحداث ، فصدر تصريح بلفور فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ ، واحتلت بريطانيا فلسطين وانهار النفوذ العثمانى وحل محله الانتداب البريطانى فى فلسطين والأردن والعراق ، والفرنسى فى سورية ولبنان وتغيرت صورة الحياة فى فلسطين نتيجة لما أسفرت عنه الحرب من نتائج .

وفى الربيع الثانى من القرن العشرين من ١٩٢٦ إلى ١٩٤٨ تطور الأدب بعامة شعراً ونثراً فى فلسطين . وانتقل إلى مرحلة جديدة من الرقى والازدهار ، وقد سبق أن قلنا - حين تناولنا الشعر وتطوره فى الفترة من ١٩٢٦ إلى ١٩٤٨ - إنه قد نهض نهضة مباركة فلم يتحرر من القيود التى كبلته فى المرحلتين السابقتين ولم ينعتق من إسار الزخارف اللفظية والمحسنات البديعية فحسب وإنما انتقل من الصورة القبيحة التى كانت تشوهه إلى صورة مشرقة وهذا الذى قلناه يصدق على الشعر والنثر بل لعل

---

(١) طيبة الغراء فى مدح سيد الأنبياء - المطبعة الأدبية - بيروت ١٣١٤ هـ الصفحة الأولى .

(٢) الاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطينى المعاصر ص ٩٦ .

صدقه على النثر أقرب إلى الحقيقة وأدنى من الواقع ، فقد تخلص النثر من السجع الملتزم ، ومن الجناس والطباق والتورية والزخارف التى كانت تكبله ، ومن التقليد الأعمى ، وكما تطور الشعر وارتقى فى الربع الثانى من القرن العشرين تطور النثر أيضاً وارتقى فى الأغراض والأفكار والأساليب .

أما الأغراض فقد استمدها الكتاب أولا من وقع الأحداث الخارجية على نفوسهم ، ومما تأثروا به فى حياتهم وما ألهمتهم إياه طبيعة فلسطين الساحرة من جبال تغمرها الثلوج ، وأودية تسيل بالمياه الغامرة وسهول تموج بالسنابل ، وحدائق يضوع منها العطر . واستمدوها ثانياً من واقع فلسطين ، وجهاد أبنائها ، وما سطروه من صفحات البطولة وهم يحاربون أقوى دول الأرض ، وأخبث شعوب الدنيا طوال ثلاثين سنة ، وما كابدوا من ضروب الظلم ، وألوان العسف والقهر . وأما الأفكار فكانت أفكاراً جيدة نابعة من ثقافة عالية ، ودراسة متواصلة ، واطلاع على المذاهب الاجتماعية والفكرية والسياسية ، وكانت وليدة خبرة وتمرس بالحياة وما فيها من خير وشر ، وعدل وظلم ووفاء وغدر .

وأما الأساليب فقد تميزت بأحكام النسج ، ورصانة الجمل ، وصفاء التعبير ، ووضوح الهدف ، والبعد عن الالتواء والتعقيد والغموض والتخلص من الحشو والمقدمات .

وتفاوت الكتاب فى أساليبهم تبعاً لتفاوتهم فى الثقافة ، وتأثرهم بغيرهم من كبار الكتاب العرب والأوربيين ، ولكن شخصياتهم ظهرت فى كتاباتهم وانطلقوا يحلقون فى الأجواء العالية ، ويختار كل أديب اللون الذى يروقه والفن الذى يجيده ، وهو مسلح بجميع الأسلحة التى يحتاج إليها ، ومزود بالثقافة ، ومطلع على تيارات الأدب والنقد .

لقد كان النثر فى هذه المرحلة بعامة أقوى نسجاً وأمتن بناء ، وأجود عبارة ، وأخصب خيالا مما كان عليه من قبل ، وكلما تقدمنا فى النصف الأخير من القرن العشرين جادت فنونه نتيجة تقدم البلاد وازدهارها الاقتصادى والثقافى حيث تضاعفت أعداد المدارس والمعاهد ، وزاد عدد المتعلمين والدارسين فى شتى فروع المعرفة وظهرت فى هذه المرحلة طائفة من الآثار الأدبية الجيدة فى المقالة والنقد والقصة والمسرحية ونبغ عدد من أبناء فلسطين فى هذه الفنون بما قدموه للمكتبة العربية من آثار ، وجاوزت شهرتهم حدود فلسطين إلى بقية أقطار العالم العربى .

وعندما وقعت الواقعة وحدثت المأساة سنة ١٩٤٨ روّع الأدب فى فلسطين ، وروع الأدباء من شعراء وكتاب ، وأذهلتهم الكارثة عن أنفسهم وعن نتاجهم ، واضطرتهم للنزوح من ديارهم إلى الأقطار العربية وتشردوا – كما تشرد مئات الألوف من أبناء فلسطين – عن وطنهم .

وفى هذه الفترة من ١٩٤٨ - ١٩٦٠ كان الأدب أدب المأساة ، وقد كانت المأساة ومازال ينبوعاً من ينابيع الأدب فى العصر الحديث ، فى الشعر والنثر فى الشعر الغنائى والقصص المسرحى ، وفى النثر بألوانه من خطبة ومقالة ، وأقصوصة وقصة ومسرحية وخاطرة ويومية .

وكانت المأساة معيناً لا ينضب يمد الأدباء بأروع ما أبدعوا ، وأقوى ما نسجوا ومازال المأساة الدامية التى شردت شعباً ، وأضاعت وطناً ، وما خلفته من فاجعات ومؤلمات مصدراً للوحى ، ونبعاً للإلهام لا عند شعراء وكتاب أبنائها فحسب بل عند شعراء وكتاب الوطن العربى .

ومازال آثارها المادية والمعنوية منذ وقوعها سنة ١٩٤٨ إلى نهاية سنة ١٩٦٠ التى وقفنا عندها واقعا حيا ، تقذى به العيون وتدمى القلوب .

وقد استلهم كتاب فلسطين فى نثرهم - بعد المأساة - ما استلهمه الشعراء فى شعرهم من تشرد أبناء وطنهم عن ديارهم وحقولهم ومزارعهم التى قضوا فيها زهرة العمر ، وما قاسوه فى تشردهم وتمزقهم وتبعثرهم من بؤس وشقاء ، وما كابدوه من أهوال وهم متناثرون فى الجبال والصحارى والكهوف قابعون فى خيام سود لا تقى حرًّا ولا زمهريراً ، راكضون وراء لقمة الخبز من بلد إلى بلد ، ومن قطر إلى قطر ، ممزقون إذ مزقت المأساة الأسرة الواحدة شر ممزق فأب فى غزة ، وأم فى عمان ، وابن فى القاهرة وابنة فى دمشق وأخ فى بغداد ، وأخت فى بيروت .

وكيف مرت عليهم سنوات التشريد بطيئة ثقيلة وهم يمضغون آلامهم ويجترون ذكرى مجدهم السالف ، وعزهم الغابر .

كما صور هؤلاء الكتاب ثبات المشردين ، وأملهم فى العودة ، وكفاحهم فى سبيلها ، باعتبارها الأمل المشرق ، والغاية المنشودة .

وتحددت فنون النثر من ١٩٢٦ إلى ١٩٦٠ فيما يأتى :

١ - المقالة : ونريد بها الكلمات التى تناولت الموضوعات المختلفة ، وبتعبير أدق المقالة الذاتية والموضوعية التى اتخذها الكاتب وعاء يصب فيه أفكاره وآراءه ،

٢ - الخطبة أو المحاضرة أو الكلمة التى ألقاها الأديب فى محفل من المحافل تكريماً لقطب من أقطاب الأدب والفكر والكفاح ، أو رثاء لعلم من أعلام الكتابة والشعر أو زعيم من زعماء الجهاد ، أو تناولا لجانب من جوانب اللغة والأدب والنقد تم نشرها بعد إلقائها فى كتيب مستقل ، أو ضمن مجموعة من الكلمات وخير من يمثل ذلك فى الأدب الفلسطينى أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبى .

٣ - الخاطرة أو اليومية التى كان يسجلها الأديب كل يوم معبراً عن عواطفه وأحاسيسه ووقع

الأحداث على قلبه ، ومدى تأثره بها وتأثيرها فيه ، وخير من يمثل تلك الخواطر أو اليوميات الأستاذ خليل السكاكيني .

٤ – القصة ونعنى بها ما يشمل القصة القصيرة « الأقصوصة » والطويلة « الرواية » والمسرحية .

٥ – الترجمة ونقصد بها ترجمة روائع الأدب العالمى إلى اللغة العربية .

الفصل الثانى

المقالة

يقول الدكتور محمد يوسف نجم إن تاريخ المقالة فى أدبنا الحديث يرتبط بتاريخ الصحافة ارتباطاً وثيقاً ، فالمقالة بنوعيها الذاتى والموضوعى لم تظهر فى أدبنا أول ما ظهرت على أنها فن مستقل شأنها فى فرنسا وإنجلترا ، بل نشأت فى حضن الصحافة ، وخدمت أغراضها المختلفة ، وحملت إلى قرائها آراء محرريها وكتابها »[1]

وما قاله الباحث حقيقة لا جدال فيها ، وهى لا تصدق على المقالة فى الأدب الفلسطينى الحديث فحسب بل عليها فى الأدب العربى بوجه عام وفى كل الأقطار.

وقد ظهرت المقالة فى الأدب الفلسطينى الحديث مع ظهور الصحيفة وكانت أولى الصحف التى صدرت فى فلسطين هى صحيفة القدس الشريف التى أصدرتها الحكومة العثمانية فى مدينة القدس سنة ١٨٧٦ باللغتين التركية والعربية ، وكانت شهرية ، وكان الشيخ على الريماوى يحرر القسم العربى بها .

وفى السنة نفسها صدرت فى القدس أيضاً صحيفة « الغزال » باللغة العربية ويحررها أيضا الشيخ الريماوى .

وبعد سنة ١٩٠٨ ظهر الكثير من الصحف والمجلات نتيجة لصدور الدستور العثمانى وإطلاق الحريات[2] وفى غضون السنوات الأربع من ١٩٠٨ إلى ١٩١٢ نشر إسعاف النشاشيبى طائفة من مقالاته على صفحات مجلة النفائس العصرية كما نشر كتابه الأول «أمثال أبى تمام» مسلسلا فى حلقات وبالإضافة إلى كلمات النشاشيبى حفلت النفائس بكلمات ومقالات خليل السكاكينى ، وعبد الله مخلص ، وعادل جبر ، وصاحبها خليل بيدس وغيرهم» وبعد انهيار النفوذ العثمانى فى فلسطين والبلاد العربية ، وخضوع فلسطين للانتداب البريطانى أخذت المقالة تحظى باهتمام الكتاب بعد أن

---

(١) فن المقالة– المقالة فى الأدب العربى الحديث – ص ٦٤ .

(٢) ذكرنا تلك الصحف والمجلات فى الصفحات السابقة من ٦٨ – ٧٠ .

تعددت أغراضها وتنوعت موضوعاتها وفى الفترة من ١٩٢٦ إلى ١٩٤٨ بلغت المقالة درجة عالية فى المجالات الأدبية والعلمية والتربوية والاجتماعية والتاريخية إلى جانب ما حققته من رقى فى الميدان الوطنى والسياسى حيث اتجهت المقالة الصحفية اتجاهاً وطنيًا قوميًا فكشفت الغطاء عن مناهج الإبادة التى رسمتها بريطانيا بتآمرها مع الصهيونية ، وشنت الحملات على القوانين والأنظمة الجائرة التى فرضتها حكومة الانتداب على أهل البلاد ، وأيقظت وعى الشعب ، ودعت إلى وحدة الصف ، وأشعلت فى الصدور التضحية والبذل ، وآزرت الشعر فى أداء رسالته الوطنية إذ كان الأدب - شعراً ونثراً - سلاحا من أمضى أسلحة الكفاح ضد الإنجليز والصهيونية ، كما حملت المقالة أيضا رسالة الإصلاح الدينى والاجتماعى بما أرساه الكتاب المخلصون من مبادئ العمل بتعاليم الدين ، والمحافظة على القيم والمبادئ ، وتكوين الشخصية القوية والحرص على تقويم الاعوجاج ، وتقديس العدالة والإخاء والمساواة .

وبعد أن حدثت الكارثة المروعة سنة ١٩٤٨ ، واغتصبت العصابات الصهيونية فلسطين ، اضطر الكتاب من الأدباء والصحفيين إلى النزوح عن ديارهم ، واللجوء إلى الأقطار الشقيقة حاملين أقلامهم الملتهبة ، مسطرين مقالاتهم وكلماتهم النارية نقمة وغضباً على الذين أضاعوا فلسطين وخانوا أمتهم ، وباعوا ضمائرهم .

وتناول الكتاب فى هذه المقالات والكلمات وصف فاجعات المأساة وتسجيل مظاهرها ، وسرد مؤلماتها ، وتصوير الأهوال التى كابدها النازحون . كما تناولت تحليل أسبابها ، وشرح المقدمات التى أدت إليها ، والنتائج المؤسفة التى أسفرت عنها ، ورسموا طريق الحل ، بعد أن وضحوا أن الكارثة ليست كارثة فلسطين وأبنائها فحسب بل كارثة الأمة العربية قاطبة ، وأبناء هذه الأمة فى جميع أجزاء الوطن العربى ، وكارثة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

ودعوا إلى دراسة الأخطاء التى حدثت ، والاستفادة منها ، ونبهوا إلى جوانب القصور ، مطالبين بقوة . بإصلاح فساد الأوضاع واستكمال جوانب النقص ، والدعوة للوحدة الشاملة والاستعداد لاسترداد الوطن المغصوب بما يتطلبه من قوة معنوية وقوة مادية ، وتربية عسكرية ، وتوحيد لأجهزة الإعلام والثقافة والفكر والتشريع والاقتصاد والأسلحة فى البلاد العربية .

وتألقت أسماء أدباء فلسطين من كتاب ونقاد ودارسين - كما تألقت أسماء الشعراء والشواعر - على صفحات أرقى الصحف والمجلات الأدبية التى كانت تصدر فى عواصم العروبة من (١٩٢٦- ١٩٤٨) الهلال والمقتطف والسياسة الأسبوعية والرسالة والثقافة والكتاب فى مصر والحديث فى

حلب ، والأديب فى بيروت .

وتنوعت هذه المقالات ، وتعددت أغراضها فطائفة آثرت المقالة الأدبية التى يعنى فيها الكاتب بالتألق فى الأسلوب واختيار جمله وكلماته ، ويطرزه بالصور الخيالية رعاية للجانب الجمالى ، وطائفة أخرى اتجهت للمقالة العلمية الزاخرة بالإحصاء وإيراد المصطلحات ، والمهتمة بالدقة والتحديد فيما نكتب ، وطائفة ثالثة أخذت تنفض غبار الزمن عن بعض كتب التراث ، وطائفة رابعة وجهت اهتمامها للمقالة التاريخية .

[وفى الفترة نفسها أخرجت المطابع ودور النشر فى فلسطين لمؤلفين فلسطينيين ومصر وسورية ولبنان] عشرات الكتب والمؤلفات العلمية والأدبية فى شتى فروع المعرفة ، واستقصاء جوانب البحث العلمى ، وبعض هذه الكتب أعيد طبعها مرات لنفاذ نسخها بعد الطبعة الأولى تقديراً لما بذله المؤلفون من جهود علمية ، ورجوع إلى المراجع والمصادر ، وتحقيق المسائل تحقيقاً علمياً مستندا إلى أحدث مناهج البحث .

وقد حظيت المقالة فى الأدب العربى المعاصر فى فلسطين باهتمام زائد ، وعناية فائقة حيث خصها الدكتور إسحق موسى الحسينى بكلمة عنوانها المقالة فى الأدب العربى الحديث فى كتابه « هل الأدباء بشر[1] , وأفرد لها الدكتور محمد يوسف نجم كتاباً خاصاً سماه « فن المقالة »[2] وهو الكتاب الرابع من سلسلة النقد الأدبى ومن الموضوعات التى تناولها المقالة فى الأدب العربى الحديث – المجلات وأثرها فى تطور المقالة العربية الحديثة – أعلام المقاليين المحدثين – التمييز بين المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية .

---

(١) دار العلم للملايين – بيروت – سنة ١٩٥٠ .

(٢) دار بيروت للطباعة والنشر الطبعة الثانية – ١٩٦٠ .

أعلام المقالة

١ - محمد روحى الخالدى

١٨٦٤ - ١٩١٣

١ - حياته :

ولد محمد روحى بن ياسين الخالدى فى بيت المقدس سنة ١٨٦٤ وفى مدارسها الابتدائية تلقى دراسته فى السنوات الثلاث الأول من المرحلة ، وأكمل الرابعة والخامسة والسادسة فى المكتب الرشدى بمدينة نابلس حيث كان والده يومئذ قاضياً شرعيًّا بها .

وحين نقل الوالد إلى مدينة طرابلس الشام التحق الابن بالمدرسة الوطنية التى أنشأها الشيخ حسين الجسر ، وأدخل فيها وسائل التعليم الحديثة ثم عاد الابن إلى القدس وأخذ يحضر الدروس التى كانت تلقى فى المسجد الأقصى ، ويتلقى فيه علوم الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والنحو والصرف والبيان والبديع والمنطق ثم التحق بالمدرسة السلطانية فى بيروت وقضى بها فترة من مرحلة دراسته الثانوية وعاد بعدها إلى بيت المقدس متابعاً حضور حلقات الدروس فى المسجد الأقصى وسافر بعد ذلك إلى الآستانة ، والتحق بالمكتب الملكى الشاهانى ، وقضى به ست سنوات نال فى نهايتها شهادته فى الإدارة والعلوم السياسية سنة ١٨٩٣ وفى سنة ١٨٩٨ عين قنصلا عامًّا فى مدينة بوردو وتوابعها فى فرنسا من قبل الحكومة العثمانية ، وظل يشغل هذا المنصب عشر سنوات حتى أعلن الدستور سنة ١٩٠٨ ، وعقب إعلان الدستور عاد إلى بيت المقدس وانتخبه أهلها نائباً عنهم فى مجلس النواب العثمانى فى شهر نوفمبر من سنة ١٩٠٨ وظل يتنقل بين القدس والآستانة حتى لبى نداء ربه فى السادس من شهر آب - أغسطس - سنة ١٩١٣ .

٢ - أدبه :

لم يصلنا من أدبه إلا ما ألقاه من محاضرات ، وما نشره من مقالات وما ألفه من كتب :

١ - فى سنة ١٨٩٦ ألقى محاضرة فى دار الجمعيات العلمية فى باريس عن الإسلام فى هذه الأيام نشرتها كاملة أو نشرت مقتطفات منها بعض الصحف العربية فى مصر وسورية ، وبعض الصحف

الفرنسية فى باريس ، ونشرتها كاملة جريدة طرابلس الشام ثم طبعتها فى كتاب مستقل بعنوان « رسالة فى سرعة انتشار الدين المحمدى ، وفى أقسام العالم الإسلامى .

٢ – وفى سنة ١٨٩٧ ألقى محاضرة ثانية فى دار الجمعيات العلمية بباريس أيضاً باللغة العربية عن المسألة الشرقية عنيت بها الصحف العربية ونشرت وصفا لها ومقتطفات منها ثم طبعت بعنوان « المقدمة فى المسألة الشرقية منذ نشأتها الأولى إلى الربع الثانى من القرن العشرين .

٣ – برتلو العالم الكيماوى الشهير وهو عبارة عن مقالة صغيرة نشرتها مجلة الهلال فى الجزء الثامن من السنة العاشرة بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٩٠٢ .

٤ – فيكتور هوجو . وهو عبارة عن مقالة من عشرين صفحة نشرتها مجلة الهلال أيضاً فى الجزء الرابع عشر من السنة العاشرة بتاريخ ١٥ أبريل سنة ١٩٠٢ .

٥ – فيكتور هوجو وعلم الأدب عند الإفرنج والعرب وهو سلسلة مقالات نشرتها مجلة الهلال ابتداء من الجزء الرابع عشر من السنة العاشرة بتاريخ ١٥ أبريل سنة ١٩٠٢ ثم جمعت المقالة الأولى عن فيكتور هوجو والمقالات التالية فى كتاب عنوانه علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوجو نشرته الهلال وطبع بمطابعها سنة ١٩٠٤ وأعيد طبعه سنة ١٩١٢ .

وقد سرد الدكتور ناصر الدين الأسد أسماء سبعة مؤلفات من كتبه [1] ويعلى الدكتور إسحق موسى الحسينى من قدره وينوه بعبقريته إذ يقول : أظن أن الخالدى أول من استرعى النظر إلى النقد الأدبى أو هو من أوائل من فعل ذلك ، ودعوته إلى تأمل بلاغة القرآن فى هذا الموطن – علاوة على التبرك به – لفتة إلى وجوب الأخذ بالنقد الأدبى » [2] .

نموذج من أدبه : يقول من كتابه علم الأدب عند الإفرنج والعرب .

١ – أدب كل إنسان ما حصل فيه الإجادة من الكلام المنظوم والمنثور ويشتمل على فنون الشعر والأغانى والروايات والقصص وضروب الأمثال والحكم والنوادر والحكايات والمقامات والتاريخ والسياسة والرحلة وغير ذلك .

٢ – الأصل فى الكلام للمعانى لا للألفاظ لأن اللفظ قالب أو ظرف للمعنى يتخذه المتكلم أو الكاتب لسبك ما يصوره فى نفسه ، ويشكله فى قلبه من المعانى فينقل بذلك مقصوده للسامع أو القارئ كأنه يشاهده .

---

(١) محمد روحى الخالدى – رائد البحث التاريخى الحديث فى فلسطين – ص ٤٧ – ٥٠ .
(٢) النقد الأدبى المعاصر فى الربع الأول من القرن العشرين – ص ٣٥ – ٣٧ .

قال الشاعر :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فالاقتدار على الإبانة عن المعانى الكافية فى النفوس يسمى فصاحة ؛ لأن المتكلم يفصح عما فى ضميره . ويبينه بكلمات عذبة سلسلة وبعبارات جلية خفيفة على القلب واللسان فالمتكلم على هذا النسق فصيح ، وكلامه ملفوظاً كان أو مكتوباً كلام فصيح ، وحيث كان المعنى سابقاً للفظ وجب أن تكون الألفاظ تابعة للمعانى وخادمة لها وليس المعنى تابعاً للفظ .

٣ - لا يكمل علم الأدب للمتبحر فيه إلا بعد أن ينظر فى أدب الأمم المتمدنة ولو نظرة عامة يطلع بها على مجمل تاريخ أدبهم ، وعلى بعض ما ترجم من مؤلفات المشاهير من كتبهم فيقف على ما عندهم من سعة الفكر وسمو الإدراك وبلاغة المعانى . ويعرف أساليبهم فى النظم والنثر ، وتصرفهم فى الكلام ، ويميز بين طرق المتقدمين والتأخرين فإذا أحاط بذلك فهم الغرض الذى يتطلبه أئمة البلاغة من أى لسان وملة ، ورأى الهدف الذى يروم كل منهم إصابته فيصوب نحوه القلم عسى أن يكون له مع الخواطئ سهم صائب» .

٢ - خليل السكاكينى

١٨٧٨ - ١٩٥٣

١ - حياته :

ولد خليل بن قسطندى السكاكينى فى القدس سنة ١٨٧٨ وتلقى دراسته فى المرحلة الأولى فى مدارس القدس الابتدائية أما دراسته الثانوية فقد نهلها من مدرسة صهيون التى كانت تدعى حين ذاك مدرسة الشباب ومن أساتذته المعلم نخلة زريق الذى كان يفخر بتلمذته له ولا يذكره إلا قائلا أستاذى نخلة زريق .

وفى سنة ١٨٩٨ أصبح عضواً فى جمعية الآداب الزاهرة التى أسسها داود الصيداوى فى السنة نفسها ، وتوطدت أواصر المودة بين الصديقين حتى كانت مضرب المثل فى الوفاء . وقد سجلها السكاكينى بأمانة فى يومياته وكثيراً ما بعث له الرسائل من أمريكا .

وفى خلال وجود السكاكينى فى أمريكا جرياً وراء الرزق صدر الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ فعاد إلى القدس وفى سنة ١٩٠٩ أنشأ المدرسة الدستورية ووضع لها منهاجاً تربويًّا حديثاً عد فريداً فى تلك الحقبة من الزمن .

وفى سنة ١٩١٤ عين عضواً فى لجنة المعارف التى تشرف على المعلمين والمعلمات والمدارس والمعاهد ، وفى سنة ١٩١٩ عين مديراً لدار المعلمين وفى سنة ١٩٢٥ عين مفتشاً للغة العربية فى إدارة معارف حكومة فلسطين فى عهد الانتداب البريطانى .

وفى سنة ١٩٣٨ أسس كلية النهضة فى مدينة القدس . واختار لها صفوة المدرسين فى المواد المختلفة وظل يديرها ويرعاها ويشرف عليها إلى أن وقعت الواقعة ، وحدثت الكارثة المروعة سنة ١٩٤٨ التى هزت أعماق السكاكينى وأفقدته بيته الجميل فى حى القطمون الذى يعد من أرقى أحياء القدس الجديدة ، وأفقدته مكتبته الخاصة الغنية بأعظم المراجع فى اللغة والأدب والتاريخ والفلسفة والاجتماع والتربية ،واضطرته للنزوح عن وطنه الذى أحبه أعمق الحب . وعن أهله وأحبابه ، ومراتع طفولته ، ومغانى صباه ، إلى القاهرة التى عرفته مدرسا فى المدرسة العبيدية خلال عامى ١٩٢١

و ١٩٢٢ . وكان السكاكينى قد اختير عضوا فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة عن فلسطين سنة ١٩٤٧ وفى المنزل رقم ٧ فى شارع الثورة «السلطان حسين سابقا» فى ضاحية مصر الجديدة فى القاهرة عاش السكاكينى مع أسرته المكونة من أخته «ميليا» ووحيده «سرى» وكريمتيه الآنستين «هالة» و«دمية» يجتر ذكرياته ، ويمضغ أحزانه ، ويقص على أصدقائه وأحبائه الذين كان يلتقى بهم تارة على مقهى «بالميرا» وأخرى فى منزله * سطور ماضيه فى اعتزاز وفخار حتى وافته منيته فى الثالث عشر من أغسطس سنة ١٩٥٣ .

٢ – أدبه :

تجلت عظمة السكاكينى فى ثلاثة ميادين :

الأول : ميدان الأدب وقد كان شاعرا وناثرا وناقدا استهل حياته بالشعر الذى تغزل فيه بمحبوبته «سلطانة» التى أصبحت شريكة حياته إذ كان يبعث لها برسائله المنظومة والمنثورة ابتداء من سنة ١٩٠٧ حيث أرسل لها فى ١٩٠٧/١٠/٣ أبياتا تحت عنوان «سلطانة» قال فيها :

إلى الْيَوم لم أَدْرِ الصَّبابة والْهوى ... فما سرَّنى قُرب ، ولا ساءنى بُعْد
حفظتُ فؤادى من هَوى كلّ غادةٍ ... فلم تُصْبِنِى سُعدى ، ولم تُلْهِنى دَعْد
وكم سمعتْ أُذْنِى ظلامَةَ عاشقٍ ... وَشكْوى شَبح يَبْكى لها الحجَرَ الصَّلْد
فأحسبُ شكْواه دُعابة مازِحٍ ... فلا مُهجتى تَحنْو ، ولا أدمعى تَبْدو

ومن أمريكا بعث لها بتاريخ ١٩٠٨/٧/٧ بقصيدة يقول فيها :

وهبْتُ فُؤادى فلا أُرْجِعهْ ... وإن هان عِندكمُ مَوضِعُهْ
ونطتُ بكمْ حبْل ودّى فهما ... أسأتم إلىَّ فلا أقْطعهْ
عهدْت وِدادكمُ لا يحول ... فما لى أراه عفتْ أَرْبعُهْ
نهارِى ثَقيل ، ولَيْلى طويل ... بطىء الكواكِب لا أَهْجَعُه
أبيتُ أُسامِرُ بدْر السماء ... وعمًّا تُكنون استَطْلِعُهْ
فلا البدْر يوحى بأَسْراره ... ولا نَبأً منكمُ أَسْمعُهْ
فماذا تُرى كان ذَنْبى ومنْ ذا ... تُراه بذَنبى أسْتَشْفِعُهْ

وعندما قصف الموت عودها سنة ١٩٣٩ اشتد حزن السكاكينى على فقدها وفجر فى قلبه الشعر الحزين وأصدر ديوانا سماه «لذكراك» ومن قصائده قصيدة عنوانها سنتى الماضية ١٩٣٩ يقول فيها :

لَكِ الوَيْل يا سَنَتى الماضيهْ ... لك الوَيلُ من سنة جانِيَهْ
لقد كنتِ مذ كنتِ بين السّنين ... علىَ بيْتى الضَّربةَ القاضِيَهْ
مشيتِ إليه على غِرّة ... وليتَك ما كنتِ بالماشِيَهْ
مشيت إليه ففعجّعتنى ... بـربّتـه الـدُّرَّة الـغـالـيَهْ
بمهْوى فؤادى ، بعُنوان فخْرى ... بموضِع أُنسْى ، بآماليهْ
كأنك غاظَك ما نحن فيه ... من الصّفو والعيشة الراضِيَهْ
فزعْزعْت أَرْكانه الراسِيَهْ ... وضَعْضعتِ جُدْرانه العالِيَهْ
وأطفأتِ أَنْواره الساطِعات ... وصوَّحت أَزهارَه الزَّاهِيه
وهذى القلوبُ غدت دامِيَهْ ... وهذى العُيونُ غدت باكيَهْ

* * *

ألا إنَّ ذا لم يَكُنْ فى حِسابى ... ولم يَكُ يخطُر فى باليَهْ
فياليتنى كنتُ فى الذَّاهبين ... ويـاليـتَـهـا كانت الـباقِيَهْ

وقد سجل خليل السكاكينى هذه القصيدة فى يومياته بتاريخ ١٩٣٩/١٢/٣١ قائلا : خرجنا أختى ميليا ، ودمية وهالة وأنا إلى المقبرة فنثرنا الزهور ، وذرفنا الدموع ، هذا آخر يوم من السنة الماضية ، وياليتها لم تكن لقد لقينا فيها الأهوال ، كأنها كانت خاتمة أيام السعادة وفاتحة أيام البكاء والشقاء . خلوت فى المساء فى غرفتى فنظمت الأبيات الآتية أخاطب بها السنة الماضية أثبتها هنا لتكون خاتمة هذه السنة » .

والسكاكينى من الرواد الأوائل فى الأدب الفلسطينى الحديث وهو أول من سجل خواطره ، وسطر مذكراته اليومية من ١٩٠٧ إلى ١٩٥٠ فى أسلوب سهل ، وتعبير سلس ، ونشر السكاكينى مقالاته وأبحاثه فى صحف فلسطين ومصر ، وألقى خطبا ومحاضرات وجمع كل ذلك فى كتابيه مطالعات فى اللغة والأدب وما تيسر الذى جعله من جزأين . أما الميدان الثانى فهو ميدان التربية والتعليم وقد كان السكاكينى أستاذ جيل ومربى مربين ، وواضع مناهج فى التربية تحدث عن مدرسته الدستورية بعد مضى سنة ونصف على إنشائها فى ١٩١١/١١/١ فقال :

١ – جمعت بين التلاميذ على اختلاف المذاهب والنحل وهذه أول مرة فى تاريخ بلادنا اجتمع أبناء المذاهب المختلفة فى مدرسة واحدة دون تعرض لمذاهبهم الدينية .

٢ – المبدأ الذى تقوم عليه المدرسة إعزاز التلميذ لا إذلاله ، تكبير نفسه لا تصغيرها ، إنماء

عواطفه وميوله وتهذيبها ، إطلاق الحرية لا تقييدها ولذلك فمن أهم شروطها أن لا قصاص فيها ولا جوائز ولا درجات لأن للقصاص والجوائز والدرجات تأثيراً سيئاً على نفس التلميذ .

٣ - التعليم فى المدرسة يقوم على أحدث الأساليب إذ المقصود منه توسيع المدارك ، وتقوية العقول .

ويدخل ضمن هذا الميدان كتابه الجديد فى تعليم القراءة العربية الذى أحدث ضجة أكبر فى تعليم القراءة ، وتحويل القصص فيه من المذكر للمؤنث ، ومن المفرد للمثنى والجمع .

وكان السكاكينى معلماً ناجحاً دارساً لأحدث نظريات التربية وعلم النفس فما دخل فصلا خلال مزاولته مهنة التعليم ، أو خلال تفتيشه على المدارس إلا جذب التلاميذ للدرس وشدهم إليه شدا يجدون فيه المتعة والسرور .

الميدان الثالث . ميدان الكفاح الوطنى وقد عاش السكاكينى مكافحاً ثائراً على كل ما لا يرضيه . يقول الدكتور إسحق موسى الحسينى ثار السكاكينى فى حياته مراراً ثار على الأتراك وقطع الصحراء مشياً على الأقدام ليلتحق بالثورة العربية تحت قيادة المغفور له الملك فيصل ، وثار على الرهبنة اليونانية ، وذهب فى وفد إلى الآستانة وقابل الصدر الأعظم وخاطبه بصراحة وعنف طالباً رفع الضيم عن النصارى العرب الأرثوذكس فى فلسطين ، وثار على وعد بلفور وهو موظف فى الحكومة البريطانية ، وسار فى طليعة مظاهرة نظمها طلاب المعهد الحكومى الذى كلت يدرس فيه ، وثار على أدب اللفظ ثورته المشهورة التى سجلها فى مقالاته التى جمعت فى كتاب « مطالعات فى اللغة والأدب » والتى كان طرفها الآخر الأمير شكيب أرسلان . وثار على القدر حين توفيت زوجه وهى فى ريعان الشباب ، وحزن عليها حزناً شديداً ، وعبر عن ثورته أبلغ تعبير بعبارة علقها فى صدر مكتبته هى [لن نرضى] »[1] .

وثار السكاكينى على إدارة المعارف البريطانية فى حكومة فلسطين بعد الانتداب ، وعلى مدير المعارف الإنجليزى ، وعلى البرامج والمناهج .

وعندما أصدرت هيئة الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ قرارها بتقسيم فلسطين ، وهب الشعب الفلسطينى مدافعاً عن وحدة وطنه ، مصمما على محو القرار بدماء أبنائه أسهم السكاكينى فى الثورة الوطنية المسلحة بقلمه وماله وجهده ، وكان بيته مثابة للمناضلين الأبطال .

نموج من نثره . من كلمة عنوانها « لئلا ننسى مسجلة فى اليوميات بتاريخ ٤٩/١/١ بعد أن مر

(١) ذكرى السكاكينى - ص ٩٢ .

على نزوح السكاكيني للقاهرة ثمانية أشهر قال :

الوداع يا دارنا ، يا مستودع الأمانات ، يا مجمع الخلان ، يا مقصد الزوار والسمار فى الليل والنهار . الوداع يا دارنا يا دار الأمة ، يا ملتقى أقطاب السياسة ورجال الصحافة ، وكبار الخطباء والفنانين من مصر ولبنان وسورية والعراق الوداع يا دارنا ، يا مستقر القيادة ، يا مستوصف الجرحى ، يا ملاذ اللاجئين الوداع يا دارنا يا صفة إخوان الصفا ، يا إيوان كسرى ، يا قصر رغدان يا دار مية ، يا بيت عاتكة ، يا قصر بهرام جور ، يا سدير ، يا قصر مأرب يا شبرد ، يا كنتتال ، يا مينا هاوس ، يا سمير اميس ، كم عقدنا فيك من جلسات كم أقمنا فيك من حفلات لا يجهلك أحد ، بل بك تعرف الدور ، من يزور فلسطين ولم يزرك فكأنه لم يزر فلسطين .

الوداع يا مكتبتى ، يا دار الحكمة ، يا رواق الفلسفة ، يا معهد العلم ، يا ندوة الأدب ، كم أحببت فيك الليالى الطوال أقرأ وأكتب ، والليل ساج والناس نيام ولا يهون من وجدى إلا أنى نقلت يومياتى إلى مكان أمين فقد كان من ديدنى منذ الحداثة أن أكتب كل يوم ما يمر بى من أحوال ، وما يعن لى من خواطر ، وما توحيه إلى مطالعاتى . وما ألتقطه من مخالطة الرجال ذوى العقول كل هذه اليوميات عزيزة علىّ كأنها أفلاذ كبدى .

الوداع يا كتبى النفيسة المختارة أقول كتبى وأنا أعنى أولا أنى لم أرثها عن الآباء والأجداد وثانياً أنى لم أستعرها من الناس ولكنها من إنشاء هذا العاجز من يصدق أن بعض الأطباء كانوا يستعيرون منى بعض الكتب الطبية لأنها لا توجد إلا فى مكتبتى الوداع يا كتبى لست أدرى ما حل بك بعد رحيلنا . انتهبت ، أحرقت انتقلت معززة مكرمة إلى مكتبة عامة أو خاصة ، أصرت إلى دكاكين البقالين يلف بأوراقك البصل الوداع يا كتبى يعز علىّ أن أحرم منك وأنا على أهبة الرحيل من هذه الدنيا ، وهل يستطيع من كان مثلى على أهبة الرحيل أن ينشئ مكتبة جديدة ، يعز علىّ أن أحرم منك وقد كنت غذائى الروحى ، وكنت ولا أزال شرهاً إلى هذ الغذاء ، لقد كنت ألازمك فى ليلى ونهارى ، ولم يزرنى أحد فى الليل أو النهار إلا وجدنى مكباً على كتبى .

٣ – أجمل ما قرأت :

لا يكفى أن تقرأ الجميل من القول فتستجيده وتعترف فى نفسك لقائله بالفضل ولكنك حرى أن تتحدث به إلى غيرك فإذا فعلت أحسنت إلى نفسك فإنك إذا قرأت ثم تحدثت إلى غيرك عما قرأت وجدت فيه لذة جديدة بل تثبتّ منه وتعمقت فيه وأحسنت إلى غيرك إذ تشوقه إلى القراءة ، وشتان

بين من يقرأ مشتاقا مريدا ، ومن يقرأ فاترا وانيا ، وأحسنت إلى الكاتب أو القائل لأنك تكون قد أبلغت قوله إلى من لم يصله أو أعدته على من وصله وفى الإعادة إفادة ولست إخالك إلا راغبا فى ذلك الإحسان كله إن شاء الله لا تلق أحدا بعد اليوم ، ولا يضمك مجلس إلا جعلت أجمل ما قرأت موضوع حديثك ما أحوج القول الجميل إلى من يتطوع لقراءته والتحدث عنه فقد يكون فيه إيجاز فابسط ، وقد تكون فيه دقائق خفية فأوضح ، وقد يكون فيه وحى جديد فبشر به وادع إليه [(١)] .

٤ – مقهى بالميرا [(١)] :

فى مصر الجديدة قهوة صيفية مكشوفة اسمها «بالميرا» وهى قريبة من منزلنا ، وكان أبناء فلسطين من اللاجئين يرتادونها قبل الظهر وبعده ، وكنت من الذين لا ينقطعون عن زيارتها فتعرفت بكثيرين من مصريين وسوريين ولبنانيين ولم تلبث حلقتنا أن اتسعت إلى أن كانت أكبر الحلقات . نقرأ الجرائد ، ونتبادل الحديث فى كل موضوع من أدب وسياسة واجتماع وفلسفة وفن ، فكنت أغتنم الفرصة فأبسط آرائى أدعو إليها وأبشر بها ، وقد تلطفوا فأجلونى فى المكان العالى مما يجاوز قدرى ، وقد كان الأحرى بى أن أثبت فى يومياتى ما يدور بيننا من الحديث لما فيه من الطرافة لولا أنى انقطعت عن الكتابة فى هذه المدة التى عبرت بنا منذ جئنا مصر إلى هذا الشهر .

آثار السكاكينى :

١ – فلسطين بعد الحرب الكبرى – القدس ١٩٢٠ .

٢ – مطالعات فى اللغة والأدب – القدس ١٩٢٥ .

٣ – سرى – القدس ١٩٣٥ .

٤ – حاشية على تقرير لجنة النظر فى تيسير قواعد اللغة العربية – القدس ١٩٣٨ .

٥ – لذكراك – ديوان شعر – القدس ١٩٤٠ .

٦ – وعليه قس – نحو – القدس ١٩٤٣ .

٧ – ما تيسر – الجزء الأول – القدس ١٩٤٣ .

---

(١) المجموعة الكاملة جـ ١ .

(٢) من يومياته فى ٢٥ / ٦ / ١٩٤٩ .

٨ – ما تيسر – الجزء الثانى – القدس ١٩٤٦ .

٩ – الجديد فى القراءة العربية – أربعة أجزاء – القدس بين عامى ١٩٢٤ – ١٩٣٣ .

١٠ – الأصول فى تعليم اللغة العربية – الدليل الأول والثانى – القدس ١٩٣٤ – ١٩٣٦ .

١١ – كذا أنا يا دنيا – أو يوميات خليل السكاكينى – وهى يوميات بدأ كتابتها من ٣ أكتوبر سنة ١٩٠٧ ووقف بها عند ١٦ سبتمبر سنة ١٩٥١ وأعدتها للنشر كريمته الآنسة هالة ، وطبعتها المكتبة التجارية فى القدس سنة ١٩٥٥ ، وقد أعادت لجنة تكريمه نشر جميع مؤلفاته فى جزأين الأول «الأدبيات» والثانى «اللغويات» ، وطبعتهما المطبعة العصرية فى القدس سنة ١٩٦٢ .

٣ - محمد إسعاف النشاشيبى

١٨٨٢-١٩٤٨

١ - حياته :

ولد أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبى فى بيت المقدس سنة ١٨٨٢ وتعلم القراءة والكتابة فى كتاتيب القدس التى كانت يومئذ فى أثناء الحكم العثمانى وبعد أن أكمل دراسته الابتدائية حمله والده عثمان النشاشيبى إلى دار الحكمة فى بيروت حيث أمضى بها أربع سنوات ثم لا مدرسة من قبل ، ولا مدرسة من بعد على حد قوله .

وفى دار الحكمة تلقى العلم على أعلام عصره البارزين فى اللغة والأدب والتاريخ والاجتماع الشيخ عبد الله البستانى ، والشيخ محيى الدين الخياط ، والشيخ مصطفى الغلايينى ، ومن معينها العذب رشف رحيق المعرفة ، وتذوق الأدب على نحو لم يكن مألوفاً فى بلده وشغفته اللغة العربية بأسرارها الدقيقة ، وألفاظها الأنيقة ، وأساليبها المحكمة . وبعد أن أكمل دراسته عاد إلى بيت المقدس وهو دون العشرين وإبان الحرب الأولى ، والأوار مشتعل والمعارك تتوالى تولى إسعاف تدريس اللغة العربية لطلبة الكلية الصلاحية ، وتتلمذ له فيها عدد من أدباء فلسطين ومفكريها الذين لم يلبثوا أن اتسعت شهرتهم وفى مقدمتهم الدكتور إسحق موسى الحسينى الذى يعتز ويفخر بتتلمذه لإسعاف ، وتلقيه العلم على يده .

وبعد أن وضعت الحرب الأولى أوزارها ، وانهار الحكم العثمانى فى فلسطين وتولت بريطانيا الانتداب عليها اختير إسعاف مفتشاً للغة العربية وفى غضون ذلك نشر كتابيه « البستان » و« مجموعة النشاشيبى »واختار فيهما أجود النصوص الشعرية والنثرية وجعلها متدرجة تسير مع النمو العقلى للتلاميذ فى المراحل الدراسية وظل يؤدى رسالته حتى سنة ١٩٣٠ حيث اعتزل الوظائف وآثر التفرغ للقراءة والكتابة ، والتحليق فى آفاق الحرية بعيداً عن أغلال الوظيفة وقيودها ، وكانت له رحلتان فى كل عام رحلة الشتاء لمصر ، ورحلة الصيف إلى لبنان ، وحيثما حل يغص ندبه بالعلماء والكتاب والشعراء ، ويتحلق حوله أعلام الأدب وأقطاب الفكر .

وعندما أصدرت هيئة الأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين فى التاسع والعشرين من نوفمبر سنة

١٩٤٧ ، وهب أبناء فلسطين لمحو القرار بدمائهم ، وأشعلوا الثورة على الإنجليز واليهود . وحدثت الاضطرابات فى القدس اضطر إسعاف للنزوح عن مدينته بيت المقدس واللجوء إلى القاهرة بعد أن فقد قصره المشيد بما فيه من أثاث ورياش ، وفقد مكتبته الغنية بالمراجع الثمينة ، والمخطوطات النادرة ، وهو ثانى علم من أعلام الأدب العربى المعاصر فى فلسطين يفقد مكتبته القيمة فى بيت المقدس بعد السكاكينى .

وفى أثناء مقامه بالقاهرة استأثرت به رحمة الله فلبى نداء ربه فى الثانى والعشرين من يناير سنة ١٩٤٨ .

٢ - أدبه :

النشاشيبى ألمع أدباء فلسطين ، وأوسعهم شهرة إذ سار ذكره فى كل قطر ، وذاع أدبه فى كل صقع ، وقد بدأ حياته شاعراً وحين عاد للقدس كان يحمل معه قصيدة من نظمه ودع بها مدرسته وكتبها بماء الذهب ، وطفق يوزعها على أدباء ذلك الزمان مفتخرا بها. ولم نعثر على هذه القصيدة ولكننا عثرنا على طائفة من قصائده ومنظوماته التى نشرها فى مجلة النفائس العصرية . وها نحن أولاء نقدم له بعض النماذج الشعرية .

١ - فلسطين والاستعمار الأجنبى :

يا فتاةَ الحىّ جودى بالدّماء بدَل الدَّمع إذا رمت الُبكاء
فلقد ولَّت فلسطين ولمْ يبق يا أختَ العلا غير ذِماءْ
نكبت أقدامها سبْل الْهدى فشرتها لِلعدا شرَّ شِراءْ
سوف تشْكين وتبكين دماً يوم لا يُجْدى ولا يغْنى الُبكاءْ
فدَعوا شحناءَكمْ يا هؤلاء وانْبذوا البغضاء نبذا والعداء
إن الاستعمار قد جاز المدى دون أن يعدوه عن سير عداء
إن هذا الدَّاء قد أمْسى عَياء فتلافوه سريعاً بالدَّواء
إنها أوطانُكم فاسْتيقظوا لا تبيعوها لقَوم دُخلاء
فاعلموا يا قومُ إن لم تَعلموا أن عُقْباكم هَلاكٌ وفَناءْ
اذكروا إن غرّكم مالُهم عزَّة الأنفس دَوماً والإباء

٢ - وضمه يوماً مع أصدقائه من الأدباء ناد فانبرى إليه عاذل يلحيه لقصوره عن السعى وراء

الوظائف التى تعبدها الناس ، ويعلمه أن السعادة كل السعادة ، والمجد كل المجد فى التربع فى دستها ، واقتعاد مطاياها فأجابه بما أجابه وأراه خطل قوله ، وضلال رأيه ثم أخذ يراعه وكتب هذه الأبيات :

عَشِقوا الوظائف ضلَّة لهواهمُ ورأوْا بها العلياء شامِخة الذُّرى

خالوا السَّعادةَ عندها أو مادَرَوا أن الرَّزايا فى الوظائِف والشّقا

لم يبْغها إلا الَّذى هو جاهِلٌ بِحقائق الأكْوان مأفونُ الحِجى

نبذَ الصّناعةَ والتجارةَ والزرا عَةَ مؤثراً يا وَيله مُرَّ الجَنى

كيف ارْتجاها وهى جدّ ذميمة وأصابها وهى التى تُزجى البَلا

تدْعو العزيزَ إلى المهانةِ والمذلّة شرّ ما كرَث الْفتَى

أنا والإبا ومُروءة أمويّةً لا أنتحى رَبْعاً لها طولَ الْمدى

أنّى تروم وأنت تعلَمُ شيمتى أن أهبطَنْ يا صاح قاعاً مجتوى

فيه الثعالبُ والذئاب وكلّ من تدريه ممن خاس قِدماً أودرى

ممن شرى شرْع الضَّمير بِدرْهَم وصبا إلى دين الجعائل والرّشا

أنا لا أعايشهمْ وربّك ما حييت وما بدا نجم بآفاق السَّما

فحذارِ أن تلْحَى حَذارِ فإننّى يا من جهلْت ضرائِبى ذاك الْفتى

وعلى صفحات المجلات الأدبية التى ظهرت فى فلسطين بعد سنة ١٩٠٨ صال النشاشيبى وجال بقلمه ينظم حيناً ، وينثر حيناً آخر ولكن أعظم أثر له فى هذه المرحلة كتاب نشره فى مجلة النفائس بعنوان « أمثال أبى تمام » جمع فيه أمثاله كما جمع من قبل الصاحب بن عباد أمثال المتنبى ، وقرأ من أجله أربعمائة كتاب من كتب الأدب وغيره من الفنون ويقول عنه تلميذه الدكتور إسحق موسى الحسينى إنه لم ينظم الشعر بعد الحرب الكبرى ، ولم يشأ أن يشيع شعره الذى نظمه قبلها على كثرته لقد أراد أن يكون أديباً من الطراز الأول ، ولم يحله شعره فى هذه المرتبة فزهد فيه غير آسف وحقق له النثر ما أراد ، فأجمع الناس على وصفه «بأديب العربية» ويمضى الدكتور إسحق موسى الحسينى قائلا « كان النشاشيبى أديبا فذًا لا نظير له بين أدباء عصره ، وفى رأيى أنه جاهد ليبدع فى النثر إبداع صاحبه أبى تمام فى الشعر فغاص فى كثير من أقواله غوصه . وتأنق تأنقه . وحلى تحليته ، ورمى بتلك القرون الطوال وراء ظهره ليظهر فى ثوب القرن الثانى الهجرى »[1] .

١ — نموذج من نثره من كلمته « العربية وشاعرها الأكبر أحمد شوقى » فكن كشوقى يا شاعرا فى

(١) هل الأدباء بشر — من ص ٧٢ — ٨٠ .

هذا العصر فشيع المجاز بالحقيقة (على أن ليست حقيقة هذا الكون (والله إلا مجازا) واعلم أن علم الأقدمين دينهم ودين المعاصرين خاصتهم علمهم «ولكل أجل كتاب» كما قال الله، وإن الدهر دهر حقائق بل لا تثبت الحقيقة فيه إلا فى دار الاختيار.

ورب معان يهمهم بها الزمان همهمة ولا يفصح، وتختلج فى الصدور، ولا تبدو ويجهلها العالم وهى منه مقتربة، وتغيب عن الألمعى وهى لم تبعد عنه قد اجتذبتها قوة شوقى الشعرية.

وقد حالف قصيد أبى على الفن محالفة صدق فاتضح اتضاحا، وتآخت أبياته تآخيا، وتعانقت معانيه عناق العاشقين، وقد جمله وقواه وخلده عربيته، متانته، لغته، ديباجته وان لهذا كما للمعنى لقدرا، وإن له لبهجة وإن له فى النفوس لأثرا وإنما المعنى واللفظ شىء واحد فهما كالجسم والنفس والنفس والجسم كائن فرد لا كائنان متباينان.

واللفظ والمعنى كمادة الكون وقوته فليس هناك مادة قد انفرقت عن القوة، وليس هناك قوة قد زايلت المادة كما يقول الفيلسوف «كانت» وغير كانت من المثنويين أوالاثنينيين بل ليس هذان المعدودان اثنين (أى اللفظ والمعنى) إلا صاحبهما يتجلى فيهما ومن أجل ذلك يضعف قول أو يقوى، ويقبح أو يجمل ويصغر أو يكبر ويلتبس أو يتضح. واتل أقوال الأمم العربية فى كل عصر تنبئك بأحوالها فأحوالها المتغيرة ذات الضعف وذات القوة هى فى أقوالها فاعرف أقوالها تعرف أحوالها».

٢ – العربية فى المدرسة خطبة ألقيت فى مؤتمر رؤساء المدارس فى معارف فلسطين فى ٢١ نيسان – أبريل – سنة ١٩٢٧.

«اللغة هى الأمة، والأمة هى اللغة، وضعف الأولى ضعف الثانية، وهلاك الثانية هلاك الأولى، وكل قبيل حريص (وقد كان فى هذه الدنيا) جد حريص على أن يستمر كونه، وعلى ألا يبيد. فهو مستمسك بلغته للاحتفاظ بكينونته، واللغة ميراث أورثه الآباء للأبناء، وأحزم الوراث صائن ما ورث، وأسفههم فى الدنيا مضيع وإنا (أمم اللسان الضادى) لعرب، وإن لغتنا هى العربية، وهى الإرث الذى ورثناه وإنا لحقيقون والآباء هم الآباء، واللغة هى تلك اللغة بأن نقى عربية الجنس وعربية اللغة نقى العربيتين مما يضيرهما أو يوهنهما وليس ثمة صاد عما نريد وليس ثمة ذام.

ولو كان المورثون صغاراً، ولو كان الميراث حقيراً لوجب علينا إكبارهم وإعظامه فكيف والتاريخ يقول: إن الآباء كانوا كراماً، وإن الآباء كانوا عظاماً، وكان لهم الخلق المتين الجيد، وكان لهم السلطان القوى والسؤدد، وكانوا الأئمة فى العلم وكانوا الأئمة فى الحكمة فاقرأ كتب علمهم، واقرأ كتب حلمهم.

وإن العربية لو لم تكن الإبداع كله ، ولم تكن الجمال الأجمل ، ولو لم تكن اللغة المصطفاة ولو لم تك لغة عجبا ما اختارها الدهر لقرآنها والله أعلم حيث يجعل رسالته) ولم تستطع ألفاظها الاستقلال بمعانيه وكل معنى فيه يأبى أن ينزل إلا فى أكرم لفظ ، وكل مقصد من مقاصده لا يقبل إلا أعجب أسلوب ، ولن ينزل أهل السماء إلا فى ذروة العلياء ، والكتاب وإن علا حتى أظل (سدرة المنتهى) قد أدناه وقد جلاه نور بيانه حتى أرانا إياه ، والشمس قد علت ، وقد ابتعدت وهل يحيى وهل يضىء هذى الأرض إلا الشمس .

تلكم الأمة العربية ، وتلكم اللغة العربية ، وذلكم كتابها ، والأمة عجيبة ، واللغة عجيبة والكتاب عجيب ، وقد مشينا فى هذا الكون يهدينا كتابنا ، ويسوقنا خلقنا وبنينا فيه البنيان فأغربنا ، وقلنا القول فأبدعنا فدهش الرائى . وحار السامع وكان ذلك الخلق يدفعنا إلى الخير فنندفع فيه ، وكان الكتاب يأمرنا بالعمل الصالح فنلبيه وكان اللسان فصيحاً ، وكان اللسان بليغاً (والفصاحة هدى والبلاغة نور) وكنا إذا قلنا أبنا ، وكنا إذا كتبنا أوضحنا ، وكنا إذا استمددنا العربية (وهى ذات الإمداد فى اللفظ والأسلوب) أمدت . وقد تكاثرت عليها قدماً علوم الأمم فرحبت بها كلها وأعطت كل علم مطلوبه ، وذو الثراء الكريم يجود ، والضن عند الشحيح العاجز وكان كتاب العربية يحدو أهل العربية على كل علم وفى الكتاب (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) فكأى من عالم فى الزمان الأول فى العربية قد نبغ ، وكأى من كتاب رصين قد كتب ، وكأى من دار علم قد شيدت ، وأثر العرب الخالد شاهد فسل الآثار عن أقدار أهلها تنبئك .

كنا الأقوياء ، وكنا الحكماء ، وكنا البلغاء ، ثم فقدنا ذاك الخلق ، ولا تسلنى كيف فقدنا ذاك الخلق فتعذب القلب الكليم القلب الجريح عذاباً أليما ، وتسعر فيه بالذكرى جحيماً فلا تسلنى كيف فقدنا ذاك الخلق . قد فقدنا ذلك الخلق فقدنا القوة وفقدنا الحكمة ، وعيى اللسان الناطق قدماً ، ونسينا عربيتنا ، نسينا كينونتنا ، وما حياة القبيل لا قوة له ؟ وما حياة القبيل لا علم لديه ؟ وما حياة القبيل قد ضيع لغته ، وفقد كينونتة ، فقل عربى يشعر حقًّا بعربيته – بكونه عزبيًّا .

فلا تقم يا هذا فى كل حول مأتما على قتيل قتل ، وميت مات ، وأقم المأتم كل يوم على خلق عربى كريم فقدناه ، وسلطان عظيم أضعناه بل لا تبكين هذا ولا ذاك فقل جداء عنك بكاء وما نفع فى حين نادبا ميتا ندب .

وما يدرك الحاجات من حيث تبتغى   من الناس إلا من أجد وشَمَّرا

آثار النشاشيبى المطبوعة :

١ – أمثال أبى تمام – نشره تباعا فى مجلة النفائس سنة ١٩١٢ وقرأ من أجله ٤٠٠ كتاب فى اللغة والأدب والنقد .

٢ – كلمة موجزة فى سير العلم وسيرتنا معه – القدس ١٩١٦ .

٣ – مجموعة النشاشيبى – المطبعة السلفية – القاهرة ١٩٢٣ .

٤ – قلب عربى ، وعقل أوروبى – القدس ١٩٢٤ .

٥ – البستان – المطبعة السلفية – القاهرة١٩٢٤ .

٦ – كلمة فى اللغة العربية – القدس ١٩٢٥ .

٧ – مجموعة تضم :

(ا) العربية وشاعرها الأكبر أحمد شوقى

(ب) اللغة العربية والأستاذ الريحانى – القدس ١٩٣٢ .

(جـ) العربية فى المدرسة

٨ – العراق فى سبيل الحرية – القدس ١٩٣٢ .

٩ – مقام إبراهيم – القدس ١٩٣٦ .

١٠ – الإسلام الصحيح – القدس ١٩٣٦ .

١١ – نقل الأديب – بيروت ١٩٥٦ .

آثاره المخطوطة :

١ – أمالى النشاشيبى

٢ – الأمة العربية .

٣ – حماسة النشاشيبى .

٤ – جنة عدن .

٥ – المبهج .

٤ – عادل جبر

١٨٨٥ – ١٩٥٣

١ – حياته :

ولد عادل جبر فى يافا حوالى سنة ١٨٨٥ . وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية فى مدارس الفرير بالمدينة ، وقبيل نشوب الحرب العالمية الأولى قصد سويسرا طلباً للعلم . وبعد أن حصل من جامعاتها على شهادة فى الاقتصاد والعوم السياسية عاد إلى فلسطين .

وكان جمال الملقب بالسفاح قد أسس فى بيت المقدس الكلية الصلاحية سنة ١٩١٥ لتكون أداة لتخريج شبان مسلمين للخدمة فى آفاق الدولة العثمانية . واختار لإدارتها المرحوم رستم حيدر وقد اختير عادل ليكون مدرساً بها مع زميليه السكاكينى والنشاشيبى ، ثم تولى إدارتها بعد رستم حيدر الشيخ عبد العزيز جاويش .

وعند ما تم لبريطانيا احتلال فلسطين فى أواخر سنة ١٩١٧ عين عادل جبر مديراً للمعارف ، ولما أنشئ المجلس الإسلامى الأعلى فى فلسطين سنة ١٩٢٢ اختاره ليكون أميناً على مكتبة المسجد الأقصى فى بيت المقدس فنسقها ونظمها ، واستزاد معرفة باطلاعه على ما فيها من مراجع وآثار ، وحين أنشأت حكومة الانتداب معهد الحقوق الفلسطينى فى القدس سنة ١٩٢٣ اختارت عادل جبر ليكون مدرساً للاقتصاد والعلوم السياسية به وقد أمضى فيه عدة سنوات .

ومنذ سنة ١٩٢٩ آثر عادل أن يخدم بلاده عن طريق الصحافة الوطنية الحرة فأنشأ فى بيت المقدس صحيفة يومية باسم « الحياة » وهى الصحيفة العربية الأولى التى صدرت فى فلسطين بعد صحيفة لسان العرب لصاحبها المرحوم إبراهيم سليم النجار ، وزامل عادل فى صحيفة الحياة إدارة وتحريراً وتوعية الشاعر الكبير والعالم الباحث الأستاذ خير الدين الزركلى ، وقد أدت الحياة رسالتها على أكمل وجه نحو عامين .

وبعد وقوع الكارثة سنة ١٩٤٨ نزح عادل إلى القاهرة ليعيش بجوار صديقيه السكاكينى والنشاشيبى ، وعاد إلى الأردن سنة ١٩٥١ وعين عضواً فى مجلس الأعيان حتى وافاه أجله سنة ١٩٥٣

٢ – أدبه :

حدا بنا إلى الترجمة له ثلاثة عوامل :

الأول : أنه كان صديقاً حميماً للسكاكيني والنشاشيبي ، وكان الفرسان الثلاثة لا يكادون يفترقون فى محافل الأدب ، ومجالس العلم ، كما كانوا طليعة الرواد الأول فى الأدب والفكر فى فلسطين وخير دليل على ذلك إشادة شاعر العراق الكبير معروف الرصافى بالثلاثة ، وتنويهه بكريم وفائهم ، وصدق إخائهم فى قصيدته الرائعة «بعد النزوح» التى يقول منها :

خابتْ بِبغْداد آمال أؤملها فهلْ تخيبُ إذا اسْتنْذرتْ بصنين

فليت سوريَّةَ الوْطفاءَ مُزنها عن العِراق ، وعن وادِيه تُغْنينى

قد كان فى الشَّام للأيَّام مذْ زمن ذنْب محتْه اللَّيالى فى فلسطين

إذ كان فيها النشاشيبىُّ يُسْعفُنى وكنتُ فيها «خليلاً للسَّكاكينى»

وكان فيها «ابنُ جَبْر» لا يقصِّر فى جَبْر انكسار غريب الدار مَحزونِ

وأماديح الرصافى فى فلسطين وأهلها ، وإشادته بعلميها البازين النشاشيبى والسكاكينى منثورة فى ثنايا ديوانه وقد أوحت فلسطين للرصافى بعدد من القصائد الجيدة .

الثانى : أن عادل جبر أسهم بقلمه فى الحياة الأدبية والفكرية فى فلسطين فنشر طائفة من مقالاته وكلماته فى الأدب والنقد فى مجلة النفائس العصرية .

الثالث : أن مقالاته الرصينة ، وتوجيهاته الحكيمة فى صحيفة الحياة كان لها أثر طيب على الشباب والناشئين إذ حددت لهم طريق الكفاح ، ووضحت معالم الطريق .

وقد أصدر عادل جريدة الحياة اليومية فى القدس سنة ١٩٢٠ وحمل مع عادل تبعة إصدارها وتحريرها الشاعر العربى الكبير ، والمجاهد الحر الأستاذ خير الدين الزركلى وظلت صحيفة الحياة تؤدى دورها فى الكفاح ضد الانتداب والصهيونية لمدة عامين .

ومع أن عادل جبر لم يترك للمكتبة آثاراً مطبوعة فقد كان من صفوة العلماء . وأعلام المفكرين فى فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين وكانت صداقته للسكاكينى والنشاشيبى مضرب المثل فى الإخاء والوفاء . وما جلست مع السكاكينى يوماً فى القاهرة إلا سمعت منه ثناء جماً على أدب ولغة عادل جبر . وما ذكر السكاكينى والنشاشيبى إلا كان عادل جبر ثالث الثلاثة موضع تكريم وإجلال .

٥ – محمد عزت دروزه

١٨٨٨

١ – حياته :

ولد محمد عزت دروزه فى مدينة نابلس سنة ١٨٨٨ ، وأنهى دراسته الابتدائية والرشدية والإعدادية فى مدارسها ، وفى سنة ١٩٠٦ نال الشهادة الإعدادية وعمل فى مصلحة البريد من ١٩٠٦ إلى ١٩١٨ ، وحين أنشئت مدرسة النجاح فى نابلس عين رئيساً لها من ١٩٢٢ إلى ١٩٢٧ ، ونقل منها مديراً لإدارة الأوقاف الإسلامية فى نابلس لمدة خمس سنوات من ١٩٢٧ إلى ١٩٣٢ ثم ترقى وأصبح مديراً عامًّا للأوقاف الإسلامية فى فلسطين من ١٩٣٢ إلى ١٩٣٧ وفى هذا العام استحوذت الحكومة البريطانية على الأوقاف الإسلامية ، وعلى المجلس الإسلامى الأعلى بعد أن حلته ، واتخذت من اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى (من ١٩٣٦ – ١٩٣٩) ذريعة لاستيلائها على الأوقاف ، وأصدرت قرارها بفصله من منصبه فغادر فلسطين متجهاً إلى دمشق ، ومستقرًّا بها ومواصلا جهاده فى خدمة بلاده مما أحنق عليه صدر السلطات الفرنسية فى دمشق وجعلها تقدمه للمحكمة العسكرية وتصدر عليه حكمها بالسجن لمدة خمس سنوات فقضى منها فى سجن المزة والقلعة ستة وعشرين شهراً ثم أطلق سراحه سنة ١٩٤٠ على أثر انهيار فرنسا فى الحرب العالمية الثانية .

وفى سنة ١٩٤١ غادر دمشق لاجئاً إلى تركيا وأقام بها أربع سنوات من ١٩٤١ إلى ١٩٤٥ عاد بعدها إلى دمشق . ولما وقعت الكارثة المروعة سنة ١٩٤٨ – وكان لا يزال فى دمشق – انتابه مرض ، وأجريت له جراحة ، وثقل سمعه فاعتزل السياسة وانصرف للقراءة والكتابة والتأليف .

٢ – جهاده الوطنى :

هناك أقطاب مجاهدون من أبناء فلسطين خاضوا معارك الجهاد الوطنى ضد عسف الأتراك أولا ، وضد حكومة الانتداب البريطانى ثانياً ووقفوا حياتهم وأفكارهم على ذلك النضال باعتباره الطريق الوحيد المؤدى إلى الحرية والاستقلال ، والكفاح الوطنى فى فلسطين أصعب منه فى أى قطر عربى

آخر ، لأنه كفاح ضد خصمين التقت مصالحهما على انتزاع فلسطين وهما الانتداب البريطانى ، والصهيونية العالمية والأول مدعوم ببنادق ومدافع وطائرات الجيش البريطانى فى فلسطين والصهيونية معروفة بدهائها وغطرستها وتحكمها فى الاقتصاد العالمى .

ومن حق هؤلاء الأقطاب وبتعبير أوضح من حق أولئك المجاهدين أن نبرز جهودهم فى الجهاد إلى جانب إبرازها فى الأدب والفكر ومن هؤلاء الأقطاب المناضلين ضد الأتراك وضد الانتداب والصهيونية ممن ترجمنا لهم ، وسجلنا سيرهم الشيخ سعيد الكرمى ، ومحمد عزت دروزه ، وخليل السكاكينى ومحمد عادل زعيتر ، وأحمد الشقيرى ، وأكرم زعيتر . وعلى رأس هؤلاء المجاهدين- وإن لم نترجم له - سماحة الحاج أمين الحسينى رئيس المجلس الإسلامى الأعلى ، ورئيس المؤتمر الإسلامى المنعقد فى القدس سنة ١٩٣٠ ورئيس اللجنة العربية العليا التى تألفت فى فلسطين عند قيام الثورة الكبرى سنة ١٩٣٦ وقد صرف الكفاح الوطنى هذه الشخصيات عن الأدب والفكر والتأليف من جهة ، وأثر فى إنتاجها الفكرى من جهة ثانية من حيث الكم . ذلك أن الكفاح الوطنى كان واجباً مقدساً مقدماً على ما عداه وكان معناه يومئذ هو أن نكون فى فلسطين أو لا نكون وبتعبير أدق كان الكفاح قضية وجود أولا وجود وكان العلم والأدب والفكر أسلحة من أسلحة المعركة إلى جانب البندقة والمدفع والقنبلة .

وقد سنت الحكومة البريطانية تشريعات إبان ثورة سنة ١٩٣٦ تعاقب الشاعر على القصيدة الثورية ، والخطيب على الخطبة الحماسية والكاتب على المقالة الوطنية . ولطالما زجت بالشعراء والكتاب والمفكرين فى غياهب المعتقلات والسجون واضطهدتهم وطاردتهم وحاربتهم فى أرزاقهم مما اضطر الكثير منهم إلى مغادرة فلسطين ، والإقامة فى الأقطار العربية المجاورة . وقد اندمج دروزه فى الكفاح الوطنى منذ بدأ هذا الكفاح فى فلسطين والولايات العربية الخاضعة للحكم العثمانى ضد هذا الحكم .

فعندما أعلن الدستور سنة ١٩٠٨ انضم - لفترة قصيرة - لعضوية جمعية الاتحاد والترقى المنقلبة عن تركيا الفتاة والتى كانت لها اليد الطولى فى إعلان الدستور ، ثم أصبح عضواً ، وأميناً لسر حزب الائتلاف فى نابلس سنة ١٩٠٩ ، فعضواً وأمينا لسر الجمعية الوطنية فيها سنة ١٩١١ ، فعضواً فى حزب اللا مركزية فى المدينة نفسها سنة ١٩١٤ فعضواً فى جمعية العربية الفتاة سنة ١٩١٦ ثم عضواً وأميناً لسر هيئتها المركزية فى دمشق من سنة ١٩١٩ - ١٩٣٢ فعضوا وأميناً للسر للمؤتمر العربى الفلسطينى المنعقد فى القدس سنة ١٩١٩ فعضواً فى المؤتمر السورى العام المنعقد فى دمشق ، ومقرراً

للدستور من سنة ١٩١٩ - ١٩٢٠ فعضوا مؤسساً فى حزب الاستقلال العربى فى دمشق من سنة ١٩١٩ - ١٩٢٠ ثم مؤسساً وعضوا فى حزب الاستقلال العربى فى فلسطين من سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٦ فممثلاً لحزب الاستقلال فى اللجنة العربية العليا لفلسطين ، وأميناً لسرها فى سنة ١٩٣٦

٣ - أدبه :

ينحنى المفكر المنصف إجلالا وتقديرا للأستاذ عزت دروزه الذى لم ينل من الشهادات الدراسية إلا الشهادة الإعدادية ، والذى شق طريق المجد الأدبى والعلمى لنفسه بنفسه ، بجده ومثابرته ودأبه على القراءة والاطلاع دون كلل ولا ملل ، واختار السير فى الدروب الوعرة يثقف نفسه ، وينمى معارفه حتى غدا كوكباً مشرقا فى أفق الفكر ، ونجماً متألقاً فى سماء المعرفة ، وعلما من مشاهير الأعلام الذين جاوزت شهرتهم حدود فلسطين إلى أقطار الوطن العربى والعالم الإسلامى بما قدم للمكتبة العربية من عشرات الكتب والأبحاث والدراسات فى التاريخ والقومية والثورات العربية ، وحركات التحرير ، والأدب والتفسير والحديث والدراسات القرآنية وحظيت القضية العربية بعامة والقضية الفلسطينية بوجه خاص من مؤلفاته وآثاره بأوفر نصيب ومؤلفاته فى قضية فلسطين ذات قيمة علمية كبيرة لأنه رافق أحداثها ، وواكب مسيرتها ، وكان شاهد عيان فى كل موقف ، ومؤرخ أدوار الكفاح الذى شهد كل درور ، وسجل ما شاهد بكل صدق وأمانة ، ويزيد من قيمة تقدير كتبه ودراساته أنه كان عادلا منصفاً لم يتحيز إلى فئة ، ولم يتعصب إلى حزب . وقد أربت كتبه ومؤلفاته على ثلاثين مؤلفاً اجتزأنا منها بما ألمحنا إليه .

نموذج من نثره عن اللغة الفصحى أهم مقومات الوحدة العربية فى كتاب الوحدة العربية [١] .

ثم أخذت الفصحى تتوطد بمقياس أوسع وأقوى بعد نزول القرآن بها ، وانتشار موجة الفتح الكبرى التى كانت تحمل رسالة القرآن فى جميع أنحاء الشام والعراق ومصر وبلاد المغرب حتى غدت موطدة شاملة لجميع أنحاء الوطن العربى الكبير خلال القرنين الأول والثانى الهجريين وغدت من ثم لغة العرب ، ومن اندمج فيهم ، واستعرب من غير جنسهم قديماً وحديثاً وصار القرآن الكريم ضابطاً مقدساً للغة العربية من حيث المفردات والتراكيب والأساليب وفنون الكلام والقواعد بحيث صار الانحراف عن ذلك ممتنعاً ، وكلما ابتعد الناطقون بالعربية عن هذا الضابط لم يلبثوا أن يعودوا إليه لأنه قرآنهم المقدس ، وقد تيسر بذلك لأى منهم أن يفهم لغة الجنس العربى منذ خمسة عشر قرناً ،

---

(١) ص ٥٥ - ٥٦ .

ويقرؤها ويكتبها بنفس أساليبها ومفرداتها وتراكيبها وفنونها وقواعدها مما ليس له مثيل فى الدنيا لأنه لا توجد اليوم أمة يستطيع جميع أفرادها أن يقرءوا ويفهموا ويكتبوا ، ويستعملوا لغة أسلافهم قبل خمسمائة سنة بل قبل ألف وخمسمائة سنة وفى هذا ما فيه من قوة وعمق الوحدة اللغوية التى تظلل الوطن الكبير.

ولقد كانت القدسية التى تقدست بها هذه اللغة بالقرآن حافظة كذلك لوحدة الجنس العربى القومية أبد الآبدين لأن اللغة القومية أقوم المقومات لوحدة الجنس وأقوى أركان تميزه عن غيره ، ولولا فضل الله ، وكتابه المقدس لغدا الجنس العربى أمماً عديدة مختلفة اللغات مهما تكن من أصل واحد كما صار شأن الأمم الجرمانية واللاتينية التى صارت أمماً عديدة متميزة اللغات.

وكان من تمام الحظ السعيد أن اللغة الفصحى التى يمثلها القرآن الكريم كانت قد وصلت إلى طور من أرقى الأطوار التى يمكن أن تبلغها لغة بشرية من حيث قوة البيان ، وروعة الأسلوب ، وبلاغة التعبير ، ونفوذ المعنى ، ودقة الأداء ، وقوة الخيال ، ونصاعة الحجة ، وسعة التناول ، وغزارة المادة ، وتنوع الفنون والأساليب والضوابط والقواعد والاشتقاق والتعريب وصيغ الأفعال والأسماء والصفات ، وفيه دلالة فى الوقت ذاته على مبلغ ما وصل إليه أهلها — فى إبان هذا الطور — من قوة العقل ، وصفاء الذهن وسعة الخيال ، ودقة التعبير والأداء ، ورقى الذوق الفنى ، وكل هذا يتمثل بطبيعة الحال فى لغة العرب الفصحى الحاضرة الممتدة إلى ذلك العهد القديم العظيم ، وكفى العرب فخراً أن تكون هذه اللغة العظيمة المزايا لغتهم ، وأن تظل بجميع مزاياها لغة أجيالهم أبد الدهر ».

آثاره :

١ — مختصر تاريخ العرب والإسلام فى جزأين — القاهرة ١٩٢٥.
٢ — تركيا الحديثة — بيروت ١٩٤٦.
٣ — عصر النبى ﷺ وبيئته من القرآن الكريم — القاهرة ١٩٤٨.
٤ — سيرة الرسول ﷺ من القرآن الكريم — القاهرة ١٩٤٨.
٥ — القرآن واليهود — دمشق ١٩٤٩.
٦ — حول الحركة العربية الحديثة — ستة أجزاء — المطبعة العصرية — بيروت ١٩٥٠.
٧ — الوحدة العربية — المكتب التجارى — بيروت ١٩٥٨.

٨ – تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم – المطبعة العصرية – بيروت
٩ – مأساة فلسطين – دمشق ١٩٦٠ .
١٠ – عروبة مصر فى التاريخ وبعد الفتح الإسلامى – القاهرة ١٩٦١ .
١١ – التفسير الحديث – القاهرة ١٩٦٢ .

٦ - عارف العارف

١٨٩٢ - ١٩٧٣

١ - حياته :

ولد عارف العارف فى بيت المقدس سنة ١٨٩٢ وفى مدارسها تلقى دراسته فى المرحلة الابتدائية ، ومن بيت المقدس اتجه إلى الآستانة عاصمة الخلافة العثمانية وواصل دراسته فى المرحلة الثانوية فى مدارسها أما دراسته العالية فقد أكملها فى كلية الآداب بجامعة الآستانة وحصل منها على درجة الليسانس سنة ١٩١٣ ، وانتخب عضواً فى المنتدى الأدبى الذى أنشأه لفيف من العرب الأحرار المقيمين فى إستامبول وفى سنة ١٩١٤ وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى دخل الكلية العسكرية فى إستامبول وتخرج فيها برتبة « ضابط » . واشترك فى القتال الدائر يومئذ بين تركيا وروسيا وبعد انتهاء الحرب سنة ١٩١٨ عاد إلى القدس ، ولمح بوادر إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين فهب يدافع عن عروبة بلاده وحق أهلها فى الحرية والاستقلال وأنشا صحيفة سماها « سورية الجنوبية » قاصداً بها فلسطين لأنها الجزء الجنوبى من سورية أو الشام التى كانت تعنى يومئذ سورية ولبنان وفلسطين والأردن . وفى هذه الصحيفة انتضى قلمه مع زميله حسن البديرى وشن هجوماً عنيفا على الانتداب والصهيونية وكان تعطيل الصحيفة عقوبة له على ذلك الهجوم . وعندما اشتعلت أولى الثورات الوطنية بين العرب واليهود فى بيت المقدس فى أبريل سنة ١٩٢٠ . اتهم الإنجليز عارفا بالتحريض على قتل اليهود ، وأودعوه غياهب السجن لكنه تمكن من الهروب ، واتجه إلى الأردن ومنها إلى دمشق .

وقد مثل عارف العارف القدس فى المؤتمر السورى الذى أعلن استقلال سورية بحدودها الطبيعية من جبال طوروس شمالا إلى رفح جنوبا ، والذى نادى بفيصل ملكا عليها .

وفى غضون ذلك ألفت بريطانيا محكمة عسكرية للبحث فى أسباب الثورة الفلسطينية الأولى أصدرت أحكامها على رهط من المجاهدين وكان عارف العارف واحداً منهم وقد حكم عليه بالإعدام وخفف الحكم إلى السجن لمدة عشر سنوات .

وحين أعلنت الحكومة البريطانية إنهاء الإدارة العسكرية فى فلسطين سنة ١٩٢٠ ، وقيام الإدارة المدنية ، وتعيين هربرت صموئيل أول مندوب سام لها فى فلسطين ، أصدر عضوا عن المحكوم عليهم

ماعدا سماحة الحاج أمين الحسيني ، وعارف العارف إلا إذا عادا إلى فلسطين وسلما نفسيهما للحكومة ، وقد رفض الاثنان العودة للبلاد ، وعاش عارف العارف فى دمشق فترة من الزمن إلى أن احتلت فرنسا سورية بقيادة الجنرال غور فغادرها إلى الأردن وأقام به حتى صدر العفو عنه فعاد إلى فلسطين . وتولى فى عهد الانتداب وظيفة « قائمقام » وتنقل بين مدن فلسطين فى أثناء شغله هذه الوظيفة ، وعندما وقعت كارثة فلسطين ١٩٤٨ عين عارف العارف رئيسا لبلدية القدس ، وفى الانتخابات التى جرت فيها سنة ١٩٥١ حصل على أكثر الأصوات وانتخب رئيسا للبلدية ثم أعيد انتخابه لرياستها بعد سنة ١٩٥٥ .

وفى ٣١ يولية سنة ١٩٧١ لبى نداء ربه فى مدينة بيت المقدس ودفن بها .

٢ – أدبه :

قامت شهرة عارف العارف على المقالات التى كتبها فى الصحف وشن فيها الحملات على الانتداب والصهيونية أولا . وعلى دراساته التاريخية ثانياً ، وقد قدم للمكتبة العربية سلسلة من دراساته عن المدن الفلسطينية تناولت تاريخ القدس ، وتاريخ غزة ، وتاريخ عسقلان إلى جانب عنايته بالأبحاث الاجتماعية ، وتصوير الحياة بين قبائل البدو العربية التى عاشت فى بئر السبع وذلك فى أثناء توليه مهمة القضاء بين تلك القبائل والعشائر وتوج تلك الدراسات التاريخية بكتابه القيم « النكبة » نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود وجعله من ستة أجزاء تناول فى الخمسة – تفاصيل نكبة فلسطين منذ إقرار مشروع التقسيم فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ الى سنة ١٩٥٠ ، وجعل الجزء السادس سجلا للشهداء الذين سقطوا فى ميادين الجهاد على أرض فلسطين سواء أكانوا من أبناء فلسطين أم من ابناء الأقطار العربية الذين حاربوا اليهود على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ .

وفى دراساته التاريخية كان مؤرخا يتوخى تسجيل الحقائق ، وإثبات الوقائع بدقة وأمانة ، وكان حريصاً على توثيقها ، واستكمال جوانبها ، وإثبات المصادر والمراجع التى استقى منها مادته .

١ – يقول فى مقدمة كتابه تاريخ القدس :

« حمدا لمن جعل قصص الأولين عبرة للآخرين ، وبعد فإن هذا الكتاب الذى أضعه بين يديك أيها القارئ الكريم يقص عليك أخبار هذه المدينة المقدسة بأسلوب توخيت فيه الإيجاز قدر المستطاع ، وقد دعوته (الموجز فى تاريخ القدس) »

هذا وقد ذكرت فى الهوامش وفى الصفحات الأخيرة من الكتاب المصادر التى استقيت منها

الأخبار حيث تجد كل حادثة من الحوادث التاريخية مسندة إلى مصدرها ، وكل قول من الأقوال المأثورة منسوبا إلى قائله ولقد بذلت فى هذا السبيل ماوسعنى من جهد وإنه لجهد المقل فلم أترك بابا إلا طرقته ولا معبداً إلا ولجته ، ولاكلمة منقوشة على الأسوار أو الجدوان إلا أنعمت النظر فيها ، ولاكتابا أو مخطوطا صنف فى تاريخ هذه المدينة وسمعت به إلا رحلت إليه أنهل من معينه ، ولا طللا من طلولها البالية إلا وقفت عليه استنطق الخبر.

وحاولت جهدى ألا أنهج فى بحوثى مناهج الرواة المؤرخين الذين اتبعوا أهواءهم السياسية ، ومعتقداتهم المذهبية فحادوا عن محجة الصواب إذ اكتفوا بذكر مايرضيهم ، ويرضى عترتهم وعشيرتهم . وأما أنا فقد اعتصمت بالحيدة مااستطعت إلى ذلك سبيلا . ومع هذا فإنى لست ممن يدعى العصمة ، ولاأزعم أننى تمكنت من الوصول إلى كبد الحقيقة وإنما هى خطوة خطوتها على قدر . وأمنية تركت بقية تحقيقها لمن تولاها بعدى وقدر)(١) .

٢ – ويقول فى مقدمة كتابه « النكبة » :

إليك أيها القارئ الكريم كتابى هذا عن النكبة وكيف لاأسميه النكبة وقد نكبنا نحن معاشر العرب عامة والفلسطينيين خاصة خلال هذه الحقبة من الزمن من ١٩٤٨ – ١٩٥٢ بما لم ننكب بمثله منذ قرون وأحقاب ، فسلبنا وطننا ، وطردنا من ديارنا ، ففقدنا عدداً كبيراً من أبنائنا وأفلاذ أكبادنا ، وأصبنا فوق هذا وذاك بكرامتنا فى الصميم وقد يذكر التاريخ غدا أن حفنة ماكان يؤبه لها من شذاذ الآفاق تغلبت على أربعين مليونا من العرب ، ومن يدرى لعل ذلك التاريخ لايعدل فى حكمه ولعل الهوى يجد سبيله الى معاقل التاريخ أيضا كما وجده إلى أروقة الساسة وهيئة الأمم المتحدة فى القرن العشرين فيمر بالحقائق التى وقعت فى هذا الجزء من العالم مر الكرام ، والهوى يعمى ويصم فمن واجبنا إذن . أن ندون الحوادث التى حدثت كما حدثت ، وأن نذكرها كما هى قبل أن ينسج الدهر عليها خيوط النسيان . إنا إذا فعلنا ذلك كان لدى المؤرخين التابعين عندما يأتى اليوم الذى يصبح فيه التاريخ سطورا يستطيعون الركون إليها ، سطور تدعمها الوقائع والأسماء والأماكن والأرقام .

وهذا ماحدانى إلى تسجيل النكبة ، وقد سجلتها بأمانة ، وهو مايحدونى الآن إلى وضع سجلها هذا بين يديك ذاكراً طبعا أن أحسن التواريخ وأصدقها مايكتبه المؤرخون بعد مضى مالايقل عن ربع قرن من الزمن وليس الذى يكتب فور وقوع الحادث إذ أن الكاتب مهما أوتى من عدل وحكمة وصدق ونزاهة لابد أن يكون عند حدوث الحادث متأثرا بمصالحه الذاتية أو الحزبية أو القومية أو الدينية ،

---

(١) تاريخ القدس – المقدمة – ص ١ .

ولايكون حكمه فى هذه الحال بعيدا عن مواطن الريبة والزلل .

وأنا فى كتابى هذا راوية يريد أن يروى للناس ماحدث : قد آليت على نفسى ألا أروى إلا ما رأيت بأم عينى ، ومارواه لى العدل الثقات مستهدفا فى الحالين أن أدون الوقائع قبل اندثارها ، واحفظها لأبناء الأجيال القادمة فمن حق تلك الأجيال أن تعلم ماالذى حدث ، وكيف حدث ، ولماذا ألمت بنا هذه النكبة ، وكيف انقلبت الأوضاع فغلب الذين كانوا بالأمس القريب يطاولون الثريا بعزتهم وأنفتهم وشجاعتهم وكرمهم وفروسيتهم .

وإنتصر أولئك الذين كنا إلى وقت قريب ننعتهم بشذاذ الآفاق وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله منذ قرون وأجيال » (١) .

آثاره المطبوعة :

١ – القضاء بين البدو – القدس ١٩٣٤ .

٢ – تاريخ بئر السبع وقبائلها – القدس ١٩٣٤ .

٣ – تاريخ غزة – القدس ١٩٤٣ .

٤ – تاريخ القدس – دار المعارف – القاهرة ١٩٤٣ .

٥ – الموجز فى تاريخ عسقلان – القدس ١٩٤٣ .

٦ – النكبة «نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود» .

فى ستة أجزاء المطبعة العصرية – صيدا لبنان ١٩٥٧ – ١٩٦٠ .

---

(١) النكبة – نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود من ١٩٤٧ – ١٩٥٢ الجزء الأول المكتبة العصرية – صيدا – لبنان ١٩٥٦ ص ٣ – ٤ .

٧ - أحمد شاكر الكرمى

١٨٩٤ - ١٩٢٧

١ - حياته :

ولد أحمد شاكر الكرمى بن الشيخ سعيد الكرمى ، وشقيق الشاعر عبد الكريم الكرمى - أبى سلمى - فى مدينة طولكرم مركز قضاء بنى صعب فى فلسطين سنة ١٨٩٤ ، وتلقى علومه فى المرحلة الابتدائية فى مدارس طولكرم ثم ولى وجهه شطر القاهرة ليرتشف العلوم والمعارف من معين الأزهر الشريف وصحبه فى رحلته إلى مصر والانتساب للأزهر أخوه محمود الكرمى .

وأمضى الأخوان فى الدراسة وطلب العلم فى رحاب الأزهر نحواً من سبعة أعوام وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى وتعذر الاتصال بين مصر وفلسطين سافر أحمد شاكر إلى الحجاز ليحرر فى جريدة القبلة التى كانت تصدر فى مكة المكرمة يومئذ بناء على اختيار الكاتب العربى الفذ والمجاهد الحر الأستاذ محب الدين الخطيب له بالذات لمعاونته فى تحرير الجريدة سنة ١٩١٧ وقد أمضى الكرمى فى الحجاز سنة واحدة عاد بعدها إلى القاهرة وعمل محرراً فى جريدة الكوكب الأسبوعية ، وأقبل على دراسة اللغة الإنجليزية حتى أجادها وعاد بعد ذلك إلى مدينته طولكرم فمكث بها فترة وجيزة سافر بعدها فى صحبة والده إلى دمشق الذى كان يومئذ نائبا لرئيس المجمع العلمى هناك .

وفى سنة ١٩٢١ أسهم فى تكوين أولى الجماعات الأدبية فى سورية وهى التى سميت باسم الرابطة الأدبية ، وفى تحرير مجلتها التى حملت اسمها ، ثم تولى تحرير مجلة الفيحاء سنة ١٩٢٣ وفى سنة ١٩٢٥ أنشأ مجلة الميزان التى عاشت عامين ١٩٢٥ و ١٩٢٦ ، واتصل من خلال عمله بالأدباء العرب فى مصر والمهاجر وجرت بينه وبينهم مراسلات ، وكان يوقع مقالاته بأسماء متعددة أشهرها قدامة .

وفى التاسع من تشرين الأول - أكتوبر - سنة ١٩٢٧ انطفأت شعلة حياته ودفن فى مقبرة « باب الصغير » بدمشق وكتب على قبره ، هنا يرقد أحمد شاكر بن الشيخ سعيد الكرمى ، مات غريبا إلا من إخوانه » وتحت هذه الكلمة كتب هذان البيتان من الشعر للشاعر السورى المشهور محمد البزم :

ثَوى تَحْت هذا الثَّرى أحْمَد فأَشْعل فى القَلْبِ نيرانه
وأسْرَع يَبْغى رضا ربه وتـاريخه ود غـفـرانـه

٢ - أدبه :

أحمد شاكر الكرمى أديب فذ ، وكاتب نابغة ، وناقد شجاع ، ومترجم مجيد ، واسع الثقافة ، متنوع المعرفة ، كتب العديد من الأبحاث والمقالات فى الأدب والنقد وقد ظفر بنصيب موفور من الشهرة التى تجاوزت حدود بلاده ، ونوه به وبأدبه و بموهبته كوكبة من الأعلام الذين أطروا فكره ، وقرظوا أدبه وملاءمة هذا الفكر لروح العصر.

ومن أول الآثار الأدبية التى خلفها « الكرميات » وهى مجموعة من المقالات تناولت ثلاثة عشر موضوعا فى الأدب والتاريخ والفلسفة والأخلاق والاجتماع والترجمة وقد نشرها الأستاذ محيى الدين رضا فى القاهرة سنة ١٩٢١ وكتب لها مقدمة قرر فيها أن الكرميات تهدف إلى ثلاثة أغراض .

١ - ترقية اللغة الكتابية ويظهر ذلك جليًا من أسلوبها المنسجم الذى يميل إلى السهولة والمتانة فقد طارد كاتبها الأساليب القديمة .

٢ - التهذيب الخلقى فقد علم صاحب الكرميات أن النفوس أصبحت مقفرة من المكارم نفورة عن الفضائل ، تعشقت الشرور ، وركبت لها كل مركبة فأبرز لنا حقائق لو اتبعها الناس لاستراحوا وأراحوا ، وانصرفوا الى الخير .

٣ - إن هذه الدنيا ماهى إلامسرح تعرض عليه الأعمال كما هى ، والناس يتلقفون مايرونه ذا صلة بنفوسهم .

ووصفه أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبى بالنابغ الناقد مازنى الشام وعقاده وفى سنة ١٩٦٤ كتب الأستاذ فؤاد الشايب مقدمة طويلة لكتاب أحمد شاكر الكرمى الذى أصدرته وزارة الثقافة والإرشاد القومى . مديرية التأليف والترجمة قال فيها عن الكرمى مايلى :

عربى النفس والطيب أزهرى الدراسة والتربية ، إنسانى الثقافة والشوق بما تيسر له من اطلاع على الأدب الغربى عن طريق إتقانه اللغة الإنجليزية هذه هى ملامح الصورة التى صعدت حولها أنظار الدمشقيين ، وعلقت بها عام ١٩٢٠ عندما حط على روضهم هذا الطائر العربى النادر صاحب الجناحين الملونين والمنقار الكاسر ، لم يكن فلسطينيا ، ولاحجازيا ولامصريًا ، ولاشاميًا هذا الفتى العربى الجرىء الذى مالبث أن تصدر صحن الدار الشامية وكأنه ولد فيها مع يمونتها ، أونقش كبيت شعر على صدر قاعتها . .[1] .

---

(١) أحمد شاكر الكرمى- مختارات من آثاره- نشر وتوزيع مكتبة أطلس دمشق- ١٩٦٤ .

٣ – نظراته :

فى الكتاب الذى أصدرته مديرية التأليف والترجمة بوزارة الثقافة والإرشاد القومى فى الجمهورية العربية السورية سنة ١٩٦٤ قسم أبو سلمى آثار أخيه أحمد شاكر إلى الأقسام الستة الآتية :

١ – مفكرة المحرر .

٢ – آراء أحمد شاكر الكرمى .

٣ – المعرض العام .

٤ – النقد .

٥ – الشعر الغربى .

٦ – القصص .

٧ – أقوال ورسائل .

نماذج من أدبه :

١ – قال أحمد شاكر الكرمى فى إهداء كتابه الكرميات إلى الاستاذ محيى الدين رضا « ماالملك العظيم فى سلطانه والظالم المستبد بين حراسه وأعوانه والغنى الكبير بين غلمانه إلامظاهر باطلة من مظاهر الحياة . وقد درج الناس منذ القدم على أن يحرقوا ذكاءهم بخوراً أمام هذه الجنائز الثلاث أما أنا فإن لى طريقا آخر أسير فيه . لا أهدى كتابى للملوك والظلام لأننى أبغضهم ولا أقدمه للأغنياء والمترفين لأننى أحتقرهم ولكننى أرفعه لك يامحيى الدين ياصديقى العزيز ليكون ذكرى لصداقتنا الوثيقة . واعترافا بأدبك وفضلك .

٢ – كلمات فى النقد : « النقد ثورة يثيرها أحرار الكتاب على عيوب الأدب ونقائصه ولكنها ثورة نقية طاهرة لاتسفك فيها الدماء ، ولاتزهق الأرواح يلتقى الخصمان فى ميدان النقد فيقتتلان ويصدمان ثم يخرج كل منهما من المعركة – غالبا أومغلوباً – بجبين وضاح وصحيفة بيضاء لاتلوثها جناية ، ولايسودها إجرام .

« قلنا النقد ثورة ونعنى بذلك أنه لايسلم من شدة تصاحبه ، وعنف يرافقه ولكن لشدته وعنفه حدًّا يقفان عنده ولايتعديانه .

ان كتابة الكاتب ، وشعر الشاعر . وأحكام الحاكم ، وعلم العالم ، وصور المصور وأبنية

المهندس ، وكل مايصنع للجمهور ، ويعرض عليه ، أو يؤخذ منه ثمنه يجب أن يكون خاضعا للنقد ، للناقدين الحق فى أن يقولوا فيه مايعتقدون بصراحة وجلاء ، أما ماعدا ذلك فالتجاوز إليه خروج عن حدود النقد وآدابه وليس للنقاد أن يتعرضوا لكرامة الناس ، وليس لهم أن يخوضوا فى شئونهم الخاصة ولا أن يتطاولوا على أعراضهم وأحسابهم وأنسابهم ، ومن يفعل ذلك منهم كان هجاء سباباً لانقاداً ملهماً .

وليس للمنقود بحق أن يجزع أو يشكو ومن يفعل ذلك كان سخيفاً جباناً . النقد وسيلة من وسائل الإصلاح فمن كان يحب إصلاح نفسه تلقاه بقبول حسن ، ومن كان لايحب إصلاحها فإن عليه أن يتعلم ذلك الحب .

إن الأطفال الصغار يكرهون الأدوية المرة وإن كان فيها شفاؤهم ، ولكن الحريصين عليهم الساهرين على حياتهم يكرهونهم على تجرعها إكراهاً . والنقد دواء مر ، وفى جمهور المتأدبين كثير من المرضى الذين يحتاجون إلى ذلك الدواء .

إن عقاقير النقد ضرورية لأولئك المرضى فإن كانوا صغاراً لايفرقون بين ماينفعهم ومايضرهم اضطروا جماعة النقاد إلى تجريعهم تلك العقاقير المرة بالقسر والإكراه وإن كانوا كباراً استقبلوها برضى وقبول وقد حكم عليهم فى الحالتين بأن يتجرعوها فإما أن يحيوا حياة مجردة من عناصر الضعف والانحلال أو يلاقوا موتاً أبديا مريحاً »[١]

آثاره :

١ – الكرميات مجموعة مقالات وقصص – القاهرة – ١٩٢١ .

٢ – مى أو الخريف والربيع معربة عن الإنجليزية ١٩٢٢ .

٣ – مجلة الميزان ١٩٢٥ – ١٩٢٦ .

---

(١) أحمد شاكر الكرمى – مختارات من آثاره ص ١١٩ .

٨ - أحمد سامح الخالدى

١٨٩٥ - ١٩٥١

١ - حياته :

ولد أحمد سامح الخالدى فى مدينة بيت المقدس سنة ١٨٩٥ وتلقى دراسته فى المرحلة الابتدائية فى مدرسة الأمريكان . والثانوية فى المدرسة الإنجليزية « المطران » فى القدس ثم اتجه إلى الجامعة الأمريكية فى بيروت ليواصل دراسته العالية بها ودخل قسم الصيدلة وحصل على درجة البكالوريوس منها سنة ١٩١٦ . وعاد إلى فلسطين وبعد الحرب العالمية الأولى وخضوع فلسطين للانتداب البريطانى عينته إدارة المعارف مفتشا للمعارف فى مدينة يافا سنة ١٩٢٠ وفى أثناء توليه مهمة التفتيش واصل دراسته العالية ونال درجة الماجستير فى التربية .

وفى سنة ١٩٢٥ عينته إدارة المعارف عميدا لدار المعلمين فى القدس بعد أن تغير اسمها وصار « الكلية العربية » وكان طلبتها يختارون من الحاصلين على أعلى الدرجات فى الصف السابع الابتدائى من جميع مدارس مدن فلسطين . من أبناء فلسطين والأردن الذين حملوا له فى نفوسهم أسمى آيات التقدير والإجلال لأنه كان لهم الأب الحانى ، والمعلم المخلص ، والعميد المثالى واختارته إدارة المعارف أيضا مساعدا لمدير المعارف بالإضافة إلى عمادته للكلية العربية .

وظل أحمد سامح يدير الكلية العربية . ويلقى على طلبتها المحاضرات فى التربية وعلم النفس ، ويترجم المؤلفات الكثيرة ، ويؤلف الكثير فى هذا الميدان من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٤٨ حيث وقعت المأساة فنزح إلى لبنان مع أفراد أسرته حيث لبى نداء ربه فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٥١ بعد أن قام بعمل وطنى جليل إذ ألف لجنة تحت رئاسته سماها لجنة اليتيم العربى التى أسست معهدا فى دير عمرو غرب القدس لرعاية الأيتام من أبناء شهداء فلسطين وتعليمهم .

٢ - أدبه :

فى غضون الحقبة من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٨ التى تولى فيها أحمد سامح الخالدى عمادة الكلية العربية ألقى على طلبة الكلية العربية محاضراته فى التربية وعلم النفس ، وألف وترجم عدداً من الكتب التربوية

التى تعالج طرق التدريس وأركانه ، وأفضل المناهج الحديثة مماجعله الفارس المعلم فى هذا الميدان الذى أطلق عليه أبو التربية الحديثة فى فلسطين والعلم المشهور بين كبار المربين العرب فى العصر الحديث.

وتجلى نشاط أحمد سامح الخالدى فى ميادين التربية والفكر والأدب فى ثلاثة مجالات :

الأول المجال التربوى وقد ألف فيه الكتب التالية :

١ – إدارة الصفوف – وقد اعتمد فى تأليفه على كتاب بهذا العنوان للمربى بجلى وطبع فى بيت المقدس سنة ١٩٢٨ .

٢ – أركان التدريس وقد اعتمد فى تأليف معظمه على كتاب إرشادات للمعلمين الذى نشره مجلس التعليم البريطانى طبع فى القدس سنة ١٩٣٤ .

٣ – أنظمة التعليم .

٤ – طرق التدريس المثلى تأليف بجلى – ترجمه وشرحه وعلق عليه القدس سنة ١٩٣٧ .

٥ – الحياة العقلية تأليف وود دورث .

٦ – الطريقة المنتسورية فى التربية والتعليم – تأليف ى . ج . هولمز .

الثانى مجال البحث التاريخى وقد ألف فيه الكتب التالية :

١ – أهل العلم بين مصر وفلسطين – القدس – ١٩٤٦ .

٢ – رحلات فى ديار الشام – يافا – ١٩٤٦ .

٣ – المعاهد المصرية فى بيت المقدس – القدس –١٩٤٦ .

٤ – رجال الحكم والإدارة فى فلسطين من عهد الخلفاء الراشدين إلى القرن الرابع عشر الهجرى – القدس – ١٩٤٧ .

الثالث كتب التراث التى نفض عنها غبار الزمن وحققها ونشرها ومنها :

١ – ترغيب أهل الإسلام فى سكنى الشام تأليف عز الدين السلمى – القدس – ١٩٤٠ .

٢ – مثير الغرام بفضائل القدس والشام تأليف أحمد بن محمد المقدسى – القسم الأخير – يافا – ١٩٤٦ .

٣ – الإعلام بفضائل الشام تأليف أحمد بن على المغنى – القدس – ١٩٤٦ .

وذلك عدا المخطوطات التى لم تنشر .

نموذج من نثره :

١ – يقول فى مقدمته لكتاب أهل العلم والحكم فى ريف فلسطين :

عثرت فى أثناء دراستى المصادر العربية على نصوص قيمة تتصل بالريف الفلسطينى وماأخرج هذا الريف الجميل من رجال العلم والفكر والحكم فى مختلف العصور منذ الفتح العربى حتى زوال الدولة العثمانية سنة ١٩١٧ فرأيت أن أجمع هذه النصوص المبعثرة فى كتاب يرجع إليه العرب ويعتز به أبناء الريف .

هذا الريف الذى شهد « أجنادين » و« طاعون عمواس » و« مقتلة الأمويين » عند نهر أبى فطرس (نهر العوجا) و« حطين » التى هزم فيها الافرنج وعين الجالوت التى أجلى فيها التتار فاستراحت البلاد من شرهم إلى غير ذلك من المعارك الفاصلة .

هذا الريف الذى تغنى فيه الشعراء فكان لشعر جرير ، والمتنبى وليلى الأخيلية وجميل وكثير منه نصيب أى نصيب .

ونحن نعلن ونحن نكتب هذه السطور أن بعض المغرضين أو الجهال من الأجانب والخصوم قد شوهوا هذا الريف وحطوا من شأنه حتى أصبحت كلمة « فلاح » أو « قروى » مرادفة للجاهل أوالخامل المنبوذ فصار أبناء الريف يرون أنفسهم فى مرتبة هى دون أبناء المدن المترفين ومشى مع هذا شعور بالضعة والمذلة تملك النشء القروى وطغى عليه فصار الناس إذا رأوا طالبا حصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية يرون فى ذلك أمراً غريباً وإذا ماذكر اسم عالم ريفى شغل مركزاً فى القضاء والحكم استغرب الناس وتعجبوا كأن العلم هو من لوازم المدن دون الريف وقد أدى هذا الشعور المغلوط إلى تشبع أبناء المدن بشعور مبالغ فيه فى تقدير قيمة المدن بالنسبة إلى القرى كأن العلم وقف عليهم دون سواهم وكأن الفلاح الفلسطينى إنما هو أداة حراثة وحصاد يجد ويشتغل ويشقى لينعم أبناء المدن بآثار جهده وهم قابعون على أن الذى يمعن النظر يرى أنه كان لأبناء الريف فى مختلف العصور القدح المعلى فى شتى ميادين العلم والإدارة والاقتصاد . كانوا منذ القرن الأول الهجرى ومازالوا هم حملة العلم ليس فى فلسطين فحسب بل نقلوا مشاعلهم معهم إلى الشام ومصر وسائر البلدان العربية والإسلامية »[١] .

---

(١) أهل العلم والحكم فى ريف فلسطين – مقدمة الكتاب ص ٤ – ٥ .

٩ - مصطفى مراد الدباغ

١٨٩٨

١ - حياته :

ولد مصطفى مراد الدباغ فى يافا سنة ١٨٩٨ وتلقى دراسته فى المرحلة الابتدائية بمدارسها أما دراسته الثانوية فقد تلقاها فى المكتب السلطانى فى بيروت :

وبعد الانتداب البريطانى على فلسطين عين مصطفى مديرا للمدرسة الثانوية فى مدينة الخليل ثم مدرسا للمواد الاجتماعية فى دار المعلمين بالقدس سنة ١٩٢٦ ء ثم اختير مساعداً لمفتش المعارف فى لواء نابلس فى العام الدراسى ١٩٢٧ - ١٩٢٨ . فمساعدا لمفتش المعارف فى غزة من سنة ١٩٢٨ - ١٩٣٣ ، فمفتشا للمعارف فى يافا من سنة ١٩٣٣ - ١٩٤٠ ، فمفتشا للمعارف فى نابلس من سنة ١٩٤٠ - ١٩٤٥ . ثم نقل مفتشا للمعارف فى يافا من سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٨ .

وعندما حدثت المأساة سنة ١٩٤٨ نزح إلى سورية وألقى عصا الترحال فى مدينة حلب الشهباء وعين مدرساً للمواد الاجتماعية فى مدرستها الثانوية .

ثم اختير مفتشاً لمدارس المقاصد الخيرية فى بيروت سنة ١٩٤٩ فمساعداً لوكيل وزارة المعارف الأردنية سنة ١٩٥٠ ، فوكيلا لوزارة المعارف الأردنية سنة ١٩٥٤ .

ثم اختارته دولة قطر مديراً لمعارفها من سنة ١٩٥٩ - ١٩٦١ ، ولايزال يؤدى رسالته فى خدمة العلم والثقافة وفى مجال التاريخ والتربية .

٢ - أدبه :

عالج مصطفى الدباغ الكتابة فى ميدان الدراسات التربوية والدراسات التاريخية منذ أن كان مفتشاً للمعارف فى مدينة يافا فى الفترة الواقعة بين عامى ١٩٣٣ و ١٩٤٠ فنشر طائفة من الأبحاث والمقالات فى الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى فلسطين يومئذ ، ونشر كتاباً لفت إليه الأنظار سنة ١٩٣٥ سماه « مدرسة القرية » وكانت مدارس القرى قد نمت وازدهرت واستكمل الكثير منها الصفوف السبعة وتحقق لها معنى المدرسة الابتدائية الكاملة ولكن أعظم آثاره كتابه بلادنا فلسطين

الذى صدر منه ثمانية مجلدات ، والذى يعد بحق أضخم موسوعة عن فلسطين وتاريخها وعن مدنها وقراها ، وجبالها وأنهارها إذ تناول سكانها قبل التاريخ والكنعانيين والحيثيين واليهود وكيف قدموا فلسطين غزاة معتدين .

وقد وثق المؤلف كل رواية ساقها ، ورجع إلى عشرات المصادر العربية والأجنبية وقد بلغت فى القسم الأول من الجزء الأول مائة وخمسة وعشرين مصدراً عربياً وواحدا وعشرين مصدرا أجنبيا عدا الصحف والمجلات ويقف الباحث عند كل مدينة وقرية وقفة المؤرخ فيوضح متى نشأت المدينة ، وكيف تغيرت عبر العصور ومامر بها من أحداث ، ويذكر أسماءها المختلفة ومن نبغ من علمائها وأدبائها وشعرائها وفقهائها ومحدثيها . الواقع أن الباحث المدقق ، والناقد المنصف ينحنى إجلالا وإكبارا للجهد الذى بذله المؤلف وحده وهو جهد تنوء به العصبة أولو القوة ، والذى عجزت الهيئات والمؤسسات والجامعات عن إصداره .

١ - يقول من كلمة عنوانها : فلسطين بلاد الوحى والخير والجمال :

إن بلادنا فلسطين الأرض الطاهرة الطيبة المستباحة القطعة الغالية المقدسة من الوطن العربى ، والتى لاتزيد مساحتها على عشرة آلاف ميل مربع إلاقليلا تمتاز بروائع تكوينها وبجمالها الطبيعى الساحر الخلاب ، وبمناخها المطلوب لأى فصل من الفصول وتاريخ زهورها ورياحينها وبوجهها المخضوضر الذى يرتد البصر عن آفاقه حاسراً وهو يرجو لو علق به إلى الأبد . ففى الجبال التى كانت معاقل الجهاد تتجلى لك فلسطين بما فيها من سمو وجمال ، فدائرة المشاهد فيها مترامية الأطراف بعيدة الآفاق تطل على أجمل ماخلقه الله من مناظر . فى هذه الأعالى الأعجوبة فهى تريك طوراً البحر والسهول وتارة الأغوار والنجود . مشاهد طبيعية رائعة تكمن فيها الفتنة ، ويستشف منها السحر ففى الربا يكون الجمال بين يديك ، والخيرات أمام ناظريك ، والهواء النقى المنعش يتخلل رئتيك . . تسمع فيها خرير المياه المتدفقة وتغريد الطيور الجميلة ، وحفيف الأشجار العالية .

كما ترى كروم العنب وقد احتضنت ثمرها ، وغابات الزيتون البهيجة العامرة تداعبها الرياح فتظهر للرائى وكأنها مغطاة ببرقع فضى شفاف ، وتبدو القرى خلال هذه الربا والمزارع والكروم والغابات وكأنها جزر من اللؤلؤ فى بحر الزمرد ، أو متنزه رشيق تلفه الأشجار الوارفة الظلال ، والأزاهير الزاهية الألوان . وعلى الجبال : صفد . . المطلة على أجمل المناظر وأغربها وأكثرها روعة الجليل ، وطبرية والحولة وغيرها . . والناصرة عروس الجليل الحافلة بالذكريات المسيحية المقدسة .

وفى الأفق ازرقاق البحر الذى تتألق صفحاته فى وهج الشمس وقد نرى فيه دخان البواخر وأشرعة المراكب ، ياله من مشهد رائع ساحر هاهى ذى يافا عروس الوطن المنتهب ، وسيدته الكبرى وكأنها واحة أفلتت من الجنة وهاهى ذى الرملة واللد وأطرافها تذكرنا ببطولة أهلها وببطولة قافلة من شهدائنا استشهدوا فى سبيل وطنهم ، ولكل منهم قصة خالدة على مر الزمن . وهناك فى الجنوب العروسان اللتان بشرنا بهما الرسول ﷺ غزة وعسقلان ، وهناك فى الشمال حيفا قرة عين الوطن الحبيب ، وربة الساحل ، ومحجة القلوب وفى الأفق البعيد عكا الشامخة الشائقة الخالدة البلدة الصغيرة الهادئة التى تحمل نبأ الدهور ، والتى ذكرها النبى العربى ﷺ بقوله : طوبى لمن راى عكا »[١] .

٢ – وكتب تحت عنوان : نظرة خاطفة على تاريخ قضاء غزة « الكنعانيون العرب أقدم من سكن هذا القضاء » هم الذين بنوا مدنه وقراه ، وأقاموا عمرانه . وكانت تنتهى فى قاعدته غزة أهم الطرق التجارية التى عرفها العالم القديم فكانت الخيرات التى تحملها القوافل العربية وتضعها فى غزة تنقل إلى مختلف المدن والأقطار التى على ساحل البحر الأبيض المتوسط وقد عرف الكثير من الصحابة – قبل الفتح العربى الإسلامى – كأبى سفيان وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب وغيرهم هذا القضاء لأن غزة كانت تتجه إليها أنظار تجار قريش فى رحلتهم الصيفية إلى ديار الشام ففيها أثرى عمر بن الخطاب ، وفيها توفى هاشم بن عبد مناف ، كما وأنها رأت طلعة حفيده عبد الله الذى أعده الله لأكرم أبوة عرفها التاريخ .

ومن ذكريات معارك الديار الغزية إبان الفتوح فى صدر الإسلام : « دائن » و « غزة » و « عسقلان » وغيرها وقد أقام فى هذه البلاد الصحابى الجليل أبو قرصافه الذى اتخذ قرية سناجية فى أرض المسمية الكبيرة مقاماً له حتى إنها كانت تعرف بقرية : أبى قرصافه كما دفن فى أسدود الصحابى عبدالله بن أبى سرح . وفى الحروب الصليبية أريق الكثير من دماء المجاهدين والأبطال الصناديد فى مختلف أنحاء القضاء ، وفى عسقلان خاصة ، ويمكن القول بأن كل شبر من ديار غزة قد اختلط بدم أولئك الشهداء . وقد ولد فى هذا القضاء رجال عظام من خلفاء وسلاطين ووزراء وشعراء وعلماء وصالحين فمن الخلفاء : الحافظ لدين الله الفاطمى العسقلانى المولود فى عسقلان سنة ٤٦٧ هـ – ١٠٧٤ م ومن السلاطين الملك المؤيد الغزى المولود فى غزة سنة ٨٣٥ هـ – ١٤٣٢ م ومن الوزراء القاضى الفاضل اللخمى العسقلانى ٥٢٩ هـ – ١١٣٥ م . ومن الشعراء أبو إسحق ٤٤١ هـ

---

(١) بلادنا فلسطين– الجزء الأول– القسم الأول– ص ١٣٥– ١٣٦.

- ١٠٤٩ م ومن الصالحين الشيخ يوسف البربراوى ، والشيخ أحمد الفالوجى ، هذا وكفى غزة فخراً أنها أنجبت النادرة فى ذكائه الإمام الشافعى أعظم فلسطينى ظهر بعد الإسلام [١] .

آثار مصطفى الدباغ :

١ - مدرسة القرية - القدس ١٩٣٥ .

٢ - التاريخ القديم للوطن العربى ١٩٥١ .

٣ - الموجز فى تاريخ فلسطين ١٩٥٦ .

٤ - قطر - ماضيها وحاضرها ١٩٦١ .

٥ - الجزيرة العربية جزءان ١٩٦٢ .

٦ - موسوعة بلادنا فلسطين فى ثمانية مجلدات ١٩٦٥ - ١٩٧٠ .

---

(١) المصدر السابق الجزء الأول - القسم الثانى - ص ٢٧ - ٢٨ .

١٠ – الدكتور إسحق موسى الحسينى

١٩٠٤

١ – حياته :

ولد الدكتور إسحق موسى الحسينى فى بيت المقدس سنة ١٩٠٤ ، وحين بلغ السابعة من عمره أدخله والده المدرسة الابتدائية الرسمية ، وفيها تعلم اللغة العربية وقواعدها بالتركية لأنها كانت لغة التعليم فى المدارس الرسمية فى فلسطين فى العهد العثمانى وبعد أن احتلت بريطانيا القدس فى أواخر سنة ١٩١٧ انتقل من المدارس الحكومية الى مدارس الفرير ، ونظراً لقسوتها وصرامة أنظمتها انصرف عنها وتحول للمدرسة الرشيدية التى تلقى فيها دراسته فى المرحلة الثانوية ، وتتلمذ فيها فى علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وأدب وعروض لأستاذه الجليل العلم المفرد أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبى الذى كان يتولى تدريس العربية بها يومئذ ويعتز الدكتور الحسينى بأستاذه الذى كان بحراً زاخراً فيها يعشقها ويذود عن حماها كل من تهجم عليها ، ويرى أنها سيدة اللغات .

وأمضى الدكتور إسحق فى الرشيدية السنوات الأربع ونال منها شهادة إتمام الدراسة الثانوية وفى حوالى سنة ١٩٢٣ وفد إلى القاهرة ليكمل دراسته العالية ودخل الجامعة الأمريكية وقضى بها ثلاث سنوات من ١٩٢٣ – ١٩٢٦ عاد بعدها إلى بيت المقدس ، وعين معلماً فى المدرسة الرشيدية التى تلقى بها دراسته الثانوية وفى سنة ١٩٢٧ عاد إلى القاهرة مرة ثانية ، وانتظم فى كلية الآداب بالجامعة المصرية وقضى بها أربع سنوات حصل بعدها على درجة الليسانس فى الآداب سنة ١٩٣٠ ، وكان ذلك فى عهد عميدها الدكتور طه حسين وكان أول طالب عربى يدخل رحاب الجامعة المصرية ويتخرج فيها إذ كانت الدراسة بها يومئذ مقصورة على أبناء مصر .

وبعد تخرجه فى الجامعة المصرية عاد إلى بيت المقدس ومنها توجه إلى بريطانيا والتحق بمعهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة لندن ، ودرس الآداب واللغات السامية على أستاذه المستشرق الإنجليزى « جيب » ونال شهادته سنة ١٩٣٢ ثم حصل على دبلوم مقارنة اللغات السامية ، ودرجة الدكتوراه سنة ١٩٣٤ وفى السنة نفسها عاد إلى بيت المقدس وعين مدرساً للأدب العربى فى الكلية العربية إحدى عشرة سنة من ١٩٣٤ – ١٩٤٥ وفى سنة ١٩٤٦ عين مفتشاً أول للغة العربية فى إدارة

معارف حكومة فلسطين وظل يؤدى رسالته إلى أن حدثت الكارثة سنة ١٩٤٨ التى أرغمته على النزوح عن بيت المقدس ، وأفقدته مكتبته الضخمة الزاخرة بأمهات الكتب وأعظم المراجع فى الأدب والتاريخ والسياسة والاجتماع ، وقد ضاعت هذه الكتب الثمينة وضاع معها العديد من أبحاثه ومؤلفاته المطبوعة والمخطوطة وهو الأديب الثالث من أدباء فلسطين الذى فقد مكتبته بسبب الكارثة بعد السكاكينى والنشاشيبى .

لقد اضطرت الكارثة الدكتور الحسينى للنزوح عن وطنه واللجوء إلى بيروت وعندئذ اختارته الجامعة الأمريكية مدرساً للأدب العربى بها وتولى التدريس بها سبع سنوات من ١٩٤٩ - ١٩٥٥ ، وفى أواخر ذلك العام انتقل إلى القاهرة ، واختير للتدريس فى معهد الدراسات العربية العالية التابع للجامعة العربية ، وفى قسم اللغة العربية بالجامعة الأمريكية وظل يؤدى رسالته حتى أحيل إلى المعاش سنة ١٩٦٧ .

٢ - أدبه :

يعد الدكتور إسحق موسى الحسينى من كبار أدباء وعلماء وباحثى فلسطين الذين تناولوا فنون الأدب من أقصوصة وقصة طويلة ومقالة ونقد وبحث وقد وجه اهتماماً كبيراً للغة العربية ، وأساليب تدريسها وللفكر العربى بعامة وقدم للمكتبة العربية من سنة ١٩٣٧ إلى سنة ١٩٤٧ سبعة كتب طبعت جميعها فى بيت المقدس قبل حدوث الكارثة .

وأتيح للدكتور الدراسة العميقة للثقافة العربية والغربية والمزج بينهما ، وتقديم عصير ذلك المزج للقارئ العربى فى أسلوب رصين يشهد ببراعة كاتبه ، وعلو قدمه فى معرفة أسرار لغته ، وفى خلال عمله فى معهد الدراسات العربية أشرف على الكثير من رسائل الماجستير والدكتوراه واختير عضوا لمناقشة طائفة أخرى من هذه الرسائل وجمع من نقل الأديب التى نشرها النشاشيبى فى الرسالة ٣٤٢ نقله كتابا قدم له بكلمة عن حياه إسعاف وعبقريته وحبه للعربية والعرب والعروبة . واعترافا بعلمه وأدبه اختير عضوا فى المجمع العلمى العربى فى بغداد سنة ١٩٦٠ وفى مجمع اللغة العربية بالقاهرة عن فلسطين ١٩٦١ وفى مجمع البحوث الإسلامية فى القاهرة أيضا سنة ١٩٦٢ .

مختارات من أدبه :

١ – المقالة فى الأدب العربى الحديث :

يحدونى على معالجة هذا الموضوع سببان : الأول أهمية المقالة فى الأدب العربى الحديث فهى اليوم الوسيلة الأولى للتعبير عن الأدب والثقافة ومايتصل بهما ، ومن جهة أخرى فقد نسخت المقالة نوعين من أنواع الكتابة الشبيهة بها هما : الرسالة و المقامة . اللتان ظهرتا فى الأدب المنثور القديم ، وربما ضامت المقالة أيضا – إلى حد كبير – القصيدة فبعض الأدباء الموهوبين الذين يجولون فى ميدانى الشعر والنثر يؤثرون استعمال النثر على الشعر وتلوح على مقالاتهم أمارات الشعر حتى يصح أن تسمى شعراً منثوراً . وثمت كتاب كثيرون فى البلاد العربية يفوح من نثرهم عبير الشعر ، ولو حكم على نثرهم بمقاييس الأدب الحديثة لأدخلوا فى زمرة الشعراء وإن لم يتكلفوا نظما .

يضاف إلى ذلك أن كثيراً من الكتب الحديثة أخلق بأن تسمى مقالات متصلة من مباحث متماسكة بدليل أن بعضها نشر فصولا مستقلة ثم جمع فكان كتاباً ، أو أنها إن فصل بعضها عن بعض وقدم وأخر فيها لم تضم وهذا برهان قاطع على أن المقالة تعدت منطقتها المألوفة وحدودها المرسومة إلى مناطق أخرى ، وظاهر من تاريخ المقالة أنها وليدة الصحافة التى ظهرت فى مطلع النهضة الحديثة .

والسبب الثانى لمعالجة هذا الموضوع أن المقالة على شأنها وعظم خطرها فى الأدب العربى الحديث تبدو هزيلة فى كثير من نواحيها ، وهى خليقة بالمعالجة لعموم الحاجة إليها ، وشمولها جميع مظاهر الأدب حتى الشعر نفسه . فالمقالة – فى الواقع – تكاد تكون القالب الرئيسى الذى تصب فيه الثقافة والأدب فى عصرنا هذا ، وبقدر جودتها وقوتها وعمقها ووضوحها ترتفع فى نظر النقاد ، وتقوّم النهضة الفكرية والأدبية الحديثة فى البلدان العربية وخير طريقة لفحص المقالة وسبرقوة بنائها هو تحليلها إلى عناصرها الأولية أو تلخيصها فى نقاط رئيسية ، والذين يقتضى عملهم إجراء مثل هذا التلخيص يكتشفون فى المقالة على الفور انحلالا يخفى القارئ العادى .

والذين ألفوا قراءة المقالات فى اللغات الأوربية يرون أن أظهر خصائصها بناؤها الهندسى المحكم الأجزاء ، ويعلمون أن الكاتب لابد له قبل الإقدام على سبك مقالته فى قالبها من أن يقيم لها بناء مصغراً مؤلفا من النقاط الكبرى والصغرى التى تنتظمها المقالة ولوجاز التشبيه لقلنا إن المقالة عندهم – وكذلك حال القصة والقصيدة والقطعة الموسيقية – أشبه ببيت يتألف من غرف موضوعة على طراز

مايقرره المهندس وفق رغبة صاحب البيت ، وطبيعة الأرض التى يشاد عليها ولذلك يمكن أن تؤخذ صورة متدرجة فى الصغر لهذا البيت حتى تنتهى الخطوط الأولية التى رسمها المهندس واهمال الرسم الهندسى أوحتى اعتباره ثانويا فى بناء المقالة بجعل المقام الأول للألفاظ فتصبح الأناقة اللفظية ، والمحسنات البديعية جوهرا والأفكار والحقائق المجموعة بكد الذهن عرضا مبعثرا فى ثنايا الألفاظ بعثرة قبضة من الدر فى كيس من الرمل »[١] .

٢ – ما العروبة :

« من الطريف أن لفظة عروبة لم يستعملها قدامى العرب للدلالة على أى معنى من المعانى الحديثة التى يحاول المحدثون أن يستخلصوها منها . جاء فى لسان العرب : عَرب عُروبة وعُروبيَّة فصح بعد لكنة فى لسانه . . وليس فى سائر المعاجم زيادة وهذا يدل على أنها وصف للكلام فحسب . وهناك لفظة قريبة منها نطقاً هى العروبة ، بفتح العين باللام – وبلا لام وهى الاسم القديم ليوم الجمعة وفى الصحاح : وكأنه ليس بعربى وردد ابن الأثير فى النهاية فى غريب الحديث هذا القول ، وجاء فى قصيدة أبى تمام التى مطلعها :

«غدَت تَستَجير الدَّمْع خوْف نوى غد » هذا البيت :

حَطَطْت بها يَوْم الْعَروبة عزه وكان مُقيماً بَيْن نسْر وفرقد

واستعمال أبى تمام إياها من الأعزاب الذى شهر به . وحاصل القول : أن العروبة ذات دلالة حديثة نشأت فى هذا الزمن وماهذه الدلالة الحديثة الواقع أنها تختلف باختلاف الناس وقد سألت عدداً من الأشخاص عن مفهوم هذه الكلمة فتلقيت أجوبة مختلفة ولنستعرض هذه الأجوبة بإيجاز قبل أن ندلى برأينا : من الناس من يفهم العروبة أنها الجنس العربى ولن أطيل فى هذا المفهوم فقد أسهب العلماء فى هذا الموضوع حتى أجمع رأيهم على أن نظرية الجنس أسطورة ليس أكثر ، ومن الناس من يفهم العروبة أنها دين وأخصص الدين الإسلامى ومعنى ذلك أن المسلمين عرب ، وغير المسلمين ليسوا عرباً فهل هذا صحيح الجواب كلا فقد قطنت هذه البلاد قبائل عربية مسيحية قبل الفتح الإسلامى ، وتداخل أصحاب الديانتين الكبيرتين الإسلام والنصرانية ، وصهرتهم أحداث متعاقبة ، ودخلوا فى العروبة أفواجا أفواجاً وهل يجرؤ أحد على إخراج اليازجيين والبستانيين وأديب إسحق وفرح أنطون وزيدان وجبران والريحانى ونخلة ومطران وأضرابهم عن العروبة إنه إن فعل كافر

---

(١) هل الأدباء بشر– من ص ١٤ – ١٩ .

بالعروبة وقس على ذلك سائر الأفراد والأسر المسيحية التى هى جزء مكين فى صرح العروبة .

ومن الناس من يفهم العروبة أنها وحدة جغرافية وسياسية واقتصادية فحسب وإن صح هذا الفهم وجب أن نخرج من دائرة العروبة جميع العناصر التى هاجرت من أوطانها كمهاجرى العرب فى الأمريكتين وأفريقيا والهند وهذا اجحاف منكر . ومن الناس من يجعل العروبة مرادفة للعرب وهو مذهب جميع الكتاب المحدثين الذين توسعوا فى فهم لفظة العرب وأطلقوها على متكلمى العربية الخاضعين لوحدة التاريخ وهذا أقرب شىء إلى مفهومنا وهو مادرجنا عليه إلى اليوم .[١]

آثاره :

١ - رأى فى تدريس اللغة العربية - القدس - ١٩٣٧ .

٢ - علماء المشرقيات فى إنجلترا - القدس - ١٩٤٠ .

٣ - مذكرات دجاجة - القاهرة - ١٩٤٣ .

٤ - عودة السفينة - القدس - ١٩٤٥ .

٥ - أساليب تدريس اللغة العربية - القدس - ١٩٤٧ .

٦ - أزمة الفكر العربى - بيروت - ١٩٥٤ .

٧ - المدخل لدراسة الأدب العربى المعاصر
مطبوعات معهد الدراسات العربية - القاهرة - ١٩٦٦ .

٨ - الأدب والقومية العربية
مطبوعات معهد الدراسات العربية - القاهرة - ١٩٦٦ .

٩ - النقد الأدبى المعاصر فى الربع الأول من القرن العشرين
مطبوعات معهد الدراسات العربية - القاهرة - ١٩٦٧ .

١٠ - عروبة بيت المقدس - القاهرة - ١٩٦٧ .

---

(١) أزمة الفكر العربى ص ٤٦ - ٥٣.

١١ - محمد أديب العامرى

١٩٠٧

١ - حياته :

ولد محمد أديب العامرى فى مدينة يافا سنة ١٩٠٧ ، وتلقى العلم أول الأمر فى كتّاب وانتقل منه إلى المدرسة الأميرية الابتدائية ، وتلقى دراسته فى المرحلة الثانوية فى مدرسة يافا الثانوية ثم ولى وجهه شطر الجامعة الأمريكية فى بيروت سنة ١٩٢٤ وتخصص فى دراسته الجامعية فى علم الحياة والكيمياء وفى سنة ١٩٢٩ حصل على درجة البكالوريوس وعمل فى معارف الأردن فعين مدرساً للعلوم الطبيعية فى المدرسة الثانوية فى الصلت ثم ترقى وصار مديراً لها ثم ترقى مفتشاً للعلوم فى وزارة المعارف .

وعندما وقعت الكارثة سنة ١٩٤٨ عين مديراً للإذاعة الأردنية ، وفى سنة ١٩٥٠ نقل سكرتيراً عاماً لوزارة الخارجية الأردنية ، وفى سنة ١٩٥٢ اختير وكيلا لوزارة المعارف فى حكومة الأردن وفى سنة ١٩٥٥ اختير رئيسا لديوان الموظفين بدرجة وزير وفى سنة ١٩٦٥ عين رئيساً لديوان المحاسبة بالدرجة نفسها .

وبعد نكسة ١٩٦٧ دعى للعمل الوزارى فأصبح وزيرا للخارجية ورئيس وفد الأردن إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ثم عين سفيراً للأردن فى مصر سنة ١٩٦٨ وقد تقلد وزارة التربية والتعليم فوزارة الثقافة والإعلام . وفى سنة ١٩٦٩ استقال من العمل الوزارى وآثر التفرغ للكتابة والتأليف .

٢ - أدبه :

العامرى كاتب مشهور وباحث متعمق . يتناول موضوعاته تناولا علميا جادا مستنداً إلى منهج ، ومرتكزاً على دعائم وقد صال قلمه وجال على صفحات الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى فلسطين كالجامعة العربية ومجلة الفجر والمجلات التى تصدر فى عواصم العروبة حيث كتب فى « الرسالة » و « الثقافة » و « المقتطف » فى مصر و « الأديب » و « الآداب » فى بيروت .

وقد وجه عناية خاصة للدراسات التاريخية الجادة فيما قدمه أخيرا للمكتبة العربية من حقائق عن عروبة فلسطين وعروبة القدس . وتفنيد المزاعم الصهيونية .

وقد عالج كتابة القصة وله مجموعة قصصية جمعت بين التأليف والترجمة ، وأبدع كتابة المقالة فى جوانب الحياة المختلفة بأسلوب واضح فيه دقة العلم وتحديد مصطلحاته وأناقة تعبير الأدب وجماله ووضوحه .

نموذج من كتاباته :

١ – فى التمهيد الذى كتبه لكتاب عروبة فلسطين يقول :

ويعالج هذا الكتاب ناحية رئيسية من تاريخ فلسطين وهى مدى عروبة هذه البلاد قبل الإسلام وفيه اهتمام خاص بالقدس ، وبدعوى اليهود بما يسمى « حقهم التاريخى » فى البلاد ، ودعواهم بأن الرب وعدهم بها وطناً لهم . ففى موضوع صلة العرب بفلسطين يرتكب بعض الكتاب المحدثين وبخاصة الغربيون خطأ تاريخيا جسيماً حين يقولون ، أو يوحون ، بأن صلة العرب بفلسطين أو بالقدس إنما ترجع إلى تاريخ دخول المسلمين اليها أى منذ ١٣٣٢ سنة ، ويختصرون أحيانا فيقولون : ثلاثة عشر قرنا . ولكنهم ينسون أولايوضحون أن المسلمين حين دخلوا القدس دخولهم المعروف ذاك لم يكونوا إلا المد العربى الأخير الذى أجلى عن بلاد عربية من قبل (فلسطين وسورية ومصر) حكم الرومان الأجنبى كما أزال عن العراق حكم الدولة الفارسية ، أما سكان البلاد الأصليون فكانت كثرتهم الغالبة عرباً مسيحيين وغير مسيحيين قبل ذلك بآلاف السنين . هم الذين عمروا فلسطين وهم الذين بنوا القدس لأول مرة فى التاريخ ومع أن إقامة ثلاثة عشر قرناً متوالية تكسب حقا لاريب فيه فإن هذا النسيان أوالغموض أوالتجاهل له أهميته لأن اليهود – وهم يملأون الدنيا بدعاياتهم – قد أوحوا إلى كثيرين وكأن تاريخ فلسطين القديم هو تاريخ اليهودية لآلاف السنين والحقيقة هى أن اليهود إنما طرءوا على القدس وفلسطين طروءاً عابراً فى مطلع الألف الأول قبل الميلاد »[١] .

من آثاره :

١ – شعاع النور مجموعة قصصية – القاهرة – ١٩٥٣ .

٢ – القدس العربية ١٩٧١ .

٣ – عروبة فلسطين – المكتبة العصرية – لبنان – ١٩٧٢ .

---

(١) عروبة فلسطين – ص ١٠ – تمهيد .

١٢ – محمود العابدى

١٩٠٧

١ – حياته :

ولد محمود سلمان العابدى فى قرية عصيرة الشمالية من أعمال قضاء نابلس سنة ١٩٠٧ وفى المدرسة الصلاحية بمدينة نابلس تلقى دراسته فى المرحلة الابتدائية وواصل دراسته الثانوية فى دار المعلمين بالقدس ، وتخرج فيها سنة ١٩٢٧ وعين مدرساً فى المدرسة الصلاحية الثانوية فى نابلس وبعد أن أمضى بها عامين نقل إلى مدرسة بيت لحم وأمضى بها أربع سنوات ثم إلى مدرسة الزاوية فى صفد ، ودأب على الدرس والمطالعة والثقافة الذاتية وتقدم لامتحان المعلمين الأعلى فى فلسطين ونجح فيه . وظل يدير المدرسة فى صفد حتى وقعت الكارثة سنة ١٩٤٨ فلجأ إلى شرق الأردن وزاول التعليم فى مراحله المختلفة ثم عين مديراً لمدرسة رغدان الثانوية فمساعداً لمفتش معارف لواء البلقاء فمفتشا عاماً فى وزارة التربية والتعليم للتعليم الخاص .

ثم نقل بعد ذلك من وزارة التربية لدائرة الآثار وأوفد فى بعثة إلى اليونان وإيطاليا وبريطانيا لمدة عام عاد بعده ليشغل وظيفة مساعد مدير دائرة الآثار وبعد ثمانى سنوات نقل مديراً لدائرة الثقافة والفنون حيث أمضى بها أربع سنوات أحيل بعدها إلى المعاش سنة ١٩٧٠ .

٢ – أدبه :

عشق العابدى القراءة والمطالعة ورغب فى أن يطلع القراء على ثمرات قراءته وكانت أحب الكتب والدراسات إليه كتب التاريخ والجغرافيا ، والتاريخ مجال خصب ، وروض فسيح زاخر بالأشجار والثمار ، وقد طاف العابدى فى أرجاء هذا الروض ، وقطف من ثماره ، وقدم مقتطفاته إلى المكتبة العربية .

وقد مزج فى كتابته بين التاريخ والأدب والآثار والسياسة ووهب الله له نشاطا فى التأليف فأربت آثاره على العشرين مؤلفاً فى الأدب والسياسة والتاريخ والآثار .

وقد طاف فى أرجاء الدنيا ، وأفادته هذه الرحلات مزيدا من الخبرة والاطلاع والوقوف على

المصادر الهامة لدراساته وشهد الكثير من المؤتمرات العلمية والفكرية التى عقدت فى عواصم العالم العربى ، وألقى محاضرات فى معهد الدراسات العربية العالية التابع للجامعة العربية .

نموذج من نثره :

وقف شيخ العروبة المرحوم أحمد زكى باشا فى هلال قبة الصخرة سنة ١٩٢٢ والتفت جنوباً إلى مكة ، وشرقاً إلى بغداد وشمالاً إلى دمشق ، وبعث بتحياته لها من هذا الموقف الجليل ، وأصبح من عادته أن يمضى شهراً على الأقل من صيف كل عام فى مدينة القدس ، ولقد ذكر فى إحدى محاضراته خلال انعقاد المؤتمر الإسلامى فى بيت المقدس سنة ١٩٣١ أنه سأل مفتيها الحاج أمين الحسينى عن سبب أنه زار بيت الله الحرام فى مكة المكرمة مرة ولاتحدثه نفسه بالعودة إليه ، ولكنه ينتظر زيارة القدس كل صيف بفارغ الصبر وهو يرجو صديقه المفتى تعليلا لذلك فأجابه : فى بيت الله الحرام الجلال ، وفى بيتنا الجمال ، والإنسان مفطور على حب الجمال وعلى تهيب الجلال فارتاح لهذا الجواب ، وبعد ست سنين وقف فى الهلال مرة أخرى ولكنه عندما التفت إلى الغرب ، واخترقت نظراته الحجب ، ورأى الأحياء اليهودية التى أخذت تطوق القدس تشاءم وقال : أرجو أن أموت قبل أن أرى الطوق قد أحكم بهذه المدينة العزيزة وسأحاول فى هذا الكتاب شرح هذه الأقوال ، وأرجو أن أوضح قولى : إن القدس كانت عربية وعاشت عربية ، وإن الغمة الحالية عما قريب ستنقشع وستعود المدينة العزيزة عربية بقوة وعزة إن شاء الله تعالى »[١] .

أحمد سامح الخالدى :

تخرج الأستاذ أحمد سامح الخالدى ابن الشيخ راغب الخالدى فى كلية الصيدلة بجامعة بيروت الأمريكية سنة ١٩١٧ ، وخدم فى الجيش العثمانى فى أخريات الحرب العالمية الأولى . ولما كان يشعر منذ بداية حياته العملية بميل شديد إلى التعليم والتدريس فقد اعتزل الصيدلة وعاد الى الدراسة حتى نال درجة الماجستير ، وبدأ حياته التعليمية مفتشا للوائى يافا وغزة منذ سنة ١٩٢٠ وإننى لأذكر أن طلاب دار المعلمين بالقدس (وكنت منهم) زاروا يافا سنة ١٩٢٤ فدعانا المرحوم إلى دار الأسرة بين بيارات البرتقال وأجلسنا فى القاعة التى جلس فيها امبراطور النمسا عندما مر بفلسطين فى رجوعه من

---

(١) قدسنا – ص ٦ – المقدمة .

افتتاح قناة السويس وأغدق علينا من لطفه وكرمه .

وفى ربيع سنة ١٩٢٥ جاء اللورد بلفور ليفتتح الجامعة العبرية فى بيت المقدس فأضربت المدارس ، وكان فى مقدمتها دار المعلمين التى خرجت منها الشرارة الأولى إلى المدارس الأخرى ، وقد أعلن الأستاذ الدكتور خليل طوطح – وكان مديرها يومئذ عجزه عن تهدئة الحالة فاستقال من إدارة دار المعلمين فأغلقتها حكومة الانتداب ثلاثة أشهر وقد احتارت فى الشخصية التى تستطيع قيادة سفينة تلك الدار فى بحر متلاطم الأمواج ، وأخيرا كلفت إدارة معارف فلسطين الأستاذ الخالدى بإدارتها .

ولن أنسى دخول هذا الشخص العملاق الأشقر الوجه الأزرق العينين المتدفق حيوية ونشاطا واعتدادا بالذات ، وكيف بدأ حياته مديراً لنا وقد انطبع فى أذهاننا أنه جاء ليبطش ولكن سرعان ماتبدد هذا الوهم ولاسيما عندما تسربت شخصيته القوية إلينا فأصبحنا نشعر بالعزة والكرامة وأننا سنكون بناة جهاز التربية والتعليم فى هذا القطر المبتلى بالاستعمار والصهيونية .

لقد اختط سياسة جديدة فى اختيار طلاب دار المعلمين عندما أخذ يطوف على جميع المدارس الثانوية فى نهاية كل سنة مدرسية لينتخب الأوائل فى صفوفها ممن امتازوا بالذكاء والدرس ، وهكذا استطاع هذا الرجل العامل العالم أن يخلق جيلا جديدا من المتعلمين الذين تولوا تعليم أبناء البلاد وأصبحوا بعد النكبة الأخيرة خير صادرات فلسطين تتلقفهم الأقطار العربية وقد انطبع كل واحد منهم بطابع أحمد سامح الخالدى » [1] .

من آثار العابدى المطبوعة :

١ – من قصص العرب ١٩٥٧ .

٢ – القصور الأموية ١٩٥٨ .

٣ – من تاريخنا – الجزء الأول – ١٩٥٩ .

٤ – من تاريخنا – الجزء الثانى ١٩٦٣ .

٥ – التاريخ بالقصص ١٩٦٤ .

٦ – قدسنا – مطبوعات معهد الدراسات العربية – ١٩٧٢ .

---

(١) أهل العلم والحكم فى ريف فلسطين – منشورات دائرة الثقافة والإعلام – الأردن – أحمد سامح الخالدى – المقدمة ص ١ .

١٣ - أحمد الشقيرى

١٩٠٨

١ - حياته :

ولد أحمد بن الشيخ أسعد الشقيرى سنة ١٩٠٨ وهى السنة التى أعلن فيها الدستور العثمانى الذى أستقبله أبناء الولايات العربية فى الحكومة العثمانية بالبشر يحدوهم الأمل فى أنه سيحقق لهم المطالب ، ويلبى الرغبات .

ولد فى مدينة طولكرم التى قضى بها فترة من طفولته المبكرة مع والدته قبل أن يعيش مع والده فى عكا . وفى حوالى سنة ١٩١٦ ترك طولكرم ، وقصد مدينة عكا وعاش فى كنف أبيه ورعايته ، وتلقى دراسته الابتدائية فى مدرسة عكا ولكنه فى خلال دراسته أخذ يتردد على جامع الجزار ويشهد دروساً فى التفسير والحديث والفقه واللغة العربية على الشيخ عبد الله الجزار الذى كان يشرح الدروس لطلابه يومئذ حسب الطريقة القديمة ، أو نهج الشرح فى الأزهر الشريف المعتمد على المتن والشرح والحاشية ومن هنا جاء تمكنه من اللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وأدبها ، وجاءت قدرته على الخطابة بأسلوب يتسم بالوضوح والتأثير ، ويكثر فيه الإستشهاد بأبيات الشعر فى الموضع المناسب ،

ومن عكا اتجه إلى القدس ليواصل دراسته فى المرحلة الثانوية بمدرسة صهيون التى كانت تدرس لطلابها جميع مواد الدراسة باللغة الإنجليزية ، وقد مكنته دراسته فى المدرسة من حذق اللغة الإنجليزية والإحاطة بقواعدها وهذا يفسر طول باعه فيها وإلقاء خطبه السياسية بها فى المحافل الدولية كأحد أبنائها وقد أنهى دراسته الثانوية فى مدرسة صهيون سنة ١٩٢٦ وفى سنة ١٩٢٧ أم بيروت لإكمال دراسته العالية فى الجامعة الأمريكية ولكن حدث ما حال بينه وبين هذه الدراسة ، وما أرغمه على العودة إلى فلسطين ، وماكان نقطة تحول بارزه فى حياته . وذلك أنه شهد الحفل الذى أقيم فى بيروت فى ٦ مايو سنة ١٩٢٧ بمناسبة ذكرى شهداء مايو الذين أعدمهم جمال السفاح سنة ١٩١٦ ، وألقى خطاباً ملتهباً نيابة عن الطلاب تحدث فيه عن الوحدة العربية فعاقبته الحكومة الفرنسية عليه بفصله أولاً من الجامعة ، وإبعاده ثانياً عن البلاد الخاضعة للإنتداب الفرنسى وفى سنة ١٩٢٨ انتظم فى الدراسة طالباً فى معهد الحقوق الفلسطينى الذى أنشأته حكومة الإنتداب ، وقضى به أربع سنوات

حصل فى نهايتها على إجازة الحقوق سنة ١٩٣٢ ، وأخذ يزاول مهنة المحاماة وافتتح له مكتباً فى عكا وآخر فى حيفا .

٢ - كفاحه الوطنى :

وعندما بدأ الإضراب العام فى فلسطين سنة ١٩٣٦ اعتقلته الحكومة البريطانية لمدة ستة أشهر أطلقت بعدها سراحه واشتعلت الثورة الفلسطينية فلجأ إلى سورية سنة ١٩٣٨ وظل لمدة عام .

وفى سنة ١٩٣٩ ، وعند نشوب الحرب العالمية الثانية أبعدته السلطات الفرنسية وحضرإلى القاهرة سنة ١٩٤٠ وأقام بها فترة من الزمن عاد بعدها إلى فلسطين ، واستأنف عمله فى المحاماة .

وحين قامت الجامعة العربية سنة ١٩٤٥ كلفته بإنشاء مكتب للإعلام فى واشنطن فأنشأه وعاونه نفر من أبناء فلسطين وأخذ يتنقل بين واشنطون ونيويورك لمدة ستة أشهر بعد إنشاء المكتب عاد بعدها إلى القدس ليشرف على المكتب العربى فى بيت المقدس .

وفى سنة ١٩٤٨ وقعت كارثة العرب والمسلمين فى فلسطين ، وعقد اجتماع للأمم المتحدة فى باريس شهده الشقيرى على رأس وفد فلسطين وعرض فيه القضية الفلسطينية عرضاً موفقاً .

وفى سنة ١٩٤٩ اختارته الحكومة السورية عضواً فى الوفد السورى ليتولى الدفاع عن القضية الفلسطينية فى الأمم المتحدة .

وفى سنة ١٩٥٣ وقع اختيار الجامعة العربية على الشقيرى ليكون أميناً عاماً مساعداً عن سورية ، وكان خلال انعقاد الدورة رئيساً للوفد السورى وعندما برزت مشكلة مياه العقبة استعارته الحكومة السعودية من سورية ليتولى الدفاع فى قضية خليج العقبة فى الأمم المتحدة والمؤتمر الدولى لقانون البحار الذى عقد سنة ١٩٥٨ وظل يعمل مع السعودية حتى سنة ١٩٦٣ إلى أن نشبت ثورة اليمن حيث ترك العمل مع الحكومة السعودية .

وفى سنة ١٩٦٤ انعقد مؤتمر القمة وكلف الأستاذ الشقيرى بإنشاء منظمة التحرير وكان أول رئيس للجنة التنفيذية للمنظمة من ١٩٦٤ إلى ١٩٦٧ وبعد حدوث نكسة يونية ١٩٦٧ ؛ وانعقاد مؤتمر الخرطوم سنة ١٩٦٧ وفى أعقاب ظروف عربية دولية آثر أن يتخلى عن قيادة المنظمة ، وينصرف إلى تأليف كتبه ، وتدوين مذكراته .

٣ – أدبه :

بعد أحمد الشقيرى خطيباً من خطباء فلسطين المصاقع الذين يهزون القلوب ، ويستحوذون على النفوس ، بأسلوبه القوى ، وعبارته الرصينه ، وقدرته على الإقناع ، واستشهاده بأيات القرآن الكريم ، وأبيات الشعر العربى لفحول الشعراء .

والشقيرى يجيد الخطابة باللغة العربية واللغة الإنجليزية وهو يخطب باللغة العربية ارتجالاً .

وهو كاتب مجيد يكتب المقالة ، وينظم البحث ، ويبدع كتابة اليوميات وتصوير المشاهدات ، وتدوين مراحل الحياة ، وعهود الطفولة . وتمده فى كتاباته روافد من الثقافة العربية الأصيلة استقاها من المنابع الصافية . القرآن الكريم ، والحديث الشريف وروائع الشعر ، وعيون الأدب وقد وعت ذاكرته الكثير من هذه الروائع التى تجعله يستشهد بها فى خطبه وكلماته .

١ – نموذج من نثره :

كنت مواظباً على المدرسة مجتهداً فى دروسى ، وكثيراً ماكنت أبكر فى الذهاب إلى المدرسة حتى قبل أن تفتح أبوابها ، ومرات ومرات كان البواب يحضر إلى المدرسة ليجدنى جالساً على العتبة فيفتح الأبواب وأدخل معه .

ولعل هذا الجد من جانبى طبيعة فى نفسى منذ صغرى ، ولعله قد تضاعف بقدر ماكنت أسمعه من العجائز فى بيتنا من النصح الملح بالإنكباب على الدرس ، وأن الدرس وحده هو الذى سيأتينى بالفرج .

بل لعل ماكنت ألاقيه من الحرمان فى البيت ، ومما يلاقيه إخوتى من الدلال والعناية كان حافزى على العلم فلطالما همس الخدم والعجائز فى أذنى «بالعلم ستصير أحسن من الجميع» وكانت دروسنا فى هذه المدرسة الإبتدائية باللغة التركية ، وكان المعلمون عرباً ، ومعظمهم من سكان المدينة ، وكان القرآن أحد مواد الدراسة ، والتجويد مادة مستقلة وهو علم له قواعد صارمة فى ترتيل القرآن ، ولكن الغريب العجيب أن الصرف والنحو كانا يدرسان باللغة التركية فقد كان المعلم ولقبه بالتركية (خوجه أفندى) يجلس على كرسيه ، وعمامته «جالسة» على رأسه يميل إلى الإمام وإلى الوراء وهو يقرأ بأعلى صوته ونحن نكرر من ورائه : زرب ، يزرب ، أزرب ، لا تزرب ، ويقابل ذلك باللفظ الصحيح : ضرب ، يضرب ، أضرب ، لا تضرب ، وشتان بين اللفظين فى النطق والمعنى ولكن هذه

هى اللهجة التركية ، وكان على «خوجه أفندى» العربى العكاوى أن يعلمها للتلاميذ العرب فى هذه المدينة العربية .

وكانت الكتب بين أيدينا باللغة التركية كالحساب والقراءة العامة ولم أكن أجد مشقة فى ذلك فقد كانت اللغة التركية هى لغتنا فى البيت ، وأذكر أن التلاميذ كثيراً ماكانوا يسألوننى عن بعض الألفاظ التركية ، ويستعينون بى فى فهم دروسهم ومع ذلك فقد كنت مولعاً باللغة العربية والقرآن منذ نشأتى وظل ولعى باللغة يرافقنى فى جميع مراحل التعليم حتى تمكنت من قواعدها وشواردها ، وأصبح الأعراب سليقنى فما فسدت موسيقى الإعراب فى أذنى إلا بعد ما عملت فى الجامعة العربية بعد ثلاثين عاماً ويومها أصبح اللحن يملأ أذنى بما أسمعه من أحاديث الرؤساء والوزراء والسفراء .

ونسيت اللغة التركية إلا قليلاً ولكنى بقيت متمكناً من اللغة العربية ازداد مع العمر شغفاً بها وأنا أبتسم كلما ذكرت العربى «الفارسى» «سيبويه» وهو يدفع بكتابه «الكتاب فى علم النحو إلى جمع من علماء النحو والصرف حين قال خذوا لغتكم من رجل أعجمى» (١)

٢ - السلاح فى خلايا النحل :

ومن كبار الزوار الذين زاروا مدرسنا فى عكا ذات يوم السيد جورج انطونيوس ، وكان النحو موضوعنا يوم دخل على الصف واختارنى أستاذى لأخرج إلى اللوحة فقد كنت متمكناً من قواعد اللغة العربية لا تفوتنى أحاجيها وشواردها ، وراح الزائر يملى علىَّ بيت الشعر التالى .

كن ابن من شئت واكتسب أدباً   يغنيك محمـــوده عن النسب

فمضيت فى سهولة ويسر أعربه كلمة كلمة إلى أن بلغت كلمة «يغنيك فقلت له» جواب كن فى أول البيت ، فقال لى الجواب يجب أن يكون مجزوماً ، ويجب أن يكون اللفظ يغنك لا يغنيك ، ولم يكن قد مر على مثل هذا الشاهد فحرت فى أمرى ثم خطر لى أن أقول إنه ضرورة شعرية فقال أصبت (٢) .

وحين عدت إلى البيت وخلوت إلى نفسى تذكرت أمراً يفوق النحو والإعراب فى بيت الشعر

---

(١) أربعون عاماً فى الحياة العربية والدولية من ص ٤٧ - ٥٠ تحت عنوان ليعيش سلطاننا طويلاً ، وكانت الحرب العالمية الأولى لاتزال تبسط ظلها على حياة الناس.

(٢) من المعروف أن الفعل المضارع الواقع جواباً للأمر يجوز جزمه لوقوعه فى جواب الأمر ويجوز رفعه ، ومادام الرفع جائزاً فقد انتفت الضرورة الشعرية.

الذى أملاه على جورج أنطونيوس لقد كان صدر البيت كن ابن من شئت واكتسب أدباً وساءلت نفسى ترى هل عرف السائل أننى ابن الشيخ أسعد الشقيرى فأملى على هذا البيت حتى لا يأخذنى الغرور بوالدى ؟ لست أدرى ، ولم أر جورج أنطونيوس بعد ذلك كل حياتى وكان له فى الحقل الوطنى دور فعال من وراء ستار سأعرض له فى حينه [١] .

٣ – لك الله يا غزة :

وكان من رفاقنا فى مدرسة صهيون فى بيت المقدس بضعة طلاب من غزة ، توثقت بينى وبينهم عرى الصداقة ، وكان أحدهم يحدثنى عن شئون بلده كما كنت أحدثه عن شئون بلدى ، فغزة مثوى جد الرسول ﷺ ، وبلد الشافعى عبقرى التشريع الإسلامى ، وعكا مدينة صلاح الدين . التحم حول أسوارها مع ريكاردوس قلب الأسد ، وهى البلدة التى ارتد عنها نابليون وقال قولته المشهورة : « على أسوارك يا عكا أضعت مستقبل حياتى » .

وكنا نتساجل التاريخ ، ونعدد المفاخر والمآثر مع زميلى الغزى ، وكان يحدثنى بحسرة ومرارة عن الهجرة ، ما قبلها وما بعدها . وبادرت زميلى الغزى مرة ونحن فى ساحة الملعب – وإسمه جلال ترزى – وقلت له :

– ما هذه الهجرة التى تكثر من تردادها ؟ ولولا أنك مسيحى لحسبت أنك تشير إلى الهجرة النبوية ، فضحك وقال : لا . . إنها هجرة غزية ، فقد هاجر الكثير من أهالى غزة فى أثناء الحرب الأولى فراراً من هول الحرب .

ولقد أكرمه الله ومات فى غزة فى ميعة الصبا ، ولم تكن الأحداث الرهيبة على غزة قد وقعت . توفاه الله قبل أن يشهد الإحتلال الإسرائيلى لغزة سنة ١٩٥٦ حين نكلت العصابات الإسرائيلية بأهالى غزة ورفح وخان يونس ودير البلح ، فاستشهد من استشهد ، وهاجر من هاجر ، وكانت الهجرة الثانية ، ثم جاءت النكبة الكبرى فى حزيران من عام ١٩٦٧ فأبلى قطاع غزة بمدنه وقراه وجيشه وشعبه بلاء مجيداً فى وجه القوات الإسرائيلية ، وجاءت الهجرة الثالثة من القطاع إلى الأردن ، وكانت الليلة أسوأ من البارحة لا أشبه .

وشاء القدر أن أكون بعد أربعين عاماً رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وأن تتوالى زياراتى لهذا القطاع العظيم ، وأن أشهد أصالة الأمة العربية وبطولتها فى شعبه الشجاع مما سيأتى ذكره فى حينه .

---

(١) المصدر السابق ص ٦٤ .

ثم يشاء القدر أن أعود بذاكرتى أربعين عاماً إلى الوراء ، وأذكر زميلى جلال الترزى وهو يروى أيام الهجرة ، وقد عشت بعده لأشهد الهجرة الثانية والثالثة والصيحة تتداوى من أعماق فؤادى . لك الله ياغزة : [١]

من آثاره المطبوعة :

١ – من القدس إلى واشنطن ١٩٤٦ .

٢ – قضايا عربية ١٩٦١ .

٣ – دفاعاً عن فلسطين والجزائر ١٩٦٢ .

٤ – فلسطين على منبر الأمم المتحدة ١٩٦٢ .

٥ – مشروع الدولة العربية المتحدة ١٩٦٧ .

٦ – أربعون عاماً فى الحياة العربية والدولية ١٩٦٩ .

٧ – حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء ١٩٧٠ .

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٥ – ١١٠ .

١٤ - أكرم زعيتر

١٩٠٩

١ - حياته :

ولد أكرم زعيتر فى مدينة نابلس سنة ١٩٠٩ ، وفى مدارسها الابتدائية تلقى دراسته فى المرحلة الأولى وواصل دراسته الثانوية فى كلية النجاح الوطنية وحصل منها على شهادة إتمام الدراسة الثانوية ثم ولى وجهة شطر الجامعة الأمريكية فى بيروت وحصل منها على درجة البكالوريوس وعاد بعد ذلك إلى فلسطين ودرس فى معهد الحقوق الفلسطينى ، وحصل منه على إجازة القانون .

وزاول مهنة التدريس فى المدارس الثانوية متنقلاً بين مدن فلسطين وآخر مدرسة كان يدرس طلابها هى مدرسة عكا الثانوية .

وعندما اشتعلت ثورة البراق سنة ١٩٢٩ استقال من وظائف الحكومة وآثر أن يتفرغ للعمل فى ميدان الكفاح الوطنى . والواقع أن ميدان الكفاح الوطنى فى فلسطين كان الميدان الذى اقتحمه المثقفون ، لأنهم كانوا يعتقدون أنه الميدان الذى ينبغى عليهم أن يؤثروه على ما عداه فقد كان جهاد أبناء فلسطين ضد الانتداب والصهيونية مسألة حياة أو موت ، أو وجود أولا وجود . وكثير من شعراء وكتاب وخطباء فلسطين المشهورين استغرق الكفاح جهودهم ، ولم يبق لديهم متسع للأدب أو الفكر لأن الفكر كان مجنداً لخدمة البلاد . وهذا ما يعلل لنا قلة المؤلفات والآثار الفكرية للذين خاضوا ميادين الجهاد بخطبهم ومقالاتهم ، وأقلامهم أمثال السكاكينى ، وأحمد الشقيرى ، وأكرم زعيتر .

وبعد أن استقال أكرم من وظائف إدارة معارف حكومة فلسطين ، واتجه للعمل الوطنى تولى رياسة تحرير صحيفة مرآة الشرق المقدسية لصاحبها بولس شحاته ، وبعد ثلاثة أشهر ألقت السلطات البريطانية القبض عليه ، وقدمته للمحكمة التى أصدرت حكمها عليه بالسجن والإبعاد إلى نابلس لمدة عام أجج أكرم فى خلاله الروح الوطنية فى المدينة وقاد المظاهرات ضد حكومة الانتداب فى الأعياد الوطنية ، وبعد انتهاء الإبعاد عاد إلى القدس واستأنف مقالاته فى صحيفة الحياة .

وانضم أكرم إلى حزب الاستقلال وكان من أعضائه البارزين وحين لبى الملك فيصل الأول نداء ربه أوفده الحزب ليمثله فى رثاء الملك وأدى أكرم مهمته فى العراق ورغب فى العودة إلى فلسطين

ولكن المرحوم يس الهاشمى رئيس الحكومة العراقية يومئذ رغب إليه فى الإقامة فى العراق والعمل فى معاهدها موجهاً قومياً واستجاب أكرم للرغبة وأمضى بالعراق فترة من الزمن ثم عاد بعدها إلى فلسطين.

ولما أن اندلعت ثورة فلسطين الكبرى سنة ١٩٣٦ اعتقلت السلطات البريطانية أكرم فى عوجا حفير ثم نقلته إلى معتقل صرفند بجوار مدينة الرملة ، وطاردت الحكومة البريطانية أكرم بعد إطلاق سراحه من معتقل صرفند فلجأ إلى دمشق وعندما اضطهدت السلطات الفرنسية المجاهدين المقيمين فى دمشق بعد نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ توجه أكرم إلى العراق وزاول الإشراف على التوجيه القومى فى وزارة المعارف إلى أن نشبت ثورة رشيد عالى الكيلانى سنة ١٩٤١ وحين أخفقت لجأ أكرم إلى بادية الشام ثم إلى حلب ثم إلى تركيا التى قضى بها سنوات الحرب لاجئاً سياسياً فى الأناضول مع نفر من إخوانه المجاهدين أبناء فلسطين وبعد أن أعلن استقلال سورية سنة ١٩٤٣ عاد إليها وكان موضع الإجلال من رئيس الجمهورية شكرى القوتلى ومن طبقات الشعب وفى سنة ١٩٤٧ رأس وفداً عربيًّا موفداً من الهيئة العربية العليا إلى أمريكا اللاتينية لشرح قضية فلسطين والدفاع عنها وقد أدي مهمته على خير الوجوه وألف كتاباً تحدث فيه عن رحلته وسماه «مهمة فى قارة» .

وعاد أكرم إلى الأردن سنة ١٩٥١ بعد أن ظل بعيداً عن بلاده وعاش بها فترة ثم مثلها فى الدورة السادسة عشرة للأمم المتحدة سنة ١٩٦٢ وفى سنة ١٩٦٣ عين سفيراً للأردن فى سورية ثم سفيراً للأردن فى طهران وأفغانستان وفى سنة ١٩٦٦ عين وزيراً للخارجية وفى سنة ١٩٦٧ عين عضواً فى مجلس الأعيان الأردنى ، وفى سنة ١٩٦٧ عين وزيراً للبلاط الملكى ثم عين بعد ذلك سفيراً للأردن فى لبنان إلى أن أحيل إلى المعاش .

٢ – أدبه :

أكرم عالم ومؤرخ وباحث وخطيب من الطراز الأول يخلب القلوب ، وكاتب عبقرى فذ يصوغ أسلوبه فى أقوى عبارة ، وأجود تركيب ، وهو كاتب متمكن من لغته يملك ناصية البيان ، ويطوع اللغة لما يريد التعبير عنه فلا تتأبى عليه ، ولا تجمح وهو أديب مطبوع يتأنق فى جمله وتبدو فى خطبه ومقالاته ثقافته العربية الأصيلة ومطالعاته فى اللغة والأدب وهو حريص كل الحرص على صحة كل كلمة فى مقالاته وضبط كل لفظة ، لقد تعمق فى دراسة اللغة العربية ، ووقف على أسرارها ، ووعى فرائدها وحفظ الكثير من شعر شعرائها وأدب أدبائها وما أكثر ما يستشهد بآيات القرآن الكريم . وأبيات الشعر .

مختارات من أدبه :

تأبين القسام

إن رسالتنا فى وحدة العرب ومعركة الثأر لن يسلبها واقعنا المرير روعة خيالها وفتنة جمالها . بالأمس دفنا القسام ، ودفنا معه العدل البريطانى ، واليوم جئنا نؤبن القسام ونؤبن معه الإنصاف الإنكليزى . لماذا تحشد الحشود ، وتهرع الوفود وتقام الحفلات ، وتعقد الاجتماعات ، لماذا تخفق القلوب بذكر انقسام وصحبه .

ولم التمجيد والرثاء والتأبين ألأنهم ماتوا والناس قاطبة يموتون كلاً بل لأنهم عرفوا كيف يموتون ، وأى سبيل إلى الجنة يسلكون . ولكن لماذا تهز ميتتهم مشاعر الأمة فتزحف إلى إيداعهم لحودهم فى يوم عنيف عظيم ؛ ويتداعى الشعب إلى حمل نعوشهم على الأعناق ؟ لماذا تنطلق أفواه النساء بالزغردة دون النحيب فى قائمة الشهداء الخالدين ؟ ولماذا اندفعت حيفا فى يومها العجيب إندفاع الأتى المنهمر تكاد قلوب شبابها وفتيانها تثب جمرات تقذف الأعداء ، ومآقى شيوخها تقدح شرراً ذلك لأن الأمة وجدت فى القسام ترجماناً أحسن التعبير للغاصب عن شعورها واستيائها وخاطب بأفصح لغة وأكرم بيان ذلك لأن القسام مسح عن جبهة الوطن عار الإستسلام ، وسبة الوقوف على الهوان . ذلك لأنه خاطبهم بلغة فصيحة مفهومة نافذة مؤثرة فأعز الكرامة العربية ، وفتح فى القضية باب الجد ، ودق بيده المضرجة باب المجد .

فى ذكرى شهداء ٦ مايو

أمة أصيلة صيغت من عنصر الإباء ؛ ونقلت بكبريائها الأرض إلى السماء ، وأملت على الدهر ما تشاء ، كتبت فى العلم والفن صفحات نيرات باهرات ، وبشرت وأرشدت وهدت على سنة رسولها لتتم مكارم الأخلاق ، ويالها ديمة سمحاء صافية أخصبت بها الأرض ، وربت وأنبتت وحيث دقت حوافر خيلها ، وحيث خفق لها لواء شادت منارة تضىء ومئذنة بالحق تهتف ، وقبة استظل بها ناشد مغفرة من الله ، ورائع علم وطالب عرفان ورأى الزمان أمة من نور . ثم قدر للنور أن يخبو وللفارس أن يكبو ،

وأعرضت الأمة عن سجاياها ، وأخذت تفقد مزاياها ، وسنن الاجتماع لا ترحم فتخلى السؤدد عنها وتفرقت فذهب ريحها ، وإذا الرايات تطوى ، وإذا الألوية تنكس ، وإذا الكتب تحرق وإن هى لم تغرق وإذا بأمة النور تسبح فى الديجور . كانت تصنع التاريخ فغدت عبدة التاريخ دماء الكرامة قد نضب ، وفتاة العرب تسبى ولا معتصم ولا عمورية ولا عرب ، جهل عميم وظلم طميم ، عدو يجتاح وحمى يستباح ، جباه تعفر ، وأنوف فى الرغام تغبر ، ألا يرى العرب ما هم فيه إنهم عمى ، ألا يسمعون إنهم بكم ، وقلوبهم ما فعل الله بها إنها غلف وعليها أكنة .

إلى الوحدة سبيل الخلاص

لقد برهنت الكارثة فى طليعة ما برهنت على أن جامعة الدول العربية فى وضعها الراهن ، وفى ميثاقها الواهن أعجز من أن تدفع عن العرب شرًّا .

وكيف ترجو أن تكون الجامعة أداة تحرر ووسيلة خلاص وهى التى عجزت فى مدى ست سنوات عن إلغاء جوازات السفر ، أو تلطيف قيود الانتقال بين أقطارها ؟ وأنت إذا سافرت من فرنسا إلى بلجيكا ، ومن هذه إلى هولاندا لا تجد على الحدود جزءاً من المصاعب التى تجدها إذا أردت أن تجتاز قطراً عربياً إلى آخر ، ولا تحتاج إلى بعض هذه القيود التى تقيد انتقال العربى من بلد إلى ثان فى هذا الوطن العربى الواحد .

إننى أزعم أن العلاقات بين البلاد العربية قبل قيام هذه الجامعة كانت أرحم ، وكانت ارحب منها بعد قيامها .

لقد تيسر لى أن أحضر بنفسى اجتماعات مجلس الجامعة فخرجت منها قانعاً بأن المنظمة التى تعجز عن تحقيق البسيط الهين هى أعجز عن تحقيق الجليل الخطير ، وأن التى لا تستطيع أن تلغى جواز سفر ، أو حاجزاً جمركيًّا لا تستطيع فى أى حال أن تقضى على دولة ناشئة تسمى إسرائيل .

لقد قدر لى أن أكون بضعة أشهر عضواً فى لجنة فلسطين الدائمة فى الجامعة ، وأذكر أنها قضت هاتيك الأشهر كلها تتذاكر فى : هل يجوز للقنصليات العربية أن تمنح سمة لجواز سفر أجنبى يحمل سمة إسرائيلية ؟ وتركت اللجنة وهى لا تزال تناقش الموضوع وأحسب أنها لماتنته منه وكنت أتصور ونحن فى نقاشنا البيزنطى التافه أن بن غوريون وشرتوك وغيرهما كانوا فى الحين ذاته يتناقشون فى المواضيع التالية : كم مصنعاً للأسلحة ننشئ؟ كم باخرة ؟ كم طائرة نشترى ؟ كم مستعمرة نقيم ؟ كم مائة

ألف مهاجر ندخلهم إلى إسرائيل ؟ كنت أتصور هذا وأزداد إيماناً بأن جامعتنا السلحفائية لن تستطيع فى حالها الراهن أن تؤدى للعرب رسالة خلاص .

وأعجب العجب أن هذه الجامعة التى يجب أن تخطو بالعرب نحو الوحدة الكبرى ، وأن تعمل على إزالة الحدود بين الأقطار العربية حتى تغدو قطراً واحداً غدت هى أداة لتأييد تلك الحدود الضيقة ، وتخليد هذه الكيانات الهزيلة وقد لبست فى سبيل تأمين استمرار التجزئة ثوب الدفاع عن سيادة كل شعب ، وكيان كل شعب حتى رأينا فى هذا البلد أولئك الإقليميين والانكماشيين والشعوبيين وأعداء الوحدة العربية الذين كانوا يرون فى الجامعة حين تأسيسها شبحاً راعباً وأداة خطرة قد صاروا هم أنفسهم يرونها أداة ضرورية ، وصاروا هم أنفسهم يتغنون بميثاقها ويجهرون بالولاء له ، ويتداعون إلى المحافظة عليه لا لأنهم كانوا إقليميين كافرين بالعروبة فغدوا عرباً موقنين بالوحدة العربية ولكن لأن الجامعة قد صارت أداة تخليد للإقليمية ، وتأييد للحدود ، ودفاع عن سيادات حزبية وكيانات مرضوضة .

ولا أتحدث هنا عن الضمان الجماعى وكيف ارتجل ، وماذا أريد به ، والغاية التى هدف إليها ومدى الرغبة الجدية والإرادة الصادقة فى تنفيذه فلست بسبيل ذلك ، ولكن حسبى الآن أن أجهر بأن الكارثة قد علمتنا أولاً أن جامعة الدول العربية عاجزة عن تقويض إسرائيل فلا يصح الاعتماد عليها سبيلاً للخلاص ، وعلمتنا ثانياً أن الدويلات العربية ذات الكيانات الهزيلة – وأستعير تعبيراً أندلسياً فأقول : إن ملوك الطوائف – التى عجزت عن تأديب عصابات الأمس هى أعجز اليوم عن إنقاذ هذه الأمة ، وتحرير هذا الوطن والذياد عن شرف العرب ورد الغائلة عنهم .

إذن لقد برهنت القارعة الفلسطينية على أن بقاء هذه الكيانات العربية الضعيفة الهزيلة على حالها يؤلف بينها ميثاق عنكبوتى سيكون عاملاً فى استمرار إسرائيل واتساعها .

وقد رأينا إسرائيل تستفرد الدول العربية فى قتالها استفراداً ، ورأينا هذه الدول العربية تعجز منفردة عن الانتصار عليها ، ورأينا كل دولة عربية تضع عبء الخذلان المبين على الأخرى :

لا يلم بعضكم على الخطب بعضاً أيها القوم كلكم أبرياء

إن دول ملوك الطوائف فى الأندلس قد تهاوت واحدة بعد الأخرى أمام الجيش الأسبانى الذى كانت نواته عصابات على رؤوس الجبال ، ثم غدا قوة كاسحة أجلت العرب عن فردوسهم الأندلسى العظيم . تماماً ، تماماً يشبه حالنا اليوم هنا حالنا بالأمس هناك فهل نظل دويلات أشبه ما تكون حين تهب العاصفة بالقصبات المرضوضة أو الريشات المقصوفة المنتوفة ؟ إننا إذا أردنا الخلاص من الهوان

الذى نتمرغ فيه ، والبقاء عرباً وعزمنا على الوجود فى هذا الكون فإن سبيلنا هو المبادرة إلى تلخيص هذه الدويلات أو اختصارها والسير حثيثاً نحو الدولة الاتحادية الكبرى ، لست أدخل الآن فى تفصيل يعين الشكل ويرسم الكيفية وإنما الذى يعنينى هو الجوهر (١) .

من آثاره المطبوعة :

١ – تاريخنا بالاشتراك مع درويش المقدادى – القدس ١٩٣٥ .

٢ – رسالة فى الاتحاد بالاشتراك مع ساطع الحصرى وكامل مروة – بيروت ١٩٥٤ .

٣ – مهمة فى قارة ١٩٥١ .

٤ – القضية الفلسطينية – دار المعارف – القاهرة ١٩٥٥ .

---

(١) رسالة فى الاتحاد . ص ٤٢ – ٤٣ .

١٥ – قدرى حافظ طوقان

١٩١٠ - ١٩٧١

١ – حياته :

ولد قدرى حافظ طوقان فى نابلس سنة ١٩١٠ ، وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية فى كلية النجاح بها وأنهاها سنة ١٩٢٤ وقصد بيروت لمواصلة دراسته العالية ودخل الجامعة الأمريكية ، وبعد أن أمضى فيها أربع سنوات وحصل على درجة البكالوريوس فى الرياضيات سنة ١٩٢٩ عاد إلى مدينته نابلس واختارته كلية النجاح مدرساً للرياضيات بها خلفاً للأمريكى المسلم الأستاذ أحمد هارلو ، وبعد أن قدم الأستاذ عبد اللطيف الحبال استقالته من إدارة الكلية اختير قدرى ليحل مكانه فطور مناهجها ، وأنشأ فيها معهداً للمعلمين وعلى الرغم من كثرة أعبائه وتعدد أعماله ظل متمسكاً بإدارته لكلية النجاح طوال حياته ، ولكلية النجاح تاريخ حافل فى مجالى المعرفة والكفاح الوطنى إذ كانت تلقن طلابها بذور حب الوطن . وتشعل فى قلوبهم الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية ، وتورى جذوة الاعتزاز بالعرب والعروبة لأنها لم تكن خاضعة لبرامج ومناهج مدير المعارف الإنجليزى فى فلسطين وقد أشربت الكلية المئات من أبنائها حب الوطن ، والتضحية فى سبيله وضمت أسرة التدريس بها الصفوة المختارة من الشعراء والكتاب والعلماء والباحثين من أبناء فلسطين والأقطار العربية أمثال شاعر فلسطين إبراهيم طوقان ، والشاعر الباحث اللغوى العالم محمد العدنانى ، والأستاذ أنيس الخورى المقدسى ، والدكتور عمر فروخ وغيرهم .

واندمج قدرى فى غمار المعركة الناشبة بين عرب فلسطين وبين الانتداب والصهيونية فاشترك فى المظاهرات ، وشهد المؤتمرات ، وعانى أهوال النفى والإبعاد عن أهله ومدينته وكان الطابع الفكرى هو الغالب عليه ، إذكان يرى أن العلم أعظم سلاح فى نهوض الأمم والشعوب وظفرها بحريتها واستقلالها ، وفى كتبه ومقالاته ومحاضراته كان دائماً يدعو الأمة العربية للإصلاح المعتمد على العلم والبناء المعتمد على الفكر .

ولما حدثت الكارثة سنة ١٩٤٨ اختير قدرى عضواً فى البرلمان الأردنى عن نابلس فى دورتين متتاليتين من أبريل سنة ١٩٥٠ إلى يونية ١٩٥٤ ثم اختير وزيراً للخارجية فى الحكومة الأردنية من

٦/٧/١٩٦٤ إلى ١٢/٢/١٩٦٥ وعمل على تحسين العلاقات بين الأردن ومصر ، وعاش قدرى أعزب مترهباً فى محراب العلم والمعرفة يجوب آفاق العالم ؛ ويوالى نشر الآثار ، ويزيح التراب عن تراث العرب فى الرياضة والعلوم والفلك إلى أن أدركته منيته فى السادس والعشرين من فبراير سنة ١٩٧١ فى مستشفى الجامعة الأمريكية فى بيروت على أثر نوبة قلبية ، ونقل جثمانه إلى عمان فنابلس حيث رقد فى المقبرة الشرقية إلى جوار ابن عمه إبراهيم طوقان شاعر فلسطين .

٢ – أدبه :

قدرى طوقان عبقرى فذّ ، وعلم من أبرز أعلام فلسطين الذين قامت على جهودهم دعائم النهضة الثقافية والعلمية فى فلسطين ، وقد لمع نجمه فى آفاق العالم العربى ، وتألق اسمه فى سماء الفكر ، وجاوزت شهرته حدود الوطن العربى إلى البلاد الأوربية .

وقد جمع قدرى بين العلم والأدب فكتب الأبحاث والمقالات الضافية عن فضل الصفر على المدنية ، وغرائب الأعداد ، وعجائب المعادلات ، ونيوتن أمير العلم ، وماكسويل ، بأسلوب علمى متأدب فيه دقة العلم ، وجمال الأدب ، وفيه تبسيط المعلومات وأناقة اللفظ وفيه أثر حكمة العقل ، ووقدة العاطفة .

كان عالماً فذاً فى الرياضة وقوانينها ، وفى معرفة حقائق المجموعة الشمسية ، وكانت عنايته متجهة إلى التعريف بتراث العرب العلمى ، فى شتى ميادينه وخاصة الرياضيات والفلك ، وبعث هذا التراث ، والدعوة للاعتزاز به بين الأجيال الصاعدة لا لتفاخر بما وصل إليه الأجداد فى ميادين العلم والمعرفة ، ولكن لتلفت الانتباه إلى ما أحرزه العرب فى هذا المضمار .

ولقد نشر قدرى علمه وأدبه من خلال الكتب التى قدمها للمكتبة العربية والتى تربو على العشرين مؤلفاً ، وفى المقالات والأبحاث والكلمات والمحاضرات التى أذاعها مَن إذاعة فلسطين العربية ، والشرق الأدنى ، ونشرها فى المجلات الأدبية التى كانت تصدر فى عواصم العروبة من سنة ١٩٣٠ – ١٩٥٠ المقتطف والرسالة والثقافة فى مصر والأديب والعرفان والأمالى فى لبنان ، والمحاضرات التى ألقاها فى الأندية الثقافية ، والمجامع العلمية ، وقد شارك قدرى فى بناء صرح الحضارة والثقافة العربية بما أسهم فيه من جهود ، و بما انضم إليه من مؤسسات ثقافية فمع أنه كان مدير كلية النجاح كان أيضاً عضو الهيئة الإدارية للجنة الثقافة العربية فى فلسطين منذ سنة ١٩٤٥ وهى اللجنة التى دعت سنة ١٩٤٦ إلى إقامة معرض الكتاب العربى الفلسطينى الأول فى بيت المقدس وهو عضو المجلس الأعلى

للتعليم فى الأردن ، ورئيس اللجنة الأردنية للعلوم من ١٩٥٥ إلى وفاته ، ورئيس اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر من ١٩٦١ - ١٩٦٧ ، وعضو فى مجلس البحث العلمى الأردنى ، وهو عضو المجمع العلمى العربى فى دمشق ، وكان عضو مجمع اللغة العربية فى القاهرة عن الأردن ، وبعد وفاته اختير الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد مكانه وفى عيد العلم العاشر فى مصر الذى أقيم فى جامعة القاهرة سنة ١٩٦٤ قلده الرئيس جمال عبد الناصر وسام الجمهورية من الطبقة الأولى تقديراً لعلمه .

مختارات من أدبه :

صلاحية العرب للحياة[١]

إن الكارثة التى حلت بالأمة العربية فى فلسطين جعلت الكثيرين من الشباب والشيوخ ينظرون إلى بنى قومهم العرب نظرات قاتمة من زوايا التشاؤم والقنوط ، ومن خلال غيوم اليأس والخمول فبدأ الحاضر مظلماً يحفل بالمصائب والخطوب ، والمستقبل حالكاً ينذر بالفواجع والكروب ، وتسرب الشك إلى النفوس فاعتلاها فساد الخلق وانتشرت فوضاه ، وغمرت الناس أمواج من المتاعب والصعاب أضعفت إيمانهم بتاريخهم وتراثهم ، وزعزعت ثقتهم بأنفسهم فلا أمل لهم فى الحياة ولا رجاء معها ، وصاروا يرون العرب فى تاريخهم وماضيهم من ثنايا المآسى والنكبات فإذا هو خال من المكرمات ، ملىء بالحروب والمنازعات ، أقوياؤهم ظالمون أشداء ، وضعفاؤهم مستعبدون أذلاء ، ثم جاءوا إلى الحاضر فإذا العرب يتأخرون ، وإذا ركب الحضارة يسبقهم قروناً عدة .

أين العرب من أمم العالم فى العلوم والفنون ، فى التجارة والصناعة ، فى الهندسة والعمران ؟ وأين العرب من أمم الغرب فى المعنويات والأخلاق القومية والشعور بالمسئولية تجاه المجموع ؟ فكان من ذلك أن وقف العرب جامدين أمام الأحداث لم يراعوا روح العصر ، ولم يسيروا على هدى العلم فى روحه وأسلوبه فكان تقهقرهم وتراجعهم فاستهان الأعداء بهم وغلبوهم وهم يحاولون القضاء عليهم بأسلحة الخلق والعلم والتنظيم ، ونحن نقاومهم بأسلحة الجهل والفوضى والغرور ، فلا عجب إذن أن تسود فكرة عند الكثيرين وهى أن العرب لا يصلحون للحياة وأنهم ليسوا أهلاً لتحمل أعبائها ومسئولياتها ، وأنهم يعيشون على هامشها وقد تخلفوا عن ركب الحضارة لاهين بالسفاسف والاختلافات على حين سار الناس فى سائر الدبار فى ركب الإنسانية جادين منتجين فورثوا الأرض

---

(١) بعد النكبة ص ٥ - ٧ .

وما عليها من خبرات فأتوا بالعجب العجاب وبالسحر يخلب الألباب .

ولكن مهلاً فالعرب كسائر الأمم فيهم قابلية التقدم والارتقاء لا يفضلهم شعب ولا يتميز عليهم عنصر ، وأن ما أصابهم بن الخمول والجمود طبيعى ليس فيه مايثير الدهشة والعجب إذا ما استعرضنا تاريخهم والأوضاع التى كانوا عليها ، لقد رزح العرب تحت النير التركى خمسة قرون ، ورزح بعض أقطارهم تحت الضغط الأوربى عشرات السنين ولا يزال بعضها الآخر يرزح تحت الاستعمار فليس من الطبيعى أن يكون اندفاع العرب فى ركب الحضارة بالقوة التى نراها عند أمم الغرب .

فضل العرب فى الرياضة والعلوم

أليس من العيب الفاضح ألاَّ يعرف الناشئ العربى أن الخوارزمى هو من كبار رياضيى العالم وأنه أول من وضع الجبر بشكل مستقل عن الحساب ، وقد بوبه ورتبه وزاد عليه زيادات هامة تعد أساساً لكثير من بحوثه .

وعلم الجبر هذا من أعظم أوضاع العقل البشرى لما فيه من دقة وإحكام فى القياسية ، ولقد جمع العرب بين الجبر والهندسة ، وطبقوا الهندسة على المنطق كما طبقوا أكثر العلوم على مختلف مرافق الحياة ، واعترف «كاجورى» بفضل العرب على الجبر» ، فقال : إن العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العرب فى الجبر وقال أيضاً «إن حل المعادلات التكعيبية بوساطة قطوع المخروط من أعظم الأعمال التى قام بها العرب» ويمكن القول أن بحوث العرب فى الجبر والهندسة وفى الجمع بينهما كانت سابقة لبحوث ديكارت وفرما .

أليس غريباً ألا يعرف كثيرون أن العرب هم الذين هذبوا الأرقام الهندية التى نستعملها الآن ، والتى وصلت الغرب بوساطة الكتب العربية ، أليس من المؤسف حقاً ألا يعرف الناشئ العربى أن أجداده تبنوا الكيمياء وأنهم أبدعوا فى الابتكار فيها ، وأنهم سبقوا الغربيين فى الالتجاء إلى التجربة ليتحققوا من صحة بعض النظريات وإليهم يرجع الفضل فى استحضار كثير من المركبات والحوامض التى تقوم عليها الصناعة الحديثة ، فلقد استحضروا مركبات تستعمل الآن فى صنع الصابون والورق والحرير والمفرقعات والأصبغة والسماد الاصطناعى وقد يجهل كثيرون أن جابر بن حيان هو من ألمع علماء الكيمياء العالميين ، ومن الذين أضافوا إضافات هامة إلى الثروة الإنسانية العلمية جعلته فى عداد الخالدين المقدمين فى تاريخ تقدم الفكر .

وقد يدهش القراء إذا قلنا إنه وجد فى الأمة العربية من اشتهر فى كثير من العلوم كالبيرونى ، ومن كان ذا كعب عال فيها فاق علماء عصره وعلا عليهم وكانت له ابتكارات قيمة وبحوث نادرة فى الرياضيات والفلك والتاريخ والجغرافيا ، وقد توصل شاو بعد دراسة حياة البيرونى وبعد اطلاعه على مؤلفاته إلى الوقوف على حقائق لم تكن معروفة خرج منها باعتراف خطير وهو «أن البيرونى أعظم عقلية عرفها التاريخ» ولو أن هذا الاعتراف صدر من باحث عربى لرمى بالتحيز والمغالاة ولكنه صادر عن عالم يزن كلامه ولا يبدى رأياً إلا بعد بحث وتمحيص[1]

من آثاره المطبوعة :

١ – نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية بالإشتراك مع جماعة من المؤلفين المصريين أصدرته مجلة المقتطف فى مصر ١٩٣٦ .

٢ – تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك – أصدرته مجلة المقتطف سنة ١٩٤١ وأعادت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية طبعة ثانية فى طبعة مزيدة ومنقحة سنة ١٩٤٥ .

٣ – الكون العجيب – الكتاب رقم ١١ – من سلسلة اقرأ – التى تصدرها دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٤٣ .

٤ – العيون فى العلم – الكتاب رقم ٧٥ – من سلسلة اقرأ – دار المعارف القاهرة سنة ١٩٤٥ .

٥ – بين العلم والأدب (مجموعة مقالات وكلمات مذاعة من إذاعة فلسطين العربية) – القدس ١٩٤٦ .

٦ – الأسلوب العلمى عند العرب ١٩٤٦ .

٧ – بعد النكبة – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٧٠ .

٨ – وعى المستقبل – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٥٣ .

٩ – الخالدون العرب – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٥٤ .

١٠– بين البقاء والفناء – الكتاب رقم ١٤٩ من سلسلة اقرأ دار المعارف – القاهرة ١٩٥٥ .

١١– العلوم عند العرب ١٩٥٦ .

١٢– ابن حمزة والتمهيد إلى اللوغارتمات ١٩٥٨ .

---

(١) تراث العرب العلمى – الطبعة الأولى – مجلة المقتطف القاهرة سنة ١٩٤١ – المقدمة .

الأدب والثقافة فى فلسطين ، وتعتز فلسطين به ابناً باراً أعلى شأنها ، ورفع اسمها ، بما قدم للمكتبة العربية من أبحاث ومؤلفات ، وبما حقق من كتب التراث العربى فى الأدب والتاريخ والاجتماع وبما ترجم للعديد من الشعراء والكتاب فى عصرنا الحديث .

وقد مرن إحسان على جو العلم والأدب والتحقيق فى أثناء دراسته فى كلية الآداب فى جامعة القاهرة حين أتيح له الإسهام فى تحقيق جزأين من خريدة القصر للعماد الأصفهانى مع الدكتور أحمد أمين ، والدكتور شوقى صيف وقد نشرت لجنة التأليف والترجمة والنشر التى كان يرأسها الدكتور أحمد أمين فى القاهرة الجزأين سنة ١٩٥٢ ، كما اشترك مع الدكتور محمد يوسف نجم فى تأليف وترجمة طائفة من كتب الأدب والنقد وقد كتب إحسان البحث ، والمقالة ، وترجم للكثير من الشعراء ، وترجم الكثير من الكتب عن الإنجليزية والفرنسية . وحقق العديد من دواوين الشعر العربى فى العصر العباسى ، ودواوين الشعراء فى الأندلس .

والواقع أن ما ألفه الدكتور إحسان عباس ، وما حققه ، وما قدم للمكتبة العربية من تراجم ودراسات للشعراء يرفع قدره ويعلى شأنه ، ويجعل الهامات تنحنى إجلالاً وتقديراً ذلك لأن الجهد الذى بذله - وهو رجل واحد - تعجز عنه هيئات ومؤسسات ثقافية فى الوطن العربى كان جديراً بها أن تتولى تحقيق ما حقق .

وكان جهد إحسان فى خلال ربع قرن من الزمان من ١٩٥٠ - ١٩٧٥ ، جهداً عظيماً نوهت به المحافل والمؤتمرات العلمية والأدبية فى الوطن العربى على امتداد رقعته .

فثقافته الواسعة ، واطلاعه المستمر على أحدث الكتب واغترافه من المنابع الأصيلة فى أدبنا العربى ، وإجادته اللغة الإنجليزية ، ودأبه وسعيه المتواصل دون كلل أو ملل جعل منه علماً مفرداً فى كثرة ما ألف وتحقيقه تحقيق علمى تام يضىء فيه كل الزوايا .

مختارات من أدبه :

١ - يقول من موضوع عنوانه الشعر العربى ونزعة الكلاسيكيين والرومانطيقيين « ولا نستطيع أن نجد مدرسة رومانطيقية واضحة المعالم إلا فى العصر الحديث ، ومؤسسها جبران كان رومانطيقياً إلى أطراف أصابعه ، وصوره تكاد لا تفترق فى شىء عن شعراء الرومانطيقية بفرنسا وإنكلترا وقد مجدت هذه المدرسة العودة إلى الطبيعة ، وألهت النغمة وامتلأت بالحنين الطاغى ، وبالكآبة والألم وبالنفور من حياة المدينة وبالثورة على التقاليد والشرائع ، وقدست شريعة الحب ، واتخذت القلب إماماً

وهادياً ، وغمرتها الرموز الصوفية ، وثارت على الشكل واهتمت بالمضمون ، وحطمت القالب اللغوى الصلب ، ولجأت إلى التحليل وتعلقت فى ماكتبه جبران بخيال لا يقر على هذه الأرض إلا ليستجمع فيطير إلى آفاق أعلى ، وقد كثر تلامذة هذه المدرسة سواء بتأثير من مدرسة المهجر أو بمؤثرات مباشرة من أوربة فإذا بها تعم البلاد العربية فتظهر فى الزهد والتصوف والإغراق فى الروحانية والميل إلى الطفولة عند التيجانى يوسف بشير ، وفى الميل إلى الطفولة وعشق المرأة المنحوتة من الوهم فى شعر الشابى ، كما ظهرت فى تقديس الألم والكآبة عند أبى شبكة وفى الانطوائية الباكية عند أنور العطار .

وزادتها الحرب الثانية امتداداً فظهرت فى شعر المرأة قريبة الشبه بالمرض كما هى عند فدوى ونازك فى ديوانها الأول . إغراق فى الوهم ، وعشق للأخيلة ، وعالم « اليوتوبياز » وتمثلت فى شعر الشباب العراقى المعاصر حنيناً إلى المجهول ، وصورة للتعب والإرهاق واليأس ، وهى النغمات التى تعلق بها البياتى وبلند الحيدرى ، والمحروق والوترى وغيرهم »[١] .

٢ – ويقول فى كتابه « العرب فى صقلية » وهو يتحدث عن حياة ابن حمديس : كان ابن حمديس سرقوسى الأصل ، وربما لم يكن يزيد عمره حين سقطت بلرم عن سبعة عشر عاماً ، وفى هذه السن الباكرة شهد صقلية تضيع من أيدى المسلمين بلداً بعد آخر .

وشهد ما هو أبعد أثراً من ذلك فى نفسه فقد حضر طرفاً من وقفة وطنه وعناده للنورمان مع ابن عباد واشترك هو نفسه فى الدفاع عن ذلك الوطن فهو يحدثنا عن المعارك البحرية التى كان يخوضها أهل بلده فى إغراقهم لسفن الأعداء .

وفى سرقوسة وهب شبابه للحب والحرب والتمتع بالحياة ولذائذها فكان يخرج مع صحبه إلى الحانات أو الأديرة ليشرب الخمر ويسمع الغناء ، وينعم بمناظر الرقص ، وترك هذا اللون من حياة الفروسية أثره العميق فى نفسه وخاصة وأنه لم يروغليله منه ، وفى أثناء هذه الفترة من حياته ببلده توفى جده وهو يرسم حياة مناقضة نقيضاً مفارقاً لشبابه العارم إذ توفى عن ثمانين عاماً قضاها فى النسك وكان هو الشخص الوحيد من أقربائه الذى استطاع أن يودعه قبل أن ينزل فى قبره .

تنسَّكَ فى بر ثمانين حجَّةً ... فياطُول عُمْرٍ مر فيه إلى الرَّبِّ
ضَمَمْتُ إلى صَدْرِى بكفى صَدْره ... وأسْنَدْتُ مخضر الجناب إلى الجَنْبِ
تَبرَكَت الأيْدِى بتسْوِية الثَّرى ... عَلَى جَبَلٍ راسى الأناة عَلَى هَضْبِ

---

(١) فن الشعر – ص ٥١ – ٥٢ .

ولم يكن قد تجاوز الرابعة والعشرين حين غادر صقلية وذهب يصحب العرب فى الصحراء الإفريقية سنة ٤٧١ ولعله فى هذه الفترة اتصل بالأمير تميم ومدحه وربما كان يشير إلى ذلك بقوله فيما بعد يخاطب الحسن بن على :

ومدحت غلاماً جد أبيك وهاأناذا شين يضنى [١] .

من آثار الدكتور إحسان عباس :

صال وجال فى ميادين التأليف والتحقيق والترجمة فألف ما يزيد على عشرين كتاباً فى الأدب والنقد والتاريخ والسير ، وحقق ما يربو على عشرين كتاباً ، وترجم أكثر من عشرة كتب .

أولاً – طائفة من مؤلفاته :

١ - فن الشعر – دار بيروت ١٩٥٦ .

٢ – فن السيرة – دار بيروت ١٩٥٦ .

٣ – أبو حيان التوحيدى – دار بيروت ١٩٥٦ .

٤ – الشريف الرضى – دار بيروت ١٩٥٩ .

٥ – العرب فى صقلية – دار المعارف ١٩٥٩ .

٦ – تاريخ الأدب الأندلسى – عصر سيادة قرطبة – بيروت ١٩٦٠ .

٧ – تاريخ الأدب الأندلسى – عصر ملوك الطوائف والمرابطين – بيروت ١٩٦٢ .

ثانياً – طائفة من الكتب التى حققها :

١ – رسائل ابن حزم – القاهرة ١٩٥٤ .

٢ – جوامع السيرة بالاشتراك مع الدكتور ناصر الدين الأسد – دار المعارف – القاهرة ١٩٥٨ .

٣ – ديوان ابن حمديس الصقلى – بيروت ١٩٦٠ .

٤ – نفح الطيب للمقرى – بيروت ١٩٦٨ .

٥ – وفيات الأعيان لابن خلكان – بيروت ١٩٦٨ – ١٩٧٠ .

---

(١) العرب فى صقلية – ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

١٧ – الدكتور محمد يوسف نجم

١٩٢٥

١ – حياته :

ولد الدكتور محمد يوسف نجم فى مدينة مجدل عسقلان سنة **١٩٢٥** وفى مدرستها الابتدائية الأميرية تلقى دراسته فى المرحلة الابتدائية ، وكان متفوقاً نابهاً فاختارته إدارة المعارف ليتلقى دراسته الثانوية فى الكلية العربية فى بيت المقدس التى كانت تختار طلابها من أوائل طلاب المرحلة الابتدائية ، وأمضى محمد فى الكلية العربية فى القدس أربع سنوات من **١٩٣٩** إلى **١٩٤٣** نال فى نهايتها درجة «المترك» إتمام الدراسة الثانوية ، ومن القدس قصد بيروت لمواصلة دراسته العالية فى الجامعة الأمريكية بها وبعد أن قضى بها أربع سنوات حصل على درجة «بكالوريوس» فى الآداب سنة **١٩٤٨** .

وحتى يروى ظمأة للعلم ، وتعطشه للمعرفة قرر أن يواصل الدراسة فى أقسام الدراسات العليا للحصول على درجة الماجستير فسافر من بيروت إلى القاهرة ، وعكف على البحث والدرس ، وحصل على الماجستير عن بحثه «القصة فى الأدب العربى الحديث» سنة **١٩٥٢** .

وعلى درجة الدكتوراه عن المسرحية ، وبعد حصوله على درجة الدكتوراه سنة **١٩٥٤** اختير مدرساً للأدب العربى فى الجامعة الأمريكية فى بيروت ، وأخذ يترقى فى سلم التدريس الجامعى من مدرس إلى أستاذ مساعد فأستاذ مشارك حتى وصل إلى درجة أستاذ وما يزال يؤدى مهمته السامية فى تنشئة الشباب إلى الآن .

٢ – أدبه :

صال الدكتور محمد يوسف نجم فى مجالات التأليف والتحقيق والترجمة . وأسهم بقلمه فى مجال البحوث والدراسات الأدبية فكتب المقالات الضافية فى نقد الكتب ، وعرض النظريات الأدبية ، ووجه عناية فائقة للقصة والمسرحية فى الأدب العربى فتناول نشأة القصة فى الأدب العربى وتابع تطورها على أيدى أعلامها . كما تناول المسرحية فى الأدب العربى والأدب الغربى ، وعرض طائفة من

المسرحيات وحللها ونقدها وأصدر عليها أحكامه .

وحقق الدكتور نجم العديد من دواوين الشعر وبذل جهداً مشكوراً فى ضبط النصوص . وذكر مصادرها .

ويعد الدكتور محمد يوسف نجم من الأساتذة المتخصصين فى الأدب العربى الحديث بفنونه المختلفة من مقالة وقصة ومسرحية ونقد . وكتابة فن المقالة يشهد بما بذل من جهد . وفى خلال ربع قرن من الزمان قدم للمكتبة العربية ثروة عظيمة مما ألف وحقق وترجم يقف عندها الدارس الباحث وقفة اعجاب وتقدير .

مختارات من أدبه :

المقالة فى الأدب العربى الحديث

يرتبط تاريخ المقالة فى أدبنا الحديث بتاريخ الصحافة ارتباطاً وثيقاً فالمقالة بنوعيها الذاتى والموضوعى لم تظهر فى أدبنا أول ما ظهرت على أنها فن مستقل شأنها فى فرنسا وإنكلترا ، بل نشأت فى حضن الصحافة واستمدت منها نسمة الحياة منذ ظهورها ، وخدمت أغراضها المختلفة وحملت إلى قرائها آراء محرريها وكتابها ولذا كان لزاماً علينا أن نبحث عن تطور المقالة فى الصحف اليومية أولاً ، ثم فى المجلات مع تقدير الفوارق الهامة بين أنواع المقالات التى تكتب للصحف وتلك التى تكتب للمجلات .

وإذا استعرضنا المقالات التى ظهرت فى الصحف المصرية خلال النهضة نجد أنها مرت فى أطوار أربعة :

الطور الأول : طور المدرسة الصحفية الأولى و يمثلها كتاب الصحف الرسمية التى أصدرتها الدولة أو أعانت على إصدارها ، و يمتد هذا الطور حتى الثورة العرابية ، ومن أشهر الكتاب الذين شاركوا فى تحرير صحف هذه الفترة رفاعة الطهطاوى وعبد الله أبو السعود وميخائيل عبد السيد ومحمد أنس وسليم عنحورى وقد نشروا مقالاتهم فى الوقائع المصرية ووادى النيل والوطن وروضة الأخبار ومرآة الشرق على التوالى ، وقد ظهرت المقالة على أيديهم بصورة بدائية فجة وكان أسلوبهم أقرب إلى أساليب عصر الانحطاط فهو يزهو بالسجع الغث وبالمحسنات البديعية ، والزخارف المتكلفة الممجوجة . وقد كان الموضوع الأول لهذه المقالات الشئون السياسية ولكن الكتّاب كانوا يعرضون

أحياناً لبعض الشئون الاجتماعية والتعليمية .

الطور الثانى : وفيه ظهرت المدرسة الصحفية الثانية التى تأثرت بدعوة جمال الدين الأفغانى ، وبنشأة الحزب الوطنى الأول وبروح الثورة والاندفاع التى سبقت الحركة العرابية وقد برز فى هذه المدرسة عدد من الشخصيات التى ارتبط تاريخها بتاريخ الكفاح الوطنى فى مصر ومنهم أديب إسحق ، وسليم النقاش وسعيد البستانى وعبد الله نديم ، ومحمد عبده ، وإبراهيم المويلحى ، ومحمد عثمان جلال وعبد الرحمن الكواكبى ، وبشارة تقلا وقد تحللت هذه المدرسة من قيود السجع إلى حد بعيد ، وأخذت تقترب من الشعب شيئاً فشيئاً وذلك بتأثير الشيخ محمد عبده وحركته الإصلاحية ومن أهم الصحف التى كتبوا فيها الأهرام ومصر والتجارة والفلاح والحقوق .

الطور الثالث : وفيه ظهرت طلائع المدرسة الصحفية الحديثة ومنهم على يوسف ومصطفى كامل وعبد العزيز جاويش وولى الدين يكن ، وسليم سركيس ومحمد رشيد رضا ، وخليل مطران ونجيب الحداد ، وأمين الحداد ، ولطفى السيد ومحمد مسعود .

٢ – يقول من كتابه المسرحية تحت عنوان الترجمة والتعريب والتمصير : كانت الترجمة إحدى وسيلتين اتصل الأدب العربى عن طريقهما بالآداب الغربية أما الوسيلة الأخرى فهى الاطلاع المباشر على آثار هذه الآداب فى لغاتها الأصلية .

وقد ذللت المدارس التى انتشرت فى أنحاء العالم العربى سبل هذا الاتصال ، وأوجدت بالتالى حركة ترجمة متسعة نشطة شملت فيما شملت معظم روائع الأدب العالمى ولسنا بسبيل التاريخ لهذه الحركة التى كان أثرها الواضح فى توجيه الأدب العربى الحديث لأن مثل هذه المحاولة تخرج بنا عن هذا الباب الذى أفردناه لحركة الترجمة والتعريب والتمصير للمسرح ، اهتم أدباء العربية بالترجمة للمسرح منذ وقت مبكر . وانصبت جهود المترجمين على اللغة الفرنسية أولاً ، ثم على اللغة الإنجليزية وقد ترجم أيضاً بعض المسرحيات عن اللغات الأخرى كالإيطالية والتركية .

وقد ظهر لنا من تتبع حركة الترجمة أنهم لم ينقلوا لنا مدرسة مسرحية معينة إذكان رائدهم فيما اختاروه شهرة الكاتب أو شهرة المسرحية أو ملاءمتها للذوق العربى فى تلك الفترة ، وتباينت أساليب الكتاب فى هذه الترجمات فنهم وهم الكثرة الغالبة من كان يتناول المسرحية ويحاول تقريبها من الذوق الفنى ، فيعنى بإبراز حوادثها الرئيسية ، ويتناول الحوار بالتلخيص أو الحذف ويغير النهاية أحياناً ، ويضيف بعض مواقف الغناء وذلك ليلاقى ذوق الجمهور الذى كان يطلب فى المسرحية صفات

---

(١) فن المقالة – ص ٦٤ – ٦٦ .

خاصة تتفق ومثله وثقافته وتجاربه »[(١)] .

٣ – ويقول فى مقدمته لديوان عبيد الله بن قيس الرقيات :

ولا يسعنى بعد أن وفقنى الله إلى الفراغ من هذا العمل على هذه الصورة التى ارتضيتها وارتضاها إخوانى إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أصدقائى البررة الذين أعانونى على ذلك ، ومدوا إلى يد المساعدة مبسوطة كل البسط وأخص منهم بالذكر الدكتور شكرى فيصل ، والدكتور إحسان عباس ، والأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، والأستاذ فؤاد السيد أما أخى وأستاذى محمود محمد شاكر فإننى لا أطمع فى أن أفيه حقه من الشكر والتقدير – وأنا أعلم علم اليقين أنه راغب عن ذلك كاره له – فى مقدمة موجزة كهذه ولكن ليسمح لى أن أبره وقد أدبنى بهذا الأدب فأقول إن الفضل الأول فى توجيهى إلى دراسة تراثنا القديم والتفرغ له بعد انصرافى إلى دراسة الأدب الحديث يعود إليه ، وقد كانت دروسه ومجالسه وأماليه المدرسة الأولى التى نهلت من فيض علمها فشقت غرسى وطلعت ، كما كان لى من أخوته الصادقة ووده المصفى وحدبه الدائم خير مشجع وأفضل حافز على المضى فى هذا السبيل الشائك والضرب فى هذا المهمه الغائل وفضله هناك لا يدانيه سوى فضله هنا فى هذا الديوان فقد تعهده طفلاً ، وتفضل بقراءته والتعليق عليه وتصويبه حين أخذ سبيله إلى المطبعة فأسأل الله بعد أن خرج هذا الديوان إلى القارئ ألا يسهم وجهى عنده وألا أكون قد تخالفت إلى ما يسوءه .

ولا أذكر أخى الأستاذ شاكر إلا ذكرت أخى الدكتور ناصر الدين الأسد الذى أفاض على هذا الديوان من نبع علمه أكثر بما جعله يخرج على هذه الصورة التى أرجو أن تكون وفق رأيه وطبق هواه .

أما شكرى للناشرين الفاضلين اللذين أفرغا على هذا الديوان هذه الحلة القشيبة ، وحشدا له كل ما فى رحابها من توفيق وتألق فتنطق به صفحات الكتاب وتسبح بحمده كلماته وحروفه »[(٢)] .

صال الدكتور محمد يوسف نجم وجال فى ميادين التأليف والتحقيق والترجمة .

اولا – من آثاره المطبوعة :

١ – القصة فى الأدب العربى الحديث – القاهرة ١٩٥٢ .

٢ – ديوان الزهاوى – القاهرة ١٩٥٤ .

---

(١) المسرحية – ص ١٩٥ – ١٩٦ .

(٢) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات – المقدمة ص ٧ .

٣ – فن المقالة – بيروت ١٩٥٦ .

٤ – المسرحية فى الأدب العربى الحديث – بيروت ١٩٥٦ .

ثانياً – من الكتب التى حققها :

١ – ديوان أوس بن حجر تحقيق وشرح .

٢ – ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات تحقيق وشرح بيروت ١٩٥٦ .

١٨ – نادرة جميل السراج

١ – حياتها :

ولدت نادرة ابنة جميل السراج فى مدينة يافا فى أوائل العقد الأول من الثلث الثانى من القرن العشرين بين عامى ٣٠و٣٣ تقريباً وفى مدرسة الزهراء الابتدائية بالمدينة تلقت دراستها فى المرحلة الأولى أما دراستها فى المرحلة الثانوية فقد تلقتها فى دار المعلمات التى قضت بها أربع سنوات حصلت بعدها على شهادر إتمام الدراسة الثانوية .

وعلى أثر حدوث الكارثة سنة ١٩٤٨ نزحت مع أسرتها إلى القاهرة والتحقت بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة وأمضت به أربعة أعوام نالت بعدها درجة ليسانس ممتازة .

وبعد تخرجها سنة ١٩٥٢ زاولت مهنة التدريس فى المدرسة الإنجليزية بمصر الجديدة لمدة أربع سنوات من ٥٢ – ٥٦ وفى سنة ١٩٥٦ حصلت على درجة الماجستير وكان موضوع رسالتها الرابطة القلمية ثم ارتحلت فى السنة نفسها إلى الكويت وعملت مدرسة فى مدارسها الثانوية أربع سنوات من ٥٦ – ٦٠ وفى سنة ١٩٦٠ حصلت على منحة للحصول على الدكتوراه من جامعة كمبردج وقد حصلت عليها سنة ١٩٦٣ فى الآداب الحديثة وكان موضوعها نسيب عريضة الشاعر المهجرى .

وعادت للقاهرة حيث اختيرت محاضرة فى معهد الدراسات العربية التابع للجامعة العربية فى العام الدراسى ١٩٦٤ – ١٩٦٥ ثم اختيرت مدرسة للآداب فى كلية الآداب بالجامعة الأردنية فى العام الدراسى ١٩٦٥ – ١٩٦٦ ثم فى كلية الآداب بجامعة الكويت فى العام الدراسى ١٩٦٦ – ١٩٦٧ .

ثم عادت إلى القاهرة مواصلة نشر مؤلفاتها ودراساتها الأدبية وما تزال عاكفة على البحث والتأليف .

٢ – أدبها :

نشرت نادرة طائفة من دراساتها وبحوثها فى الأدب فى الصحف والمجلات الصادرة فى القاهرة وبيروت وعمان وبخاصة فى مجلة شئون فلسطينية التى يصدرها مركز الأبحاث ، وأولت اهتماماً للأدب

المهجر وأعلامه وللادب النسوى الفلسطينى حيث تنلوت طائفة من شواعر وكوامث فلسطين أمثال فدوى طوقان ودعد الكيالى وسميرة عزام .

وقدمت للمكتبة العربية فى الأدب المهجرى ثلاثة كتب .

٣ - مختارات من أدبها :

سميرة عزام فى ذكراها الخامسة (١)

ما بين الثالث عشر من أيلول سبتمبر ١٩٢٧ والثامن من آب - أغسطس - سنة ١٩٦٧ أقل قليلاً من أربعة عقود هى عمر المرحومة القاصة الفلسطينية السيدة سميرة عزام . لكن الأديب والفنان الحق لا يقاس عمره بعدد السنوات التى عاشها يأكل ويشرب وينام كغيره من بنى البشر ، وإنما الذى يمنحه الخلود ويثرى عمره ، ويستديم ذكراه هو الإنتاج الذى خطه قلمه ، والآراء التى سجلت عليه ، ومنحت حياته قيمة وغنى ، وذكراه طيباً وشذى ، وبالأخص ماكان مطبوعاً أو منشوراً من ذلك الإنتاج وتلك الأعمال . وسميرة عزام خلفت بعد رحيلها خمس مجموعات قصصية وأكثر من اثنى عشر كتاباً مترجماً من الإنجليزية إلى العربية عدا ما أشرفت على ترجمته أو راجعته من أعمال غيرها من الأدباء والمترجمين .

إنها لحياة خصبة خيرة معطاء لا نستغربها على فتاة خالدة طموحة بدأت كفاحها العلمى وهى فى السادسة عشرة من عمرها عندما مارست مهنة التدريس فى بلدتها التى ولدت فيها مدينة عكا فى شمال فلسطين ، وبرغم أنها لم تكن مهيئة تربوياً - من حيث الشهادات العلمية والخبرة العملية فإنها أثبتت جدارة ومقدرة كاملتين ، ودرست بالمراسلة وطالعت بنهم فرقيت بعد عامين إلى وظيفة ناظرة للمدرسة التى بدأت بالتدريس فيها واستمرت تعمل فى مهنتها تلك إلى عام الهجرة الفلسطينية أو عام النكبة حين اضطرت إلى النزوح مع عائلتها وأهل بلدتها وبقية مدن فلسطين .

صدور مجموعة الرابطة القلمية

صدرت مجموعة الرابطة القلمية لعام ١٩٢١ ، واشترك فى تحريرها عمال الرابطة وعلى رأسهم عميدها وفنانها جبران خليل جبران ثم ناقدها وفيلسوفها ومستشارها ميخائيل نعيمه فجاءت كتاباً

(١) شئون فلسطينية - العدد - ١٤ - تشرين الأول - أكتوبر سنة ١٩٧٢ ص ٦٩ .

ضخماً مليئاً بالموضوعات الأدبية واللغوية والاجتماعية والفلسفية ، والقصائد الشعرية التى تعالج شتى الموضوعات .

يقول ميخائيل نعيمه فى المقدمة : « ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدباً ، ولا كل من حرر مقالاً أو نظم قصيدة موزونة بالأديب .

فالأدب الذى نعتبره هو الأدب الذى يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها ، والأديب الذى نكرمه هو الأديب الذى خص برقة الحس ، ودقة الفكر ، وبعد النظر فى تموجات الحياة وتقلباتها ، وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة فى نفسه من التأثير » ، هذه الروح الجديدة التى شرح أصولها مستشار الرابطة هى التى نجدها غالبة بل متأصلة فى جميع كتابات عمال الرابطة القلمية سواء على صفحات جريدة السائح أم فى المجموعة الجديدة نفسها فالأدب عندهم هو الذى يعبر عن هذه الحياة التى نحياها لا تلك التى عاشها أجدادنا ، وكل ما فى الحياة من أسرار وكائنات ومخلوقات ما وجدت إلا من أجل الإنسان الذى يحيا هذه الحياة[1] .

آثارها :

١ – شعراء الرابطة القلمية – دار المعارف القاهرة ١٩٥٧ .

٢ – نسيب عريضة الشاعر والكاتب الصحفى دار المعارف القاهرة ١٩٧٠ .

٣ – ثلاثة من رواد المهجر – دار المعارف ١٩٧٥ .

---

(١) شعراء الرابطة القلمية – ص ٨٩ – ٩٠ .

١٩ - ناجى علوش

١٩٣٥

١ - حياته :

ولد ناجى علوش فى قرية بيرزيت من أعمال قضاء رام الله سنة ١٩٣٥ ، وتلقى دراسته فى المرحلة الأولى فى مدرستها الابتدائية أما دراسته فى المرحلة الثانوية فقد تلقاها فى مدارس مدينة رام الله .

وعندما حدثت كارثة فلسطين المروعة سنة ١٩٤٨ وكانت سنه لا تزيد على ثمانى عشرة سنة غادر البلاد واتجه إلى الكويت حيث عمل موظفاً فى جهازها الحكومى واتجه إلى العمل فى الصحافة فأسهم فى تحرير جريدة الشعب ثم أصبح مديراً لمجلة أضواء المدينة .

ومن الكويت قصد بيروت وعمل مديراً للتحرير فى دار الطليعة للطباعة والنشر ، ومديراً لتحرير مجلة دراسات عربية .

وانضم إلى عضوية اتحاد كتاب فلسطين عقب تأسيسه فى غزة فى أواخر عام ١٩٦٦ ، وبعد اختيار المرحوم الأستاذ خيرى حماد أميناً عاماً له .

وبعد وفاة خيرى حماد انتخب ناجى علوش أميناً عاماً لاتحاد كتاب فلسطين بعد أن انضم إليه الصحفيون وصار يسمى الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

٢ - أدبه :

وعلى الرغم من نزوح ناجى علوش عن وطنه بعد المأساة وهو فى شرخ الشباب ونضارة الصبا ، واتجاهه إلى الكويت ، وانتظامه فى سلك الموظفين فى الدولة فقد غذى العديد من الصحف والمجلات التى تصدر فى عواصم العالم العربى بمقالاته وأبحاثه وآرائه فى الأدب والنقد ، وإن كان الميدان الوطنى والسياسى فى إطار منظمة التحرير الفلسطينية قد ظفر منه بأكبر نصيب .

وقد عالج ناجى من فنون الأدب البحث والمقالة والنقد والشعر ، فنظم طائفة من القصائد نسقها فى ديوان ولكن معظم الكتب التى ألفها كانت رصداً وتحليلاً للثورات الفلسطينية ضد الانتداب والصهيونية ، وتسجيلاً وتقويماً للعمل الفدائى الذى تقوم به المقاومة الفلسطينية فى الوطن المغتصب .

وقد كتب مقدمات طويلة لدواوين عدد من شعراء المقاومة وللمجموعات الشعرية للشعراء الذين جمع شعرهم كله فى مجموعة واحدة كاملة وظهرت فى هذه المقدمات ثقافة ناجى ، وسعة إطلاعه ، ودراسته للتيارات الأدبية والفكرية فى العصر الحديث .

مختارات من أدبه :

بدر شاكر السياب

إن سنة ١٩٤٨ سنة حاسمة فى التاريخ العربى الحديث فهى لم تشهد نكبة فلسطين فقط ولكنها شهدت بداية انهيار المجتمع العربى التقليدى التى تمثلت فيما بعد بانهيار أنظمة الحكم الرجعية فى سورية ومصر ، وبالحركات الشعبية ضد السيطرة الاستعمارية فى مصر والعراق . وليس غريباً أن تشهد هذه السنوات ذاتها بداية حركة «الشعر الحر» فى الوطن العربى»[١]

بدر الرومانسى

بدأت الحرب العالمية الثانية وبدر فى أول بلوغه ، وهكذا فتح الفتى عينيه على عالم يهتز ، وكان الوطن العربى فى هذا الوقت يغلى بمختلف مشاعر التمرد والرفض التى لا تتجه نحو الاستعمار فقط بل نحو التقاليد البالية أيضاً .

وكانت الحركة الرومانسية فى الوطن العربى قد بلغت ذروة مجدها ممثلة فى مدرسة أبولو ، وكان بدر فى الوقت ذاته يعانى مأساة خاصة لقد توفيت أمه ، وتزوج أبوه ، ويبدو أن الحادثتين أثرتا كثيراً فى نفسه لنسمعه يقول من قصيدة عنوانها خيالك :

خيالك مِن أهلى الأقْربين أبرّ وإن كانَ لا يعقل
أبى مِنْه قَدْ جرَّدَتنى النِساء وأمِّى طَواها الرَّدى المعجَّل
ومالى من الدَّهْر إلا رِضاك فَرحْماك فالدَّهر لا يَعْدلُ

وكانت جدته قد توفيت أيضاً ، ويبدو أنها حلت فى ذهنه محل والدته فصدمه موتها صدمة عنيفة وكان أن كتب قصيدة بعنوان رثاء جدتى بتاريخ ١٩٤٢/٩/٩ جاء فيها :

---

(١) ديوان بدر شاكر السيار– دار العودة– بيروت سنة ١٩٧١ . المقدمة .

جدَّتى من أبِثّ بَعْدك شكْواى طَوانى الأَسَى وقلّ مُعِينى
أنت يا مَنْ فَتَحْت قَلْبك بالأمس لحبِّى أوْصَدْت قَبْرك دُونى
فَقَلِيلٌ علىَّ أن أذرف الدَّمْع ويقضى عَلَى طُول أنِينى

كانت مأساة بدر تكمن فى عربته غربته الأبدية عن أمه وعن أبيه وعن جدته ، وكان يعيش فى مرحلة اشتد الصدام فيها بين القيم والواقع ، بين الماضى والحاضر ، وكان هذا كله يجعله دائماً يبحث عن مثل أعلى ليس موجوداً»[١]

من آثاره المطبوعة :

١ – الثورى العربى المعاصر ١٩٦٠ .
٢ – المقاومة العربية فى فلسطين من ١٩١٨–١٩٤٨ .
٣ – هدية صغيرة – ديوان شعر .
٤ – الثورة الفلسطينية – أبعادها وقضاياها .
٥ – أحاديث فى العمل الفدائى .
٦ – بدر شاكر السياب .

---

(١) من ص هـ المصدر السابق ص ت ، ث ، خ .

الفصل الثالث

الفنون المستحدثة

القصة والمسرحية :

نشأت القصة بمفهومها الحديث فى الأدب العربى المعاصر فى فلسطين فى أواخر القرن التاسع عشر على يد رائدها خليل بيدس الذى ترجم طائفة من الروايات لأعلام القصة فى الأدب العربى بعامة والروسى بخاصة أمثال بوشكين وتولستوى وغيرهما ، والذى ألف العديد من الأقاصيص والروايات ونشر قصصه المترجم فى أواخر القرن التاسع عشر ، وقبل أن يصدر مجلته النفائس سنة ١٩٠٨ .

وقد ولدت القصة مع المقالة بمولد الصحيفة التى تعتمد على فن المقالة وفن القصّة وكلاهما لم يكن فنًا من فنون الأدب المعروفة قبل العصر الحديث ، لأن الأدب القديم لم يعرف إلا المقامة والرسالة بأنواعها ، والخطبة ولذا يعد الدارسون المقالة والقصة والمسرحية من الفنون المستحدثة التى أخذها الأدب العربى عن الأدب الغربى .

وقد سارت القصة فى الأدب الفلسطينى على نهج القصص فى الآداب الأوربية ، وأخذ كتابها يقلدون أعلامها فى الغرب فى الشكل والمضمون أو مانسميه البناء الفنى للقصة .

ويؤكد هذا ما قرره خليل بيدس نفسه فى مقدمته لمجموعته القصصية عن نشأة القصة فى البلاد العربية حين قال : وقد ظهرت الرواية فى الشرق بالصورة التى نعرفها الآن منذ عهد غير طويل ، وكان أكثر ما ظهر من هذا النوع منقولاً عن اللغات الغربية ، وأقبل أدباؤنا على الترجمة إقبالاً عجيباً ، ولم يتصد للتأليف إلا النفر القليل ، وقد أحسن كثيرون فى اختيار أحسن روايات نوابغ الإفرنج ونقلها إلى العربية أحكم نقل وقد أجادوا وأفادوا ولا يخفى أن الفن الروائى فى الغرب طافح بالحسنات ، وقد سبقنا الغرب فى ذلك مراحل كثيرة ففيه من الروائيين مئات وألوف ، وهم أساتذة الفن بلا جدال فإذا نقلنا عنهم أو نزعنا إلى أسلوبهم فإنما نزيد آدابنا ثروة وجمالاً ، ونزيد كتابنا أسلوباً واطلاعاً وفنًا[1] .

---

(١) مسارح الأذهان . ص ١٤- ١٥ .

ولعل حرص بيدس على الفن القصصى ، واهتمامه البالغ به يرجع إلى ما لمسه عند قراء مجلته من إقبال عليه ، وترحيب به ، وولع بما ينسجه القاص من عوالم وأحداث وشخصيات ، وبما يبعثه فى قصصه من إثارة للقارئ وصعود به إلى عالم الخيال المترامى الأطراف . حيث يقول : لا يجهل أحد ما للروايات من الشأن الخطير والمقام الرفيع بين سائر كتب الأدب عند جميع الأمم ، ولا يجهل أحد أن للقصة أعظم الأثر لأن فيها تمثيلاً لمظاهر الحياة وصورها من خير وشر ، ولأن فيها وصف أحوال الأمم وعبر الزمان وحوادث الحب والغرام ، وفيها عرض حياة الإنسان فى جميع أدواره » .

ويرى بيدس أن يكون للقصة أو الرواية هدف خلقى ومن أجل ذلك نراه يتخذ من قصصه ورواياته سبيلاً لتهذيب الأخلاق ، وإصلاح ما فى المجتمع من عيوب فيقول : إن الرواية الحقيقية الفنية هى التى ترمى إلى المغازى الحكمية أو الأغراض الأدبية ، إلى تمجيد الفضائل أو التنديد بالرذائل إلى تهذيب الأخلاق ، وتنوير العقول ، وتنقية القلوب وإصلاح السيرة »[١] .

وقد نشر خليل بيدس طائفة من قصصه المترجم فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، وطائفة ثانية من قصصه المؤلف والمترجم فى مجلته النفائس العصرية فى العقد الأول من القرن العشرين وعلى وجه التحديد من ١٩٠٨ - ١٩١٢ ثم من ١٩١٦ - ١٩١٩ ، ثم نشر طائفة من هذه الأقاصيص فى مجموعته القصصية التى سماها مسارح الأذهان والتى نشرت فى القاهرة سنة ١٩٢٤ .

* * *

وقد أسهبنا فى الحديث عن القصة عند خليل بيدس لأنه رائدها الأول فى الأدب العربى المعاصر فى فلسطين ، ولأنها نالت من أدبه الحظ الأوفر ، ولأنه أثر تأثيراً واضحاً فى الذين عالجوا الفن القصصى من بعده من أدباء فلسطين ولا نستطيع أن نزعم بأن القصة عند خليل بيدس قد وصلت إلى حد الكمال أو شارفته من حيث عناصرها المتمثلة فى البيئة والعمل والشخوص ، وسرعة الحركة ، ووحدة الخط ، وتسلسل الأحداث وترابطها ، وتدرجها نحو العقدة ثم الحل . ولكن الذى نستطيع أن نقرره أن خليل بيدس أجاد رسم الهيكل الفنى للقصة ، وأجاد حسن العرض للأحداث ، واستخدم عنصر التشويق ، وشد القارئ نحو قصصه ، وصاغ قصصه فى أسلوب رصين اهتم فيه بجودة العبارة ، وقوة الجملة وحرص على أن يكون أداؤه جارياً على قواعد اللغة وضوابط إعرابها وحسبنا منه ذلك فى تلك الحقبة من الزمن التى لم تكن القصة فيها قد بلغت ما بلغته من الرقى فى المرحلة الثالثة أو فى الربع الثانى من القرن العشرين .

---

(١) المصدر السابق ص ١٢ - ١٣ .

هذه لمحات عن نشأة القصة فى الأدب العربى المعاصر فى فلسطين خلال الفترة من ١٨٦٠ – ١٩٢٥ .

وابتداء من المرحلة الثالثة من ١٩٢٦ – ١٩٤٧ خطت الأقصوصة والرواية خطوات نحو الرقى والازدهار فى الشكل والمضمون أو فى البناء الفنى على أيدى نفر من كتاب القصة الذين قفوا على آثار خليل بيدس والذين تأثروا بفنه ، ونسجوا على منواله وقد اختلف هؤلاء الكتاب أولاً فى صياغة أسلوب القصة ، وثانياً فى الهدف الذى ترمى إليه ، وثالثاً فى التأثر بمذهب من المذاهب الأدبية الحديثة فهناك من أخذت أقاصيصه تدور فى المجال الرومانسى الحالم حيث يريد أن يرسم عالماً مثاليا خالياً من الفساد والاستغلال والنقائص ، وبمعنى أوضح هناك من عبر عن أحلام قلبه وهمسات روحه ، وما يحلم به من مدينة فاضلة للبشر يسودها الإخاء ويظلها العدل ، وترفرف عليها المحبة .

وهناك من اتجهت أقاصيصه إلى الحياة الاجتماعية فعالج مشكلات الأسرة ، والروابط بين الآباء والأبناء . والفقر والغنى ، والعلم والجهل والعمل والبطالة . والصراع بين الطبقات ويكاد يكون مضمون كل أقصوصة من أقاصيصه محصوراً فى تصوير آمال الطبقة الوسطى من أبناء الشعب وما يضطرم فى صدورهم من آلام وآمال تتمثل فى القلق والاضطراب والعذاب النفسى الذى يقاسونه نتيجة صعوبة التوفيق بين واقعهم المر ، وما يطمحون إليه من مستقبل باسم وعدل ورخاء . والاتجاه الغالب على هؤلاء هو الاتجاه الواقعى وينضوى تحت هذا الاتجاه من استوحى كفاح أبناء فلسطين ضد الانتداب والصهيونية ، ورسم صوراً رائعة للغدر اليهودى والجشع وحب المال ، والكفر بالقيم والمبادئ والمثل .

ومن الإنصاف أن نقرر بأن أقاصيص هذه المرحلة كانت أقوى بناء وأسمى فنا ، من الأقاصيص التى نشرت حتى سنة ١٩٢٥ وكانت أساليبها وأفكارها أجود وأرقى وقد عالج فن القصة عدد من الأدباء لم يقصروا أدبهم عليها وحدها فكان منهم الناقد ، والعالم ، والمترجم ، والمحلل النفسى وقد لجأ بعض كتاب القصة فى هذه المرحلة أيضاً إلى التحليل النفسى ، وما يسمونه الاستبطان الذاتى .

فالأستاذ محمود سيف الدين الإيرانى والذين ساروا على منهجه حاولوا أن يرفعوا من شأن القيم الاشتراكية ، والقيم الإنسانية وكان يحسن اختيار أفكاره ويختار أبطال قصصه من بين عامة الناس لا يتخيرهم أصحاب جاه ، ولا أرباب سلطان .

وكان أكثر هؤلاء الشخوص من أبناء القرى الذين ذاقوا مرارة الفقر ، وتجرعوا غصص البؤس والشقاء والحرمان .

وأما الأستاذ نجاتى صدقى فقد أثبت رسوخ قدمه فى القصة القصيرة التى يحاول فى ثناياها البحث

فى الجوانب الثقافية المختلفة ، ونظرته الواقعية العلمية إلى الحياة . وتحديد ما يريد أن يصل إليه من قصصه .

ويحرص على أن يوضح لنا أن عظمة الكاتب الصحيح تقاس بما يقدمه لأفراد شعبه من غذاء روحى يصقل نفوسهم .

ويسير الأستاذ عبد الحميد يس والأستاذ محمد أديب العامرى فى الاتجاه نفسه وهو الإعلاء من شأن القيم الإنسانية والنزوع نحو المثالية ، والارتقاء إلى صباه أفضل ينعم فيها الناس جميعاً بالخير والسعادة .

وفى الفترة من ١٩٤٨ – ١٩٦٠ وهى فترة المأساة والمرحلة الرابعة ظهرت مجموعات قصصية ممتازة استلهمت المأساة وما خلفته من الضياع والتشرد ومصارعة البؤس والشقاء وصورت ما قاساه اللاجئون وهم يهيمون على وجوههم فى الأرض لا يعرفون لهم هدفاً ولا مصيراً .

واستوحت جوانب البطولة والكفاح والتصميم على تحرير فلسطين على الرغم من الأهوال التى كابدها النازحون ، والعواصف التى زلزلت حياتهم .

ويبرز فى هذه الفترة من أعلام القصة فى الأدب الفلسطينى عدا نجاتى صدقى ومحمود سيف الدين الإيرانى ، سميرة عزام ، وغسان كنفانى ويوسف جاد الحق وهم الذين صدرت لهم مجموعات قصصية فى هذه المرحلة .

وكانت أقاصيص هذه المجموعات – من الناحية الفنية – أعلى مستوى من المجموعات الصادرة قبل المأساة إذ توافرت فى الكثير من أقاصيصها الوحدة الفنية التى تعنى إبراز الفكرة الرئيسية والدقة فى رسم الشخوص ، كما تميزت بجودة الأسلوب ، وبراعة التصوير واستلهام الواقع المر الذى عاناه أبناء فلسطين فى مواطن اغترابهم وأماكن نزوحهم .

ولقد تبوأت القصة فى الأدب الفلسطينى مكانتها فى هذه الحقبة وتألقت أسماء كتابها فى سماء الفن القصصى ، وجاوزت شهرتهم حدود فلسطين . وأخرجت لهم دور النشر فى العالم العربى طائفة من المجموعات القصصية الجيدة التى لم تقف عند استلهام جوانب المأساة ، وإنما تجاوزتها إلى جوانب المجتمع العربى أما المسرحية النثرية فلم تحظ باهتمام كتاب القصة من أبناء فلسطين فى هذه المرحلة على حين حظيت المسرحية الشعرية من شعرائهم بحظ ضئيل .

ولم تقع تحت أيدينا فى خلال الفترة التى تناولناها وحتى سنة ١٩٦٠ مسرحية نثرية نقف عندها وعند مؤلفها .

أعلام القصة

١ - خليل بيدس

١٨٧٥ - ١٩٤٩

١ - حياته :

ولد خليل بن إبراهيم بيدس فى مدينة الناصرة سنة ١٨٧٥ وتلقى دراسته الابتدائية فى مدرسة الروم الأورثوذكس بها وتجرع مرارة اليتم إذ عدت يد الروى على أبيه وهو فى نضارة الصبا لم يتجاوز الثلاثين وكان خليل يومئذ فى الخامسة من عمره ، وتزوجت والدته بعد موت أبيه من رجل آخر فعاش مع أخته فى حضانة جدته ورعاية عمه إلياس حنا الصباغ وشاءت الظروف - فى خلال تلك الفترة - أن يفتتح الروس مدرسة عالية فى الناصرة وأن يبتسم الحظ لخليل فيقع عليه الاختيار - بمسعى من أعمامه - ليكون من بين طلابها وأمضى بالقسم الداخلى بها ستة أعوام من (١٨٨٦ - ١٨٩٢) استحق بعدها أن يتولى إدارة المدارس الابتدائية فى أنحاء من سورية وفلسطين ثم انتقل إلى مدينة حمص وعاش بها سنتين أظهر فى خلالهما مهارة وبطولة ثم نقل إلى «بسكنتا» حيث جهز الطالب ميخائيل نعيمه للقبول فى الكلية الروسية بمدينة الناصرة ومن بسكنتا انتقل إلى سوق الغرب بعد زواجه من السيدة أدال أبى الروس إحدى معلمات المدرسة الابتدائية الروسية .

وفى سنة ١٩٠٨ نقل إلى مدينة حيفا وشجعه صدور الدستور العثمانى على إصدار مجلته النفائس العصرية التى ذاعت شهرتها الأدبية والثقافية حين ذاك وكانت المجلة الفريدة من نوعها فى البلاد العربية . وأراد أهله وأقرباؤه فى الناصرة أن يكون ممثلاً للطائفة الأورثوذكسية فى مقر البطريركية فى القدس فاستقال من التعليم ، وانتقل إلى القدس .

ثم مالبث أن عاود مزاولة مهنة التعليم حيث عين معلماً للغة العربية فى مدرسة المطران الإنجليزية فى القدس وظل بها حتى سنة ١٩٤٥ حيث أحيل إلى المعاش [1] وعندما وقعت كارثة فلسطين سنة ١٩٤٨ أرغمته على النزوح عن القدس فسافر أولاً إلى عمان وأقام بها فترة من الزمن نزح بعدها إلى بيروت وأقام بها حتى أدركته منيته سنة ١٩٤٩ .

---

(١) د. ناصر الدين الأسد - خليل بيدس - رائد القصة العربية الحديثة فى فلسطين - ص ١٨ - ٢٢ .

٢ - أدبه :

ترجع شهرة خليل بيدس إلى ثلاثة أمور الأول إصداره لمجلة النفائس ، والثانى لريادته الفن القصصى فى فلسطين ونشره العديد من الأقاصيص المؤلفة والمترجمة على صفحات النفائس ، والثالث للثروة الأدبية والفكرية التى خلفها والتى تتمثل فى حوالى ثلاثين كتاباً فى اللغة والأدب والتاريخ والقصص .

أما بالنسبة للأول فقد بدأ خليل بيدس يصدر النفائس سنة ١٩٠٨ فى مدينة حيفا وقد صدر العدد الأول منها فى أول نوفمبر سنة ١٩٠٨ وكان اسمها النفائس فقط وبدأت تصدر مرة واحدة فى الأسبوع ثم أضاف إلى اسمها صفة العصرية من العدد العاشر فصارت النفائس العصرية وأصبحت تصدر مرتين فى الشهر ابتداء من الجزء الأول من المجلد الثانى نوفمبر سنة ١٩٠٩ ، وبعد عامين أخذ يصدرها فى مدينة القدس ابتداء من الجزء الأول من السنة الثالثة الصادر فى يناير سنة ١٩١١ وظلت تصدر فى القدس من ١٩١١ - ١٩١٣ حيث احتجبت بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى ، ثم استأنفت الصدور فى صيف ١٩١٩ وعاشت عاماً واحداً توقفت بعده .

وفى النفائس العصرية نشر شعراء وكتاب فلسطين ذوب عواطفهم وثمرات قرائحهم فى الأدب والنقد والتربية والتاريخ ، وازدانت صفحاتها بدرر النشاشيبى والسكاكينى ومنظومات الشيخ على الريماوى وإسكندر الخورى البينجالى كما تحلت بقلائد كبار أدباء البلاد العربية يومئذ من الشعراء والكتّاب أمثال حليم دموس وقسطاكى الحمصى وأمين ناصر الدين وغيرهم وتعد النفائس سجلا حافلاً ومرجعاً تاريخيا لدراسة الحياة الأدبية فى الشام فى تلك الحقبة من الزمن ، ويؤيد ذلك ما سطره إسعاف النشاشيبى فى مقدمته لسلسلة مقالاته عن كتابه الذى لم يطبعه لأنه نشره تباعاً على صفحاتها وهو أمثال أبى تمام إذ قال : وقد آثرت نشرها فى هذه المجلة البليغة لانتشارها الباهر فى القطرين الفلسطينى والسورى ولميل أدبائهما إليها جد الميل [١] .

وأما بالنسبة للأمر الثانى فحسبنا دليلاً عليه ما ساقه صديقنا الأديب البحاثة الدكتور ناصر الدين الأسد الذى قال : لا نعرف أحداً فى هذا البلد- فلسطين . بلغت قصصه المترجمة والمؤلفة فى هذه الحقبة عدد قصص خليل بيدس ولا نصف هذا العدد ، ولا نعرف مجلة قبل مجلته النفائس عنيت مثل عنايتها بنشر القصص المترجمة والموضوعة فإذا كان الأمر كذلك ، وإذا عرفنا أن خليل بيدس قد نشر

---

(١) د . ناصر الدين الأسد- خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة فى فلسطين ص ٣٣-٣٤ .

فى سنة واحدة هى سنة ١٨٩٨ وحدها ثلاث قصص طويلة ترجمها عن الروسية أدركنا من كل ذلك معنى قولنا إن خليل بيدس هو رائد القصة الحديثة فى فلسطين بلا منازع ، واتضح لنا من ذلك معنى هذه الريادة »[١] .

أما للأمر الثالث فحسبنا تلك الثروة الضخمة من الكتب التى ألفها خليل بيدس والتى لم تقف عند الفن القصصى والروائى وإنما تجاوزته إلى اللغة والأدب والتربية والاجتماع وعلم الحساب والتاريخ والرحلات والتى ذكرنا طائفة منها فى صفحة ٣٦٣ و ٣٦٤ من الكتاب .

مختارات من أدبه :

من مقدمة مسارح الأذهان

لا يجهل أحد ما للروايات من الشأن الخطير ، والمقام الرفيع بين سائر كتب الأدب عند جميع الأمم فهى من أعظم أركان المدنية وفى مقدمة المطبوعات انتشاراً وتداولاً ، وأشدها رسوخاً فى النفوس والقلوب ، وأثبتها أثراً فى الأخلاق والعادات ، وأعظمها عاملاً فى البناء والهدم لأن فيها تمثيلاً لمظاهر الحياة وصورها من خير وشر وفضيلة ورذيلة وعدل وجور وصدق وكذب ووفاء وغدر ، وإخلاص ورياء وهناء وشقاء .

وفيها وصف أحوال الأمم ، وعبر الزمان ، وحوادث الحب والغرام والحرب والسلام ، ومايتخلل ذلك كله من عفة وأمانة وغدر وخيانة .

وفيها عرض حياة الإنسان فى جميع أدواره فى ربيع حياته وخريفها فى صعوده وهبوطه ، فى آلامه وآماله ، فى سرائه وضرائه وفقره وغناه ، وأهوائه وأشواقه ، وسائر أطواره وأحواله وقد أقبل الكتاب على تأليف الروايات وتهافت القراء على مطالعتها وأحاد من كل فريق فئة وضلت فئات والرواية تتقلب وتتحول إلى أن أصبحت موضوع اهتمام السواد الأعظم من كل أمة وسمير كل قارئ وقارئة على الإطلاق ، وأصبحت فنًّا من أجمل فنون الآداب ، موضوعه الإنسان فى حياته الاجتماعية والعمرانية والخلقية ، وظهر فى كل أمة جمهور من نوابغ المفكرين لم يكتبوا إلا الروايات — الروايات الخالدة — التى تناقلتها اللغات وكان لها دوى عظيم أعقبته انفجارات هائلة فى النفوس ، وانقلابات خطيرة فى أحوال الأمم وقام هؤلاء الروائيون — وهم مصورو أحوال النفس البارعون — يلجون أعماق

---

(١) المصدر السابق — ص ١٧ .

هذه النفس كما يلجون أعماق القلب ويصورون العواطف ، ويمثلون الحقائق وينشرونها على الناس فى أثواب اللهو والفكاهة » (١) .

أيتها الشمس

« لله أنت أيتها الشمس ما أجملك وما أبهاك أنظر إليك وأنت تحملين إلى لجج البحار سيول التبر الذائب وتنثرين الزمرد واللؤلؤ .

فى طرفة عين وأنت تسبحين فى البحر تبنين من الأمواج الفيروزية قصوراً عجيبة غريبة ولكنك لا تلبثين أن تهدميها لتبنى غيرها أغرب وأعجب وأجمل إذ لا حد لتفننك ، ولا نهاية لإبداعك .

أنظر إليك والنفس تواقة إلى الخروج حيث ترقص أشعتك الذهبية لأمرح معها ، وأرقص واعدو من جهة إلى أخرى ، ومن قصر باه إلى آخر خالب ساحر . وما أجمل الغابة وقد كسوتها حلة أرجوانية فأصبحت كالحكايات الغريبة بحوادثها المدهشة بعجائبها . أيتها الشمس المشرقة إنى أحبك وأهواك لأنك أحسنت إلى وأحييت قلبى ، وملأت نفسى أملا يوم كنت شابًا ويوم كان قلبى منجذباً إلى السماء فقد أحببت وقتئذ فتاة جميلة كأنها أحد أشعتك ، ورشيقة ولطيفة كالزهرة الغضة وكنت حين أسمع صوتها كأنى أسمع نغمات الملائكة .

وكنا – كلانا – نستقبلك كل يوم صباحاً ، وأنت مطلة من وراء الجبال ترسلين شعاع ابتسامك إلى وجه الحبيبة فتصبح كلها شفافة وخفيفة كأشعتك ، ونقية كالماسك ولآلئك وكنت – إذ ذاك – أدنو إلى وجه الحبيبة فأقرأ فى عينيها تلك الحكايات الحلوة التى كانت والدتى تقصها على لأنام وأرى فيها الأحلام التى كنت أراها وأنا طفل » (٢) .

آثاره القصصية :

أولا – القصص المترجمة :

١ – ابنة القبطان لبوشكين – بيروت ١٨٩٨ .

---

(١) مسارح الأذهان – المقدمة – ص ٩ – ١٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٥ – ٤٠ .

٢ – القوزاقى الولهان – بيروت ١٨٩٨ .

٣ – الطبيب الحاذق – بيروت ١٨٩٨ .

٤ – أهوال الاستبداد لتولستوى – حيفا ١٩٠٩ .

ثانياً – قصصه المؤلفة :

١ – الوارث – رواية اجتماعية غرامية – القدس ١٩٢٠ .

٢ – مسارح الأذهان – مجموعة أقاصيص – القاهرة ١٩٢٤ .

ثالثاً – آثاره فى فروع المعرفة :

١ – العقد الثمين فى تربية البنين – بيروت ١٨٩٨ .

٢ – تاريخ روسيا القديم – بيروت ١٨٩٨ .

٣ – الكسور الدارجة – بيروت ١٨٩٨ .

٤ – الكسور العشرية – بيروت ١٨٩٨ .

٥ – الدول الإسلامية – القدس ١٩١٢ .

٦ – رحلة إلى سيناء – بيروت ١٩١٢ .

٧ – أمم البلقان – بيروت ١٩١٤ .

٨ – تاريخ القدس – بيروت ١٩٢٢ .

٩ – مختار البيان والتبيين بالاشتراك مع شريف النشاشيبى – القدس ١٩٢٤ .

١٠– الكافى فى الصرف – القدس ١٩٢٥ .

وقد أثبت له الدكتور ناصر الدين الأسد خمسة وثلاثين كتاباً من بينها ما أوردناه .

(١) د. ناصر الدين الأسد – محمد روحى الخالدى . ص ٣٤ – ٣٧ .

٢ - نجاتى صدقى

١٩٠٥

١ - حياته :

ولد نجاتى صدقى فى بيت المقدس سنة ١٩٠٥ وفيها تلقى دراسته فى المرحلتين الابتدائية والثانوية فى مدارس المأمونية والرشيدية والسلطانى وفى سنة ١٩٢٥ توجه إلى روسيا للدراسة فى جامعة موسكو حيث درس الآداب وحذق إلى جانب اللغة العربية والروسية اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، وفى سنة ١٩٢٩ حصل على بكالوريوس فى السياسة والاقتصاد من جامعة موسكو وعاد إلى فلسطين وأقام بها فترة سافر بعدها إلى فرنسا وقد استهوته الصحافة ، وملكت عليه أقطار نفسه فأصدر فى سنة ١٩٣٦ صحيفة شهرية باللغة العربية سماها « الشرق العربى » وقد صدر منها ستة وعشرون عدداً وكانت تعنى بمناصرة الحركات الاستقلالية فى الأقطار العربية مشرقها ومغربها . وعندما اندلعت الثورة الأهلية فى إسبانيا سافر إليها وعمل مراسلاً صحفيا .

وفى سنة ١٩٤٠ عاد نجاتى إلى فلسطين ، وعمل مراقباً للبرامج فى محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية عشر سنوات من ١٩٤٠ - ١٩٥٠ واقتضاه هذا العمل أن يقيم فترة فى مدينة يافا ، وأخرى فى جزيرة قبرص ثم استقال من عمله ، واختار الإقامة فى بيروت وانصرف إلى كتابة الأحاديث والأبحاث وتأليف الكتب والترجمة .

٢ - أدبه :

نجاتى صدقى أديب مطبوع متعدد المواهب ، متنوع الثقافة فهو مترجم إذا عد فرسان الترجمة من أدباء فلسطين كان واحداً منهم ، وهو قصاص بارع ، وناقد شجاع ، وباحث متعمق وقد أجاد عدة لغات .

كتب عز أدباء روسيا بوشكين وتشيكوف ومكسيم جوركى ، واطلع على روائع الأدب القصصى العالمى الروسى والإنجليزى والفرنسى والصينى والأسبانى وأتاح له اطلاعه الواسع وتجواله فى دول الغرب ، وعمله فى الإذاعة والصحافة أن يبرع فى فنون الأدب المختلفة فكتب البحث والمقالة وأجاد

كتابة القصة ، وبرع فى النقد ، ولمع فى الترجمة وتجاوزت شهرته حدود فلسطين لما أصدرته له دور النشر فى القاهرة من ترجمات وكتب ، وما نشره من أقاصيص على صفحات مجلة الرسالة التى كان يصدرها فى القاهرة الأستاذ أحمد حسن الزيات .

ويعد نجاتى صدقى من أدباء فلسطين اللامعين الذين ذاعت شهرتهم على صفحات الرسالة ، والذين احتفى بهم القراء فى العالم العربى نتيجة مانالوا من الشهرة عن طريق الكتابة والإذاعة فى محطة الشرق الأدنى ، وترجمة روائع الأدب العالمى .

وقد أثرى نجاتى صدقى المكتبة العربية بما كتب من مجموعات قصصية قصيرة ، وبما نشر من دراسات ، وما ترجم من مختارات لأعلام الأدب الروسى والصينى والأسبانى

مختارات من قصصه :

رأيه فى الكاتب من قصة الجثة الحية

« ودار بينهما مرة أخرى حديث فى الكتاب والأدب فكان يقول لها إن الكاتب الموهوب هو الذى ينمق الألفاظ الجميلة ، وكفى . فأجابته لقد سمعت منك هذا الرأى وأنا على مقعد الدراسة لكنى لم أقتنع بصحته ولم أجرؤ وقتئذ على مجابهتك وأما الآن فأقول لك إن رأيك هذا يؤهل أقزام المتعلمين بأن يحشروا أنفسهم فى صفوف الأدباء المطبوعين فيكتبون أشياء هى أقرب إلى الثرثرة منها إلى التفكير السليم والخيال الخصب ثم يسمون ما حرروه أدباً فعظمة الكاتب الصحيح تقاس بما يقدمه لأفراد شعبه من غذاء روحى يصقل نفوسهم ، ويعينهم على التسامى بها نحو المثل العليا والكاتب لن يحمل شرف هذا الإسم إذا لم يستهدف الجمال والخير والحق فى كتاباته .

ولما انتقلا إلى تعريف رسالة الأدب قال لها زوجها إننى أعتقد جازماً بأن ليس للأدب رسالة وما هو إلا علم يحترز به من الخلل فى الكلام لفظاً وكتابة فهزأت السيدة إلهام بهذا التعريف وقالت له : اعلم يازوجى العزيز أن الأدب هو علم الإنسان وهو وسيلة فعالة لتوسيع المدارك فالناشئة تكون عادة قليلة الخبرة فى الحياة وتفكيرها يقوم على صور وخيالات ، وفهمها للناس محدود ومزعزع فيأتى الأدب ويخرجها من دائرة الانطباعات الضيقة ويفتح أمامها عوالم جديدة ، وينقلها إلى حياة شعوب العالم فى مختلف العصور فالأدب بوصفه علم الإنسان يمكن مقارنته بعلم الطبيعيات إن الشخصية فى الأدب الفنى هى مثل النوع والشكل فى الطبيعة فكما أن العالم النباتى مثلاً يصنف مظاهر العالم النباتى ،

ويردها إلى أنواعها وأشكالها دارساً كل مظهر بمفرده محدداً النواميس التى يخضع لها النوع والشكل ، كذلك الأدب يرمى إلى إدراك كنه حقيقة الإنسان فيعمد إلى تصنيف الأشخاص بمثابة نماذج لها أشباهها ثم يردهم إلى أنواع وأشكال بشرية ويحدد النواميس السيكولوجية التى يخضع لها كل من النوع والشكل البشريين فبهذه الطريقة فقط يتمكن الناشئة من فهم عالم الإنسان فى نظام موحد ومن ثم تتوصل إلى فهم كل شخص بمفرده فالأدب الفنى يؤثر فى نفوس الناشئة فى ثلاث نواح .

أولاً : يرى فيهم قوى الاقتباس الخلق .

ثانياً : ينمى فيهم التفكير الفنى .

ثالثاً : يسلحهم بمقاييس فنية صحيحة ويخلق فيهم ذوقاً أدبياً رفيعاً (١) .

حياة بلابسى

عثر رجال الهلال الأحمر بعد مجزرة دير ياسين على جثة فتاة فى قميص النوم ملقاة بالقرب من طريق فرعية مؤدية إلى القرية فتعرفها بعضهم فإذا هى المعلمة حياة بلابسى .

قابلتها لأول مرة فى أواخر سنة ١٩٤٧ وقت أن قدمت للإذاعة موضوعاً أدبياً أرفقته بكتاب تقول فيه : أرجو أن أتمكن من إذاعة حديثى هذا فى أقرب فرصة ممكنة » .

وبعد أيام من ورود هذا الحديث قابلت أحد قضاة القدس فذكرنى « بحياة » وأوصانى بها خيراً ثم قابلت أحد مفتشى معارف فلسطين فنبهنى إلى حديث «حياة» وضرورة العناية به ، ثم قابلت أحد أدباء القدس فقال لى ألا تهتم بحياة وأحاديثها فهى فتاة تحتاج إلى مساعدة وتشجيع ، ثم قابلت مديرة مدرسة فى يافا فسألتنى إذا كنت قد تلقيت حديثاً من حياة واستفسرت عن مدى استعدادى لمساعدتها فسألت نفسى : من تكون حياة بلابسى هذه؟ ما الداعى إلى كل هذا الاهتمام بها ، وأخذت أترقب الفرصة لمقابلتها والتعرف إليها عن كثب ، وفى عصر أحد أيام يناير من سنة ١٩٤٨ وكان الثلج يتساقط بكثرة فى القدس ، والرياح الباردة العابثة تعصف بشدة دخلت علىَّ حياة وقد تدثرت بمعطف بسيط ولفت رأسها بمنديل من الصوف وقد رصع بقطع صغيرة من الثلج فظهرت كأنها إكليل من زهر الليمون رمز العفة والطهارة يطوق رأسها الجميل وفى هذه المقابلة عرفت منها مأساتها .

لقد فقدت أباها منذ أمد بعيد ، ووالدتها كسيحة طريحة الفراش ، وأختها صغيرة غير قادرة على

(١) الأخوات الحزينات – الجثة الحية من ص ٢٩ – ٣٢ .

العمل فوقع على عاتقها عبء الاعتناء بوالدتها وأختها والقيام بجميع شئون البيت ، والعمل فى الوقت ذاته على كسب المعاش إذ لا مورد لأسرتها تعيش منه كما أن والدها لم يترك لها أى مبلغ من المال أو أى نوع من العقار ، وهكذا رأت نفسها مضطرة إلى ترك المدرسة قبل أن تحصل على شهادة « المترك » (١) وأن تسعى إلى العمل كمعلمة إضافية (٢) فى مدرسة ابتدائية فقيل لها فى دائرة المعارف ليس بوسعنا أن نجد لك مكاناً شاغراً فى القدس لكننا نحتاج إلى معلمة إضافية لقرية دير ياسين فقبلت حياة العمل فى القرية لقاء راتب شهرى قدره ثمانية جنيهات وقرية دير ياسين تقع إلى الغرب من القدس وعلى بعد عشرة كيلو مترات منها وطرق المواصلات إليها غير متوفرة فكانت حياة تضطر للذهاب إليها والعودة منها سيراً على قدميها فتترك القدس فى الساعة السادسة صباحاً مجتازة فى طريقها بعض أحياء القدس اليهودية وهى مياشعا ريم ، وبيت إسرائيل ، ومحنا يهود ، وروميما ثم تمر بواد وعر إلى أن تصل إلى مستعمرة بيت هاكيرم ومن ثم تتجه رأساً إلى دير ياسين هذا هو طريق الآلام الذى كانت تعبره حياة مرتين فى اليوم صيفاً وشتاء .

ومع أنها صبية جريئة كانت تشعر أحياناً برهبة عند اجتيازها الوادى فتخشى أمراً لا تعرف كنهه فتنتظر بعض الوقت إلى أن تمر بها القرويات الذاهبات إلى القرية أو العائدات منها فترافقهن إلا أن هذه الخشية أخذت تتلاشى قليلاً فقليلاً ، وصارت حياة تعبر الوادى بمفردها محيية الحراثين والرعاة فيحيونها محيين مرحبين مستفسرين منها عن أولادهم ومقدار تقدمهم ونجاحهم فى دروسهم .

ولم تحصر حياة عملها فى القرية على التعليم ، وإنما كانت تعمل فى فترات من النهار ممرضة أيضاً ، فتمد من هو بحاجة إلى الإسعاف الأولى بمختلف الأدوية ، وتعود المرضى فى أكواخهم ، وإذا رأت أن فيهم من تتطلب حالته دخول المستشفى اتصلت على الفور بدائرة الصحة فى القدس تلفونيا أو ذهبت بنفسها إلى تلك الدائرة عند عودتها إلى بيتها ، وما إن أتمت حياة السنة الأولى من عملها فى دير ياسين حتى غدت معبودة سكانها يتردد اسمها مع التربية والطهارة والوطنية . وفى ذات يوم عادت الفتاة إلى القدس فوجدت أمها قد فارقت الحياة ، فتحملت الصدمة بقلب قوى ولم تنهزم أمام صروف الدهر القاسية ، وثابرت على عملها فى دير ياسين بما طبعت عليه من عزيمة وثبات فحمل ذلك دائرة المعارف على أن تزيد راتبها الشهرى جنيهين أخريين ، وأعلنت هيئة الأمم المتحدة تحقيق ما حلم به هرتزل سنة ١٨٩٥ فى كتاب الدولة اليهودية فهب العرب يدافعون عن أرضهم وكان على حياة أن تختار أحد

---

(١) المتركيوليشن «شهادة إتمام الدراسة الثانوية .

(٢) المعلم الإضافى هو الذى يتقاضى مرتبه من أهل القرية التى يعلم بها لا من الحكومة .

أمرين إما أن تقبع فى بيتها تنتظر حظها من الزواج ، وإما أن تسكن دير ياسين لتتابع كفاحها ، ولم تتردد كثيراً فحملت بعض أمتعتها ورحلت إلى القرية وسكنت . فى غرفة من غرف مدرستها.

وانتشرت الحوادث بسرعة إلى أن شملت دير ياسين ولما كانت هذه القرية محاطة بأربع مستعمرات خشيت خيانة جيرانها فألفت من فتياتها وفتيانها حامية وكانت حياة من أركانها.

وعند الساعة الثالثة من صباح يوم قاتم أطبق ألفان من اليهود والمسلحين بالبنادق السريعة الطلقات والخناجر على سكان القرية النيام ونشبت بينهم وبين الحامية معركة لم تدم طويلاً فتغلب المعتدون على المناضلين وبدأت المجزرة أما حياة فما أن سمعت أزير الرصاص حتى هبت من فراشها وهى فى قميص النوم وهامت على وجهها فى الحقول بين التلال وبعد لحظات وجدت نفسها فى مكان أمين خارج القرية وبوسعها الالتجاء إلى قرية عربية أخرى إلا أنها سمعت أنيناً فاتجهت إلى مصدره وإذا هى أمام جريحين من حامية دير ياسين فتقدمت منهما ومزقت جزءاً من قميصها ضمدت به جراحهما ثم قر رأيها على أن تضعهما فى مغارة إلى أن تتمكن من إخبار رجال الهلال الأحمر عنهما فحملت أحدهما على كتفها وسارت به نحو المغارة وبعد مسيرة عشرة أمتار مزق الجو صوت طلقات سريعة فسقط الجريح قتيلاً وسقطت حياة فوقه مضرجة بدمائها أما الجريح الثانى فقد قدر له أن يعيش ويروى خاتمة حياة فتاة تذوقت الجهاد فى سبيل العلم والأسى فى سبيل العائلة ، والبطولة فى سبيل الوطن »[١]

من آثاره المطبوعة :

١ – بوشكين – الكتاب ٢٨ من سلسلة اقرأ – دار المعارف القاهرة ١٩٤٥ .

٢ – تشيكوف الكتاب ٥٠ من سلسلة اقرأ – دار المعارف القاهرة ١٩٤٧ .

٣ – المختار من القصص الروسى – دار بيروت ١٩٥٢ .

٤ – المختار من القصص الصينى – دار بيروت ١٩٥٣ .

٥ – المختار من القصص الأسبانى – دار بيروت ١٩٥٣ .

٦ – الأخوات الحزينات – مجموعة أقاصيص – دار المعارف القاهرة ١٩٥٣ .

٧ – المختار من القصص العالمى – الأرملة الملول بيروت ١٩٥٤ .

٨ – مكسيم جوركى الكتاب ١٦٢ من سلسلة اقرأ – دار المعارف القاهرة ١٩٥٦ .

٩ – الشيوعى المليونير – أقاصيص بيروت ١٩٦٣ .

---

(١) الأخوات الحزينات – حياة بلابسى – ص ٦٤ – ٦٩ .

٣ - عبد الحميد يس

١٩٠٨ - ١٩٧٥

١ - حياته :

ولد عبد الحميد يس فى مدينة لد بفلسطين سنة ١٩٠٨ وفى مدارسها تلقى دراسته فى المرحلة الابتدائية أما دراسته فى المرحلة الثانوية فقد تلقاها فى دار المعلمين بالقدس حيث حصل على شهادتها سنة ١٩٢٤ وعينته إدارة معارف حكومة فلسطين مدرساً وأمضى فى مزاولة مهنة التدريس خمس سنوات رغب بعدها فى إكمال دراسته العالية يحدوه أمل باسم ، وتدفعه عزيمة ماضية فغادر فلسطين متجهاً إلى مصر وفى الجامعة الأمريكية بالقاهرة انتظم عبد الحميد يتلقى المحاضرات والدروس وبعد أن قضى بها أربع سنوات حصل على درجة بكالوريس فى الآداب والعلوم الاجتماعية سنة ١٩٣٣ وعاد إلى فلسطين وزاول مهنة التدريس من جديد متنقلا بين مدن فلسطين فى الشمال والجنوب وفى سنة ١٩٣٦ ترك التدريس وعمل مساعداً لمدير البرامج العربية فى محطة الإذاعة الفلسطينية ، وكان مدير القسم العربى بها يومئذ إبراهيم طوقان شاعر فلسطين وفى سنة ١٩٣٧ نقل إلى مكتب الترجمة فى حكومة فلسطين وظل ينتقل فى الوظائف إلى أن وقعت الكارثة سنة ١٩٤٨ حيث اضطرته للنزوح إلى الأدن ومن الأردن سافر إلى القاهرة . وعمل مسجلا للجامعة الأمريكية ، ومحرراً فى مجلة التربية الحديثة الصادرة عنها وفى أثناء عمله حصل على بكالوريوس فى التربية منها ، وفى سنة ١٩٥٢ عاد إلى الأردن وعهد إليه بإدارة دار المعلمين عند إنشائها فى عمان ، وفى سنة ١٩٥٦ قام برحلة إلى الولايات المتحدة وبريطانيا للاطلاع على الأساليب التربوية وفى سنة ١٩٦٠ أعير لمنظمة اليونسكو خبيراً فى التعليم فى ليبيا ، وفى سنة ١٩٦٢ عاد إلى وزارة التربية والتعليم الأردنية رئيسا لدائرة البحث والإحصاء ثم استعارته الجامعة الأردنية أمينا عاما لها .

وفى سنة ١٩٦٤ وقع عليه الاختيار ليكون رئيسا لدائرة التربية والتعليم فى وكالة غوث اللاجئين وفى سنة ١٩٦٥ أعير لمنظمة التحرير الفلسطينية عضواً فى لجنتها التنفيذية ، ومديراً لمكتبها فى القاهرة ، وممثلها الدائم لدى جامعة الدول العربية وفى سنة ١٩٦٦ عاد إلى وزارة التربية والتعليم الأردنية مديراً للتعليم العالى ثم استعارته مؤسسة الإسكان فى السنة نفسها مديراً عاماً لها وفى سنة ١٩٦٧ عين عضواً

فى اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر وفى أعقاب ١٩٦٧ عين مديراً عاماً للإذاعة الأردنية وفى ٢٦ يناير سنة ١٩٧٥ لبى نداء ربه ودفن فى عمان .

٢ - أدبه :

نشر عبد الحميد يس طائفة من بحوثه ومقالاته فى التربية والثقافة والأدب فى الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى العالم العربى ، وتضم مجلة التربية التى كانت تصدر عن الجامعة الأمريكية فى القاهرة العديد من مقالاته وبحوثه التربوية .

وقد عالج فن القصة ، ونشر فى سلسلة الثقافة العامة فى مدينة يافا سنة ١٩٤٦ مجموعة سماها : « أقاصيص » تحتوى على ثمانى أقاصيص أربع منها مترجمة وأربع مؤلفة وقد مزج الكاتب فى هذه الأقاصيص بين التحليل النفسى ونثر الحكم ، وتحقيق المغزى الخلقى ، وصاغها بأسلوب يتسم بالجمال والوضوح ، بعد جريانه على قواعد اللغة . وبعض هذه الأقاصيص متسم بالرومانسية .

مختارات من قصصه :

١ - عيد الفيلسوف يتحدث عن بطل هذه القصة فيقول « إنه من الزاهدين فى مجالس الناس ، محب للخير ، كبير القلب ، نير العقل ، بعيد مى الخيال جعل يحدق النظر فى السقف تحديق من يجتاز ببصره العالم المحسوس إلى عالم أقصى وأسمى متخذاً من العقل والخيال والعاطفة وسيلة لاجتياز التخوم بين العالمين . جعل الشاب يفكر فى العيد ، وكيف يحتفى به الناس ، وكيف إنه لم يعتد مشاركتهم هذا الاحتفاء ثم قال فى نفسه « ليس لى هذا العيد » قال هذا فى شىء من الاستعلاء ثم جال ببصره فى جوانب الغرفة واستقر محدقاً فى السقف من جديد . ليت لى عيداً فأفرح ولكنى لا أريد مثل أعياد الناس وأفراحهم ثم عاد إلى التحديق وأغمضت عيناه فلم يعديرى السقف ولكنه عوض عنه مشاهد أبهى طلعة وأدنى إلى أمل الإنسان . ثم يمضى البطل فى أحلام يحلم لعالم غير عالمه حتى إذا عاد إليه صحوه قال : لقد كنت فى عيد لكننى للأسف قد صحوت »[١] .

آثاره :

١ - أقاصيص - مجموعة قصص قصيرة - يافا - فلسطين ١٩٤٦ .

٢ - أقاصيص - مجموعة تضم المجموعة السابقة وأقاصيص أخرى - عمان ١٩٥٩ .

---

(١) أقاصيص - ص ١٩ - ٢٦ .

٤ – محمود سيف الدين الإيرانى

١٩١٤ – ١٩٧٤

١ – حياته :

ولد محمود سيف الدين الإيرانى فى مدينة يافا سنة ١٩١٤ ، وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية بمدارس الفرير . وحصل منها على شهادة إتمام الدراسة الثانوية سنة ١٩٢٩ وفى أثناء هذه الدراسة استطاع أن يجيد – إلى جانب العربية – الإنجليزية والفرنسية ، وأن يلم بالفارسية .

وبعد تخرجه فى الفريز عينته حكومة فلسطين فى عهد الانتداب فى وظيفة حكومية قضى فيها بضع سنوات . عكف فى خلالها على قراءة الأدب العربى . وروائع الأدب الغربى المترجم إلى إحدى اللغتين الإنجليزية والفرنسية وفى سنة ١٩٣٥ دفعه طموحه الأدبى ، إلى إصدار مجلة الفجر الأسبوعية وشاركه فيها الأستاذ عارف العزونى وصدر منها حوالى ٥٠ عدداً وهى أرقى المجلات الأدبية التى صدرت فى فلسطين فى عهد الانتداب .

وفى سنة ١٩٤٠ غادر الإيرانى فلسطين قاصداً الأردن حيث اختارته وزارة المعارف فى الحكومة الأردنية مدرساً للغة العربية فى مدارسها الثانوية وتنقل بين مدن الأردن من عمان إلى أربد والكرك ، وأخذ يترقى فى سلك التدريس من مدرس إلى مدير مدرسة فإلى مفتش للغة العربية .

وشغل الإيرانى عدة مناصب فى الأردن فكان سكرتيراً عاماً للجنة اليونسكو الوطنية فى عمان ، ومديراً للتعليم الخاص بوزارة التربية الأردنية .

وفى سنة ١٩٦١ أوفد فى بعثة دراسية للتخصص فى شئون : اليونسكو على نفقة المنظمة العالمية ، وبعد عودته من البعثة عين مستشاراً ثقافياً فى وزارة الثقافة والإعلام ، وتولى رئاسة تحرير مجلة أفكار ، وظل يؤدى رسالته الثقافية والفكرية والأدبية إلى أن لبى نداء ربه فى الحادى والثلاثين من مايو سنة ١٩٧٤ .

٢ – أدبه :

محمود سيف الدين الإيرانى كاتب مجيد ، وقاص بارع وناقد شجاع . تنوعت ثقافته ، واتسعت

طاقته ، وتعددت مواهبه وقد غذى موهبته بالاطلاع على الأدب العربى من منابعه الأصيلة ، والارتشاف من رحيقه ، وقراءة روائع الأدب الغربى المترجم لإحدى اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، وقد استطاع الإيرانى أن يهضم الثقافتين ، ويمزج بينهما ويقدم للقراء عصارة فكره .

وقد عالج فنون الأدب فكتب المقالة ، ونسق البحث ، واقتحم ميدان النقد وأبدع القصة ، ولكن براعته ظهرت فى القصة القصيرة « الأقصوصة » التى يعد فيها رأس الطبقة الثانية فى فلسطين بعد خليل بيدس .

وقد وجه الإيرانى اهتمامه للأقصوصة المترجمة والمؤلفة فكتب عشرات الأقاصيص ، ونشر العديد من المجموعات القصصية ، وترجم الكثير عن اللغات الحية .

وحظى الإيرانى بشهرة أدبية واسعة بين أدباء فلسطين جاوزت حدود بلاده وتخطتها إلى الأقطار العربية وعندما أصدر مجلة الفجر فى مدينة يافا سنة ١٩٣٥ كانت تزخر بالأبحاث والمقالات والأقاصيص الممتعة ، وكان يرسلها إلى المجلات فى الأقطار العربية فتنوه بها وبما أبدعه كتابها فى ميدان الأدب .

وكتب الإيرانى الأقاصيص والكلمات فى صحف فلسطين فى عهد الانتداب فلسطين والجامعة الإسلامية والدفاع ، وكتب فى السياسية الأسبوعية والمقتطف فى مصر والحديث فى حلب والأديب فى لبنان ، والعربى فى الكويت .

وعالج فى قصصه الفوارق الاجتماعية التى تفصل بين الناس ، والصراع الطبقى بين فئاته ، وما يلقون من عذاب نفسى حين يقارنون بين واقعهم المر ، وبين ما تصبو إليه نفوسهم من حياة أفضل وألقى الأضواء الكاشفة على أسباب التخلف والجمود وتشخيص الأمراض الاجتماعية التى تنخر فى عظام الأمة ، لتتخلص منها وتسير فى طريق التقدم والازدهار .

مختارات من قصصه :

الفن القصصى

القصص من أصعب الفنون وأدقها وأرفعها وأدعاها إلى الثقافة الشاملة والفكر الممحص ، والإحساس المرهف ، والقصة الجيدة تخرج من بين يدى خالقها كما يخرج التمثال البارع من بين يدى ناحته أو كالصورة المعبرة الحية تزجيها ريشة الفنان الحاذق المبدع ، أو كاللحن الصافى المتموج المنساب

يتسرب فى أطواء النفس ، ويطوف فى فسحات الروح ، وكما أن النحت والرسم والموسيقى وما إليها معان تختلج ، وشعور خافق ، وإحساس دقيق وتعبير حاذق كذلك فن القصص نبضات روح ووحى عقل ، وفيض عاطفة ، وومضات ذهن قوى خالق ، والتماعات عبقرية جبارة . وهو يمتاز عما قدمناه من ألوان الفنون بكونه عالما رحيب الجنبات يزخر فيه كل ما يزخر فى الحياة النابضة الحية من قوى دافقة .

مسرح هذا الفن الكون بأسره ، وغرضه الإنسانية كلها خيرها وشرها ، ضلالها ورشدها ، إيمانها وإلحادها أملها ويأسها ، جدها وهزلها ، ذرى فضائلها ومعارج مثلها ومهاوى ضعفها ودركات خورها ، وشخوصه الأحاسيس والميول والنزعات والرغبات وصراع الروح والجسد ، وأزمات الوجدان الطاحنة ، وفورات العواطف ، وجموح النزوات ، وهجسات الضمائر . ورسالة هذا الفن العالى لا يضطلع بها إلا الفنان القدير ، وأسباب الإبداع والإعجاز فيه لا يؤتاها إلا العبقرى الملهم »[١] .

الأرض الطيبة

« البحر أمامها ، وجنات البرتقال خلفها ، وهى بينهما تنعم بما لم تنعم به مدينة من قبل ، لياليها ملاح زاهرات ، وأيامها كد وسعى ورزق كبير حبة البرتقال والبحر مورد خيرها ، شجرة البرتقال كان صاحبها يغرسها بيده فى المنبت الطيب ، ويظل يتعهدها ويرعاها ويفيض عليها من ماله وحبه عينه أبداً عليها ، وقلبه مشغول بها ، وكلما امتدت جذوعها فى الأرض وغلظت ساقها ، وكثرت فروعها ، ورف ورقها الأخضر ، وانتشرت من حولها الظلال والأفياء تهلل فرحاً ، واستبشر خيراً وحمد الله وصلى على نبيه الكريم محمد ﷺ .

وكانت فرحته الكبرى يوم يرى البرعمة تطل من بين الأوراق الخضر بيضاء ناصعة لها عبير فواح يتقطر منها الندى ، ويضاحكها النور سر البرتقالة فى البرعمة ، والماء سر الحياة فى الاثنتين ، وتتفتق البرعمة وتنبثق منها حبة خضراء لا تكاد العين تتبينها ثم تنتثر البرعمة وتظل الحبة عالقة بفرعها يغذيها الماء والنور ، وتحنو عليها أوراقها الخضر ، وتصونها من الأذى ، وتدفع عنها السوء ، وتنمو الحبة وتكبر ، وينمو الأمل فيها ويكبر . . أياماً وليالى وتصبح ذات يوم فإذا هى حبة كبيرة ملساء وما إن يقبل الشتاء حتى تتلق الحبة أولى قطراته وقد غدت كرة من الذهب ملء الراحتين بين أوراق مخملية ،

---

(١) أول الشوط ص ١٧٤ .

مزهوة بكنزها الثمين ، ويحين أوان القطاف ، وتمتد إليها الأيدى ، وتتناولها برفق وتلفها بورق ناعم ملون شفاف ، وتضعها فى صندوقها واحدة بجانب الأخرى ، وصفا بعد صف تنظمها يد صناع حاذقة ثم ترسل إلى عنابر السفينة حيث تحمل إلى ما وراء البحار هدية نفيسة من يافا من الشرق فيها قبس من شمسه ودفئه ، ونغمة من طيبه وعطره ، ونبعة حلوة ثرة من رحيقه »(١) .

حذاؤه الجديد

حذاؤه الجديد قصة بطلها « عطيوى » الذى لا ينقطع صوته دائماً وهو يبيع الصحف اليومية ويصيح : فلسطين الدفاع : الأهرام . أهرام الطيارة ولقد استقر روعه أنه لابد من سيد ومسود ، وأن سيده ومالك رقبته هو هذا المعلم الخواجة نصار الذى يراه فى أحلامه يلعن أمه وأباه ويهدده بطرده وقطع رزقه إذا لم يبع كل ما فى عهدته من جرائد .

فكر « عطيوى » أن يترك بيع الجرائد ولكنه لا يقوى ، بينه وبين هذه الجرائد ألفة ومودة إنها تستهويه بحروفها الدقيقة ، وصورها الخلابة صور كثيرة ملونة الحرب كلها يراها من خلال هذه الصور وعلى الأخص هاتيك المجندات .

هناك طراز من الحرفاء يعرفه يتفرج ثم لا يشترى وطفق « عطيوى » يرتب صحفه ووقعت عينه على صفحة مفتوحة فى مجلة فبهت وفغرفاه وراح يتأمل باشتهاء صورة حذاء كبير حذاء أسود لامع ما شأن هذا الحذاء فى المجلة ؟ ذهل عطيوى عن نفسه وشرع خياله يصور له أنه وضع قدمه العارية فى حذاء لامع وأن هذا الحذاء ملكه وأنه يسير به فى شوارع يافا يوم العيد معجباً به وإذا به يستفيق على لطمة قوية على صفحة وجهه ثم انصبت فى أذنه لعنة لأمه وأبيه ثم هذه العبارة « لقد أتلفت لى حذائى أيها الحيوان » وبنظرة واحدة فهم كل شىء لقد داس فى ذهوله بقدمه العارية على حذاء زبون كان يقلب فى صحفه ومجلاته من أولئك الذين يتفرجون ولا يشترون »(٢) .

---

(١) مع الناس– القصة الثانية– الأرض الطيبة– ص ٣٧ .

(٢) حياة الأدب الفلسطينى الحديث ص ٤٩٤– ٤٩٥ .

من آثاره المطبوعة :

١ – أول الشوط – مجموعة قصصية – يافا – فلسطين ١٩٣٧ .

٢ – مع الناس – مجموعة قصصية – عمان ١٩٥٦ .

٣ – ما أقل الثمن – مجموعة قصصية – عمان ١٩٦٢ .

٤ – متى ينتهي الليل – ١٩٦٤ .

٥ – أقاصيص من الغرب والشرق ١٩٦٩ .

٥ – سميرة عزام

١٩٢٧ – ١٩٦٧

١ – حياتها :

ولدت سميرة فى مدينة عكا فى فلسطين سنة ١٩٢٧ وفى مدرستها الابتدائية تلقت دراستها فى المرحلة الأولى .

ولما بلغت السادسة عشرة من عمرها مارست مهنة التدريس فى مدارس عكا . وأخذت تزود نفسها بألوان من الثقافة والمعرفة عن طريق جهدها الذاتى ، وتعكف على القراءة والمطالعة فى جوانب المعرفة المختلفة حتى ارتقت من مدرسة إلى ناظرة ، وظلت تؤدى رسالتها فى تربية الجيل الصاعد من فتيات فلسطين وتلقنهن الدروس ، وتوجههن التوجيه التربوى الصحيح إلى أن حدثت الكارثة سنة ١٩٤٨ حيث أرغمتها على النزوح من عكا إلى لبنان . وبعد أن أقامت فترة فى لبنان قصدت العراق وزاولت مهنة التدريس ، وعملت مدرسة فى مدرسة البنات بمدينة الحلة لمدة عامين عادت بعدهما إلى لبنان وأخذت تكتب الأقاصيص ، وتدبج المقالات ، وتترجم للصحف والمجلات ودور النشر وفى سنة ١٩٥٢ انضمت إلى أسرة إذاعة الشرق الأدنى وعملت مذيعة وكاتبة لبرامج ركن المرأة وأقامت فى قبرص – مقر الإذاعة – فترة من الزمن وبعد عامين انتقلت إذاعة الشرق الأدنى إلى بيروت ، وترقت سميرة ، وأصبحت مسئولة عن ركن المرأة .

وفى سنة ١٩٥٧ تعاقدت هى والإذاعة العراقية فى بغداد ، وواصلت عملها بعد الثورة العراقية سنة ١٩٥٨ ، ولكنها أبعدت من العراق سنة ١٩٥٩ ، وعادت إلى لبنان وأخذت تنشر مجموعاتها القصصية وفى الثامن من أغسطس سنة ١٩٦٧ وافاها أجلها .

٢ – أدبها :

تقول الدكتورة نادرة جميل السراج :

«إن قصص سميرة تتميز بالواقعية ، ووصف المشاهد الحية . والبعد عن الرمزية ما أمكن ، وعدم الاستغراق فى الخيال مع شىء من الرومانسية المحببة والأناقة اللفظية ، والبراعة فى الوصف والتحليل .

وتحتوى مجموعتها الأولى أشياء صغيرة على ثلاث عشرة أقصوصة تحمل القصة الأولى عنوان الأشياء الصغيرة ، وتحكى قصة فتاة رصينة متزنة تعتقد أنها من نسيج خاص لها مبادئها وأخلاقها ومثالياتها بالإضافة إلى نشأتها المحافظة .

وقد سارت الكاتبة فى أسلوب القصة على طريقة السرد المباشر وهو أول وسائل الكاتبة القصصية ولكنها نثرت بين الفقرات بعض العبارات والتساؤلات الموحية والتى وجهتها ببراعة بحيث بدت وكأنها حديث مع النفس أو نوع من المونولوج الداخلى الذى أوحت به هذه المشاعر الدقيقة التى تطغى وتفور مع الأشياء الصغيرة [١] .

ويقول الدكتور محمد يوسف نجم «كانت أقاصيص الأشياء الصغيرة صراعاً بين الروح العذب والنفس البريئة الطاهرة من ناحية ، والمحيط الجديد الذى لم تستطع أن تهضمه وتتمثله وتمتصه فى كيانها لتلبس به كياناً آخر ، ومن خلال الملاحظة ، والوعى الأخلاقى الذى لا ترتخى قبضته أخذت تتحرك وتنمو ، ومواقفها تتطور وتتبلور ، كان همها آن ذاك أن تتذكر وأن تلاحظ وأن تحس أما التأمل والتفكر ، والشك والإيمان والنقد والمحاسبة فطورها لم يحن بعد . [٢]

مختارات من قصصها :

الساعة والإنسان

الساعة لما تبلغ الرابعة صباحاً بعد ، استيقظت قبل الموعد بعشرين دقيقة لماذا لا أقول إننى لم أذق النوم ليلتئذ تجربة العمل التى تنتظرنى فى الغد مثيرة ، وقفت طويلا قبل أن أنام أمام البذلتين اللتين أملكهما كان على أن أختار واحدة ، آثرت الرمادية فقالت أمى «لقد لبستها حين قابلت المدير . . فالبس الأخرى» عجيب كيف تستطيع النساء تذكر هذه التفاصيل لقد نسيت أنا أيهما كنت لابساً ، وربطت الساعة الصغيرة لتطلق رنتها فى الرابعة صباحاً فأستيقظ وخشيت أن تخذلنى فجربتها ثلاث مرات ، وأوصيت أمى بأن توقظنى فتطوعت عمتى وأختى وأبى جميعا ، والواقع أننى لم أنم تماماً فى تلك الليلة ، وحين انبعث الرنين المجلجل من الساعة قفزت من فراشى ، وقفزت أمى وعمتى وأختى واحدة لتسخن لى ماء للحلاقة ، وعمتى لتعد لى مائدة لم أعرف مثل سخائها قبل أن أصبح موظفاً أما

---

(١) شئون فلسطينية ص ٧٢ العدد ١٤ - أكتوبر ١٩٧٢

(٢) المصدر السابق ص ٧٥ .

أختى فقد شغلت بحذائى تلمعه ، كنت أقف فى الحمام أفرش وجهى برغوة صابون الحلاقة وأغطى اضطرابى بلحن أصفر حين سمعنا قرعاً متئدا على باب الدار فسارعت عمتى إليه ثم ترددت إذ تذكرت أن نهار الناس لم يبدأ بعد فسارعت أنا ولكنى حين بلغت الباب ترددت أيضا واستجمعت نفسى لأسأل «من» ومن وراء الدفتين الملتحمتين سمعت من يقول «هل استيقظت يا سيد فتحى «ومددت يدى إلى أكرة الباب أعالجها ولما فتح الباب كان الطارق قد عاد أدراجه فلم أستطع أن أتبين من خلل السواد أكثر من كومة تتحرك بعيداً عن الدار وعدت أتم حلاقتى متعجباً ، ولم تضيع عمتى الفرصة لتدلل على ذكائها فقالت بلهجة لا ينقصها اليقين «لابد أن وظيفة فتحى مهمة وإلا فلماذا توقظه الحكومة ! ؟» واستمرأ غرورى أن يقبل تعليلها بلا تردد وخالطنى إحساس بالأهمية وأنا أرتدى ثيابى وأبتلع البيضتين فى لقمتين ، وأزجر أختى وهى تصب فى أذنى نصائحها ثم أشد نفسى بالمعطف وأنطلق إلى الباب ودعوات عمتى تصفح ظهرى من خلل الباب المشقوق فلا يغيب صوتها إلا فى ثنايا صوت المؤذن الذى ارتفع عميقاً منطلقاً على مداه فى تموجات خالطها شىء من بياض الفجر فوقع فى أذان السارين عذباً مأنوساً باعثاً على انبساط الملامح المتقلصة من لسعات الريح . الصلاة خير من النوم» [١]

من آثارها المطبوعة :

١ – أشياء صغيرة – مجموعة أقاصيص – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٥٤ .

٢ – الظل الكبير – مجموعة أقاصيص – دار الشرق الجديد – بيروت ١٩٥٦ .

٣ – وقصص أخرى – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٦٠ .

٤ – الساعة والإنسان – المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر – بيروت .

(١) الساعة والإنسان – ص ٢٤–٢٦ .

٦ – غسان كنفانى

١٩٣٦ – ١٩٧٢

١ – حياته :

ولد غسان كنفانى فى مدينة عكا فى فلسطين سنة ١٩٣٦ ، وتلقى دراسته فى مدارس الفرير فى مدينة يافا ، وحدثت مأساة فلسطين سنة ١٩٤٨ التى أرغمته على النزوح من وطنه إلى لبنان قبل أن يتم دراسته الابتدائية ثم لحق بأفراد أسرته فى دمشق وعاش فى شظف من العيش ، وقسوة من الحياة ، ولكن هذه القسوة ، وهذه الشدة لم تضعف عزيمته ولم تصرفه عن مواصلة دراسته فأكمل دراسته فى المرحلة الابتدائية وواصلها فى المرحلة الثانوية وحصل على شهادة الدراسة الثانوية سنة ١٩٥٥ وشعر بأن فى وسعه أن يكافح فى سبيل الحياة فاتجه إلى الكويت . وعمل مدرساً بمدارسها مدة ست سنوات التحق فى غضونها بكلية الآداب بجامعة دمشق . وكان يجمع بين صعوبة العمل ، ومتطلبات الدراسة وفى أثناء دراسته ، أخذ يعد بحثاً لشهادته الجامعية موضوعه «العرق والدين فى الأدب الصهيونى» .

ثم ترك الكويت وقصد بيروت ليعمل فى صحيفة الحرية الأسبوعية ثم ما لبث بعد ذلك أن انضم إلى صحيفة المحرر البيروتية وأصبح رئيساً لتحريرها .

وفى سنة ١٩٦٧ أخذ يحرر فى صحيفة الأنوار ، ويكتب عموداً يوميا فى صفحتها الأولى تحت عنوان «أنوار على الأحداث» وقد خصصه لمعالجة القضايا العربية . وفى مقدمتها قضية بلاده فلسطين وفى مساء الخامس عشر من يولية سنة ١٩٧٢ اغتاله اليهود فى منزله فى بيروت وراح ضحية الغدر الآثم مأسوفاً على شبابه لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره .

٢ – أدبه :

عالج غسان البحث والقصة والرواية ولكنه شغف بالقصة وأصدر طائفة من قصصه ورواياته التى عالج فيها مأساة قومه ، وكارثة بلاده . يقول الدكتور إحسان عباس .

١ – من يقرأ قصص غسان كنفانى يدرك دون عناء أن أشخاصه من أبناء الشعب البسطاء ، وكثير منهم أطفال أو شبان يعملون بدافع من صدق الفطرة دون أن يبلغوا سن الحكمة وليس فيهم من

يحاول أن يفلسف الدور الذى يؤديه أو الغاية التى يسعى إليها فنهم من يضحى بحياته دون أن تمر بخاطره « لم » ومنهم من يتحمل عبء العائلة الكبيرة التى خلفها له أبوه والتشرد معاً دون أن يتذمر ، ومع ذلك فإنهم فى مثل هذه المواقف ليسوا سلبيين كما أنهم ليسوا أطهارا كالملائكة »(١) .

٢ – ويقول الأستاذ فضل النقيب تحت عنوان رجال فى الشمس :

كتب رجال فى الشمس فى أوائل الستينيات وهى تصور حياة أربعين لاجئا فى أمكنة مختلفة من الوطن العربى جمعتهم البصرة رغبة فى تغيير واقعهم السيىء والبحث عن حياة جديدة فى الكويت لأنهم لا يستطيعون دخول الكويت بطريق « شرعى » تعاملوا مع مهرب . عملية التهريب تصادف حظًّا سيئاً المهربون بقلب خزان ناقلة المياه الفارغ والمكتوى بشمس الصحراء يموتون اختناقا وهم ينتظرون السائق الذى لا يستطيع إنهاء عملية التصديق على أوراقه والرد على مداعبات موظفى الجمارك السمجة بالسرعة المطلوبة »(٢) .

ويقول غسان عن حياته :

غادرت فلسطين عندما كنت فى الحادية عشرة من العمر وكنت أنتمى إلى عائلة من الطبقة الوسطى ، وكان والدى محامياً وكنت أدرس فى مدرسة فرنسية تبشيرية ، وفجأة انهارت هذه العائلة المتوسطة وأصبحنا لاجئين فتوقف والدى فوراً عن العمل بسبب جذوره الطبقية المتأصلة أما نحن فقد باشرنا بالعمل كصبية ومراهقين كى نعول العائلة ، وقد استطعت أن أتابع تحصيلى العلمى بنفسى من خلال عملى معلماً فى إحدى المدارس الابتدائية فى القرية وكانت تلك بداية منطقية ساعدتنى على متابعة المرحلة الثانوية التى أنهيتها فى تلك الأثناء وبعد ذلك انتميت إلى جامعة دمشق قسم الأدب العربى لمدة ثلاث سنوات فصلت بعدها لأسباب سياسة عندها سافرت إلى الكويت حيث مكثت طوال ست سنوات وقد باشرت القراءة والتأليف هناك »(٣) .

---

(١) غسان كنفانى إنساناً وأديباً ومناضلاً – ص ١٤–١٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢١– ١٢٢ .

مختارات من قصصه :

رجال فى الشمس

«أبو قيس رجل عجوز الأرض لاتزال تحت جسده ترتعش مثل امرأة ، ورائحتها تجعله يتنسم شعر زوجه حين تخرج من الحمام وقد اغتسلت بالماء البارد . الرائحة إياها . رائحة امرأة اغتسلت بالماء البارد ، وفرشت شعرها فوق وجهه وهو لم يزل رطبا لكن الحياة شىء مختلف فالموت أفضل من حياته . لابد من بعض المال وحين تأتيه فكرة السفر إلى الكويت لجمع الثروة يدور بينه وبين زوجه الحوار التالى :

هو : ماذا تريدين يا أم قيس .

هى : حدقت إليه وهمست كما ترى أنت .

هو : سيكون بوسعنا أن نعلم «قيساً» .

هى : نعم .

هو : وقد نشترى عرق زيتون أو اثنين .

هى : طبعاً .

هو : وربما نبنى غرفة فى مكان ما .

هى : أجل .

هو : إذا وصلت ! إذا وصلت .

أسعد : أسعد هو الآخر يحلم بالدنانير فى الكويت اقترض خمسين ديناراً من رجل يريد تزويجه ابنته وهو فى هذه الصفقة لا حول له «فندى» قدره كما يعتبرها عمه لمجرد أن أباه قرأ الفاتحة مع عمه حين ولد هو وولدت هى فى يوم واحد ، وأسعد له تجاربه مع المهربين فقد دفع عشرين ديناراً ليهربه أبو العبد من عمان إلى بغداد فأخذ الدراهم وتركه وحيداً فى منتصف الطريق

مروان : لا يزال صغيرا . شقيقه الذى فى الكويت تركهم بدون معيل لأنه تزوج ، ووالده هو الآخر ترك أمه ليتزوج بشفيقة التى فقدت ساقها أثناء قصف يافا والتى تملك بيتا فى طرف البلدة إذن عليه هو أن يعيل العائلة .

أمام أبواب المهربين فى البصرة كان الثمن غالباً خمسة عشر ديناراً لكن أبا الخيزران يعرض على

مروان تهريبهم إلى الكويت بخمسة دنانير أما الطريقة فهى بواسطة ناقلة ماء يبقون فى الخزان ست دقائق عند عبور الحدود العراقية الكويتية . لم يكن الأمر سهلا فعند الوصول إلى نقطة الحدود يبدأ أبو باقر وبقية موظفى الحدود بممازحة السائق تنقضى نصف ساعة ثم فى عرض الصحراء يفتح أبو الخيزران باب الخزان ليجد الثلاثة جثثا فى داخله .

من آثاره المطبوعة :

١ – موت السرير – مجموعة أقاصيص – بيروت ١٩٦٢ .
٢ – رجال فى الشمس – بيروت ١٩٦٣ .
٣ – أرض البرتقال الحزين ١٩٦٣ .
٤ – عالم ليس لنا – مسرحية ١٩٦٥ .
٥ – أدب المقاومة فى فلسطين المحتلة ١٩٦٦ .
٦ – ما تبقى لكم ١٩٦٦ .
٧ – عائد إلى حيفا ١٩٦٦ .

٧ – يوسف جاد الحق

١٩٣٠

١ – حياته :

ولد يوسف جاد الحق فى قرية يبنا من أعمال قضاء الرملة بفلسطين سنة ١٩٣٠ ، وفى مدرستها تلقى دراسته فى المرحلة الابتدائية ، وواصل دراسته فى المرحلة الثانوية فى مدارس يافا وعمان قبل أن تحدث المأساة وعندما حدثت المأساة سنة ١٩٤٨ كان يوسف فى الثامنة عشرة من عمره ، وقد اضطر إلى النزوح عن قريته مع أهلها فاتجه بادئ الأمر إلى قطاع غزة وعاش به فترة ثم تركه قاصداً دمشق حيث استقر به المقام مع الألوف من أبناء فلسطين الذين نزحوا إلى سورية .

وفى دمشق أخذ يوسف يثقف نفسه ، ويعكف على القراءة والمطالعة ، وقد استهواه الفن القصصى ، فأخذ يقرأ القصص والروايات والمسرحيات لأعلام الأدب العربى ، وأعلام الأدب الغربى ، وبعد أن تزود بقسط من الثقافة والمعرفة بدأ يجنى ثمار ثقافته ، وينشر أقاصيصه فى الصحف والمجلات التى تصدر فى دمشق وبيروت ويذيع طائفة منها من إذاعة دمشق . وإذاعة صوت العرب فى القاهرة .

٢ – أدبه :

استهوى الفن القصصى يوسف فأخذ يطلع على ثمار قرائح أعلام القصة فى الأدب العربى ، والأدب الغربى ، ويتابع ما يكتبه الدارسون والنقاد حول هذا الفن وأصوله ، والمقاييس التى يحكمون بها على ارتفاع القصة أو هبوطها ، والمدارس التى ينتمى إليها الكتاب النقاد . واستفاد من كل ذلك وأصدر عدة مجموعات عالج فيها قضية فلسطين قبل المأساة وبعدها كما عالج جوانب اجتماعية ونفسية ووطنية .

وقد كان لنا شرف تقديم أولى مجموعاته القصصية ومما قلناه فى المقدمة للمجموعة الأولى أشرقت الشمس :

« هذه إحدى عشرة أقصوصة للكاتب الفلسطينى الشاب يوسف جاد الحق ينتظمها عقد ،

ويظلها جو ، وتضمها مجموعة تحت عنوان أشرقت الشمس وهو عنوان الأقصوصة الأولى فى هذه الأقاصيص وملخصها أن نوبة من نوبات اليأس اجتاحت شابًا وهو فى نضارة الشباب نتيجة لتوالى مشكلات مادية ، ومآس نفسية عليه بعد نزوحه عن بلده ، واستقراره فى خيمة من خيام اللاجئين لا تقى حرًا ولا قرًّا ، وإيصاد أبواب الرزق فى وجهه ، فقرر الانتحار وقبل أن يقدم عليه غفت عيناه وأيقظه حلم مؤثر ، ويدان تمتدان إليه برسالة حملت إليه أنباء سارة أبعدت عنه ذلك الخاطر الأسود وحببت إليه الحياة ، وأضاءت أمله وكان ذلك عند شروق الشمس.

وقد نجح الكاتب فى تحليل نفسية الشاب وصور ماضيه الحافل بمعانى البؤس والحرمان واستعان بمشاهد الطبيعة فى رسم الجو الملائم والجو العام لهذه الأقاصيص جو تفوح منه رائحة الرصاص والقنابل ، وتضىء فى ثناياه آيات التضحية والبذل والفداء ، جو كفاح ونضال أبناء فلسطين دفاعاً عن عروبتهم ووطنهم وأرضهم وحريتهم وهم يقفون أمام أعظم قوتين فى العالم - بريطانيا بجيوشها وأساطيلها والصهيونية العالمية بنفوذها وسلطانها - فى عهد الإنتداب البريطانى حتى النكبة .

ولذلك كنت أتنقل مع الكاتب فى أقاصيصه من مشهد إلى مشهد أراقب الأحداث ، وأخوض المعارك ، وأحيا مع المناضلين الذين كانوا يحفرون الخنادق حول القرى بعد قرار التقسيم الصادر فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ويكمنون تحت أشجار البرتقال فى قرى يبنا وأسدود والمغار والمسمية والسوافير وغيرها من مدن فلسطين وقراها .

مختارات من قصصه :

أشرقت الشمس

دقت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ووحيد مازال جالساً خلف النافذة المطلة على ساحة البرج من الفندق المتواضع الذى يقيم فيه منذ ثلاثة أسابيع وهو مؤرق الأجفان يحاول النوم فلا يستطيع .

وكانت تلك الليلة من ليالى الشتاء القاسية فى بيروت فى ذلك العام ، كان المطر يتساقط أمامه فيراه من خلف زجاج النافذة الرطب المغبش فى أضواء المصابيح الواهنة وهى تنعكس على الأرض المبلولة وقد خلت الساحة من السابلة إلا من بعض سيارات الأجرة التى تمر بين الحين والحين فى بطء

(١) أشرقت الشمس - ص ١٧ .

تبحث عن ركاب فنثير عجلاتها المياه المتجمعة فى المنخفضات التى فى الطريق . والريح تزمجر عاصفة هوجاء تهز أعمدة النور ، وتؤرجح المصابيح المعلقة بها فتتحرك معها الأضواء الشاحبة المنعكسة على الأرض والظلال الواقعة عليها فترسم خبوطاً وخطوطاً متنافرة من الأشعة المنكسرة الناعمة .

من آثاره القصصية المطبوعة :

١ – أشرقت الشمس – مجموعة أقاصيص فلسطينية – القاهرة ١٩٦٠ .

٢ – النافذة المعلقة – مجموعة أقاصيص – دمشق ١٩٦٤ .

٣ – المصير – مسرحية فكرية – القاهرة ١٩٦٦ .

٤ – سنلتقى ذات يوم – مجموعة أقاصيص فلسطينية – القاهرة ١٩٦٩ .

الفصل الرّابع

الترجمة

عرف الأدب الفلسطينى الحديث الترجمة أول ماعرفها عن الأستاذ خليل بيدس رائد القصة والرواية والذى ترجم من الروسية للعربية فى أواخر القرن الماضى رواياته الثلاثة ابنة القبطان والطبيب الحاذق والقوزاقى الولهان.

وفى الربع الأول من هذا القرن صدرت له قصص وروايات مترجمة عن الروسية وبعضها مكتوب فى الأصل بالإنجليزية والفرنسية قبل ترجمته للروسية.

وكانت الترجمة من الروسية للعربية أولى الترجمات التى عرفت فى الأدب الفلسطينى بسبب وجود مدرسة دار المعلمين الروسية التى أنشئت فى مدينة الناصرة فى فلسطين على نفقة الجمعية الإمبراطورية الروسية الفلسطينية والتى تلقى فيها الأديب اللبنانى الكبير ميخائيل نعيمة دراسته ابتداء من سنة ١٩٠٢ وكان يومئذ فى الثالثة عشرة من عمره عندما انتقل إليها من مسقط رأسه: بسكنتا وفيها أتقن اللغة الروسية وقرأ الكثير من روائع الأدب الروسى وقد تحدث الأديب اللبنانى عن المدرسة ومدرسيها وطريقة التدريس فيها حديثا مسهباً نجتزئ منه بنقل الفقرات التالية:

١ - «فى صيف سنة ١٩٠٢ لم أكن قد أكملت بعد الثالثة عشرة من عمرى، قيل لى إننى سأسافر فى أيلول - سبتمبر - إلى الناصرة لمتابعة دروسى هناك فى دار المعلمين الروسية فلم أكد أصدق أن الحظ كان كريماً معى إلى ذلك الحد إذن ستتحقق أمنيتى فأصبح مدير مدرسة «مسكوبية» بعد ستة أعوام.

٢ - بلغت الناصرة فوجدتنى فى مدرسة تضم نحواً من ٤٥ طالباً أصغرهم فى مثل سنى، وأكبرهم دون العشرين وجميعهم فى لباس متشابه يأكلون ويشربون وينامون ويتعلمون بالمجان وهم موزعون على ثلاثة صفوف تستغرق الدراسة فى كل منها عامين، وفهمت أن أولئك الطلاب قد اختيروا مثلى من مدارس ابتدائية فى أنحاء سورية وفلسطين ولبنان، أما الأساتذة فكانوا من الروس ماعدا أستاذ اللغة العربية ومدير المدرسة وأستاذين آخرين والثلاثة الآخرون كانوا عربا ولكنهم تخرجوا فى معاهد

عالية فى روسيا وكانت الدراسة بالروسية ماخلا اللغة العربية وآدابها والتاريخ العام والتعليم المسيحى .

٣ - ولعل دار المعلمين الروسية فى الناصرة كانت المدرسة الأولى فى العالم العربى التى اهتمت بتدريس تاريخ الأدب العربى وفن التربية والتعليم ، ولأنه لم يكن قد قام من العرب من يكتب تاريخ الأدب بطريقة جامعة تصلح للتدريس فى المدارس فقد نستعين بترجمة خطية لكتاب وضعه فى الموضوع أحد المستشرقين الروس وكان على كل منا أن ينسخ الترجمة بنفسه لنفسه .

٤ - لم يطل بى المقام فى الناصرة حتى عرفت أن المدرسة كانت تختار فى كل عامين واحداً من طلابها ترسله إلى روسيا لمتابعة دروسه هناك فى إحدى السفارات ومن بعدها فى إحدى الأكاديميات الروحية وذلك على نفقة الإمبراطورية الروسية الفلسطينية على أن يكون الطالب قد أنهى السنة الرابعة بتفوق .

٥ - ما إن تمكنت إلى حد من قواعد اللغة الروسية ، وحفظت قسطا لابأس به من مفرداتها حتى انطلقت أطالع فى المجلات الروسية التى كانت تصلنا وأقتحم كتاباً من عيار دستويفسكى و تولستوى [١] .

وفى المدرسة نفسها تلقى خليل بيدس دراسته ، وقد قررنا أنه هو الذى جهز الطالب ميخائيل نعيمه للالتحاق بها ، أنه أى خليل بيدس كان قد تخرج فيها قبله وأتاحت له دراسته إتقان اللغة الروسية والترجمة منها ، كان خليل بيدس رائد الفن القصصى فى فلسطين قد كتب فى مجلة النفائس العصرية سنة ١٩١٢ سلسلة مغامرات ذكر فيها طرفا من سيرة بوشكين وعرف به وبأدبه ، وحين أصدرت دار المعارف العدد رقم ٥٠ من سلسلة اقرأ سنة ١٩٤٧ عن تشيكوف لنجاتى صدقى اعترف بفضل من سبقه فى ترجمة الأدب الروسى فقال : « يجدر بى أن أذكر فى هذا الضمار أننى لست أول من يعرب صفحات من الأدب الروسى من مصادره الأصلية مباشرة فهناك فريق من الأدباء الذين تخرجوا من المعهد الروسى التبشيرى فى الناصرة فى أوائل هذا القرن قد ترجموا لتشيكوف وتولستوى وغيرهم إلا أن ترجماتهم هذه كانت يسيرة جدا وفيها من حرية التصرف مافيها » .

وأخذت حركة الترجمة من الروسية للعربية تنشط فى فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية على يد الكاتب المعروف نجاتى صدقى الذى درس الأدب الروسى فى جامعة موسكو ونال منها درجته الجامعية فى الآداب الروسية وكتب عن أشهر أدباء روسيا بوشكين وتشيكوف ومكسيم جوركى ، والذى يتقن -

---

(١) ميخائيل نعيمه - أبعد من موسكو وواشنطن ص ٥٨ - ٦٦ .

الى جانب اللغة الروسية – الإنجليزية والفرنسية والصينية والإسبانية وقد ترجم مختارات قصصية من هذه اللغات .

وعرف الأدب الفلسطينى الترجمة من الفرنسية والإنجليزية والإيطالية كما عرفها من الروسية .

وكثر عدد المترجمين ولم تقف جهودهم عند حد الترجمة فكان من بينهم كاتب المقالة ، والقصة ، والناقد والباحث . فالأستاذ خليل بيدس قاص ومترجم ، ونجاتى صدقى قاص وناقد وكاتب مقالة ومترجم ، وعبد الحميد يس ، قاص وباحث وكاتب ، ومحمد أديب العامرى عالم ومؤرخ وقاص ومترجم ، ومحمود سيف الدين الإيرانى قاص وناقد ومترجم .

فأشهر المترجمين من الفرنسية الأستاذ محمد عادل زعيتر وأشهر المترجمين من الإنجليزية أحمد سامح الخالدى وأحمد شاكر الكرمى وخيرى حماد .

أما الإيطالية فأشهر المترجمين منها أمين أبو الشعر الذى ترجم جحيم دانتى ونشره فى القدس سنة ١٩٣٨ .

أعلام الترجمة

١ - عادل زعيتر

١٨٩٧ - ١٩٥٧

١ - حياته :

ولد عادل زعيتر فى مدينة نابلس سنة ١٨٩٧ وكانت فلسطين يومئذ خاضعة للحكم التركى . وفى مدارسها تلقى دراسته فى المرحلة الابتدائية وواصل دراسته فى المكتب السلطانى فى بيروت وتتلمذ للعلامة الشيخ مصطفى الغلايينى ، وأظهر تفوقاً فى اللغة العربية وبعد أن أنهى دراسته فى سلطانى بيروت واصل دراسته فى سلطنة إستامبول وأظهر تفوقا فى اللغة التركية وتعلم اللغة الفرنسية وحين نشبت الحرب العالمية الأولى التحق بالجيش العثمانى ضابطاً احتياطياً وفى سنة ١٩١٦ انضم عادل الضابط إلى صفوف الثورة العربية تحت قيادة فيصل بن الحسين وانتخب عضواً فى المؤتمر السورى الذى بايع فيصلا ملكاً على سورية وأعلن استقلالها بحدودها الطبيعية التى تضم فلسطين والأردن ولبنان ، وعاد إلى نابلس بعد معركة ميسلون واستيلاء الفرنسيين على دمشق ، ولكنه لم يمكث بها طويلاً وإنما قصد باريس وواصل دراسته العالية فى كلية الحقوق بجامعاتها حيث نال منها إجازة الحقوق وعاد إلى فلسطين فزاول مهنة المحاماة واختير أستاذا فى معهد الحقوق فى القدس مدة تسع سنوات ١٩٢٧ - ١٩٣٦ لتدريس الاقتصاد السياسى والمالى ، وقانون المرافعات المدنية والجزائية والفقه الدستورى ، وقد تخرج على يديه أبرع المحامين ، وألمع حماة القانون فى فلسطين والأردن .

وفى غضون الثورات الفلسطينية وقف عادل مدافعا عن أحرار فلسطين المناضلين وعن الحرية وعن حق الشعب فى الثورة على ظلم الانتداب والصهيونية .

ومما يذكر لعادل فى أثناء مزاولته للمحاماة أنه كان دائما يقف إلى جانب الحق ، وأنه لم يكن يقبل قضية من القضايا إلا إذا تأكد أولا من أن موكله على حق .

وفى أثناء عمله فى المحاماة والتدريس فى معهد الحقوق كان يغذى الصحف بالمقالات الوطنية الرائعة دفاعا عن عروبة فلسطين ، وحقها فى الحياة والحرية ، ويقدم المذكرات القانونية للمندوب السامى البريطانى موضحاً خطل السياسة البريطانية ، وبعد حدوث المأساة قدم عادل للمسئولين فى

الجامعة العربية المذكرات القانونية ، والمقترحات الموضحة للسبل الكفيلة بإنقاذ فلسطين وصيانة عروبتها .

وفى النصف الثانى من حياته اعتزل الوظائف وتفرغ لتحقيق رسالته العلمية فترجم روائع الفكر وظل راهبا فى محراب فكره حتى لبى نداء ربه فى صباح اليوم الحادى والعشرين من تشرين الثانى - نوفمبر - ١٩٥٧ .

٢ - كفاحه الوطنى :

أسهم الفقيد بجهوده الطيبة فى خدمة بلاده وأمته ولغته وكان من الفرسان المعلمين الذين صالوا وجالوا فى الميادين الوطنية والقومية والجنود المحاربين تحت لواء الثورة العربية .

وكان من أوائل الداعين لوحدة العرب ، والمناضلين فى سبيل حريتهم واستقلالهم والمحاربين للإقليمية والطائفية والعنصرية وكان موضع ثقة أهله وقومه إذ اختاره أهل مدينة نابلس من بين الذين مثلوها فى المؤتمر السورى الذى عقد فى دمشق سنة ١٩١٩ ، والذى أعلن استقلال سورية بحدودها الطبيعية ومثل نابلس فى جميع المؤتمرات الفلسطينية وواصل كفاحه ضد الانتداب والصهيونية بما قدم من مذكرات ومانشر من مقالات فى الصحف تفيض بإخلاصه وتوج كفاحه الوطنى والقومى بكفاحه فى ميدان الترجمة بما قدم للمكتبة العربية من ترجمات لروائع الفكر الغربى .

٣ - أدبه :

فى غضون ثلث قرن من الزمان وعلى وجه التحديد من سنة ١٩٣٠ إلى سنة ١٩٥٧ قدم عادل زعيتر للمكتبة العربية نحواً من أربعين كتاباً ترجمها عن أبرز أعلام الغرب وصفوة مفكريه فى الأدب والتاريخ والسياسة والاجتماع والفلسفة والحضارة والتربية والقانون .

لماذا اتجه للترجمة دون التأليف لأنه كان يرى أن مقدمة ابن خلدون أعظم ماألف فى العربية وأن الغرب قد سبقنا بأشواط ، وأننا لن نلحق بركبه مالم نستوح أصول المعارف ومناهج الفكر .

واختار لترجماته أعلاما من أبرز مفكرى الغرب وأعظم أقطابه ولم يقدم على ترجمة كتاب إلا بعد اقتناعه بأن فى ترجمته خدمة للأمة العربية وفكرها ، واختار الفرنسية للترجمة عنها لتمكنه منها ووقوفه على دقائقها وبصره بأسرار لغته العربية وإحاطته بمفرداتها .

مختارات من ترجماته :

١ - من حضارة العرب لجوستاف لوبون :

« إن القوة لم تكن عاملا فى انتشار القرآن ، ماترك العرب المغلوبين أحرارا فى أديانهم فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين ، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التى لم يعرفوها من قبل ولم ينتشر القرآن إذن بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التى قهرت العرب مؤخرا كالترك والمغول .

٢ - إنه كان للحضارة الإسلامية تأثير عظيم فى العالم ، وإن هذا التأثير خاص بالعرب وحدهم فلا تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التى اعتنقت دينهم ، والعرب هم الذين هذبوا بتأثيرهم الخلق البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان ، والعرب هم الذين فتحوا لأوربا ماكانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية ، فكانوا ممدنين لنا وأئمة لنا ستة قرون وظلت ترجمات كتب العرب ولاسيما الكتب العلمية مصدراً وحيداً تقريباً للتدريس فى جامعات أوربية خمسة قرون أو ستة قرون وإذا كانت هناك أمة تقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الأمة فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم فى إنقاذ الكنوز الثمينة اعترافاً أبدياً » .

٣ - من تاريخ العرب لسيديو :

« ومن المؤسف أن جهل أفضل علمائنا فى اللغة لهجات الشرق فظلت اللغة العربية التى حافظت على صفائها بفضل القرآن وهى أدعى اللغات إلى العجب حرفا ناقصا عندهم حتى إنه لم يدر فى خلدهم الكلمات التى يفترضونها إيطالية أو إسبانية أو برتغالية فلاتنم على أصل لاتينى قد اقتبست من العربية وهم الذين لايستطيعون مع ذلك أن ينسوا أن شبه جزيرة أيبريا ظلت كلها تقريبا خاضعة لسلطان الإسلام من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر ، وأن جزر البحر المتوسط الكبرى وصقلية على الخصوص والشواطئ الإفريقية كانت فى قبضة العرب فى تلك المدة ، وأن البابا يوحنا الثامن كان يدفع إليهم جزية سنوية ليقى إيطاليا الجنوبية من غاراتهم ، وأن المدن بلرم والقاهرة وفاس كانت زاهرة فى الآداب ازدهار بغداد وقرطبة ، وأن الإدريسى كتب فى سنة ١١٥٠ م رسالته العربية فى الجغرافية إلى الملك النصرانى روجر الثانى » .

من مترجمات عادل زعيتر :

١ – روح الشرائع – جزءان	مونتسيكيو
٢ – العقد الاجتماعى	جان جاك روسو
٣ –كنديد أوالتفاؤل	فولتير
٤ – الرسائل الفلسفية	فولتير
٥ – حديقة أبيقور	أناتول فرانس
٦ – الإلهة عطاش	أناتول فرانس
٧ – حضارة العرب	جوستاف لوبون
٨ – حضارات الهند	« «
٩ – روح الجماعات	« «
١٠ – السنن النفسية لتطور الأمم	« «
١١ – فلسفة التاريخ	« «
١٢ – روح التربية	« «
١٣ – الآراء والمعتقدات	« «
١٤ – حياة محمد	أميل درمنجم
١٥ – تاريخ العرب العام	سيديو
١٦ – النيل	أميل لوردبغ
١٧ – البحر المتوسط	« «
١٨ – كليوباترة	« «
١٩ – ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية	لونول
٢٠ – أصول الفقه الدستورى	أبسمن

٢ - خيرى حماد

١٩١٣ - ١٩٧٢

١ - حياته :

ولد خيرى حماد فى مدينة نابلس سنة ١٩١٣ وفى المدرسة الصلاحية بها تلقى دراسته فى المرحلة الابتدائية وفى المرحلة الثانوية تلقى دراسته فى الكلية العربية فى بيت المقدس وحصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية .

وفى سنة ١٩٣٣ أمَّ بيروت لمواصلة دراسته العالية فى الجامعة الأمريكية ، بعد أن قضى بها أربع سنوات حصل على درجة البكالوريوس فى العلوم السياسية سنة ١٩٣٦ .

وسافر بعد تخرجه إلى العراق وتولى فى مدارسها مهنة التدريس لمدة خمس سنوات تنقل فى غضونها بين المدارس الثانوية فى بغداد والبصرة والسليمانية ، وأخذ يكتب فى الصحف المقالات الوطنية والسياسية ثم استقال من التدريس ليرأس تحرير جريدة الاستقلال الوطنى التى كانت لسان حال الحركة الوطنية فى العراق يومئذ ، عندما أشعل رشيد عالى ثورته الوطنية سنة ١٩٤١ خاض خيرى حماد غمارها وأدخل السجن فى أعقاب فشلها واضطر إلى مغادرة العراق والعودة إلى فلسطين سنة ١٩٤٣ .

وبعد عودته إلى فلسطين تولى رياسة تحرير صحيفة الدفاع التى كانت تصدر فى يافا من سنة ١٩٤٣ - ١٩٤٦وصحيفة الوحدة التى كانت تصدر فى القدس ، فى سنة ١٩٤٦ أصدر فى القدس مجلة أسبوعية سماها المستقبل وظلت تواصل الصدور حتى ديسمبر سنة ١٩٤٧ .

وعندما وقعت كارثة فلسطين سنة ١٩٤٨ غادر خيرى حماد القدس قاصداً عمان وأصدر نشرة إخبارية باسم وكالة الأنباء العربية ، وتولى رياسة تحرير جريدة الأردن اليومية وتقلب فى عدة مناصب حكومية فى حكومة الأردن ، ولكنه لم يلبث أن غادر الأردن واتجه إلى لبنان وزاول نشاطه الصحفى ، وفى سنة ١٩٥٧ ترك لبنان واستقر فى دمشق عاصمة الأمويين ثم عاد إلى بيروت ثانية فى أواخر عام ١٩٥٩ .

وفى سنة ١٩٦٢ انتقل إلى القاهرة وعكف على التأليف والترجمة حتى لبى نداء ربه فى السادس من فبراير سنة ١٩٧٢ .

٢ – أدبه :

لمع اسم خيرى حماد بين الكتاب عندما نشر فى مجلة الرسالة القاهرية طائفة من المقالات عن البطولة والأبطال عند كارليل ، وعن الكائنات الغيبية فى شعر شكسبير ، وأخذ نجمه يتوهج بماقدمه للمكتبة العربية من آثار مؤلفة ومترجمة وصلت مائة وعشرين كتاباً وهى ثروة قل أن يتركها فرد واحد ولعل خيرى حماد من الأفراد القلائل الذين ترجموا من الإنجليزية للعربية هذا العدد الضخم من الكتب ومن الذين كانوا يجيدون الإنجليزية والعربية إجادة قل أن تتوافر فى كثير ممن أخذوا على عواتقهم مهمة الترجمة .

وقد شغل خيرى حماد منصب الأمين العام لاتحاد كتّاب فلسطين الذى أنشئ فى غزة سنة ١٩٦٦ وكان قد انتخب أميناً عامًّا بأكثرية أصوات الكتّاب الذين شهدوا مولد الاتحاد واختير أميناً عامًّا مساعداً لاتحاد الأدباء العرب ، وعضواً للجنة التنفيذية للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فى القاهرة ، وفى سنة ١٩٦٤ نال وسام الاستحقاق من الجمهورية العربية المتحدة فى عيد العلم تقديراً للجهد الذى بذله فى خدمة الفكر العربى ، لقد ترجم خيرى حماد مذكرات تشرشل ، ومذكرات إيدن ، ومذكرات ديجول ، وترجم لمن تقرع الأجراس لأرنست همنجواى ، والشيوعية لهارلدلاسكى .

كان خيرى حماد فارساً فى ميدان الترجمة من الإنجليزية وكان كاتبا وطنياً سخر قلمه لخدمة بلاده وأمته وقد ترجم مايزيد على ٦٠ كتاباً .

مختارات من أدبه :

١ – على أدبنا أن يرسم للشعب أن الوحدة ولا سيما بالنسبة إلى الدول المحيطة بإسرائيل والقريبة منها ضرورة ملحة تقتضيها أبعاد معركتنا مع الاستعمار والصهيونية ليدفع الشعب إلى الضغط لإقامتها وبسرعة على أن تتضمن وحدة القيادة العسكرية ، والقيادة السياسية ، والسياسة الخارجية ، والموارد والطاقات البشرية والاقتصادية ، فالمعركة ضارية وعدونا فيها قوى وكبير وعلينا أن نواجه بكل ما تملكه الأمة العربية من قدرات وطاقات ، فلم يعد هناك مجال لأية مناقشات أو أثرة أو تمسك بالمناصب والمراكز ، بل بات الخطر الداهم الذى يهدد الوجود العربى كله يتطلب التضحية من كل فرد منا وإيثار المصلحة القومية على المصلحة الذاتية .

وعلى أدبنا أن يحث الشعب العربى على ضرورة الإعداد لكل أمر عدته ولكل احتمال القدرة على التصدى له .

وعلى أدبنا أن يبين للعالم كله أن العدوان لا يزول بزوال آثاره القريبة فحسب ، بل وباجتثاثة من جذوره ، وعليه أن يوضح للدنيا ما تعرض له شعب فلسطين منذ بدء المؤامرة الاستعمارية والصهيونية من ظلم تمثل فى حرمانه من أبسط حق من حقوقه وهو حقه فى تقرير مصيره ، وحقه فى أرضه ووطنه ، وأن الحل الطبيعى والمنطق لهذه المشكلة المؤلمة يتمثل فى عودة الحق إلى نصابه وإعادة فلسطين إلى أهلها مهما اختلفت مذاهبهم وطوائفهم »[1] .

من آثاره المؤلفة :

١ – كى نستعيد فلسطين ١٩٦٣ .

٢ – أضواء وآراء فى القومية والاشتراكية ١٩٦٤ .

٣ – ادعاءات إسرائيل بين الحق التاريخى والسيادة ١٩٦٢ .

ومن مترجماته :

١ – مذكرات إيدن – مجلدان – ١٩٦٠ .

٢ – الأمير ميكافللى ١٩٦٠ .

٣ – الشيوعية – هارلد لاسكى – ١٩٦١ .

٤ – السلطان – برتراند رسل – ١٩٦٢ .

٥ – مذكرات ونستون تشرشل – ثلاثة مجلدات – ١٩٦٢ .

٦ – لمن تقرع الأجراس – أرنست همنجواى – ١٩٦٢ .

٧ – مذكرات ديجول – مجلدان – ١٩٦٦ .

---

(١) الأدب العربى بعد الخامس من حزيران – مؤتمر الأدباء العرب السابع – بغداد ١٩٦٩ من ص ٦–٢٩ .

المصادر والمراجع

أولاً : مقابلاته

١ - اللقاء الشخصى بالشعراء والكتاب

٢ - الرسائل الخاصة

ثانياً : الدوريات

١ - مجلة النفائس العصرية - حيفا - القدس - ١٩٠٨ - ١٩١٤
و ١٩١٩ - ١٩٢٠

٢ - صحيفة فلسطين ١٩٣٣ - ١٩٤٧

٣ - صحيفة الجامعة الإسلامية ١٩٣٢ - ١٩٣٦

٤ - صحيفة الدفاع ١٩٣٤ - ١٩٤٧

٥ - الرسالة القاهرية ١٩٣٣ - ١٩٥٢

٦ - الثقافة القاهرية ١٩٣٨ - ١٩٥٠

٧ - الأديب البيروتية ١٩٤٢ - ١٩٦٠

٨ - الكتاب - القاهرية الصادرة عن دار المعارف ١٩٤٥ - ١٩٥٦

٩ - الآداب البيروتية ١٩٥٣ - ١٩٦٠

١٠ - مجلة القافلة التى كانت تصدر فى القدس ١٩٤٧

١١ - صحيفة الصريح - عمان ١٩٥٤

١٢ - مجلة القلم الجديد - عمان ١٩٥٢ - ١٩٥٣

١٣ - مجلة الميزان دمشق ١٩٢٥ - ١٩٢٦

١٤ - مجلة العرفان صيدا ١٩٥٠ - ١٩٦٠

١٥ - شئون فلسطينية ١٩٧٢

ثالثاً : الدراسات الأدبية والتاريخية

١ - د. إحسان عباس - فن الشعر ط ٢ بيروت ١٩٥٩

٢ - د. إحسان عباس - العرب فى صقلة القاهرة ١٩٥٩

٣ - أحمد سامح الخالدى - أهل العلم والحكم فى ريف فلسطين عمان ١٩٦٨

٤ - أحمد الشقيرى - أربعون عاماً فى الحياة العربية والدولية بيروت ١٩٧٣

٥ - د. إسحق موسى الحسينى - هل الأدباء بشر بيروت ١٩٥٠

٦ - د. إسحق موسى الحسينى - أزمة الفكر العربى بيروت ١٩٥٤

٧ - د. إسحق موسى الحسينى - النقد الأدبى المعاصر فى الربع الأول من القرن العشرين القاهرة ١٩٦٧

٨ - أكرم زعيتر - القضية الفلسطينية القاهرة ١٩٥٠

٩ - أمجد الطرابلسى - شعر الحماسة والعروبة فى بلاد الشام القاهرة ١٩٥٦

١٠ - أنيس المقدسى - الاتجاهات الأدبية بيروت ١٩٥٢

١١ - خليل السكاكينى - كذا أنا يادنيا أو يوميات خليل السكاكينى القدس ١٩٥٥

١٢ - خليل السكاكينى - المجموعة الكاملة لمؤلفات خليل السكاكينى جـ١ الأدبيات القدس ١٩٥٥

١٣ - خليل السكاكينى - المجموعة الكاملة لمؤلفات خليل السكاكينى جـ٢ اللغويات القدس ١٩٥٥

١٤ - ذكرى السكاكينى القدس ١٩٥٧

١٥ - خير الدين الزركلى - الأعلام ط ٣ بيروت ١٩٦٩

١٦ - د. زكى المحاسنى - إبراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب القاهرة ١٩٥٥

١٧ - ساطع الحصرى - حولية الثقافة العربية - السنة الثانية القاهرة ١٩٤٩

١٨ - سامى الكيالى - الأدب العربى المعاصر فى سورية ط ١، ٢ القاهرة ١٩٥٩ - ١٩٦٨

١٩ – د. شوقى ضيف – الأدب العربى المعاصر فى مصر القاهرة ١٩٥٧
٢٠ – عارف العارف – تاريخ القدس القاهرة ١٩٥١
٢١ – عارف العارف – نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ٦ أجزاءبيروت ١٩٥٦
٢٢ – د. عبد الرحمن ياغى – حياة الأدب الفلسطينى الحديث بيروت ١٩٦٨
٢٣ – عبدالكريم الكرمى – أبوسلمى أحمد شاكر الكرمى – مختارات من آثاره دمشق ١٩٧٠
٢٤ – عبدالكريم الكرمى – أبوسلمى الشيخ سعيد الكرمى وسيرته العلمية والسياسية دمشق ١٩٧٣
٢٥ – عمر فروخ – شاعران معاصران بيروت ١٩٥٤
٢٦ – عيسى الناعورى – الجديد فى الأدب العربى ط بيروت ١٩٥٠
٢٧ – عيسى الناعورى – إيليا أبو ماضى عمان ١٩٥١
٢٨ – فدوى طوقان – أخى إبراهيم يافا ١٩٤٦
٢٩ – قدرى طوقان – تراث العرب العلمى القاهرة ١٩٥٤
٣٠ – د. كامل السوافيرى – الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين القاهرة ١٩٦٣
٣١ – د. كامل السوافيرى – الاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطينى المعاصر القاهرة ١٩٧٣
٣٢ – د. كامل السوافيرى – ديوان عبد الرحيم محمود – تقديم ودراسة بيروت ١٩٧٤
٣٣ – محمد أديب العامرى – عروبة فلسطين بيروت ١٩٧٢
٣٤ – د. محمد يوسف نجم – القصة فى الأدب العربى الحديث القاهرة ١٩٥٢
٣٥ – د. محمد يوسف نجم – فن المقالة بيروت ١٩٥٦
٣٦ – محمد يوسف نجم – المسرحية فى الأدب العربى الحديث بيروت ١٩٥٦
٣٧ – محمود العابدى – قدسنا القاهرة ١٩٧٢
٣٨ – محيى الدين رضا – الكرميات القاهرة ١٩٢١
٣٩ – مصطفى الشهابى – القومية العربية القاهرة ١٩٥٩
٤٠ – مصطفى درويش الدباغ – حديث الصومعة يافا ١٩٤٧
٤١ – مصطفى درويش الدباغ – فى ظلال الحرية القاهرة ١٩٥٤
٤٢ – مصطفى درويش الدباغ – شهد وعلقم القدس ١٩٦٠
٤٣ – مصطفى مراد الدباغ – بلادنا فلسطين بيروت ١٩٦٥ – ١٩٧٢
٤٤ – ميخائيل نعيمه – أبعد من موسكو وواشنطن

٤٥ – د. ناصر الدين الأسد – الشعر الحديث فى فلسطين والأردن القاهرة ١٩٦١
٤٦ – د. ناصر الدين الأسد – خليل بيدس القاهرة ١٩٦٣
٤٧ – د. ناصر الدين الأسد – محمد روحى الخالدى القاهرة ١٩٧٠
٤٨ – يوسف إسماعيل النبهانى – طيبة الغرا بيروت ١٣١٤هـ
٤٩ – يوسف إسماعيل النبهانى – ديوان المدائح النبوية بيروت ١٣٢٩هـ

فهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

للمؤلف

أولاً : كتب مطبوعة

١ – الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين من ١٩١٧ – ١٩٥٥ مكتبة نهضة مصر – الفجالة القاهرة ١٩٦٤

٢ – الاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطينى المعاصر – مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٣

٣ – عبد الرحيم محمود – حياته وشعره دار العودة بيروت ١٩٧٤

٤ – المجموعة الكاملة لمؤلفات إسعاف النشاشيبى .

ثانياً : كتب تحت الطبع

٥ – دراسات فى النقد الأدبى

٦ – شاعر الوفاء ابن حمديس الصقلى – حياته وشعره .

٧ – إسعاف النشاشيبى – حياته وأدبه .

٨ – فى سبيل المجد – سيرة ذاتية .

٩ – ديوان أبى إسحق الغزى – تحقيق

١٠ – مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام – تأليف أبى محمود بن هلال المقدسى . تحقيق .

رقم الإيداع	١٩٧٩/٢٩٩١
الترقيم الدولي ٢ - ٧١٢ - ٢٤٧ - ٩٧٧	ISBN

٤٥/٧٨/ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

Title

Author

Accession No.

Call No.

Borrower's No.	Issue Date	Borrower's No.	Issue Date

هذا الكتاب

أول كتاب يتناول حياة الأدب المعاصر فى فلسطين خلال قرن من الزمان ، من سنة ١٨٦٠ - ١٩٦٠ ، ويؤرخ للحياة الفكرية والأدبية فيها ؛ ويتكون من قسمين : قسم خاص بالشعر ونشأته وتطوره مؤرخاً لحياة كل شاعر ، عارضاً منه نصوصاً فى الأغراض المختلفة ؛ وقسم خاص بالنثر عرض لنشأة فنونه وتطورها ، مفرداً كل فن بدراسة مستقلة .

وهذه هى المرة الأولى التى يكتب فيها تاريخ الأدب المعاصر فى فلسطين كتابة مفصلة ، تترجم للأدباء والأديبات ، وتلقى الضوء عليه وعلى أدبه فى مائة عام ، مما يجعل الكتاب بحق صورة صادقة لحياة الأدب فى فلسطين . ومرجعاً ثبتاً لمعرفة خصائص أدباء فلسطين ومنازعهم ، والوقوف على مختارات من شعرهم ومقالاتهم وقصصهم ومسرحياتهم ، وما ترجموه إلى اللغة العربية من روائع الفكر الغربى ، وتنهى كل ترجمة بالآثار المطبوعة لكل أديب .

٧٤٥٢ / ١